

مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي

3

سلسلة الدراسات الحضارية

مشاريع التجديد والإصلاح في

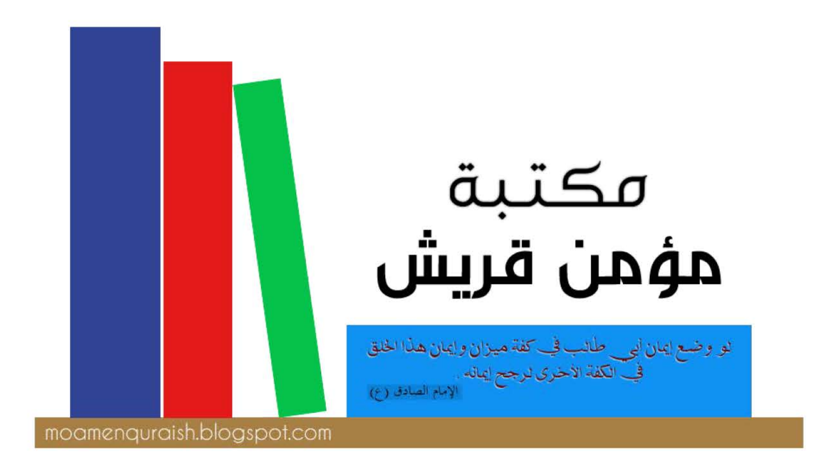
الحوزة العلميّة

خطاب الإمام الخامنئي نموذجاً

بالإشتراك مع

معهد الرسول الأكرم(ص) العالي للدراسات الإسلامية

قسم التخطيط والمناهج


مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع ايمان أبي طالب في كفة ميزان وايمان هذا الخلق
في الكفة الاخرى لرجح ايمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

مشاريع التجديد والإصلاح في

الحوزة العلمية

خطاب الإمام الخامنئي نموذجاً

مشاريع التجديد والإصلاح في

الحوزة العلمية

خطاب الإمام الخامنئي نموذجاً

تدوين، مراجعة وترجمة:

معهد الرّسول الأكرم العالي للدراسات الإسلاميّة

تدوين، مراجعة وترجمة: معهد الرّسول الأكرم العالي للدّراسات الإسلاميّة

الكتاب: مشاريع التجديد والإصلاح في الحوزة العلمية

تصحيح النّص: سمير خير الدّين

تعليقات وتحقيق: محمد مصطفوي



مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي

Center of Civilization
for the Development of Islamic thought

بناية الصبّاح ـ شارع السفارات ـ بئر حسن ـ بيروت

هاتف: 01/826233 ـ فاكس: 01/820378

البريد الالكتروني: info&hadaraweb.com

الموقع: www.hadaraweb.com

الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المركز

ليس من العسير على الإنسان الذي يتّسم بالإنصاف وحرية الفكر ، أن يدرك أن الحوزة العلمية تمثّل أكبر مركز إشعاعي للعلوم الإسلامية المنطلقة من مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) . فقد تولّت الحوزة منذ أكثر من ألف عام ، مسؤولية مواجهة التيارات الفكرية والسياسية المنحرفة والضَّالّة صيانةً للدين ، وحفظاً للمبادئ والقيم والأخلاق ، وحفاظاً على النهج والخط الذي رسمه آل الرسول (عليهم السلام) .

ولم تقتصر الحركة الحَوزوية على القيام بالدعوة وتبليغ الشريعة الإسلامية وتعزيزها وحسب ، بل أفلحت أيضاً ، في كل مرحلة من مراحلها ، برفد التراث العلمي الإسلامي الزاخر في مختلف مجالاته ، من خلال تصنيفَ الكتب القيّمة ، وتدوين الموسوعات الضخمة التي يصعب عدّها وإحصاؤها .

هذا ، ومن الطبيعي أن تحظى البحوث التي ترتبط بهذا الكيان الشامخ بأهمية فائقة ، وتُحاط ، في الوقت ذاته ، بحساسية بالغة تُملي علينا أن نمنح الخطط والبرامج المقترحة قدْراً أكبر من الدراسة والبحث والتأمل ، ونلتزم جانب الحذر والتأنّي ؛ لنخرج بنتائج موضوعية تخدم عملية التطوير ، وأن ننطلق من مواقف تتّسم بالشفافية والوضوح ، وتساهم في دعم المسيرة الإصلاحية وتفعيلها ، ولا ننجرَّ وراء نعرات لا يريد أصحابها غير إضعاف الكيان الحَوزوي ، والنيل من توجّهاته الأصيلة ، لما يشكّله من خطر عليهم .

والأمر الذي لا ريب فيه ، هو أن الحركة والتطوّر هما قوام حيوية الأفكار والمبادئ ، وبهما تضمن الكيانات الفكرية والعلمية حياتها وقدرتها على الاستمرار ومواصلة المسار .

من هنا ، ليس بوسع أي فكر أو مفكّر أن يصدّ المجتمع عن روح العصر ، ولن يكون بمقدورهما أن يسوقاه إلى تبني مبادئ وأفكار بعيداً عن الواقع الذي يتحرّك في العصر الراهن .

والفكر الذي يتخلّف عن مواكبة الأزمنة والعصور ، ويفتقد القدرة على تلبية متطلبات الحياة ، هو ، في الحقيقة ، ليس فكراً حياً ؛ لأنه يفتقر إلى الحركة . وما يتّسم بالجمود سيفضي بكل شيء إلى الموت حتماً .

فلو أراد الكيان الحَوزوي أن يكون حياً فاعلاً ، ينفتح على العالم ، ويلامس الواقع ، ويتحاور برؤية نقدية مع مكوناته ، حقاً كانت أم باطلاً ، فهو بأمسّ الحاجة إلى التجاوب مع العصر ، ومنجزاته ، ومتطلّباته من دون تلكّؤ .

ونحن عندما نتصفّح أوراق تاريخ الحوزة العلمية لقرون خلت ، نجدها متألقة زاهية ، وتغمرنا حالة من الاعتزاز والفخر حينما نلاحظ شيخ الطائفة والعلاّمة الحلي وأضرابهما الكُثُر ، وقد استطاعوا أن يرتقوا بمدارسهم الفكرية إلى قمة التطوّر وذروة الانسجام مع الواقع الذي كانوا يعيشونه ، في معادلة حافظوا فيها على أصالة روح الحوزة وثوابتها ، ولكن من دون مجافاة الواقع والقطيعة مع العصر .

ولكن الواقع ، أن كلّ عصر يُملي على الحوزة العلمية ما قد لا تتطلّبه حركة الحياة في عصر آخر ، ومن ثمّ تتمثّل فاعليتها في مدى قدرتها على العطاء المتلائم مع العصر الذي هي فيه . وبهذا المعنى ، وانطلاقاً منه ، تكون المُعاصَرة أو الحداثة في حقيقتها ، هي تُحقّقُ الحوار النقدي فيما بين الحوزة والواقع الذي تعيشه ، لما يفضي إلى التفاعل الإيجابي .

ولا ريب في أنّه من أولويات لوازم الحوار ، هي اللغة التي يتواصل بها طرفا هذا الحوار ويتفاهمان على أساسها ، ثم الموضوع الذي يدور حوله النقاش ، وما يتّسم به كل طرف من مكونات فكرية ، وعقيدية ، ونفسية . فمحاولة المُحاور

التأثيرَ في الطرف الآخر ، تفشل وتذهب هباءً إذا اقتصرت أدواته على استخدام اللغة المشتركة ، وإتقان الموضوع ، ولم ينظر إلى الآخر بما ينطوي عليه من مواقف فكرية وعقيدية ، وما تتميّز به شخصيته .

لم يحدث أن تأخَّر هذا الكيان العلمي في عصر من العصور كما حدث في هذا العصر . فلا أحد يشك في أن مسؤولية الحوزة ونطاق حركتها تتجاوز الحدود الجغرافية ؛ لأن دعوتها شاملة واستمدتها من شمولية الإمامة . وفي ضوء هذا ، لا مجال للتردّد في أن مسؤوليتها أوسع من الإطار الإقليمي ، فهي عالمية عامة شاملة ، شاءت ذلك أم أبت .

ولا نقصد بالمعاصرة الحوزوية التي ندعو إليها - في معناها الحيوي - الحركة في المحتوى والتطوّر في المضمون ، بل هي أداة تجعل وسائل الأداء والتعبير متّسقة مع المبادئ الفكرية والمرتكزات العقيدية ، من دون التخلّي عن شيء من الأسس والأصول . فالمعاصرة في المسار الحوزوي هي تَمَثُّلٌ آلي للوسائل والأدوات الجديدة التي تحفظ الأصول ، ويتحوّل الجوهر من دونها إلى كيان ميت ليس له روابط مع وقائع الحياة .

وهذا المعنى لا يعود إلى الحقائق والأصول الدينية ذاتها ، بل تُمليه ضرورة التفاهم مع القناعات الفكرية للمجتمع في كل عصر ، والتعاطي المرن مع حاجاته ، بشرط عدم التنكّب عن ثوابت المرجعية الإسلامية .

من هنا تنبثق مسؤوليتنا في متابعة واقع العصر والإنسان المعاصر ، ودراسة أفكاره ، وشؤونه ، وقناعاته ، ومعرفة تطلعاته ؛ من أجل التخطيط للحركة الحوزوية التي عليها أن تنطلق من هذه الأرضية ، لو أرادت القيام بمهمتها وتبليغ رسالتها على أفضل وجه . فيتحتّم علينا أن نتفهّم واقع الأمة الإسلامية ، بل نتعدّى ذلك إلى الإنسان في كل مكان ؛ إذ لا مكان لإنسان يكون خارج نطاق مسؤوليتنا مهما كانت قناعاته المذهبية والدينية .

يشعر المرء ، أحياناً ، أن الكيان الحوزوي ما يزال منكمشاً على ذاته رغم عطائه ، وهو بعيد عن الواقع ، وفي عزلة عن متطلبات العصر وما يجري في العالم . إننا نعيش في عالم يزدحم بالحضارات ، ويكتظّ بالثقافات ، وصراع الأفكار التي لا يتوحدها قاسم مشترك غير معاداة الأخلاق ، ومناهضة القيم الروحية السامية التي يدعو إليها الإسلام . نحن نعيش عصراً قام فيه ألدّ أعداء الدين الإسلامي بتوظيف كل ما أنعم الله به على البشرية من وسائل متطورة وتقنية علمية متقدّمة ، للقضاء على هذا الدين الحنيف .

وما أحوجنا في هذا الوضع الخَطِر إلى حركة حداثية ما زالت تفتقر إليها حوزاتنا في جميع الأبعاد والدوائر ؛ لكي تأتي عملية التوعية والتثقيف متوائمة مع الأوضاع ، وترتفع الممارسة التعليمية والتربوية في الحوزة إلى مستوى تحديات العصر ، ولأجل أن يكون بمقدور المرجعيات الدينية أن تتفاعل مع واقعها ، عليها - فيما تمليه المعاصرة المرجوة- أن تبادر إلى إنشاء مراكز تقوم بجمع معلومات واسعة عن الثقافات ، والأفكار ، والشخصيات ، والمؤسسات الفكرية المختلفة في أرجاء المعمورة كافة ؛ لكي تتم المواجهة على أساس علمي وبصورة مدروسة . وما دمنا نريد لعملية المعاصرة أن تشمل جميع الأركان الحوزوية ؛ ومن ضمنها النصوص الدراسية أيضاً ، فمن الضروري أن تكون هذه النصوص ناظرة إلى حاجة الواقع ، ومنسجمة مع المسار الوحدوي للأمة الإسلامية برمّتها .

كما يجب أن تتم عملية تدوين المناهج الدراسية بمراعاة أحدث التطوّرات العلمية في التعليم وعلم النفس ، وأن تأتي اللغة بأسلوب جذّاب حيّ ينسجم مع حاجات كل بلد ومستواه الثقافي والأدبي . فمع أن أغلب الكتب الدراسية مدوّنة بلغة واحدة وهي العربية ، لكن الملاحظ أن اللغة المستخدمة لا تنسجم مع الأسلوب المُتداوَل في الأداء العربي المعاصر .

إن النزعة المادية التي هوت إليها البشرية ، وجنوح الإنسانية نحو العلمانية والليبرالية ، أزالا الحواجز أمام تفكير الإنسان الذي أطلق لنفسه العنان في خوض ما يشاء . وإنسانٌ بهذه المواصفات هو في أمسِّ الحاجة إلى الرفق والتفاهم .

والأهم من هذا ، أن هذه الحالة تُملي على أصحاب الدعوات أن يحيطوا بالمخاطَب من جميع نواحيه النفسية والفكرية ، لاسيما أنه غير مقيّد بضوابط الدين ، ولا يرى ضرورة لأن يكفّ عن إثارة الشبهة لنفسه ، أو لغيره .

منعاً للالتباس

توخياً للوضوح ومنعاً للالتباس ، نرى أنّه من الضروري أن نسلّط الضوء على بعض النقاط المهمة المرتبطة بالأصالة والمعاصرة .

أولاً : لا يتوجّه الإصلاح والتغيير في مسار الحوزة العلمية إلى العمق ، بل يجريان في المناهج والأدوات التي يُمكن من خلالها بلوغ النتيجة المرجوّة بأفضل الصيغ .

وفي هذا السياق ، من الضروري أن تبادر الحوزة إلى تطوير وتبديل كثير من النوافذ التي تتعاطى عبرها مع المُخاطَبين ؛ لأن عدم مواكبتها العصر ، يحول دَون مراعاتها الحاجات الفكرية والفراغات العلمية الواقعية ، ومن ثمّ عجزها عن التطابق مع الواقع .

إنّ وعيَ أصحاب الخطاب للحاجات والأسئلة متقدمٌ على التفتيش عن أجوبة وحلول ، وإلاّ ، فإنَّ تقديم الجواب المتيسّر قبل وضوح المشكلة يؤدي ، في كثير من الأحيان ، إلى نتيجة معاكسة .

ولا يمكن للحوزة أن ترقى إلى هذا المستوى من الأداء من دون أن تنشئ مؤسسات متعددة ، تقوم بإعداد المبلّغين وتأهيلهم على أساس استيفاء حاجات كل بلد ، وتلبية متطلباته .

ثانياً : لا ننكر أن من ينادون بتحديث الحوزة وعصرنتها يتوارون خلف هذا الشعار ؛ وذلك لإحداث انقلابات جذرية وتحوّلات شاملة تتناول الأصول والثوابت ، وتمسُّ الأسس والمرتكزات ، من دون أن يعبأوا بمكانة الحوزة العلمية وميراثها وثوابتها .

تقوم دعوة هؤلاء على الإيحاء بأن طبيعة الحوزة ، وعقيدتها ، وثوابتها في رفض الليبرالية الفكرية الجانحة ، وعدم الانخراط تحت المظلاّت العلمانية الحديثة ، كل هذا يجعلها عاجزة عن مواكبة العصر ، والاستجابة للحاجات الفكرية والعلمية ، وملء الفراغ الثقافي ، وغيرَ مؤهّلة لتأمين الاستقرار الفكري ، ومعالجة الأزمات في الحياة العقلية ، وهم بذلك يمهدون الطريق أمام تهميش دور الحوزة ، وتحويلها إلى موقع ثانوي في المجتمع .

ونحن نطالب الحوزة بالمبادرة إلى تحرّك إيجابي ، لكن بعيداً عن الميوعة والمواقف الهشة ، وننتظر أن يصير التعامل وفق أطروحات تتناغم مع ثوابتها ، وتستجيب لحاجات الواقع في الوقت نفسه . فالتكوين الحوزوي ينطوي على ثروة عظيمة مُستقاة من الدين الإسلامي . ولهذا الكيان رصيده الذي يكفيه على صعيد الأصالة والعمق ، بيد أن العزلة والغيبوبة عن حركة الحياة يتسبّبان في جمود الفكر ، ويمنعان توظيف هذه الثروة العظيمة واستثمار هذا الرأسمال الضخم .

ثالثاً : نحن لا نريد للحوزة أن تتنازل عن عمقها ، أو تتخلّى عن ثوابت أصالتها . كما أننا لا ندعو إلى أصالة تأتي على حساب واقعية الكيان وعصريته ومواءمته للحياة ؛ لأنّ أصالة الحوزة لا تمنعها من دخول معترك الحياة ، وخوض غمارها في مختلف العصور .

ثلاثة اتجاهات:

تحتضن الحوزة في الوقت الراهن ، ثلاث فئات تعبّر عن اتجاهات ثلاثة حيال قضية التطوير والتجديد ، يمكن الإشارة إليها كما يلي :

الاتجاه الأول:

وهو الذي يؤمن أن ما هي عليه الحوزة الآن من مناهج علمية ، ونصوص دراسية ، وممارسة حركة ، يفي بمواجهة الحياة والتعبير عن الإسلام في هذا

العصر . ومن الواضح أن أصحاب هذا الإتجاه لا يملكون نافذة مفتوحة ، يطلّون عبرها على الواقع العالمي ، وعلى حقيقة الدين الإسلامي ، وأوضاع المسلمين .

الاتجاه الثاني:

وأصحابه يؤمنون بأن ليس للكيان الحوزوي ما يصلح لتقديمه إلى المجتمع ، وأن حركة الزمن قد سبقته ؛ بحيث أضحى وجوداً مندرساً وذكرى من ذكريات الماضي . . . ومن الواضح أن هذا التيار متأثّر في صياغة رؤيته ، بمزيجٍ من الفكر الغربي الليبرالي ، وبالنزعة العلمانية ، والنوايا السياسية الاستعمارية . ويدلّ على ذلك أن هذا الرأي يصدر ، في الأغلب ، عن الأوساط المنبهرة بالغرب ، ومن المواقع التي تخشى على مصالحها من الحركة الحوزوية .

الاتجاه الثالث:

وهو الذي يؤمن بالتوازن ؛ بحيث لا يرضى أن يضحّي بالأصالة على مذبح الحداثة كما لا يرضى بالعكس ، بل يدعو إلى إعادة تشييد الكيان الحوزوي وفق معادلة تقوم على حدّين : التمسك بثوابت الأصالة من جهة ، وعدم القطع مع المعاصرة من جهة ثانية ؛ لأنّ هذه المعاصرة تدخل في صميم مصلحة الأصالة ذاتها .

فالأصالة هي التي تضمن للحوزة الاستقامة على الطريق ، وتوظيف الخلفية المشرقة التي تضمّ في حركتها ثروة هائلة من التجارب والمناهج التاريخية ، وهي ، أيضاً ، (أي الأصالة) السبيل إلى صنع المستقبل الزاهر . الإمام علي خامنئي يُعتبر من الشخصيات المجدّدة ، وذوي النظريات الثاقبة والجريئة حول مشروع النهضة العلمية الشاملة في المؤسّسات الإسلامية التعليمية الدينية العالية ، ونحن نعتبر أنّ إصدار كتاب يحوي ملامح عامّة وخطوطاً عريضة عن المشروع من منظاره ، يساهم في ترشيد المشروع الإصلاحي للحوزات العلمية ، وأخيراً أودّ القول : إنّ حوزة الرّسول الأكرم هي مُنعطف مبارك في مسار الحوزة العلمية عموماً وهي

اليوم تتبنّى مشروعاً إحيائياً إسلاميّاً وعصرياً يستحق القائمون عليها وبالذّات سماحة الشيخ علي سائلي المدير العام لها كلّ تقدير وشكر منّا وهو الذّي شجّع مركز الحضارة للقيام بنشر هذا الكتاب ضمن إحدى سِلسلاته .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين .

نجف علي ميرزائي

رئيس مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي

المقدمة

التربية والتعليم - نظرة عامة

أهمية التربية والتعليم:

تمثّل «**التربية والتعليم**» محور حركة الأنبياء عليهم السلام والمصلحين في التاريخ الإنساني، لما لهما من دور في صنع الإنسان وبناء شخصيته، وبناء المجتمع بشكل عام.

ولأهمية التربية والتعليم نجد الاهتمام الكبير بهما في دساتير الشعوب، ومواثيق الثورات وشعارات حركات الإصلاح الاجتماعي والديني.

كما أن للتربية والتعليم حصة الأسد في قسمة الإنفاق العام، وفي نسبة توزيع العمالة في العالم المعاصر.

ومن منظور إسلامي، نجد الاهتمام الكبير في القرآن الكريم وفي السنة الشريفة بالتربية والتعليم، فقد ورد في القرآن ما يؤكد على الموقع البارز للعلم والعلماء:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[١].

---

(١) سورة الزمر/ الآية ٩.

﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[1].

وورد في السنّة روايات كثيرة في بيان أهمية العلم والتربية، مثل الروايات التالية:

* **«العلم ضالة المؤمن»**[2].

* **«العلم رأس الخير كله، والجهل رأس الشر كله»**[3].

* **«العلم حياة الإسلام وعماد الدين»**[4].

* **«يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء فيرجَّح مداد العلماء على دم الشهداء»**[5].

وانطلاقاً من هذه النظرة إلى التربية والتعليم ورد في إحدى **«رسائل اخوان الصفا»** قولهم:

«ليس من فريضة من بين فرائض الشريعة وأحكام الناموس أوجب، ولا أفضل، ولا أجل، ولا أشرف، ولا أنفع للعبد، ولا أقرب له، بعد الإقرار به، والتصديق بأنبيائه ورسله فيما جاؤوا به وخبروا عنه، من العلم وطلبه وتعليمه»[6].

---

(١) سورة المجادلة/ الآية ١١.

(٢) المجلسي، محمد باقر: **بحار الأنوار**، ط٢، المصححة، بيروت، مؤسسة الوفاء، ج١، ص ١٦٨، ح١٧، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

(٣) المرجع السابق، ج٧٧، ص ١٧٥.

(٤) المتقي الهندي: **كنز العمال**، تحقيق: بكري حياني، وصفوة السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج١٠، ص١٣٢، ح ٢٨٦٦١.

(٥) المرجع السابق، خ ٢٨٧١٥.

(٦) رسائل إخوان الصفا وخلّان الوفاء، ورد في: الشبيني، **أصول التربية**، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ١٤٩.

إشكالية التربية والتعليم:

إن التربية والتعليم مع كل ما لهما من أهمية في العالم المعاصر، ومن المنظور الإسلامي بشكل خاص، يواجهان أزمة كبيرة على مستوى الممارسة في أوساطنا، وذلك لاعتبارات عدّة:

أولاً: غياب فلسفة تربوية - إسلامية واضحة المعالم والأسس، تتّصف بالواقعية والمرونة، والفاعلية.

ثانياً: غياب سياسات تربوية-تعليمية واضحة، وقادرة على معالجة تعقيدات الواقع وتشعّباته، تلك السياسات القائمة على الغايات والمقاصد التربوية والتعليمية الواضحة، بعيداً عن العموميات والإنشائيات، والخلط بين الغايات والوسائل والإجرائيات.

ثالثاً: سيادة الأساليب التربوية والتعليمية المعتمدة على التلقّي السلبي، والتلقين والحفظ، وطغيان المادة التعليمية على أساليب التفكير والمهارات العلمية والعملية.

من هنا، يلزم، قبل كل شيء، وضع أسس ومبادئ تربوية-تعليمية مبنية على غايات واضحة، وسياسات إجرائية مرتبطة بواقع التعليم والتربية، بعيداً عن أسلوب التلقين والتركيز على الحفظ والذاكرة. وهذا ما نسعى إليه في هذه الدراسة.

غايات التربية والتعليم:

شهد المجتمع الإنساني طروحات وأفكاراً عديدة في مجال التربية والتعليم وغاياتهما، وقد أصبحت بعض هذه الطروحات جزءاً من الماضي، وينبغي دراستها ضمن تاريخ الفكر التربوي. ولكن في العصر الحاضر، وحسب الاتجاه العام الذي يحكم مسار التربية والتعليم، فإن الغايات الأربع التالية تشكل الغايات الأساسية للتربية

المعاصرة، وتعبّر عن توجهات الفلسفة التربوية التي تحكم العالم المعاصر[1]:

١- تعلّم لتعرف.

٢- تعلّم لتعمل.

٣- تعلّم لتكون.

٤- تعلّم لتشارك الآخرين.

وإذ كنا نستطيع أن نوافق هذه الغايات من الناحية الشكلية والصورية، لكنّنا لا نستطيع أن نوافق مع الآخر المختلف معنا في التوجّه الفلسفي والتربوي على المضامين والمحتويات لبلوغ هذه الغايات؛ وذلك لأن السؤال الذي يطرح بالنسبة إلى الغاية الأولى- مثلاً- هو:

أولاً: ماذا تعرف؟ وثانياً: كيف تعرف؟

فإلى جانب الخبرات التربوية والتعليمية يلعب التوجه الفلسفي- التربوي، والثقافة التربوية الدور الكبير في الإجابة عن هذين السؤالين.

وعليه، فصاحب الفلسفة التربوية المثالية يختلف مع أصحاب المدرسة التربوية الرومانتيكية، الذين بدورهم يختلفون مع العلمية والواقعية المتجسّدة في «**الأروجانون الجديد**» لفرنسيس بيكون، وهذه بدورها تختلف مع الفلسفة التربوية التي يدعو إليها أصحاب المدرسة البراغماتية الداعية إلى مبدأ «**البقاء للأصلح**»، وهذه المدرسة وغيرها تختلف مع الاتجاه التربوي الاجتماعي الحديث.

---

(١) راجع: اليونسكو: **التعليم ذلك الكنز المكنون**، مركز مطبوعات اليونسكو بالقاهرة، القاهرة، ١٩٩٩م. ونبيل، علي: **الثقافة العربية وعصر المعلومات**، عالم المعرفة، العدد ٢٧٦، ديسمبر، ٢٠٠١م، ص٣٠٧.

أما الاتجاه الإسلامي في التربية والتعليم فلا يوافق مع الاتجاهات السابقة، كما يخالف التبعية التربوية والتعليمية السائدة في العالمين الإسلامي والعربي، ويدعو إلى تبنّي أسس ومبادئ تربوية مختلفة عن تلك المدارس.

والسؤال المطروح بالنسبة إلى الغاية الثانية هو أيضاً: أولاً: ماذا تعمل؟ **وثانياً**: كيف تعمل؟

وهكذا بالنسبة إلى الغايتين الأخريين. والإجابة عليها لها بُعد فلسفي - تربوي، إضافة إلى العوامل الأخرى.

وعليه، فإن تحديد الغايات التربوية-التعليمية المعتمدة على المقاصد والمبادئ التربوية، يشكّل مدخلاً أساسياً لممارسة العمل التعليمي والتربوي، وهذا ما نسعى إليه في هذه الدراسة.

ثقافة العملية التربوية - التعليمية ولغتها

إن العملية التربوية-التعليمية تتحكّم بها الثقافة واللغة، باعتبار أنهما تجسّدان العملية التعليمية بأكملها من خلال إنتاج وصياغة مضامينها، كما تقومان بدور الناقل للمحتوى التعليمي إلى المتعلّمين.

فعلى صعيد الثقافة، يُعتبر الفكر التربوي وتنظيراته، بمثابة المدخل الطبيعي لأيّة عملية تربوية تقوم على منطلقات وأسس مستقلة، بدءاً بالقيم والمعتقدات، وانتهاءً بالإجراءات والوسائل الكفيلة بتطبيقها. ففي حين أن الفكر التربوي البراغماتي -مثلاً- يؤكد على «**القيمة الفورية**» والدنيوية البحتة، ولا يرى «**للقيمة الروحية**» اعتباراً تربوياً، فإنّ الفكر التربوي الإسلامي يرى السعادة في الجمع بين «**القيمة المادية**» و«**القيمة الروحية**»، كما هو الحال في

جهود العلماء المسلمين، أمثال الفارابي، في السعي نحو الجمع بين معرفة الإغريق والقيم الروحية للدين الإسلامي.

وأمّا على صعيد اللغة، فإنّها تمثّل أداة للتفكير، والنمو الذهني، وتحليل الخطاب، والإبداع. فنحن ننظم معلوماتنا بها، ونصيغ مفاهيمنا بواسطتها، كما أننا نقوم بتحليل ودعم المعلومات من خلالها.

من هنا، كلما قمنا بتطوير اللغة تنظيراً، وتطويعاً، وتسهيلاً في الاستخدام لجهة النحو والاشتقاق، وإثراءً للمعاجم والقواميس اللغوية، كلما استطعنا أن ندعم العملية التعليمية-التربوية بشكل أكبر. من هنا فإن السعي في بناء المصطلحات ونقل المعلومات العلمية إلى لغتنا الأم وثقافتنا التربوية، يساهم في تنمية التفكير والمعرفة والقدرات الذهنية لدينا، ويثري، في الوقت ذاته، العملية التربوية -التعليمية.

عناصر العملية التربوية - التعليمية:

تعتمد العملية التعليمية-التربوية على العناصر الأساسية التالية: المعلّم، المتعلّم، المنهج، والمنهجيات. والعملية التربوية لا تتحقّق أهدافها إلّا بتوافر العناصر الأربعة ضمن توليفة دقيقة، وفيما يلي توضيح موجز حول هذه العناصر:

(١) **المتعلّم**: يعتبر «**المتعلِّم**» محور العملية التربوية-التعليمية، وتدور العملية التعليمية بمجملها حول رفع احتياجات المتعلِّم التربوية-التعليمية. كما أن العلاقة التي تحكم بين رباعية: المتعلِّم، المعلِّم، المنهج والمنهجيات، تخضع للتجاوب مع حاجات المتعلِّم وقدراته. ويتمّ التركيز في الفكر التربوي الحديث على مبدأ «**التعلّم الذاتي**» للمتعلّم من دون تعليمه، لذا فإنّ المهمّة التربويّة الأساسية

هي تعليم الإنسان كيف يتعلّم، وكيف يواصل تعلّمه من المهد إلى اللحد[1].

(٢) **المعلّم**: إنّ المهمة التي تقع على عاتق المعلّم في العملية التربوية-التعليمية، هي أن يعلّم المتعلّم كيف يتعلّم، وكيف يستمر في تعليمه، وهذه المهمة تتطلب من المتعلّم إضافةً إلى تنمية القدرات والمعارف المطلوبة في مجال التعليم، الإلمام العميق بمناهج التفكير، وأسس المعرفة، والمهارات اللازمة لإدارة الدرس، والصف، والموارد التعليمية.

من هنا، «فَقَدَ معلّم عصر المعلومات سلطة احتكار المعرفة ليتغيّر دوره -بالتالي- من كونه مجرد ناقل للمعرفة إلى كونه مشاركاً وموجِّهاً يقدّم لطَلَبتِه يد العون، لإرشادهم إلى موارد المعلومات، وفرص التعلّم المتعددة،...لقد أصبحت مهمّة المعلّم مزيجاً من مهام المربّي، والقائد، ومدير المشروع البحثي، والناقد، والمستشار...»[2].

(٣) **المنهج**: (أو المادة الدراسية) هو الجزء الآخر المقوّم للعملية التعليمية، والفكر التربوي المعاصر لا يعترف باستقلالية المواد الدراسية عن بعضها البعض، ولا يعتبرها جُزُراً منعزلة، منغلقة على نفسها في نطاق تخصصها الضيق، بل يدعو إلى فتح مجالات المعرفة على بعضها البعض بهدف التواصل المعرفي البنّاء.

(٤) المنهجيات: إن العملية التعليمية لا تؤدي إلى نتاج نهائيّ جيد، بل ينبغي أن يحكمها بمراحلها ومجالاتها المختلفة، الالتزام بالجودة الكاملة والمستمرة. وعليه، فلا بد للعمل التربوي والتعليمي أن يتم من خلال أساليب وطرق، ومنهجيات مدروسة وجيدة؛ كي نستطيع أن نقيّم العملية بمجملها أداءً وإنتاجاً.

---

(١) أنظر: نبيل، علي: (م.س.)، ص٣٣٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٣٨.

التربية والتعليم في الإسلام - نظرة تاريخية:

بدأ الرسول ﷺ كما يبتدئ كل داعية، بتعليم أصحابه، والمؤمنين به، وكان محور التعليم في مرحلته تلك، هو النّص القرآني باعتبار أنه النّص الديني المدوّن الوحيد. ويكشف عن رغبة النبي ﷺ بنشر العلم والمعرفة ما يرويه معاذ: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من رجل علَّم ولده القرآن، إلّا توّج الله أبويه يوم القيامة تاج الملك وكسي حلتين لم ير الناس مثلهما**»[1].

وعليه، يمكن أن نقول: إن الرسول ﷺ هو أول معلّم في الإسلام.

ومن الطبيعي أن يتوافر للمتعلمين مكان للتعلّم، وينقل المؤرخون أن أول مكان كان «**دار الأرقم بن عبد مناف**» وكان يعرف «**بدار الإسلام الأولى**»[2].

المسجد مركز التعليم الأول في الإسلام:

وبعد الحلقات التي كانت تعقد في دار الأرقم، أو في بيت النبي ﷺ أحياناً، انتقلت الدراسة إلى المسجد. يُروى عن النبي ﷺ روايات كثيرة تؤكّد صلة المسجد بالعلم والتعليم، كقوله: «**من غدا إلى المسجد لا يريد إلّا ليتعلم خيراًكان له أجر معتمر تام العمرة، ومن راح إلى المسجد لا يرد إلا ليتعلم خيراً وليعلّمه فله أجر حاج تام الحجة**»[3].

---

(١) العاملي، الحر، **وسائل الشيعة**، ج٤، تحقيق السيّد عبد الرحيم الرباني الشيرازي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ص ٨٢٥، ص٨.

(٢) راجع : الطبري، ابن جرير : **تاريخ الأمم والملوك**، ج٣، ص١٣٣٥.

(٣) المجلسي، محمد باقر: **بحار الأنوار**، ط٢، بيروت، مؤسسة الوفاء، ج١، ص١٨٥.

وقوله ﷺ: «**من دخل مسجدنا هذا ليتعلم خيراً، أو ليعلّمه، كان كالمجاهد في سبيل الله، ومن دخل لغير ذلك كان كالناظر إلى ما ليس له**»[1]. ومن هنا، أصبحت المساجد منهلاً للعلم والمعرفة، وقد أخذ بعضها صفة المدرسة، حيث كان يتحلق فيها الطلاب حول شيوخهم ليتلقوا منهم العلم والمعرفة. ومن بين هذه المساجد - المدارس: مسجد الكوفة؛ قال الحسن بن علي بن زياد الوشاء لابن عيسى القمّي: «**إني أدركت في هذا المسجد -يعني مسجد الكوفة- تسعمائة شيخ كل يقول حدّثني: جعفر بن محمّد**عليه السلام»[2]. وهكذا مسجد البصرة الذي اعتزل فيه «**واصل بن عطاء**» حلقة أستاذه «**الحسن البصري**» فنشأت المعتزلة؛ وهكذا مساجد بغداد، والمسجد الجامع لعمرو بن العاص في الفسطاط، وجامع ابن طولون، والأزهر في مصر، وجامع قرطبة. وبمرور الزمن ولأسباب اجتماعية- حضارية، أو عملانية-تنفيذية، انتقلت الدراسة من المساجد إلى مدارس بنيت خصيصاً لهذه الغاية.

دواعي انفصال المدرسة عن المسجد:

يمكن طرح مجموعة من العوامل أدت إلى انفصال المدرسة عن المسجد، أهمها ما يأتي:

أولاً: تغيير أساليب التدريس، وكثرة الحلقات، وما يصاحب ذلك من ضجيج وتشويش على المصلّين، ولهذا ترك «**الأزهر الشريف**» للتدريس ولم تعد تقام فيه سوى صلاة الجمعة.

ثانياً: تطوّر العلوم وإدخال مواد دراسية أخرى إلى جانب دراسة

---

(١) أحمد بن حنبل: **مسند أحمد**، ج٢، بيروت، دار صادر، ص٣٥٠.

(٢) النجاشي، أحمد بن علي: **رجال النجاشي**، ط٥، ج١، تحقيق، موسى الشبيري الزنجاني، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي، ١٤١٦هـ. ص ٤٠.

القرآن الكريم، وخصوصاً موضوعات «**علم الكلام**» المقترن بالنقاش الحادّ، والجدل الطويل، ما قد يخرج بأصحابه، أحياناً، عن الأدب الذي تجب مراعاته في المسجد.

ثالثاً: جملة من المعلّمين كانوا فضلاً عن انشغالهم بالتعليم، يمارسون بعض الأعمال الحرفية المحدودة، وحيث لم يفلحوا في تأمين مورد يكفيهم، لم يكن أمامهم إلّا اتخاذ المدارس وسيلة لكسب الرزق، والعرف يقتضي أن يكون التدريس في المسجد مجانياً.

رابعاً: عبث الصبيان الصغار الذين لا يتحفظون من النجاسة، جعل الفقهاء، يمنعون تعليمهم في المساجد[1].

تاريخ ظهور المدارس الإسلامية:

تعددت الآراء حول تأسيس المدرسة الأولى في الإسلام(بعد الانفصال عن المسجد). وقد يبدو من بعض هذه الآراء الخلط الواضح بين المدرسة وفكرة إنشاء الكتاتيب، وهي أماكن خاصّة لتعليم الصبيان القراءة والكتابة، وحفظ القرآن وتدريس علوم الدين. وفي هذا المجال نستعرض خمسة آراء في ما يخصّ التاريخ الأول:

الرأي الأول: إنّ المدارس الإسلامية ظهرت في نهاية القرن الثاني الهجري، في «**خَراسان**»، حيث يقول بعض الباحثين: «**إنّ أول مدرسة أُسّست في خراسان أسّسها المأمون العباسي في نهاية القرن الثاني الهجري أيام ولايته هناك**»[2].

---

(١) هذه الموارد الأربعة تم اقتباسها من: البهادلي (علي): **الحوزة العلمية في النجف معالمها وحركتها الإصلاحية**، ط١، بيروت، دار الزهراء، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م، ص ٢٦ . ٢٧.

(٢) زيدان (جرجي): **تاريخ التمدن الإسلامي**، ج٣ ص٢٠٠.

الرأي الثاني: إنّ **«بُخارى»** هي المهد الأول للمدارس الإسلامية في العالم الإسلامي، وإنَّ الربع الأخير من القرن الثالث الهجري، ربما يكون التاريخ الأول لإنشاء المدرسة في الإسلام (٢٩٥هـ/ ٩٠٧م).

الرأي الثالث: إن أهل **«نيسابور»** كانوا السبَّاقين إلى تأسيس المدارس في العالم الإسلامي، وذلك في أواخر القرن الثالث وبدايات القرن الرابع الهجريين، ومن هذه المدارس:

١- المدرسة التي أنشأها حسان بن محمّد القرشي الأموي، المولود (٢٧٧هـ/ ٨٨٩م)، والمُتوفى(٣٤٩هـ/ ٩٦٠م)

٢- **«مدرسة دار السنّة»** على باب المسجد الجامع التي أوقفها أحمد بن إسحاق بن أيوب الصبغي (ت ٣٤٢هـ/ ٩٥٣م).

٣- مدرسة محمّد بن حبان البستي التميمي- المعاصر للنيشابوري- وهو أبو حاتم الفقيه.

الرأي الرابع: إنَّ أول مدرسة دينية أُنشئت في **«بغداد»** في الربع الأخير من القرن الرابع الهجري، وتحديداً سنة ٣٨٣هـ/ ٩٩٤م، والتي أسّسها **«أبو نصر سابور بن أردشير»** وزير بني بويه، داراً للعلم في الكرخ غربي بغداد، وكان الشريف الرضي(ت ٤٠٦هـ/ ١٠١٥م) قد اتخذ داراً سمّاها **«دار العلم»**، وفتحها لطلبة العلم، وأمّن لهم جميع ما يحتاجون إليه.

الرأي الخامس: إنّ أول من بنى المدارس في الإسلام هو نظام الملك الطوسي وزير الشاه السلجوقي، أواسط القرن الخامس الهجري في مدينة **«بغداد»**، وحملت اسمه **«النظامية»**. وقد افتتحت تلك المدارس يوم السبت العاشر من ذي القعدة (٤٥٩هـ/ ١٠٦٦م). ويميل إلى هذا الرأي أكثر من أرَّخ لنشوء ظاهرة المدارس.

وإذا اعتمدنا على تحديد الدكتور **«معروف»** حول بداية إنشاء

المدارس الدينية خارج المسجد، يمكن أن نخرج بالجدول التالي[1]:

اسم البلد		خراسان	العراق	الشام	مصر	الحجاز	تونس	المغرب	الأندلس
التاريخ	هجري	٢٩٥	٤٥٧	٤٩١	٥٣٢	٥٧٩	٦٤٧	٦٨٥	٧٥٠
	ميلادي	٩٠٧	١٠٦٤	١٠٩٧	١١٣٧	١١٨٣	١٢٤٩	١٢٨٦	١٣٤٩

الحوزة العلمية -نظرة تاريخية:

تمثل «**الحوزة العلمية**» عمق الفكر الإسلامي الإمامي، والكيان الذي عبّر طيلة التاريخ الإمامي الشيعي، عن توجُّه يمثّل منهج أهل البيت عليهم السلام في قضايا الدنيا والآخرة، وتوفير السعادة فيهما للإنسان.

وحفل تاريخها الطويل بإنجازات وأدوار هامّة على مستوى الأمّة الإسلامية، سواء في الجانب الروحي والفكري أم في الجانب العملي والاجتماعي؛ حيث برز فيها علماء ومصلحون كبار أدّوا أدواراً بارزة للغاية، وكانوا أصحاب القرار الفصل في قضايا مركزية على مستوى الأمّة الإسلامية جمعاء.

بدأت هذه المسيرة مع رسول الله صلى الله عليه وآله - كما أشرنا - وكانت (المدينة المنورة) تمثل المهد الأوّل لمنطلق الرسالة الإسلامية، والعاصمة العلمية الأولى التي تربّى فيها فقهاء المذهب من الرعيل الأوّل مثل سلمان الفارسي، وأبي ذر الغفاري، وعبد الله بن عباس حبر الأمة، وغيرهم من كبار الصحابة والتابعين. وكانت مهمة هذه النخبة الرائدة تتمثّل بحفظ مضامين القرآن الكريم وسنة أهل

---

(١) د. معروف، **علماء النظاميات ومدارس الشرق الإسلامي**، ص٤. نقلاً عن البهادلي: (م.س.)، ص٣٥.

البيت عليهم السلام، وصيانة الشريعة ونقلها إلى الأجيال اللاحقة بأمانة وحرص وإخلاص[1].

وفي مرحلة لاحقة كان للإمامين الباقر عليه السلام، والصادق عليه السلام، الدور المؤسس للحركة العلمية على سنّة أهل البيت عليهم السلام؛ حيث اتخذ الإمام الباقر عليه السلام من الجامع النبوي الشريف وبهو بيته مركزاً لنشر هذه الثروة العلمية الغنية، وأخذت الوفود العلمية تترى إليه، لتأخذ العلوم والمعارف منه. يقول الشيخ أبو زهرة: «**وما قصَدَ أحد مدينة النبي صلى الله عليه وآله** إلا وعرّج عليه، ليأخذ عنه معالم الدين». وقد أخذ عنه أهل الفقه ظاهر الحلال والحرام. وعموماً، فإن الحياة الثقافية في هذه الفترة مدينة لهذا الإمام العظيم، وهو الباعث والقائد لها على امتداد التاريخ[2].

وفي عهد الإمام الصادق عليه السلام مرّت الحركة العلمية بفترة من الازدهار العلمي المتميّز، على الرغم من ظروف الإرهاب التي كانت سائدة آنذاك. فقد أحست السلطات العباسية أن الإمام عليه السلام بحركته هذه، سوف يسحب البساط من تحت أقدامها، ويكسب رأي الأمة لصالحه، وينفذ في أعماق الجماهير، من خلال مختلف المعارف والآداب والعلوم التي كانت مدرسته تغذي المجتمع بها[3].

وسعى بنو العباس إلى القضاء على هذه الحركة العلمية بمختلف الوسائل والأساليب، لا سيما في عهد أبي جعفر المنصور

---

(١) هذه الفقرة تم اقتباسها من: **تاريخ الحوزة**، الجامعة الإسلامية، ٣٠/ ١٠/ ٢٠٠٢م.

(٢) القرشي (باقر شريف)، **حياة الإمام الباقر عليه السلام**، دراسة وتحليل، النجف ١٩٧٧م، ص١٣٩، نقلاً عن المرجع السابق.

(٣) (م . س).

الذي تولى الخلافة عام (١٣٦ هـ)، فلاحقوا الشيعة ورواد مجلس الإمام الصادق عليه السلام، ومارسوا شتى أنواع الاضطهاد والبطش والتنكيل في حقهم، ولهذا انتقلت الحركة العلمية إلى (الكوفة) لتصبح المدرسة الدينية الثانية بعد (المدينة المنورة)، وتتأقلم هذه الحركة مع الوضع الجديد، وتبدأ مسيرة جديدة تشق طريقها وسط تيارات الإرهاب، وتتخمّض عن عطائها الجم رغم محاولات الكبت والاحتواء[١].

وقد ازدهرت الحركة العلمية في هذه المرحلة؛ حتى أن (أبان بن تغلب) روى عن الإمام الصادق عليه السلام (٣٠,٠٠٠) حديث، وعدّ له ابن النديم في الفهرست ثلاثة كتب: كتاب في القراءات، وكتاب في معاني القرآن، وكتاب في أصول الحديث على مذهب الشيعة[٢].

كذلك روى محمد بن مسلم (٤٠,٠٠٠) حديث، وقال الحسن الوشاء: «**إني أدركت في هذا المسجد - يعني مسجد الكوفة - تسعمائة شيخ كل يقول: حدثني جعفر بن محمد**»[٣].

وفي بداية عصر الغيبة الكبرى أصبحت مدينتا (قم والري) محط نزول واستقرار الرُواة والمحدّثين من الشيعة، وكانت (الري) في هذا التاريخ عامرة بالمدارس والمكاتب، وحافلة بالعلماء والفقهاء والمحدّثين، وكان في (قم) من المحدّثين (٢٠٠,٠٠٠) رجل[٤]. ولعل السبب في هذا الازدهار يعود إلى أن المدينتين كانتا

---

(١) (م . س).

(٢) القائيني (علي الفاضل): **علم الأصول تاريخاً وتطوراً**، قم ١٤٠٥هـ، ص٧٨، نقلاً عن: (م . س).

(٣) الآصفي (محمد مهدي): **مقدمة الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية**، النجف ١٣٩٨هـ، ص٣٣.

(٤) الآصفي (محمد مهدي)، (م . س)، ص ٤٥.

خاضعتين لسلطان حكومة (آل بويه) المعروفين بولائهم وتشيّعهم، مما وفّر لعلماء الشيعة الأرضية الصالحة لنشر الفقه الإسلامي، وترويج دعائم الفكر الشيعي تحت ظل هذه الدولة الموالية.

وبعد هذه المرحلة انتقلت (المؤسّسة الدينية الإمامية)، إلى (بغداد) في القرن الخامس الهجري، وأخذت ملامح هذا الكيان، تحمل طابع الاستقلالية والنضوج والكمال، لما تهيّأ له من أجواء فكرية وسياسية ملائمة، فأنجبت هذه المدرسة كتلة من النبوغ البشري، ومجموعة شامخة من العقول الشيعية الجبارة، يقف في طليعتها الشيخ محمد بن محمد بن النعمان المفيد (٤١٣ هـ)، والسيّد المرتضى (٤٣٦ هـ)، وشيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٤٦٠)، **«الذي كان يحضر درسه حوالي ٣٠٠ مجتهد من الشيعة، ومن غير الشيعة ما لا يحصى»**[١].

وبلغ الأمر بشيخ الطائفة (الطوسي) أن كان له كرسي الكلام والإفادة، وكان لهذا الكرسي يومذاك عظمة وقدر فوق الوصف؛ إذ لم يُعطَ إلّا لمن برز في علومه وتفوّق على أقرانه[٢].

إلّا أنّ الحركة العلمية في (بغداد) أَفَلَت عند دخول (طغرل بيك) إليها بالجيوش السلجوقية، وأحرقت حينها مكتبة الشيعة الضخمة التي أنشأها أبو نصر سابور وزير الدولة البويهي، والتي كانت تضم أكثر من (١٠,٠٠٠) كتاب من جلائل الآثار ومهام الأسفار، وتوسعت الفتنة حتى اتجهت إلى شيخ الطائفة (الطوسي) وأصحابه فنهبوا داره، وأحرقوا كتبه وكرسيه الذي كان يجلس عليه[٣].

---

(١) (ن . م.) ص٥٥.

(٢) الأمين (محسن): **أعيان الشيعة**، بيروت، ١٩٨٣، ج٩، ص ١٥٩.

(٣) بحر العلوم (محمد صادق): **مقدمة رجال الطوسي**، النجف، ١٩٦١، ص١٦٠.

وبعد هذه الرحلة الطويلة رست حركة العلم في مدينة (النجف الأشرف) حيث مرقد باب مدينة علم الرسول ﷺ علي بن أبي طالب عليه السلام. فقد انتقل إليها شيخ الطائفة (الطوسي)، واتخذ منها منطلقاً لنشر الفكر الإسلامي وقاعدة للتحرك والتغيير، ومناراً لطلب العلم من جديد، فأخذ يستقطب طلبة العلوم الدينية من كل مكان، ويودعهم من أسرار علمه، وكنوز معارفه، «**فصيّر مدينة النجف الأشرف مركزاً للعلم، وجامعة كبرى للإسلام، فشدت إليها الرحال وتعلّقت بها الآمال، وبان فضلها على ما سواها من البلدان، وتخرج من هذه الجامعة خلال هذه القرون المتطاولة ما يعدّون بالآلاف المؤلّفة من أساطين الدين، وأعاظم الفقهاء، وكبار الفلاسفة، ونوابغ المتكلمين، وأفاضل المفسّرين، وأجلّاء اللغويين، وغيرهم ممن خبروا العلوم الإسلامية بأنواعها، وبرعوا فيها أيمّا براعة**»[١].

وفي العصر الحاضر أخذت مدينة قم المقدسة الدور الريادي الحوزوي؛ حيث تحوّلت، لا سيّما بعد الثورة الإسلامية في إيران، إلى نقطة مضيئة في تاريخ الحوزة العلمية، ومجمع للعلماء والمحققين والباحثين من شتى البلدان الإسلامية. وتقوم المدارس الدينية المنتشرة في طول هذه المدينة وعرضها بإعداد الطلاب وتربيتهم، وتغذّيتهم بالفكر والثقافة والأدب، ومختلف المعارف الإسلامية المتنوّعة، وتربّي الطلاب انطلاقاً من أسس واعتبارات مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

وفيما يلي إشارة سريعة إلى المراكز العلمية الحَوْزَوية الأكثر شهرة، والتي تمت الإشارة إليها في سياق هذه المقدمة:

---

(١) الأمين (محسن): (م . س .)، ص١٦٠.

١- حوزة النجف الأشرف:

تتفق الأقوال على أنّ مدينة «**النجف**» عُرفت بوصفها مدينة مقدسة، منذ أن كُشِفِ لأولٍّ مرّة عن مرقد الإمام علي عليه السلام، ولكن تختلف الآراء حول بداية تحوّلها إلى مدينة علمية، ويمكن حصر الآراء في هذا المجال بنظريتين:

النظرية الأولى: مفادها أن الحوزة العلمية نشأت قبل زمن الشيخ الطوسي (قده)[١]، وتعتمد هذه النظرية على وجود البيوتات العلمية القديمة من قبيل: آل شهريار، وآل الطحال وغيرهم.

النظرية الثانية: تعتبر أن الحوزة العلمية نشأت في زمن الشيخ الطوسي(قده)، وقبل ذلك، لم يكن هناك شيء يمكن تسميته بالحوزة العلمية. وقد تبنّى «**السيد الخامنئي**» هذا الرأي، حيث يقول: إن «... **حوزة النجف التي نشأت بعد هجرة الشيخ الطوسي إلى هذه المدينة، حوالي العام ٤٥٠هـ؛ حيث أقام للحوزة تنظيماً مركزياً بذل فيه الكثير من الجهد لتطوير العلوم الإسلامية، كالفقه والأصول والحديث..**»[٢]. نعم، نشأت قبل هجرة الشيخ إلى النجف الأشرف بعض البيوتات العلمية، إلّا أنها لا ترقى إلى ظاهرة تأسيس حوزة علمية.

وقد تبنى «**السيّد الصدر**» أيضاً هذه النظرية في كتابه «**المعالم الجديدة**»؛ حيث يقول: «**... إن مؤرخي هجرة الشيخ الطوسي إلى**

---

(١) الطوسي: أحد أكبر أعلام الطائفة الشيعية، لقّب بشيخ الطائفة، ولد في طوس بإيران سنة ٣٨٥هـ/ ٩٩٥ م، أسس حوزة النجف الأشرف، وصنّف في مجالات عدة من العلوم الإسلامية، من مؤلفاته **الاستبصار والتهذيب**، وهما من الكتب الأربعة الحديثية لدى الشيعة. توفي ودفن في النجف سنة ٤٦٠ هـ/ ١٠٦٧ م.

(٢) الإمام الخامنئي، من خطاب له في قم، مدرسة دار الشفاء، بتاريخ: ١٢ رجب ١٤١٦هـ.

النجف، لم يشيروا إلى أن تلامذة الشيخ الطوسي في بغداد قد رافقوه، أو التحقوا به فور هجرته إلى النجف. وهو دليل على عدم وجود كيان علمي؛ إذ لو كان مثل ذلك الكيان موجوداً لالتحق الطلاب بشيخهم، وما يعزّز احتمال حداثة الحوزة التي تكوَّنت حول الشيخ في النجف، الدور الذي أدّاه فيها ابنه الحسن المعروف بأبي علي، فقد تزعّم الحوزة بعد وفاة أبيه، ومن المظنون به أن أبا علي كان في دور الطفولة، أو أوائل الشباب، حين هاجر أبوه إلى النجف؛ لأن تاريخ ولادته ووفاته وإن لم يكن معلوماً، لكنّ الثابت تاريخياً أنه كان حياً في سنة (٥١٥هـ/ ١٢١٢م). والصورة التي تكتمل لدينا على هذا الأساس، هي أن الشيخ الطوسي بهجرته إلى النجف، انفصل عن حوزته الأساسية في بغداد، وأنشأ حوزة جديدة حوله في النجف وتفرغ في مهجره للبحث وتنمية العلم»[١].

ويرجع «**السيّد الصدر**» ظاهرة جمود الفكر الفقهي بعد زمن الشيخ الطوسي إلى حداثة الحوزة العلمية في النجف قائلاً:

«...إذ لا يكفي التقدير العلمي لفقيه في العادة، مهما بلغ لكي يُغلِق على الفكر الفقهي للآخرين أبواب النمو والتفاعل مع آراء ذلك الفقيه، إنما يتحقق هذا عادةً، حين لا يكون هؤلاء في المستوى العلمي الذي يؤهّلهم لهذا التفاعل، فيتحوّل التقدير إلى إيمان وتعبُّد»[٢].

إذاً، لم تكن حركة العلم في النجف تصاعدية دائماً، بل كانت تعرف فترات ركود، كالفترة التي تلت وفاة الشيخ الطوسي(ره).

---

(١) الصدر (السيد محمد باقر): **المعالم الجديدة للأصول**، ط٣ ،بيروت،دار التعارف،١٩٨١ م، ص٦٧.

(٢) المصدر السابق نفسه.

٢- حوزة الحلّة:

يمكن عد مدرسة النجف امتداداً للمدرسة البغدادية، ومن هنا نجد أن وفاة الشيخ الطوسي(ره) - الذي كان في بغداد في الأصل- تركت أثراً سيئاً على الحركة العلمية في النجف -كما تقدم-. ولعلّ غزو المغول للعالم الإسلامي كان واحداً من الأسباب التي أدت إلى هذا الركود. فكان لا بد لتحريك عجلة العلم، من بروز فقيه يحمل من الأصالة والوزن العلمي ما يساعده في مهمته تلك، فكان ان انتقلت الحوزة العلمية من بغداد والنجف بعد الغزو المغولي، إلى «**الحلّة**» التي وفّر لها تدبير علمائها ووجهائها نوعاً من الحماية، جرّ إليها العلماء من بغداد. وبرز فيها علماء أعلام، كابن إدريس الحلّي(٥٤٣-٥٩٨هـ)، والمحقّق الحلّي(توفي سنة٦٧٦هـ)، وجمال الدين بن المطهر المعروف بالعلامة (توفي سنة٧٢٦هـ). ومن أهم نتاجات هذه الفترة كتاب «**السرائر**» لإبن ادريس الذي ترك كبير الأثر في إحداث تلك الهزة التي كان يحتاجها الفقه الشيعي بعد الشيخ الطوسي[١] لاستمرار الحركة الاجتهادية.

٣- حوزة كربلاء:

اتُخذت كربلاء مقرّاً للحوزة العلمية في بعض المراحل التاريخية (حوالي ١١٥٠هـ حتى ١٢١٢هـ)، وبرز فيها عدد من العلماء كان لهم تأثيرهم على ضمور البحث في أصول الفقه في

---

(١) يرى الآصفي أن هذه المدرسة رغم ضخامة ما أنجزته، لم تستطع أن تهز الاستنباط. أنظر مقدمته على **شرح اللمعة**، مج١، ص ٧٣. وقارن بـ كرجي، **تاريخ الفقه والفقهاء** (بالفارسية) ط١، طهران، سمت، ١٣٧٥هـ، ص ٢٢١؛ حيث يقول: لم يتحمل علماء هذه المرحلة (مدرسة الحلة) الركود المخيم على الفقه فنهض جماعة منهم كابن ادريس الحلي وقاموا باحياء الاجتهاد ومحو آثار التقليد، والحق أنهم استطاعوا القيام بهذا الدور على أكمل وجه.

حوزة النجف؛ وذلك لأن الجو الغالب عليهم كان الاتجاه الأخباري. وقد قدَّم أصحاب هذا الاتجاه للفقه خدمات حفظها التاريخ لهم، وبرز منهم الشيخ «**يوسف البحراني**» (ت: ١١٨٦هـ.) صاحب كتاب «**الحدائق الناضرة**». وكانت هذه الحوزة مسرحاً للصراع بين الاتجاهين الأصولي والأخباري، وقاد المجدِّد الشيخ «**الوحيد البهبهاني**» (ت: ١٢٠٥هـ.) الحركة المناهضة الأخبارية بكل جدارة واستطاع أن يخمدها في معقلها الأساس مدينة كربلاء.

٤- حوزة قم المقدسة:

يرى بعض العلماء، ومنهم الإمام الخامنئي، أنّ حوزة قم المقدسة من أقدم الحوزات الشيعية؛ حيث تعود بداية اتخاذ هذه المدينة مركزاً علمياً إلى زمن الإمام الجواد عليه السلام.

«**تمثل الحوزة العلمية في قم التي نذكر اسمها اليوم بكل فخر وإجلال، ثمرة وحصيلة الحوزات العلمية، منذ نشوئها في أواخر القرن الهجري الثاني، أو على الأقل منذ أوائل القرن الثالث، حينما ظهرت مراكز دينية مثّلت نواة الحوزات العلمية. وقد كانت حوزة قم في عهد آخر ثلاثة من أئمتنا (الجواد والهادي والعسكري عليهم السلام**) وهو ما عُرف بعهد القمّيين، حوزة علمية بالمعنى الحقيقي للكلمة؛ إذ كان يتم فيها التدريس، والتتلمذ، والبحث، والتدوين، والنشر؛ ومن هنا يمكن عدُّ حوزة قم، من أقدم حوزاتنا العلمية، وهو ما تدل عليه آثار العظماء من أمثال الأشعريين وآل بابويه وآخرين»[١].

وتوجد شواهد تاريخية عدة تدل على تلك الحركة العلمية في مدينة قم، منها ما ورد في ترجمة إبراهيم بن هاشم (القرن الثالث

---

(١) نداء الإمام الخامنئي إلى الحوزات العلمية، إصدار حوزة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، بيروت، د.ت.

الهجري)، حيث يقول النجاشي: «... **وأصحابنا يقولون: أول من نشر حديث الكوفيين بقم هو [إبراهيم بن هاشم]** »[١].

وقد عرفت هذه الحوزة فترات ركود، ثم تجددت معالمها، ونهضت بفضل مساعي الشيخ عبد الكريم الحائري (١٢٧٦هـ-١٣٥٥هـ) الذي اعتنى بمدارسها، وطلابها عناية فائقة: «**هبط الشيخ الحائري مدينة قم المشرّفة في شهر رجب سنة ١٣٤٠هـ، فنظّم من كان فيها من طلاب العلم تنظيماً عالياً، وأعلن عن عزمه على جعلها مركزاً علمياً يكون له شأنه في خدمة الإسلام وإشادة دعائمه،... وسنّ نظاماً للدراسة...، وقرر ترتيباً مقبولاً للإشراف على تعليم الطلاب، وإجراء الامتحان السنوي...**»[٢].

ويضيف الإمام الخامنئي في هذا السياق قائلاً:

«**لكنَّ هذه الحوزة لم تبق على ازدهارها وعظمتها، بل توزَّع الثقل العلمي على مراكز أخرى في العالم في شرق العالم الإسلامي، وما وراء النهر[٣] وشرق خراسان؛ حيث كان أمثال الشيخ العياشي، والشيخ الكشي، والسمرقنديين، والنسّائيين وغيرهم ممن عرفناهم محدثين ورواة، ومؤلفين. كما تأسست حوزة بغداد على يد الشيخ المفيد، ومن بعده السيد المرتضى، والشيخ الطوسي عليهم الرحمة والرضوان، مضافاً إلى حوزة النجف التي ولدت بعد هجرة الشيخ الطوسي إلى هذه المدينة حوالي العام ٤٥٠ أو ٤٤٨ أو ٤٤٩م.**

بعد ذلك انبثقت الحوزات العلمية الشيعية في «**الشامات**»[٤]، و

---

(١) النجاشي، أحمد بن علي: **رجال النجاشي**، (م . س.)، ج١، ص١٦ .

(٢) الطهراني، آغا بزرك: **طبقات أعلام الشيعة**، مج٣، ص ١١٥٩.

(٣) أي ما وراء نهر جيحون بخراسان القديم، الأوسع جغرافياً من اقليم خراسان الفعلي في إيران.

(٤) أي بلاد الشام.

«طرابلس» و**«حلب»** ثم في مدينة **«الحلة»**[1]، التي أنجبت فقهاء عظاماً خلّدهم التاريخ، وضمت آثارهم كتب الفقه الشيعي»[2].

بعد هذه المقدمة الوجيزة حول التعليم والتعلّم أهمية، وأسساً وتاريخاً في الواقع الإسلامي، ينبغي أن نشير إلى أن عملية التعليم والتعلّم تحتاج إلى دراسة موسّعة من منظور إسلامي - لا سيّما في الوسط الحَوْزَوي -. وبما أنّ فكر الإمام السّيد علي الخامنئي في مجال التعليم والتربية الدينيّين، يمثّل فكراً رائداً لجهة وضوح الطرح، وتماسك الأسس والمبتنيات، وتميّز الآفاق العلمية والعملية، ارتأينا أن تكون باكورة عملنا في مجال التعليم والتربية دراسة فكر سماحته.

وقد رتّبنا أبحاث هذه الدراسة في مقدمة عامة قيد الانتهاء، وفصول ثلاثة. تناولنا في الفصل الأول المعالم العامة للحوزة العلمية ضمن أبحاث أربعة، وهي: الفلسفة التربوية، استقلالية الحوزات العلمية، الفكر الاجتهادي، والمنهاج التربوي والتعليمي. وتطرقنا في الفصل الثاني إلى الفكر الإصلاحي في الحوزة العلمية مع الإشارة إلى بعض الجهود والمساعي والتأكيد على ملامحها الأساسية.

أما في الفصل الثالث فتحدثنا عن الحوزة العلمية النموذجية في فكر الإمام الخامنئي، وشرحنا، أولاً، المبادئ العامة التي يتم التركيز عليها في توجه سماحته، ومن ثم عرضنا المعالم العامة للحوزات العلمية من وجهة نظره، برامج، كتباً ومقررات دراسية، وعملية التقييم والاختبار. وذيّلنا الدراسة بملحقات تساهم في إلقاء الضوء على كثير من المواضيع التي تم التطرق إليها من منظار الإمام الخامنئي.

---

(١) مدينة تقع جنوب بغداد عاصمة العراق.

(٢) الإمام الخامنئي : مصدر سابق.

وأخيراً نشكر جميع الأخوة الذين ساهموا بشكل أو بآخر في إنجاز هذه الدراسة، لا سيّما أعضاء مجلس التخطيط، وأخصّ بالذكر الشيخ محمد زراقط لإعداده الفصل الثاني من الكتاب، والشيخ محمود لمراقبته صفّ الحروف والطباعة، وإعداده الفهارس العامة، وتوثيق ومراجعة بعض الفصول، والأخ عبد الرحمن جاسم لصف الحروف، والأخ الحاج أحمد المقداد لإخراجه الفني للكتاب.

ونأمل أن تساهم هذه الدراسة في إيجاد أرضية صالحة للعمل التطويري على صعيد التربية والتعليم في الحوزات العلمية. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

محمّد مصطفوي[١]

مدير مركز التخطيط والمناهج الدراسية سابقاً

---

(١) الأخ الفاضل الدكتور محمد مصطفوي في زمن إنهاء أعمال هذا الكتاب كان مديراً لمركز التخطيط التابع للمعهد وللحقيقة يجب أن يقال: لولاه لما خرج هذا العمل إلى النّور.

الفصل الأول

المعالم العامة للحوزة العلمية

المبحث الأوّل: **الفلسفة التربوية للحوزة العلمية**

المبحث الثاني: **استقلالية الحوزات العلمية.**

المبحث الثالث: **الفكر الاجتهادي في الحوزة العلمية.**

المبحث الرابع: **المنهاج التربوي والتعليمي.**

المبحث الأول: الفلسفة التربوية للحوزة العلمية

تمهيد

فلسفة التربية تعني مجموع المبادئ، والمفاهيم، والقيم، والميول التي تشكّل معاً إطاراً موجِّهاً لسلوك الفرد، أو الأسرة، أو المؤسسة، في العمل، أو التربية، أو الحياة[1].

وتُعتبر فلسفة التربية القاعدة النظرية الأولى لاشتقاق مواصفات الإنسان المطلوب بالتربية المنهجية، ومن ثم بناء الأهداف التربوية العامة والخاصة .

وقد ركّز الإسلام على السلوك الهادف، وعلى مجموعة من المبادئ والأسس التي يلزم وعيها في حياة المسلم. كما مارس الفقهاء والعلماء تلك الأسس والاعتبارات في سيرتهم العملية ونتاجاتهم الفكرية والعلمية. ولعلّ أهم تلك المبادئ التي تصوغ رؤية الإنسان المؤمن والمسؤول نحو الحياة وقضاياها، وتساهم في بناء هويته الشخصية والاجتماعية، وتحدِّد أساليب التعامل الفردي والاجتماعي، هي: «**التوحيد**»، و«**الاستخلاف**»، و «**التزكية**»، و«**العبودية لله**» و «**الوسطية**». وفيما يلي عرض موجز لهذه المبادئ ودورها في صياغة الفلسفة التربوية للحوزة العلمية:

---

(١) راجع: حمدان (د. محمد زياد): **أساسيات المنهج الدراسي**، دار التربية الحديثة، ص ٦.

١- مبدأ التوحيد:

يشكّل مبدأ التوحيد الإطار العام والرئيس لفكر المسلم، والمطلوب منه أن تكون حركته في مجالات مختلفة، منسجمة مع هذا الإطار العام، فلا يخطو خطوة ولا يقدم على فعل إلّا وهو مقتنع بانسجامه مع قناعاته التوحيدية.

فالتربية وفلسفتها في احتكاك دائم ومستمر مع النزعة التوحيدية للإنسان المؤمن، ولا يمكن تصوّر التربية من دون هذا الشعور والإحساس لدى المسلم. ثم إنّ:

«الفارق الأساس الذي يميّزنا عن بقية أصحاب الادعاءات في العالم يكمن في وجود هذا الهدف المقدس، فنحن نريد السعي في سبيل الله، ولأجل دين الله، ولنيل رضاه، ولإعلاء كلمته. ويجب أن يكون هذا هدفنا منذ أن نشرع بالدراسة إلى حين قيامنا بعملية التبليغ، أو التدريس، أو التصدي لمسؤولية ما في الحوزة أو خارجها»[١].

من هنا، فإن الأساس الأول لفلسفة التربية الإسلامية هو البعد التوحيدي لهذه التربية الذي يدعو إلى بناء الشخصية الإنسانية المنفتحة على الله - تعالى - في قضايا الحياة كلها.

٢- الاستخلاف:

المبدأ الثاني الذي تعتمد عليه فلسفة التربية في الفكر الإسلامي والحوزة العلمية، هو مبدأ **«الاستخلاف»** الذي يرمي إلى اعتبار الإنسان خليفة لله ـ تعالى ـ في الأرض؛ وذلك بهدف تحقيق غايات

---

(١) من كلمة للإمام الخامنئي ، بمناسبة بدء العام الدراسي ٨ جمادي الثانية ، طهران.

أرادها الله للإنسان؛ أي «**إعمار الأرض**» و «**بناء الذات**».

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[2].

فبعد أن يُذعن المسلم إلى أن «**لا سيّد ولا مالك، ولا إله للكون والحياة إلّا الله سبحانه وتعالى**»، انطلاقاً من مبدأ التوحيد - الذي سبق الحديث عنه-، فإنّه يرى: «**أنّ دور الإنسان في ممارسة حياته إنّما هو دور الاستخلاف والاستئمان؛ وأيّة علاقة تنشأ بين الإنسان والطبيعة، فهي في جوهرها ليست علاقة مالك بمملوك، وإنّما هي علاقة أمين بأمانة استؤمن عليها، وأيّة علاقة تنشأ بين الإنسان وأخيه الإنسان، مهما كان المركز الاجتماعي لهذا أو لذاك، فهي علاقة استخلاف وتفاعل بقدر ما يكون هذا الإنسان أو ذاك مؤدياً لواجبه بهذه الخلافة، وليس علاقة سيادة، أو ألوهية، أو مالكية**»[3].

وهذه النظرة إلى الإنسان، وإلى العلاقات التي ينبغي أن تسود بين الناس بعضهم بالبعض الآخر، ترسم صورة مختلفة لهوية شخصية إنسانية، وتشكل رافداً مهماً لعملية بناء الإنسان الداخلي وتربيته الاجتماعية.

كما يتطلب ذلك من المعنيين بالتربية والتعليم - من منظور إسلامي - أن يجعلوا «**الاستخلاف**» هدفاً تربوياً، ويشتقُّوا

---

(١) سورة البقرة/ الآية ٣٠.

(٢) سورة هود/ الآية ٦١.

(٣) الصدر(السيد محمد باقر): **المدرسة القرآنية**، دار الكتاب الإيراني، طهران، ١٩٨٤م، ص ١١٦.

المواصفات المطلوبة للمتربّي من صفات «**المستخلف عنه**». وهذا ما يطرح - بوضوح - أهميّة الرجوع إلى القرآن الكريم لاقتباس تلك المواصفات من صفات الله - تبارك تعالى - وأن يتجهّوا في العملية التربوية إلى عملية التشّبه المطلوب بالمقاييس الإنسانية.

٣- التزكية:

إن المبدأ الثالث من المبادئ التي تبلور الفلسفة الإسلامية للتربية، وتشكّل الدعامة الأساسية للعمل التربوي، هو مبدأ «**التزكية**» الذي يعني أنّ المعالجة الجذرية للتناقضات الاجتماعية (الاقتصادية والسياسية والثقافية و...)، لا تتم إلّا من خلال معالجة التناقض الداخلي للإنسان، ذلك التناقض الذي يرتدُّ إلى خلق الإنسان من «**التراب والروح**»؛ حيث إن الأول يدعوه إلى التمسّك بالأرض، والثاني يدعوه إلى العروج نحو المثل الأعلى. «**إنّ هذا التناقض الذي يعيشه الإنسان في الداخل هو النبع لكل التناقضات الاجتماعية في الحياة. فأي حلّ يقتصر على حل التناقضات الخارجية لا يستطيع أن يعالج المشكلة من الأساس؛ حيث إنّ المشاكل الخارجية هي إفرازات للتناقض الداخلي في الإنسان**»[١].

ويعالج الإسلام هذه المشكلة من خلال الاهتمام بالبعدين معاً؛ إذ يجمع الدعوة إلى الجهاد الأصغر بالدعوة إلى الجهاد الأكبر. ويَعتَبِر الجهاد الأكبر القاعدة والركيزة بالنسبة إلى الجهاد الأصغر، وورد التركيز عليه في القرآن الكريم من خلال قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾[٢].

---

(١) المصدر: (م.س.).

(٢) سورة الجمعة/ الآية ٢.

ويشرح الإمام الخميني(قده) أهمية «**التزكية**» مع التعليم بالنسبة إلى الحوزويين، قائلاً:

«من العلماء من توجه إلى التحصيل العلمي، والانشغال بتحصيل المعارف، فحصلوا على علم لكنهم اكتفوا من حقائق المعارف ومقامات أهل الله بالمصطلحات والألفاظ وأشكالها الظاهرية.

وجمع مسكين آخر كبَّلتهم السلاسل في علم الألفاظ والمصطلحات، وقنعوا من جميع المقامات بالكلام، من بين أولئك هناك من يعرفون أنفسهم، لكنهم اتخذوا هذه المصطلحات الخاوية وسيلة لترؤس جمع من المساكين، ولتأمين معيشتهم، ويتصيّدون القلوب الصافية لعباد الله بألفاظهم الخادعة وأقوالهم الملفتة، أولئك هم شياطين الإنس، ولا يقل ضررهم على عباد الله من ضرر إبليس اللعين.

لم يدرك أولئك التعساء أن قلوب عباد الله هي منازل الله، ولا يحق لأحد أن يتصرف بها، وأولئك هم غاصبو منازل الله، ومخرّبو الكعبة الحقيقية، ينحتون أصناماً، ويضعونها في قلوب عباد الله التي هي الكعبة بل هي البيت المعمور.

أولئك هم المرضى الذين أظهروا أنفسهم على أنهم أطباء... وعلامة هذه الطائفة هي أنهم أكثر رغبةً إلى إرشاد الأغنياء والزعماء من إرشاد الفقراء، وأكثر مريديهم من أصحاب الجاه والمال، وأنفسهم يتزيّون بزيّ الأغنياء وأصحاب الجاه والمال، وكلامهم معسول يغرُّ، ورغم أنهم ملوّثون بآلاف ألوان القذارات الدنيوية، يبدون في عيون مريديهم أنهم المطهَّرون، ويعدّونهم من أهل الله»[١].

---

(١) الإمام الخميني(قده): **آداب الصلاة**. نقلاً عن: العلماء والحوزة العلمية في خطاب الإمام الخميني، حوزة الرسول الأكرم ﷺ، بيروت، ١٤٢١هـ، ص٨٦- ٨٧.

من هنا، فإن المعيار الأساس في تقييم الناس بشكل عام، وعالم الدين بشكل خاص، هو درجة التزامهم بالحق، وارتباطهم وتقيّدهم به، وتهذيبهم للنفس وتزكيتهم لها، ومن هذا المنطلق نستطيع أن نقول:

«لو أن أحداً أصبح عالماً مجتهداً وبلغ المراحل العليا، ولكنّه ليس على استعداد لقبول الحق، وتغلبّت عليه الأهواء النفسيّة، وأخفت رغباته الشخصية عنه الواضحات، فلا نفع في وجوده في العالم الإسلامي أبداً، بل هو مضر، ويكون أشد ضرراً من الجهَّال أحياناً...»[1].

٤- العبودية:

إنّ الهدف من خلق الإنسان -حسب القرآن الكريم- هو عبادة الله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾﴾[2].

ولكن العبادة بمفهومها القرآني الواسع ليست فقط صلاة، وصياماً، واعتكافاً، في المساجد وانزواءً عن الحياة، وإنّما هي في مفهومها الواسع تشمل جميع الأعمال التي يُقصد بها رضا الله، سواء أكان كسباً، أم بيعاً، أم تجارة، أم صلاة، أم صياماً، أم تعليماً وتعلّماً، أم غير ذلك.

إنّ «**العبودية**» بمفهومها الإسلامي هي التحرّر من الأصنام التي تسلب حرية الإنسان، سواء كانت تلك الأصنام أمة، أو فئة، أو فرداً، أو الأهواء والشهوات الإنسانية. ففي حين أنّ «**الحرية في الحضارة**

---

(١) الإمام الخامنئي، بمناسبة بدء العام الدراسي في الحوزة، ٤ربيع الثاني ١٤١٥هـ.

(٢) سورة الذاريات/الآيتان ٥٦و٥٧.

الغربية تبدأ من التحرُّر لتنتهي إلى ألوان من العبودية والأغلال، فإنّ الحرية الرحيبة في الإسلام على العكس، فإنّها تبدأ من العبودية المخلصة لله تعالى، لتنتهي إلى التحرّر من كل أشكال العبودية المهيمنة»[1]. ﴿تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءِۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[2].

إن العبودية بهذا المفهوم تضمن أخلاقية وإنسانية الأفكار، والمشاريع، والسلوك والممارسة في آنٍ واحد. وعلى صعيد التعليم والتعلّم:

«عندما يدخل الطالب للدراسة [في الحوزات العلمية]، فإنّه -كما غيره- لا يتوقع أن يتخرج منها عالماً فقط، بل يتوقع أن تنمو بداخله وبشكل متكامل، المعارف الدينية، والتعبّد بالأحكام الإسلامية، والأخلاق والروحية المتعالية؛ بحيث يخرج من الحوزة عالماً واعياً متعبّداً ومتقيّداً بالشرع»[3].

إنّ روح التعبّد في داخل المؤمن هي تجسيد عملي لمبدأ **«التوحيد»** المفهوم المركزي في التصوّر الإسلامي بشكل خاص وفي التصوّر الديني بشكل عام، فتجريد عملية التربية من هذا البعد يعني تجريدها عن جوهرها الديني والروحي.

٥- الوسطية:

من أبرز الخصائص التي ركّز عليها الإسلام، ويعتمد عليها الفكر الإسلامي، مبدأ الوسطية في كل مجالات الحياة وفي أمور

---

(١) الصدر(السيد محمد باقر): الحرية في القرآن، بحث منشور ضمن **«بحوث إسلامية»**، دار الزهراء، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.(بتصرّف).

(٢) سورة آل عمران/الآية ٦٤.

(٣) من كلمة للإمام الخامنئي، ألقيت في ١٣٦٦/٨/١٧هـ.ش.

الدين والدنيا. ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[١].

وقوله تعالى أيضاً: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾[٢]. وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾[٣]. وغيرها من الآيات وكذلك الأحاديث. والوسطية تبرز في الجانب النفسي والداخلي من خلال بناء شخصية متوازنة ومعتدلة، قادرة على حلّ جميع التناقضات الداخلية في نفس الإنسان، وتوصله إلى درجة الاعتدال التي تلازم كمال الإنسانية. كما أنّ الوسطية في الجانب الاجتماعي تعني الابتعاد عن الإفراط والتفريط في الاتجاه والسلوك، وبناء علاقات إيجابية مع الآخرين ملؤها التواصل والتوادّ والاحسان، في ظل أجواء تُرعى فيها حقوق الجميع وتصان كراماتهم.

إن هذه المبادئ الخمسة تجسّد أهمّ الأسس التي تُعتبر إطاراً موجِّهاً لسلوك المسلم الملتزم بالقيم الإيمانية والروحية، وتشكّل البنى التحتية للفلسفة التربوية في الحوزات العلمية.

من هذا المنطلق، لا يمكن الحديث عن تربية منفصلة عن مبدأ من هذه المبادئ؛ حيث إن صياغة الإنسان المطلوب - من منظور إسلامي - تتصل بتلك المبادئ التي تشتق منها الأهداف التربوية العامة والخاصة.

---

(١) سورة البقرة/ الآية ١٤٣.

(٢) سورة القصص/ الآية ٧٧.

(٣) سورة الفرقان/ الآية ٦٧.

المبحث الثاني: استقلالية الحوزات العلمية

كل باحث يرجع إلى تاريخ الحوزة العلمية منذ اللحظة الأولى لنشوئها إلى يومنا هذا، يدرك أن هذه الحوزة، بجميع مكوّناتها من فقيه، ومرجع، وطالب، وأساتذة، ومناهج دراسية، وأنظمة مالية، بقيت مستقلة عن السلطات السياسية المتعاقبة على الحكم، بغض النَّظر عن طبيعة هذه الأنظمة من النواحي المختلفة، سواء كان النظام علمانياً أم غير علماني. فرسالة الحوزة الدينية تمنعها من الاندماج في السلطة؛ لأن هذا يفرض عليها مسلكية معينة تنسجم مع سياسات الحكم مما يؤدي بالتالي، إلى انحراف الحكم الشرعي عن مساره، وتحويله إلى اتجاه يفقد الكثير من مخزونه الروحي والقيمي.

والكلام هنا على سيطرة الأجهزة الحاكمة على الحوزة العلمية لا على مساهمة الحوزة والعلماء في عملية التغيير الاجتماعي والسياسي، أو دعم بعض الأنظمة كنظام الجمهورية الإسلامية كما سيتبين معنا - فيما يأتي- .

أما من ناحية استقلالية المناهج، فإن الحوزة العلمية في قم والنجف وغيرها من الحوزات، لا تخضع لما يُسمّى بـ **«عملية إقرار المنهج الدراسي»** المعمول به في كل دول العالم تقريباً؛ حيث إنَّ الدول تصوغ المنهج بما ينسجم مع سياستها واتجاهاتها، خصوصاً في التاريخ واللغة وغير ذلك.

والمنهج الدراسي في الحوزة يتم اختياره من قبل أساتذة متخصصين في مجالات العلوم الدينية والإسلامية. لكن هذا لا ينفي وجود كتب جرى العرف الحوزوي على تداولها، والذي يفرض وجود مثل هذه الكتب هو المادة العلمية والأنس الذهني، من دون أيّة اعتبارات أخرى، والواقع أنّ هذا الميزان هو الذي يضمن استقرار مثل هذه الكتب، أو يؤدي إلى الإعراض عنها إلى كتب أخرى.

وفيما يلي نشير إلى بعض جوانب الاستقلالية في الحوزات العلمية:

١- الاستقلالية في الهوية والموقف:

لعل أهمّ جانب يجسّد الاستقلالية الحقيقية للحوزات العلمية، هو الجانب السياسي وموقف الحوزة من السلطات الحاكمة. ويمكن تقسيم موقف العلماء في العالم الإسلامي من هذه السلطات إلى ثلاثة أقسام:

الأول: أن يكون العالم تابعاً للسلطات؛ بحيث يصبح جزءاً من ذلك النظام، وهذا ما لم نرَ له أثراً في نفوسنا نحن الشيعة ولا في حوزاتنا العلمية النيرة، فإن الحوزة العلمية مؤسسة علمية روحية ولا ينبغي أن تكون مؤسسة من مؤسسات الدولة ولا يمكنها أن تكون كذلك، ولو كانت تلك الدولة هي الدولة الإسلامية دولة الإمام المهدي(عج). فإن الحوزة العلمية إذا أرادت أن تبقى، وتنمو، وترتفع، وتحصل على الأهداف المرجوة منها، فلا يمكنها أن تكون فرعاً من فروع الدولة وهذا ما نرفضه، هذا ما أعتقده أنا وأصرُ عليه، وإن كان يوجد هناك آراء أخرى معاكسة لذلك ولكنني أرفضها عن علم ومعرفة بها. وأما المؤسّسات الدينية لدى الآخرين فإنها أحد فروع الدولة، وعندهم إدارة تسمى إدارة الأوقاف أو إدارة الأمور

الدينية تتولى إدارة بعض المؤسسات كالمساجد وأئمة الجمعة و... **فهي** تعطي للعالم رسالة مكتوبة وتقول له: اقرأها للناس، أو يقال له: أعطِ هذا الدرس ومقابل ذلك يخصصون له راتباً، وهذا ما نرفضه.

الثاني: هو موقف اللامبالاة، كالموقف الذي كانت تتخذه الحوزة من النظام والحكومات الماضية (قبل الثورة)، وهذا أحد المواقف أيضاً، ولكن ليس معنى. فالعلماء لم يتدخلوا في أي موضوع من المواضيع، ولم يساعدوا في شيء، إنما كانوا عندما يشخصون وجود ضرورة لتقديم يد العون يلبّون ذلك، وفي هذا، يُحتمل أن يكون المرحوم الشيخ «**جعفر كاشف الغطاء**» قد ألّف كتابه «**كشف الغطاء**» لأجل إدارة الحكم في عهد فتح علي شاه القاجاري، كما يظهر من مقدمة الكتاب...

الثالث: أن يكون العلماء والحوزة العلمية سنداً قوياً للدولة بكل معنى الكلمة؛ كأن تهيّئ الحوزة للنظام ما يحتاجه من البحوث والدراسات الفكرية، والطاقات والكفاءات الإسلامية، وتقوم بتوجيه الناس دينياً. فإدارة هذا الحكم تحتاج إلى صناعة الإنسان وتعليمه، والحوزة العلمية هي المصنع الذي يتولى هذه المسؤولية، وهذا المصنع يجب أن يكون له قدرة إنتاجية عالية ودائمة، فينتج العلماء والكتّاب والمتدينين، والفكر الجديد والنظريات الحديثة. وكما ترون، الفكر الجديد لم ينضب، فمثلاً كلما قرأنا القرآن نجد معاني جديدة»[1].

وكان لخلفية استقلالية الحوزات العلمية الأثر الكبير في صنع قرارات مصيرية على مستوى الأمة، وكانت لهذه القرارات الآثار الكبيرة على مجمل الوضع في البلدان الإسلامية؛ حيث «**إن كل**

(١) من كلمة له أثناء زيارته إلى مدينة قم المقدسة، تاريخ ١٥ ـ شعبان ١٤٢١هـ. ق.

حركة إصلاحية وكل كفاح اجتماعي وسياسي، وكل تحول عظيم حدث في إيران فإما أن قاده العلماء أو كانوا ضمن قادته، وهذا ثابت في التاريخ رغم محاولات الأعداء طوال (٥٠-٦٠) عاماً الماضية إنكار هذه الحقيقة.

فأول صوت للمشروطة خرج من حنجرة كبار العلماء، كذلك في قضية «**التنباك**» والامتيازات في عهد ناصر الدين شاه، وقضية تأميم النفط، وفي قضايا الكفاح ضد النظام البهلوي. إن مراجعنا وعلماءنا الذين يقفون على رأس مؤسسة اسمها (الدين) لا يمكنهم بلوغ الرئاسة إلّا بالتقوى. قد يستطيع العدو مجارات مراجع الدين من الناحية العلمية أحياناً، لكن عجز الجميع من أن يخطئهم من ناحية التقوى، فالمرحوم آية الله البروجردي والمرحوم آية الله الحائري والآخرون كانوا علماء متقين، وأما غير المتقين من العلماء فقد فضحهم الله»[١].

٢ - الاستقلالية الإدارية للحوزة:

بقيت الحوزة العلمية ومؤسساتها عبر التاريخ، مستقلة عن مؤسسات الدولة، وأضحت من الخصوصيات المهمّة للحوزات العلمية الشيعية. ويؤكّد السيد الخامنئي على الاستقلالية الإدارية للحوزات العلمية قائلاً:

«إن الحوزة العلمية مؤسسة علمية وروحية. ولا ينبغي أن تتحول إلى مؤسسة من مؤسسات الدولة كما لا يمكن ذلك، وإن كانت الدولة هي دولة الجمهورية الإسلامية»[٢].

---

(١) من كلمة له في يوم مقارعة الاستكبار العالمي في طهران، تاريخ ٧ جمادى الثانية ١٤١٦هـ.ق.

(٢) من كلمة له في لقاء علماء ومدرّسي الحوزة العلمية في قم ،تاريخ ٣٠/١١/ ١٣٧٠ هـ.ش.

ويركّز على جملة من المعطيات والأدلة التفصيلية في تبنّيه لاستقلالية الحوزة من مؤسسات الدولة، ويشير في بعض كلماته إلى أن هذا التوجّه كان لديه قبل انتصار الثورة الإسلامية، قائلاً:

«إن هذا الإذعان (عدم اندماج الحوزة بمؤسسات الدولة) ليس حاصلاً لدي في الوقت الراهن. بل من السابق -قبل الثورة وفي الأغلب بعد الثورة- حينما كان يطرح موضوع أنه إن تم تشكيل الدولة الإسلامية هل ينبغي أن تبقى الحوزة مستقلة عنها أم لا. إنني كنت ممن يؤمن -نتيجة الأدلة القوية- أن الحوزة لا بد أن تبقى مستقلة. وهذا هو رأيي في الوقت الراهن ولا أجامل أحداً في هذا الرأي..»[1].

وأما دواعي وأسباب استقلالية الحوزة فهي كثيرة، منها:

١- عدم جواز ربط مستقبل الحوزة بمستقبل الحكومات:

«إنني أعتقد الآن أيضاً بأن كل من يسعى إلى دمج الحوزة بالدولة، فإنه يخون الحوزة العلمية؛ وذلك من أجل أننا لا نذعن ولا نضمن الاستمرارية المطمئنة للحكم في المستقبل»[2].

٢- عدم قدرة الحوزة على تحقيق أهدافها في حال الاندماج:

«إذا أرادت الحوزة العلمية أن تبقى محفوظة، وأن تستمرّ في تطورّها ونموّها وتحقّق ما ينتظر منها، لا تستطيع أن تكون جزءاً من الدولة»[3].

---

(١) من كلمة له في لقاء الفضلاء والمميزين من طلاب الحوزة العلمية في قم ،تاريخ١٤/ ٩/ ١٣٧٤ هـ.ش.

(٢) من كلمة له في لقاء العلماء والمدرسين من الحوزة العلمية في قم، تاريخ١٤/ ٩/ ١٣٧٤ هـ.ش.

(٣) من كلمة له قبل إلقاء محاضراته في الفقه (بحث خارج)،٢٩/٦/ ١٣٧١..

٣- الاختلاف في الجذور بين التكوين الحَوْزَوي وتاريخه، والحكومات:

«. نحن نريد أن نقول، إن الحوزة مؤسسة لها تاريخ أكثر من ألف سنة، ولها جذور محكمة، وقابلة للتنمية والتطوير، فإن حوزة بهذه الدرجة من التأثير لا يمكن أن ترتبط إلّابنفسها، ولو تم ربط الحوزة بغيرها فإن هذا يهدد مستقبل الحوزة وأمر خطير للغاية»[١].

٤- ضرورة الإدارة الذاتية للحوزات:

«لا بد للحوزة أن تدار ذاتياً، وأن تكون مستقلة، سواء لجهة المصادر المالية، أو لجهة الادارة..»[٢].

كل ذلك يستدعي التعاون المثمر والبنّاء بين الحوزة العلمية ككيان مستقل له عمله التربوي والتعليمي والإرشادي، وبين الحكومة التي تتعاطى الشأن العام بشكل مباشر. ولا يمكن دمج الحوزة بمؤسسات الدولة؛ لأنّ ذلك سوف يفقدها تأثيرها ودورها التوجيهي، والإرشادي والتربوي على مستوى الأمة ككل.

٣ - الاستقلالية المالية للحوزة:

تُعتبر استقلالية الحوزة المالية نقطة عطف في تاريخ الحوزات العلمية، وسبباً من أسباب الاستمرار في الوجود والعطاء. ونظراً لأهمية هذا الموضوع بالنسبة إلى مستقبل الحوزة ومصيرها، وحفظ القيم والأصول الدينية، نجد الاهتمام الكبير بالموضوع من قبل المراجع الكبار؛ وذلك لإذعان الأعداء إلى أنّه:

«ما دام العلماء موجودين، وما دامت المؤسسة الدينية المركزية

---

(١) المصدر السابق.

(٢) من كلمة له في يوم مقارعة الاستكبار العالمي، ٧ جمادي الثانية،١٤١٦ هـ، طهران بحضور جمع من طلبة المدارس والجامعات.

موجودة ومعروفة لدى الناس، وما دام الناس يصغون إليها، فلا يمكن محو الدين من حياة أو قلوب وأذهان الناس، خصوصاً إذا كانت هذه المؤسسة لا تعتمد في حياتها من الناحية المادية على أية سلطة حاكمة. على عكس العلماء من إخواننا أهل السنّة في البلدان الإسلامية؛ حيث إنهم يرتزقون من السلطات الحاكمة، فمن الواضح أنه لا يمكنهم معارضة السلطات الحاكمة، كذا حال علماء المسيحية.

إنّ خصوصية علماء الشيعة هي عدم اعتمادهم من الناحية المالية على السلطات الحاكمة؛ حيث أمكنهم هذا العامل من قول ما يشاؤون»[1].

وتبرز أهمية «**الاستقلالية المالية للحوزة**» في المواقف التاريخية لعلمائها الكبار؛ حيث كانوا يؤكّدون على الاستقلال الكامل وعدم الارتباط لا سيّما مع الدول الكبرى والاستعمار. وينقل السيد الخامنئي - على سبيل المثال - ما جرى بين المرجع الديني الكبير الشيخ مرتضى الأنصاري ومسؤول بريطاني يتصل بموضوع استقلالية الحوزة، قائلاً:

«**فقد قرأت في أحد الكتب التي كانت تتناول الأحداث السياسية في سنوات الاستعمار آنذاك، أنه جاء موظف بريطاني إلى الشيخ ليعطيه أموالاً طائلة من الموقوفات التي كانت في الهند. يقول ذلك الموظف الإنجليزي: ذهبت إلى الشيخ وعندما عرضت عليه تلك الأموال الطائلة، نظر في كمه الأيسر ثم قال ليس من واجبي هذا. أتصوّر أن الموظف البريطاني عبّر عن ذلك بكلمة قريبة من هذا المضمون وهي: «لقد تصاغرت أمام عظمته»**. هنا نجد الشيخ يجيب بكلمة مقتضبة في مقابل هذا المبلغ الضخم من المال، ولا يزيد

---

(١) المصدر السابق.

عليها بشيء، في حين كان بوسعه أن يأخذ هذه الأموال ويصرفها على العالم الإسلامي وعلى الحوزة العلمية. ومن هنا تتبيّن عظمة هذا الرجل بما يمتلكه من رؤية عميقة وصائبة وشعور معنوي واستقامة روحية عالية.

فنحن الآن نستطيع أن ندرك الخطة التي كان البريطانيون يحاولون تقريرها من خلال هذه الخطوة، ولكن من المستحيل لأحد في ذلك الزمان أن يعي المغزى من وراء هذا العمل، ومع ذلك نرى أن الشيخ قد وعى المسألة. وهذا ليس أمراً عادياً، بل هو في غاية الأهمية. كذلك الأمر بالنسبة إلى صمود ومقاومة الميرزا الشيرازي(الكبير) أمام الشركات الأجنبية في قضية (التنباك)؛ بحيث أن العالم الإسلامي اليوم يعرف بأن هذه القضية هي أحد مفاخر علماء الدين والحوزات العلمية، كذلك ينبغي لنا أن نعرّف هذه الخصائص التي يمتاز بها الشيخ، حتى تتبيّن عظمة العلماء، وعظمة واستقلالية الحوزات العلمية»[1].

---

(١) من كلمة له، في إحياء الذكرى المئوية لولادة الشيخ الأنصاري، ٨ رجب، ١٤١٥هـ/ طهران.

المبحث الثالث: الفكر الاجتهادي في الحوزات العلمية

أ- الاجتهاد في اللغة:

الاجتهاد مأخوذ من الجهد وبذل الوسع؛ إذ يقال: اجتهد في الأمر: جدّ وبذل وسِعَه، وجهد يجهد: جدّ وتعب وجهد نفسه، وأجهدها: حمّلها فوق طاقتها.

ب - الاجتهاد في الاصطلاح:

للاجتهاد تعريفات متعددة عند الفقهاء ومن أحب التوسّع فليراجع المطوّلات. فقد عرفّه العلامة الحلّي: بـ «**استفراغ الوسع في تحصيل الظن بالحكم الشرعي**»[1].

وعرّفه البعض الآخر بأنّه: «**ملَكَة تحصيل الحجج على الأحكام الشرعية، أو الوظائف العملية شرعية أم عقلية**»[2].

ولكن يبدو أن صدق كلمة الاجتهاد على العمل الذي كان يقوم به الصحابة فيه نوع من المسامحة؛ لأن هذا النظر والجهد في فهم

(١) العلامة الحلّي: **نهاية الأحكام**، ورد في: الخراساني (الشيخ محمد كاظم): كفاية الأصول، مؤسّسة آل البيت لإحياء التراث، قم، ص٤٦٣.

(٢) الحكيم (السيد محمد تقي): **الأصول العامة للفقه المقارن**، ط٢، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام، قم، ١٣٩٠هـ. ص٥٦٤.

الآيات والنّصوص الدينية ليس اجتهاداً بالمعنى المصطلح عليه، وقد يصعب انطباق المفهوم اللغوي عليه أيضاً، خصوصاً إذا نظرنا إلى عصر الصحابة، وقربهم من النّص، وسليقتهم العربية الصحيحة، وغيرها من العوامل التي تبرّر سبب عدم تسمية ما كانوا يقومون به اجتهاداً.

ثم إنّ أهمّ العوامل التي تعزز الحاجة إلى عملية الاجتهاد تشمل الأمور التالية:

١- الابتعاد عن عصر النّص.

٢- كثرة الآراء والاختلافات بين علماء الأمة.

٣- اختلاط الأعاجم بالعرب وتلاقح الثقافات فيما بينها.

٤- دخول اللحن على اللغة العربية مما يشكل صعوبة في فهم كثير من النّصوص الدينية.

٥- دخول الإسرائيليات على الحديث النبوي.

٦- كثرة التساؤلات التي تولّدت بعد غياب النّص، خصوصاً في عصر التراجم.

ومن هنا نستطيع القول أنّه يوجد تعاكس طردي بين هذه العوامل والحاجة إلى الاجتهاد؛ أي أنه كلما ازدادت هذه العوامل كلما كانت الحاجة إلى الاجتهاد أكثر وأشد، والعكس صحيح.

الاجتهاد لدى الشيعة الإمامية:

مرّ مصطلح الاجتهاد بعصور مختلفة، وتطوّر كثيراً حتى وصل إلى ما نحن عليه الآن. وأول من استعمل هذا المصطلح بمعناه المألوف لدى الإمامية هو المحقّق الحلّي في القرن السابع الهجري. والسبب في تأخير استعماله لدى الشيعة هو أنه كان يستعمل بمعنى الرأي في مقابل النّص، وهذا الأمر ترفضه مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

ولذلك كان يطلق على أصحاب الأئمة، وخصوصاً أصحاب الإجماع، كلمة «**الفقهاء**» لا «**المجتهدين**».

يصرّح الشيخ الطوسي(قده) في «**العدة**» قائلاً: «**أما القياس والاجتهاد فعندنا أنهما ليسا بدليلين بل محظور في الشريعة استعمالهما**»[1].

ومن هنا نرى الاختلاف البيّن بين الاجتهاد في المصطلح الأول الذي يعني الذوق والرأي الشخصي، وبين الاجتهاد بمعناه المتداول الذي يعني بذل الجهد من قبل الفقيه في البحث عن الأدلة الكفيلة ببيان الحكم الشرعي للمسائل المُبتلى بها.

لذا يرى السيد الصدر أن «**الفرق بين المعنيين جوهري للغاية؛ إذ كان للفقيه على أساس المصطلح الأول للاجتهاد أن يستنبط من تفكيره الشخصي وذوقه الخاص في حالة عدم توفر النّص، فإذا قيل له: ما هو دليلك ومصدر حكمك هذا؟ استدل بالاجتهاد، وقال: الدليل هو اجتهادي وتفكيري الخاص. أما المصطلح الجديد فهو لا يسمح للفقيه أن يسوّغ حكماً من الأحكام بالاجتهاد؛ لأن الاجتهاد بالمعنى الثاني ليس مصدراً للحكم بل هو عملية استنباط الأحكام من مصادرها. فإذا قال الفقيه: (هذا اجتهادي)، كان معناه أن هذا هو ما استنبطه من المصادر والأدلة التي استنبط الحكم منها**»[2].

ولكن لابد من أن نفّرق بين ظهور مصطلح الاجتهاد في القرن السابع على يد المحقّق الحلّي، وبين ممارسة عملية الاستنباط التي ظهرت في عصر الأئمة عليهم السلام، وبإرشاد وتوجيه منهم؛ أي «**كيفية**

---

(١) الطوسي: **عدة الأصول**، نقلاً عن: الصدر (السيد محمد باقر): المعالم الجديدة للأصول، دار التعارف للمطبوعات، الطبعة الثالثة، ١٤٠١هـ. ١٩٨١م. ص ٢٥ - ٢٦.

(٢) الصدر: (م . ن)، ص ٢٧.

استنباط الحكم الشرعي مباشرة من القرآن الكريم، أو التوسعة على الناس بالبراءة من التكليف المحتمل في ما لم يرد فيه بيان من الشارع، وفي جريان الاستصحاب في الموضوعات التي لها حالات سابقة متيقنة ويشك المكلّف فيها بعد ذلك».

حيث إنّ ممارسة عملية الاستنباط في عصر الأئمة عليهم السلام ظلت محدودة، وذلك لإعتقاد الشيعة بأن الأئمة عليهم السلام هم الامتداد الرسالي والتبليغي للنبي صلى الله عليه وآله، وكان الشيعة يأخذون عنهم الأجوبة إما بالمشافهة أو بالمكاتبة إلى أن وقعت الغيبة الكبرى للإمام الثاني عشر المهدي المنتظر(عج)، ومنذ ذلك الحين أصبحت الحاجة أشد وأدعى لعملية الاجتهاد.

فقه أهل البيت عليهم السلام : التعريف، الاستثمار، التكميل:

يحتوي الفقه الإسلامي على مجموعة كاملة من الأبحاث التي تُسمّى في العرف العلمي المعاصر (علم القانون)، وله مجالات متنوِّعة تتكفَّل بتنسيق العلاقات بين أبناء المجتمع البشري، ويشتمل أيضاً على القوانين والأنظمة التي تتحكّم بحياة الإنسان من الجوانب الأخرى.

فمثلاً يتكفَّل الفقه بتوضيح علاقة الإنسان مع ربّه، وذلك في إطار مجموعة من الأحكام القويمة والمفصَّلة التي يعجز علم القانون عن تناولها.

وعلى هذا الأساس فإنّ الفقه الإسلامي مصطلح أوسع بكثير من علم القانون الوضعي.

ويتميز الفقه الإمامي - بين مذاهب الفقه الإسلامي المختلفة - باحتوائه على ذخائر ثمينة وبحر عميق من التحقيق والتفريع لا يمكن العثور على مثيل له في فقه المذاهب الإسلامية الأخرى.

إنّ تكريم هذه الثروة المعنوية تلقي ثلاث مسؤوليات رئيسية على عواتق جميع المختصّين، وكلّ من لهم علاقة بالفقه الإمامي، وهي: التعريف، الاستثمار، والتكميل.

والمسؤوليتان الأوليان ناظرتان إلى الماضي والحاضر، أما المسؤولية الثالثة فناظرة إلى المستقبل.

ومن المناسب التعرّض باختصار لكلّ واحدة من هذه المسؤوليات:

١ . التعريف: الفقه الشيعي ليس معروفاً غالباً عند غير المسلمين الذين يمتلكون معلومات عن الفقه الإسلامي. وفي الكتب الفقهية الاستدلالية التي تُؤلَّف من قبل غير الشيعة لا تُذكر آراء الفقه الإمامي، أو يُغفل عنها أغلب الأحيان.

وفي دوائر المعارف العالمية وحتى الإسلامية، تُعتبر آراؤهم في عداد الآراء الفقهية للمذاهب المهجورة، وهذا ظلم عظيم لفقه بهذا العمق والشمولية والتقدّم؛ حتى يمكن القول أنّ أيّاً من المذاهب الإسلامية لا يمتلك لوحده فقهاً بهذه الخصوصيات الثلاث.

٢ . الاستثمار: لم يُستثمر الفقه، بما فيه الفقه الإمامي، على مدى قرون عدّة، إلّا في الأحوال الشخصية للإنسان المسلم.

وبعد قيام الثورة الإسلامية أصبح الفقه الشيعي دفعة واحدة يحتك مع واقع التطبيق في المجتمع، وتبعاً لذلك ومسايرةً لموجة المدّ الإسلامي لدى الشعوب الإسلامية، أصبح فقه المذاهب الأخرى يُعتبر، تقريباً، مصدراً لسنّ القوانين في بعض الدول الإسلامية.

إنّ مظاهر الحياة المتجدّدة يوماً بعد يوم، والتي تعرض على الفقه في مقام السؤال والاستفتاء، تتطلّب الإجابة عن تلك الأسئلة وتوضيح أحكامها بشكلٍ مقنع ومستدل.

بالإضافة إلى ذلك، يمكن الاستفادة من الفقه المعاصر . الذي يتمتّع بالدقّة، والقوّة، والتعقيد في الاستدلال . في تكميل وتطوير علم القانون، وفتح طرق جديدة أمام محقّقي مراكز القانون في العالم.

٣ . التكميل: إنّ التقدّم العلمي، والفنّي، والصناعي، الذي كان له التأثير الكبير على جميع شؤون حياة الإنسان، والذي ساهم في مضاعفة وتسارع الأحداث وبروز مظاهر جديدة للحياة، أدى . وبالنسبة نفسها . إلى ازدياد عدد الموضوعات التي لابدّ للفقه من أن يجيب عنها ويبيّن أحكامها.

وممّا لا شكّ فيه أن المنابع الفقهية وأسلوب الفقاهة كفيلان بمعرفة وفهم الحكم الشرعي لتلك الموضوعات. ولكن المعرفة الموضوعية لها، والتحقيق والتدقيق اللازم من أجل تطبيقها على العناوين الكلّية في الفقه، والاستدلال المناسب والأسلوب الأمثل لاستنباط أحكامها، إنما هي عمل شاق وفي غاية الأهمية.

ولعلّ هناك بعض الموضوعات، التي بُيِّنت أحكامها في السابق، قد طرأ عليها من التغيير والتحوّل ما جعل من المتعذر تطبيق الأبحاث السابقة عليها بسهولة في الوقت الحاضر.

ففي مثل هذه الموارد لابدّ لفقهاء العصر، بالاعتماد على دقّة النظر والإحاطة العلمية، والالتزام بأسلوب الفقاهة من جهة، والحرية في التفكير والشجاعة العلمية من جهة أخرى، من اكتشاف مفاهيم فقهية جديدة وعرض أحكام جديدة، مستندة إلى الكتاب والسنّة، وهذا هو معنى تكميل الفقه[١].

---

(١) من نداء له إلى المؤتمر العالمي لدائرة معارف الفقه الإسلامي، ١٢ شعبان ١٤١٤ طهران.

المبحث الرابع: المنهاج التربوي والتعليمي للحوزة العلمية

(١) الأهداف التربوية ـ التعليمية:

إهتم القرآن الكريم، في آيات عديدة، بعنصر الهدفية في حياة الإنسان، ولم يغفل عن التأكيد على عملية التربية والتعليم من خلال قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[١].

لقد اعتبر أن فهم الدين وإدراكه هو من أهداف العملية التعليمية (التفقّه في الدين). ونتيجة اهتمام المسلمين الأوائل بعلوم الدين، لا سيّما الكتاب والسنة، كان بعض هؤلاء يرون أن العلم محصور بالروايات الواردة عن النبيﷺ؛ حيث اعتبروا مصطلح «**العلم**» مُساوٍ للرواية و «**الحديث**». يقول «**الأوزاعي**» في هذا المجال: «**العلم ما جاء عن أصحاب محمدﷺ وما لم يجيء عن أصحاب محمد فليس بعلم**»[٢]. إلّا أنه انطلاقاً مما ورد في الكتاب

---

(١) سورة التوبة/ الآية ١٢٢.

(٢) ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج١٠، ص ٣٤٦.

والسنّة من الاهتمام بباقي المجالات والعلوم مثلما ورد عن الإمام علي عليه السلام قوله: «**العلوم أربعة: الفقه للأديان، والطب للأبدان، والنحو للّسان، والنجوم لمعرفة الأزمان**»[1]، فقد توسعت دائرة اهتمام المسلمين بالعلم فوجّهوا «**أول الأمر نشاطهم العلمي نحو الفقه والحقوق الإسلامية، غير أنّهم لم يلبثوا حتى اجتازوا حدود جزيرة العرب أن اجتازوا أيضاً باندفاعهم العلمي، حدود الفقه والحقوق، وتوجهوا بكل ما لديهم من شغف وغرام بالعلم الإحاطة ببقية العلوم الناظرة في السماوات والأرض وما فيها عملاً بقوله سبحانه وتعالى:** ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾[2][3].

ويمكن أن اعتبار أن من أهم الأهداف التربوية - التعليمية من منظور إسلامي هي:

١- التعرّف على الله وصفاته بهدف العبادة والطاعة.

٢- التعرّف على الرسالة والرسل للسِيَر والسلوك.

٣- التعرّف على الشريعة للعمل والاقتداء.

٤- التعرّف على الكون والحياة وسننها من أجل الإعمار والبناء.

٥- التعرّف على النفس وقدراتها وحاجاتها للتطوير والتكيّف والكمال.

وتدخل باقي الأهداف ضمن هذه الأهداف الخمسة، أو لا

---

(١) بحار الأنوار، (م. س) ج١، ص ٢١٨، محمد ري شهري، **ميزان الحكمة**، ط١، ج٣، تحقيق، دار الحديث. ص ٢١٠٥، ح ١٣٨٢٢.

(٢) سورة يونس/الآية١٠١.

(٣) الدواليبي(محمد معروف): **موقف الإسلام من العلم وأثر الرسالة الإسلامية في الحضارة الإنسانية**، دار الكتاب المصري، ودار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، ١٩٨٠، ص ٢٧.

تُعتبر من الأهداف الأساسية. وقد رأى بعض الباحثين[1] أن الأهداف التربوية في الثقافة الإسلامية تسعة، وهي:

١- عبادة الله الواحد الأحد.

٢- تهذيب الأخلاق وضبط السلوك.

٣- التفكّر والبحث.

٤- إتقان العمل والإخلاص فيه.

٥- التوحّد مع الجماعة.

٦- الصحة والاعتدال في الجسم.

٧- الاستمتاع بزينة الله.

٨- الجهاد في سبيل الله.

٩- احترام عقائد المخالفين.

كما اعتبر آخرون[2] أن تلك الأهداف تشمل الجانب الديني والاجتماعي، والعقلي والحسّي. أو أن مبادئ التربية الإسلامية تتمثّل في مجالاتها الخلقية، والتدريبية، والتثقيفية، والمهنية والعلمية وغيرها.

---

(١) حسان (د. حسّان محمّد) **الأهداف التربوية،** في كتاب الفكر التربوي العربي الإسلامي: الأصول والمبادئ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٨٧، ص ٨٨٧.

(٢) راجع: طوطح (خليل): **التربية عند العرب،** المطبعة التجارية، القدس، ١٩٣٥، ص ١٠٢-١٠٤.

فهمي(أسماء): **مبادئ التربية الإسلامية،** مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٧، ص ٧٠-٧٥.

السيد سلطان (محمود): **مفاهيم تربوية في الإسلام،** مؤسسة الوحدة للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٧٧، ص ٨٨.

(٢) محتوى التعليم:

تمهيد:

إن محتوى التعليم بالنسبة إلى العملية التربوية والتعليمية، يُعتبر بمثابة القلب بالنسبة إلى الإنسان. ومن هنا يأتي الاهتمام الكبير للحوزة العلمية بما ينبغي أن يتعلّمه طالب العلوم الدينية. كما أنّ للفلسفة التربوية الدور الأول في تحديد محتوى التعليم ومناهجه. ويُفهم المعنى الواسع للعلم، والتعلّم في المفهوم الإسلامي من خلال النظرة الشمولية التي يطرحها القرآن الكريم لموضوع التعلّم قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾[1]، كما يتجلّى في العديد من الآيات والروايات.

ثم إن أول تقسيم للعلوم في دائرة الإسلام نراه عند الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام (تُوفي سنة ٤٠ هـ) - كما سبق -؛ حيث قسّم العلوم إلى أربعة: «**الفقه للأديان، والطب للأبدان، والنحو للّسان، والنجوم لمعرفة الزمان**»[2].

كما أن «**الكندي**»(أبا إسحاق، تُوفي ٢٥٦ هـ) من أوائل المفكرين المسلمين الذين وضعوا التخطيط العام لتصنيف العلوم، حيث قسّمه قسمين أساسيين:

١- علوم فلسفية.

٢- علوم دينية.

---

(١) سورة البقرة/الآية ١٦٤.

(٢) بحار الأنوار(م.س.) ص٢١٨.

والفلسفة -حسب الكندي- تشمل الرياضيات، والمنطق، والطبيعيات، والميتافيزيقيا، والأخلاق والسياسة. والعلوم الدينية عبارة عن أصول الدين، والعقائد، وعلم التوحيد، والرد على المبتدعة والمخالفين[1].

ومن بعده قسّم «**الخوارزمي**» (الكاتب، تُوفي ٣٨٧ هـ.) العلوم إلى قسمين[2]:

١- **شرعية**: وتشمل الفقه، والكلام، والكتابة، والشعر والأخبار.

٢- **فلسفية**: (علوم اليونان): وهي الفلسفة، والمنطق، والطب، والحساب، والهندسة، والفلك، والموسيقى، والحِيَل والكيمياء.

وأورد «**الفارابي**» (أبو نصر، تُوفي ٣٣٩ هـ.) في إحصاء العلوم أقساماً خمسة[3] للعلوم وهي:

١- علوم اللسان وفروعه: وتشمل اللغة، والنحو، والصرف، والشعر والقراءة.

٢- المنطق.

٣- الرياضيات.

٤- الطبيعيات وما بعد الطبيعيات(العلوم الطبيعّية والإلهّيات).

٥- العلم المدني، والفقه وعلم الكلام.

---

(١) راجع: الأهواني(أحمد فؤاد): **الكندي، فيلسوف العرب**، سلسلة أعلام العرب(٢٦). المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٤، ص ٩٨.

(٢) راجع: الخوارزمي (محمد بن أحمد): **مفاتيح العلوم**، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٨١.

(٣) راجع: الفارابي(أبي نصر): **إحصاء العلوم**، القاهرة،١٩٣١.

كما صنّف «**إخوان الصّفا**» (القرن الرابع الهجري) في رسائلهم[1] العلوم إلى ثلاثة أقسام:

١- العلوم الرياضية (علوم المعاش):

وتشمل القراءة والكتابة، وعلم النحو واللغة، وعلم الحساب، والمعاملات، وعلم الشعر، والعروض، وعلم الرجز والفأل، وعلم الحِرَف والصنائع، وعلم البيع والشراء والتجارة، وعلم الحرَث والنَسل، وعلم السِّير والأخبار.

٢- العلوم الشرعية:

وتشمل علوم التنزيل، والتأويل، والروايات والأخبار، والفقه، والسنن والأحكام، والمواعظ والتصّوف، وعلم تأويل الرؤيا.

٣- العلوم الفلسفية:

وهي عبارة عن الرياضيّات، والمنطقيّات، والطبيعيّات والإلهيّات.

وكما يظهر من هذه التقسيمات، فإن محتوى التعليم كان -في السابق- يتناول كل حقول المعرفة البشرية الدينية وغير الدينية، وكان العلماء الأوائل يملكون التوجّه الموسوعي والشمولي نحو العملية التعليمية، إلى أن أصاب الضعف بنية التعليم في العالم الإسلامي لسوء إدارة الحكّام، والسياسات الخاطئة التي سادت في العالم الإسلامي. كما أن النهضة التي شهدها الغرب في مجال العملية التعليمية، واتساع مجالات التعليم والحقول العلمية والمعرفية، وتحول النموذج الغربي إلى النموذج الأمثل والأقدر في مجالات العلوم والمعرفة، كل هذه العوامل وغيرها أدت إلى تقلّص مجالات

---

(١) راجع: إخوان الصّفا: **رسائل إخوان الصفا وخُلّان الوفاء**، ج١، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٤٠٥هـ.

التعليم في المدارس الإسلامية، فاهتم العلماء المسلمون بدائرة الشريعة وببعض حقول المعرفة الموروثة من السابقين.

من هنا، اقتصر اهتمام المتأخرين على العلوم الإسلامية المحضة بل على المجالات الفقهية تحديداً، وشهدت مسيرة التعليم في هذه المجالات، أيضاً، الضعف، والتقليد، والجمود والانحطاط تارةً، والاجتهاد والنشاط والإبداع تارة أخرى، فكانت العملية التعليمية مثلها مثل أي نشاط بشري آخر متأثرة بالأجواء والظروف التي رافقتها.

كما أنّ الحوزة الدينية الشيعية الإمامية، كسائر المراكز التعليمية الدينية، لم تكن بمنأى عن تلك الأجواء وتأثيراتها الضاغطة، فعانت الكثير من المشاكل والصعاب، وكان عليها الصمود أمام تيار التغريب والتشريق تارة، والوقوف أمام هيمنة سلاطين وحكام الجور تارة أخرى. هذا إضافة إلى شحّ الموارد والإمكانيات نتيجة الضغوطات التي كانت تمارسها السلطات عبر التاريخ.

محتوى التعليم ومراحله المختلفة:

ساد الاهتمام الموسوعي في المدارس والمراكز التعليمية الإمامية بأشكال مختلفة إلى عصر الصفويين، فكان عصر الخواجة نصير الدين الطوسي(تُوفي سنة ٦٧٢هـ)، وتلميذه العلامة الحلّي(تُوفي سنة ٧٣٦هـ)، إلى عصر الشيخ بهاء الدين العاملي (توفى ١٠٣٠هـ)، عصر سيادة الاتجاه الموسوعي والشمولي في عملية التعليم. وبعد ذلك، ساهمت الظروف الداخلية والخارجية. أي حركة الأخباريين من الداخل وحركة التغريب من الخارج. في تقليص الاهتمامات خارج دائرة العلوم الشرعية، فكان محور الدروس في الحوزات الدينية في العراق وإيران وغيرهما من البلدان

الإسلامية، هو اللغة العربية وآدابها، والفقه وأصوله، مع الاهتمام ببعض العلوم العقلية (المنطق والفلسفة وعلم الكلام).

ونستطيع أن نقسّم العملية التعليمية في الوسط الإمامي بحسب **«محتوى التعليم»**، إلى المراحل الآتية:

١- مرحلة الأئمة (مرحلة التأسيس):

اشتملت هذه المرحلة على عصور الأئمة الاثني عشر وعصر السفراء الأربعة (عصر الغيبة الصغرى)، أي منذ أوائل القرن الأول الهجري حتى أواخر القرن الرابع. وهي مرحلة تلقّي العلوم والمعارف الإسلامية من حديث، وفقه، وكلام، وتفسير و... وحيث كان همّ المتلقّين (المتعلِّمين) هو التدوين. ونستطيع أن نعتبرها مرحلة تدوين العلوم والمعارف الإسلامية أيضاً.

٢- مرحلة التأصيل:

بدأت هذه المرحلة حينما قام العلماء القدامى قبل عصر الطوسي ومن خلاله أيضاً، بتأصيل المعارف الإسلامية على مبدأ **«الاجتهاد»**. وكما يؤكّد الصدر[١]، فإن هؤلاء العلماء بدأوا بالاجتهاد تحت ضغط الحاجة، أي انقطاع عصر النصّ الذي استمر مع الإمامي حتى أواخر القرن الثالث الهجري. ونرى أن ضغط الحاجة من العوامل الرئيسة في توسيع أو تضييق دائرة الاهتمامات العلمية والتعليمية لدى الإمامية وغيرهم في عصور مختلفة.

٣- مرحلة التوجّه الشمولي:

انطلقت هذه المرحلة من المرحلة السابقة، إلّا أنّها بلغت ذروتها في القرن السادس الهجري، أي عصر الخواجة نصير الدين الطوسي والعلامة الحلّي، واستمرت إلى القرن الحادي عشر الهجري.

---

(١) راجع المعالم الجديدة للأصول (م . س.)، ص ٥٤

تتميز هذه المرحلة بالنظرة الموسَّعة إلى العلوم والمعارف، وعدم حصر الاهتمام بجانب دون آخر. ونتج من ذلك تزايد الاهتمام بكافة المعارف الموجودة في ذلك العصر، سواء العلوم المحضة كالكيمياء والإحياء وغيرها، أو ما يُصطلح عليه اليوم بالعلوم الإنسانية والاجتماعية؛ حيث إن الفلسفة بمفهومها السائد آنذاك، كانت تغطّي على مجمل مساحات العلوم والمعارف المتداولة في السابق.

٤- مرحلة التوجُّه الحصري:

بدأت النظرة الشمولية بالانحصار منذ القرن الحادي عشر الهجري؛ حيث جرى التركيز في محتوى التعليم على المعارف الإسلامية، والدراسات الفقهية منها بالتحديد. وكما أشرنا فيما سبق، فإن عوامل عدة ساهمت في بروز هذا التوجه، وهي تنقسم بدورها إلى عوامل خارجية وعوامل داخلية. ولعل من أهم العوامل الداخلية هي النزعة الأحادية في قراءة النص واستنباط الأحكام الشرعية، كما نجدها بشكل فاقع لدى التوجه الأخباري في الوسط الإمامي؛ حيث إنهم لا يعترفون إلّا لمصدر واحد، بإنكار فكرة أو تصوّر لا يستندان إلى الرواية. ومن الطبيعي جداً أن يرى هؤلاء أن العلم ينتهي بـ «**الحديث**»، كما كان الأمر عند الأوزاعي لدى السنة والجماعة.

الفصل الثاني

الفكر الإصلاحي في الحوزات العلمية

المبحث الأوّل: **دواعي الإصلاح**

المبحث الثاني: **ضوابط الإصلاح**

المبحث الثالث: **الفكر الإصلاحي في الحوزة العلمية**

الفكر الإصلاحي في الحوزات العلمية

لقد ميز أرسطو بين عالمين: العالم السماوي وهو الثابت الذي لا يجتاحه الفساد والتغيّر، والعالم الأرضي وهو «**عالم الكون والفساد**»، كما يسمّيه. وبغض النظر عن صحة هذا التقسيم أو فساده، فإنّنا نقبل الجزء الأخير منه، وهو أن عالم المادة والإنسان عُرضة للتغيّر والفساد، فما يكون صالحاً لزمان ربما لا يكون صالحاً لغيره، وهكذا. وقد قال الإمام علي عليه السلام: «**لا تقسروا أولادكم على آدابكم، فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم**»[1].

والحوزة العلمية لا تخرج عن هذه السنة الإلهية التي أودعها الله في الكون. ومن هنا تولّدت فكرة الحديث عن إصلاح الحوزة العلمية، والتخطيط لهذا الإصلاح. وتتوقف الخطوة الأولى في رحلة الإصلاح على الإحساس بالمشكلة أولاً، ومن ثمّ محاولة معالجتها؛ وهذا ما شعر به جمع من أعاظم الحوزة العلمية، بدءاً من الشيخ الطوسي الذي يبرّر تأليفه لكتاب «**المبسوط**» بالحاجة إليه، والإحساس بنوع من التحدّي الفكري من قبل المذاهب الإسلامية الأخرى[2]. وعلى الخط عينه أدرك المعاصرون من علمائنا ضرورة

(١) ابن أبي الحديد، **شرح النهج**، ج٢٠، تحقيق، محمد، أبو الفضل إبراهيم، قم، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، ص ٢٦٧.

(٢) الطوسي، (محمد بن الحسن)، **المبسوط**، ج١، ص ٢.

إصلاح الحوزة، ويمكن الإشارة هنا إلى الإمام الخامنئي؛ حيث يقول:

«ونحن اليوم بصفتنا أعضاء في هذه الحوزة العلمية علينا أن نفكر لإحداث نهضة في منهجنا العلمي وفي علومنا الإسلامية..»[1].

إذاً، لا بد من الإصلاح في الحوزة، كما في غيرها من المؤسسات التعليمية والاجتماعية، والسؤال الذي يواجه هذه الفكرة هو: ما هي دواعي الإصلاح؟ وما هي ضوابطه ومرتكزاته؟

(١) من كلمة له في المدرسة الفيضية، بتاريخ شهر آذار، ١٣٧٤ هـ.ش.

المبحث الأول: دواعي الإصلاح

يمكن الإشارة إلى مجموعة من الدواعي التي تجعل من التفكير في الإصلاح والتخطيط له ضرورة لا مفر منها، وأهم هذه الأمور:

أ- عنصر الزمان والمكان:

بما أن الإنسان يعيش في الزمان، فلا بد من أنه سوف يخضع لمجموعة من المتغيرات التي تحصل في هذا الزمان، فتؤثر على طبيعة علاقات أفراد البشر فيما بينهم، وعلاقتهم بالمحيط الذي يعيشون فيه، سواء في ذلك بيئتهم الثقافية أم الاقتصادية أو غير ذلك.

«الزمان والمكان عنصران موجّهان لعملية الاستنباط، فالمسألة التي كان لها حكم ما سابقاً، ربما يكون لها حكم جديد على ضوء العلاقات الجديدة الطارئة على المجتمع والسياسة والاقتصاد»[1].

والوظيفة الأساس التي تتولى الحوزة القيام بها هي تربية مجموعة من العلماء لأداء وظائف محددة جرت الإشارة إليها في مورد سابق، لذا لا داعي لإعادة الكلام في ذلك. إنما المهم في هذا

---

(١) الامام الخميني، **صحيفة النور**، ج٢١، ص ٩٨.

المجال هو تبيين آلية تأثير الزمان والمكان، حيث إن ذلك يتم عبر مجموعة من المباحث كما يلي:

١- تغير العلاقات الاجتماعية:

تتعرض العلاقات الاجتماعية بين فترة وأخرى، لشيء من التغيّر لا يمكن للحوزة أن تقف إزاءه موقف المتفرج، بل لا بد لها من أن تراقب هذا التغير، فإذا وجدته لا يتنافى مع الضوابط الإسلامية، فلا بد من إعادة صياغة المناهج الحَوْزَوية على ضوئه. وأمثلة ذلك كثيرة نشير إلى بعض منها:

كانت الجرائم التي ترتكب في السابق تتصّف بالبساطة والوضوح؛ بحيث كان يمكن لقاضٍ واحد الحكم فيها بعد ثبوت الجرم عنده بالأدلة المعتمدة في إثبات الجرائم، ولكن الأمر اختلف في هذا العصر وتعقّد؛ بحيث لا يمكن تجريم شخص والحكم عليه بتلك البساطة، بل لا بد من فسح المجال أمام المحكوم للاعتراض على الحكم الصادر عن القاضي الأول واستئناف الدعوى، ومن هنا يجد الفقيه نفسه مضطراً إلى إعادة النظر في الأدلة والتأمل فيها ليتوصل إلى حكم جديد، أو ليقول: إن هذا الحكم الفلاني وهو عدم جواز الاستئناف (أو ما يعبّر عنه في الفقه بحرمة نقض حكم الحاكم)، ضرورة فقهية ثابتة لا يمكن التخلي عنها[١].

وهناك مثال آخر هو الحكم بحرمة الاحتكار؛ حيث يحصر الفقهاء حرمة الاحتكار بمجموعة من المواد منها التمر الذي لا يمثل حاجة ضرورية للناس في هذا العصر، بينما استجدت بعض المواد التي يصعب الاستغناء عنها ولم تذكر في ما يُحرّم احتكاره، كوسائل الاتصال مثلاً. ألا تدعو هذه الإشكالية الفقيه إلى إعادة النظر في

---

(١) يشار إلى أن الاستئناف معمول به في قوانين الجمهورية الإسلامية في إيران.

مناهج الاستنباط وإصلاحها لتدارك هذا الخلل وإصلاحه؟ وهل يبرّر الإصرار على الحكم المذكور بحجة أنه هو الحق والصواب -فلا ندعو إلى تغيير النتائج- دائماً؟. هذان مثالان من أمثلة متعددة يمكن الإشارة إليها.

وهذه الأمور وغيرها تدعو الحوزة إلى إعادة النظر في الأدلة ومقارنة النتائج: **«لاحظوا حجم البحوث التي قدمت في القانون المدني، والجزائي، غير ذلك من فروع القانون، في الغرب وفي العالم الإسلامي غير الشيعي، والإنصاف يقتضي الاعتراف بأننا متأخرون جداً في هذا المجال»**[1].

٢- التحديات الجديدة:

يجب على المسلمين أن لا يشعروا أنهم وحدهم في ميدان الفكر والثقافة، بل كل الناس تفكِّر وكل يجرّ النار إلى قرصه، وهذا التفكير يولد تحديات جديدة تواجه الإسلام: «.. **لقد أغرقت التيارات الفقهية، والفلسفية، والكلامية والقانونية الدنيا، وعندما ننظر إلى أنفسنا نرى أننا متأخرون عن زماننا كثيراً»**[2].

إذا، لا يمكن الاكتفاء بدراسة الشبهات السابقة، وطرحها ومناقشتها، فربما لا نجد أحداً يؤمن بها في هذه الأيام، بل لابد من رصد آخر ما يُطرح في العلوم، فمع أنّ فيها الكثير مما يتعارض مع فكرنا وعاداتنا، ولكن في الوقت عينه، فيها الكثير مما ينفعنا، ويخدم فكرنا وقيمنا أيضاً. وإلى الأمرين يشير الإمام الخامنئي، إذ ينتقد تأخر الحوزة في التعرف على «**ماركس**»؛ حيث إننا عرفناه بعد مائة سنة من وفاته، ثم بدأنا بالرد عليه بعد انتشار أفكاره[3]. ومن جهة أخرى

---

(١) من كلمة له في المدرسة الفيضية بتاريخ آذار، ١٣٧٤ هـ.ش.

(٢) «**منشور ولايت**»، قم، مكتب الاعلام الإسلامي، د.ت.، ص ١٥.

(٣) من كلمة له في مجلس درسه بمناسبة بدء العام الدراسي، ١٢ ربيع أول/ ١٤١٢هـ.

يحثّ على الاطلاع على علوم الآخرين للاستفادة منها: «**..ولو عثرنا في تلك الفلسفات أحياناً على نقطة إيجابية يجب الاستفادة منها وبهذه الصورة تتطور الفلسفة..**»[1].

ب- المشاكل المنهجية:

الوظيفة الأساس للحوزة هي تربية الطلاب كما تقدّم في غير مورد، وهذه التربية تحتاج إلى منهاج دراسي يؤدي الغرض المرجو منه. ومن الواضح أن أكثر الكتب التي تُدرّس اليوم في الحوزة العلمية لم تُوضع للتدريس؛ وفرق كبير بين كتاب وُضع للتدريس ورُوعي فيه نقل الطالب من مرحلة علمية إلى مرحلة أعلى، وبين كتاب دوّنه مؤلفه ليكون خلاصة لأفكاره العلمية التي توصّل إليها بعد رحلة علمية طويلة. هذا النوع من الكتب أُلّف للعلماء لا للطلّاب، وهذه المشكلة تُعتبر ثغرة في المناهج التدريسية المعتمدة في الحوزات العلمية. ولقد بدأت عملية الإصلاح في هذا المجال منذ زمن بعيد، إلّا أنها واجهت بعض العوائق وشيئاً من عدم الاعتراف بها، ويمكن الإشارة إلى محاولات الشيخ محمد رضا المظفر، والسيد محمد باقر الصدر. يقول الإمام الخامنئي في هذا الصّدد:

«**الكتب الدراسية تشكل مشكلة أخرى من مشاكل الحوزة العلمية.. فلتشكل لجان لتأليف وإعداد الكتب الدراسية، أم أنه لابد أن ندرس المطول والمعالم والقوانين.. وشرح اللمعة إلى الأبد؟**»[2].

وتجدر الإشارة إلى ناحية ثانية على مستوى المنهج، ألا وهي التغيير الذي يطرأ على مناهج البحث في العلوم الأخرى، وهذا

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) من كلامه في قم بتاريخ ١٥ شعبان/ ١٤٢١.

يدعو إلى الاستفادة من هذا التطور وتعديل مناهجنا على ضوئه؛ فكم تطورت العلوم على مستوى أبحاث الدلالة واللغة، وعلى مستوى البحث التاريخي ونقد النصوص تاريخياً ودلالياً، وهذا سوف يترك أثره على العلوم الإسلامية شئنا أم أبينا، فلا بد لنا إذن، من الاستفادة من هذا التطور:

«الفقاهة، أي منهج الاستنباط، يحتاج إلى تطوير أيضاً، فإنه ليس كاملاً، بل متكامل.. لاحظوا فتاوى الشيخ الطوسي رغم عظمته وجلالة قدره، هل يوجد الآن مجتهد مستعد يقبل بالاستنباط والاجتهاد على طريقة الشيخ وبنفس مستواه؟»[1].

ج- تبدل الثقافات:

تمثل الثقافة الخلفية الداعمة لكل مفردات الفكر ومناهجه ومفاهيمه، ولاشك في أن هذه الثقافة تختلف وتتبدل من فترة إلى أخرى؛ لذا فإننا نحتاج إلى صياغة مفاهيم جديدة تنسجم مع التبدل الحاصل على المستوى الثقافي، وإلّا كانت هذه المفاهيم قائمة في الفراغ من دون أي أساس تعتمد عليه، ومن هنا نستنتج:

«أنّ المفاهيم تنسخ، وهذا يحصل في جميع العلوم، ولأجل سد الفراغ الناجم عن نسخ بعض المباحث المنسوخة لابد من طرح مباحث جديدة»[2].

---

(١) من كلمة له في المدرسة الفيضية، بتاريخ ١٣٧٤هـ.ش.

(٢) من كلمة له في مدرسة دار الشفاء، قم، بتاريخ ١٢رجب، ١٤١٦.

المبحث الثاني: ضوابط الإصلاح ومرتكزاته

كل ما تقدم يكشف عن ضرورة الإصلاح، وتوفُّر الدواعي للقيام بهذه المهمة الواجبة، ولكن ما هي المرتكزات التي لا بد من أن تستند إليها العملية الإصلاحية؟ هذا التساؤل مبرر من الناحية المنهجية؛ إذ إن الإصلاح العشوائي الذي لا يرتكز على أسس واضحة لا يمكن أن يُسمّى إصلاحاً، بل هو تخريب للقديم وانتقال إلى الفراغ. ولعل الخوف من التجديد عند الكثيرين نابع من هذا القلق؛ حيث إن هؤلاء يرون في القديم صفاته الإيجابية: «**ليس صحيحاً استبدال الكتب المتعارفة في الحوزة بكتب أخرى تشرح الموضوعات باختصار وبأسلوب سهل، كأن يُستبدل كتاب المكاسب بكتاب آخر -ولا أتصور وجود كتاب مناسب يحل محله- ولذلك سوف نضطر إلى طرح كتاب سهل يؤدي في النهاية إلى ضعف علمي عند الطلاب في مرحلة البحث الخارج(أبحاث الدراسات العليا)**»[1].

وسوف نحاول في ما يأتي طرح بعض الضوابط التي ينبغي أن تحكم عملية الإصلاح الحَوْزَوي.

---

(١) خرم آبادي، السيّد طاهري، مجلة «**رسالة الحوزة**»(فارسية) عدد ١٢، ١٣٧٥ هـ. ش.، ص ٦٥.

أولاً: أهداف الحوزة:

يجب أن تكون عملية الإصلاح محكومة لأهداف الحوزة، وقد مّر الكلام على ذلك، ونعيد هنا باختصار القول: إن المناهج الدراسية المقررة والمعتمدة في الحوزة مدونةٌ في الغالب - وعلى مستوى القاعدة العامة- بغرض الوصول إلى الاجتهاد في الفقه والأصول، ويظهر هذا بأدنى تأمل في حجم المادة الأصولية والفقهية التي تقدم للطالب بشكل رسمي؛ ولكن للحوزة أهدافاً أخرى غير الفقه والأصول، وهذا يقتضي أن يتم تعديل الميزان العلمي لصالح الأهداف الأخرى. ولعله يمكن القول بشيء من الإجمال: إن هدف الحوزة والدراسة الحَوْزَوية هو الدفاع عن الدين؛ والجانب الفقهي لا يمثّل سوى أحد الثغور التي يحاول الآخرون النفاذ من خلالها ليس إلّا. ويشير الإمام الخامنئي إلى هذا البعد بقوله:

«...فالشخص الذي يضطلع بمهمة تبليغ الدين وتبيين رؤاه أو بتعبير آخر الدفاع عنه، يجب أن يكون على علم بالتيارات الفكرية وبالآراء الجديدة المطروحة في عالم اليوم؛ وهذه المعرفة واجبة بالنسبة لحوزاتنا العلمية»[١].

ثانياً: التكميل لا الانقطاع عن التراث:

التجديد والإصلاح لا يعنيان الانقطاع عن التراث والسنن الحَوْزَوية الحسنة، بل المقصود هو المحافظة على تراث الحوزة واستكمال النواقص، فهناك الكثير من السنن والعادات الحسنة على مستوى الدراسة الحَوْزَوية، منها: العلاقة مع الأستاذ، والمباحثة، والإخلاص للدرس وعدم الالتفات للشهادة، والحرية في اختيار

---

(١) من كلمة له بمناسبة بدء العام الدراسي في الحوزات العلمية، بتاريخ ٨ جمادى الثانية، لعام ١٤٢١هـ.

المدرّس، وغير ذلك[1]. وهذه العادات الحسنة يجب المحافظة عليها، والدفاع عنها واستحضار غيرها من الأمور التي تؤدي إلى تطوير العمل وتحسينه. وضمن إطار المحافظة على الأصالة وعدم الانقطاع، نجد الإمام الخامنئي يؤكد على ذلك حتى على مستوى المصطلحات -لما للمصطلح من إيحاءات- فيقول:

«إذاً، عالم اليوم يتطلب وجود الإسلام الحقيقي، ولابد لنا في سبيل تبيين أحكام الإسلام للناس، من استخدام نفس المصطلحات الإسلامية، وأن لانستخدم مصطلحات الثقافة الغربية التي لا تعبر عن المفاهيم الإسلامية بشكل دقيق»[2].

ثالثاً: الاستفادة من تجارب الآخرين:

إننا نعيش في عالم متعدد الاتجاهات والتجارب على مختلف الصعد؛ ولذلك لا يمكن تجاهل هذه التجارب، والبدء في عملية الإصلاح من حيث بدأ الآخرون، بل لا بد من الاستفادة من تجاربهم وخبراتهم سواء كانوا من المسلمين أم من غيرهم. يقول الإمام الخامنئي في مجال الاستفادة من غير المسلمين:

«نحن لا نريد التعامل مع الثقافة الغربية تعاملاً يشوبه التعصب. وإنما نؤمن بتلاقح الثقافات ونرى أن بإمكان الثقافات أن تستفيد من بعضها... حتى أن الإسلام في الصدر الأول اقتبس من ثقافة الروم ومن الثقافة الفارسية..»[3].

وأما حسن أو لزوم الاستفادة من تجارب الماضين من علمائنا،

---

(١) أنظر: الشيرازي، ناصر مكارم، مجلة **«حوزة»**، عدد ١٢، شتاء ١٣٧٥، ص ٦٠ (بالفارسية).

(٢) من كلمة له، بتاريخ ٢ محرم ١٤١٩، طهران.

(٣) المصدر نفسه.

فهو غني عن الإثبات، ولكن يحذّر الإمام الخامنئي من مشكلتين: في الحالة الأولى تؤدي الاستفادة والانفتاح على الثقافة الغربية إلى الانبهار بمنتجاتها، وفي الحالة الثانية يؤدي الانفتاح على الماضين إلى نوع من الجمود، فلا بد من الحذر في كلا الموردين يقول سماحته: «**إن ما أحذّر منه هو التقهقر والاستسلام أمام الثقافة الغربية**»[١].

ومن جهة ثانية يقول:

«**فلتشكّل هيئات تأليفية لإعداد كتب علمية جديدة؛ أم أنه لابد أن ندرس المطول والمعالم والقوانين وشرح اللمعة إلى الأبد؟**»[٢].

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) من كلمة له أثناء زيارته لقم، بتاريخ ١٥ شعبان ١٤٢١هـ.

المبحث الثالث: الفكر الإصلاحي

في الحوزات العلمية

لم تكن الدعوة التي أطلقها الإمام الخامنئي إلى إصلاح نظام الحوزة العلمية على مختلف الصعد، دعوة يتيمة ومنطلقة من الفراغ، بل هي تحمل مخزوناً رائعاً من تجارب سابقة عليها نجحت في موارد، وأخفقت في أخرى. وتجدر الإشارة إلى أن الإصلاح يحمل مبرراته في نفسه، ولا يحتاج لتبريره إلى أن يكون مسبوقاً، ولكن مع ذلك سوف نحاول استعراض عدد من التجارب الإصلاحية للتأمل فيها والمقارنة بينها.

بواكير الإصلاح:

لا يمكن تحديد بداية دقيقة للشروع في إصلاح الحوزة؛ وذلك لأنه يمكن أن يُدّعى بأن كل العلماء، أو جلّهم كانوا من دعاة الإصلاح والتجديد، وإن لم يسمّوا أنفسهم بهذا الاسم صراحة، وكل من كتب وألّف نجده يعتبر كتابه، أو كتبه تسد ثغرة في ذلك الفراغ الموجود، خصوصاً عندما يختار أحد هذه الكتب للتدريس وحلقات العلم. فهذا الشيخ الكليني يفتتح كتابه الكافي بقوله:

«... وقلتَ: إنك تحب أن يكون عندك كتاب كاف يجمع(فيه)

من جميع فنون علم الدين ما يكتفي به المتعلم، ويرجع إليه المسترشد...»[1].

إذاً، لم يكن تأليف الكليني لكتابه ترفاً فكرياً، بل كان استجابة لإحساس بالحاجة أبرزها بعض إخوانه. وها هو العلامة الحلّي يقول في مقدمة كتابه «**مختلف الشيعة**» ما نصّه: «**وهذا الكتاب لم يسبقنا إليه أحد ممن تقدمنا من العلماء ولا نهج طريق الأدلة فيه من تقدم من الفضلاء..**»[2]. وهكذا غيرهما- ولا نريد الاستقصاء إنما أردنا الإشارة فحسب- بل كل مؤلف أو كاتب يسعى ولو على مستوى الادعاء، لإثبات أنه دَوَّنَ كتابه استجابة لحاجة أو لملء لفراغ في المكتبة التي يؤلّف ضمن إطارها، إلاّ أن ما نعنيه من الإصلاح هو معنى آخر ينحصر في مجال الدراسة الدينية وتطوير أنشطتها؛ ولذا سوف نحصر اهتمامنا ببعض الشخصيات التي حاولت إصلاح الحوزة على ضوء برنامج واضح المعالم والأهداف.

أ ـ جمعية منتدى النشر:

رأى جماعة من علماء النجف، عُرفوا باسم «**المثلث المتساوي الأضلاع**»، أو «**الصفوة**» وهم: الشيخ جواد الحجامي، والشيخ محمد حسين المظفر، والسيد علي بحر العلوم، وكان الشيخ محمد رضا المظفر هو كاتب الجلسات التي تعقد بين هؤلاء الصفوة[3].

---

(١) الكليني (محمد بن يعقوب)، **الكافي**، ط٣، قم، دار الكتب الإسلامية، ج١، ص ٨، ١٣٨٨هـ.

(٢) الحلي (الحسن بن يوسف المطهر)، **مختلف الشيعة**، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، لا ت، ج١، ص ١٧٤.

(٣) ترجمة الأعلام الأربعة:

*** الشيخ جواد الحجامي:**

ولد رحمه الله في النجف في شهر رجب سنة ١٣١٢هـ، وقرأ على فضلاء

وقد واجهت هذه الحركة الإصلاحية معارضة شديدة من التيار التقليدي، وهذا ما تكشف عنه مذكرات الشيخ المظفر نفسه؛ حيث يقول في رسالته إلى الشيخ أحمد عارف الزين: «**كنت أتحين الفرصة لأبسط لكم مشروع «منتدى النشر»** ومدرسته الدينية، بعد أن لفت نظري أنه لم يثر اهتمامكم، مع أني أعهد بكم أول من فكَّر ودعا إلى إصلاح دراسة النجف. ونحن جماعة فكرنا في هذا الإصلاح من قبل (١٥) عاماً تقريباً والأبواب كانت موصدة في وجوهنا حتى رأينا أن نؤسس «**منتدى النشر**» لتحقيق هذه الغاية، وأسميناه بهذا الاسم حتى

عصره، من جملة أساتذته الميرزا النائيني، والمحقق العراقي والسيد أبو الحسن الأصفهاني، والشيخ محمد حسين الأصفهاني، والسيد محسن الحكيم. له عدد من التأليفات إلّا أنه كان مقلّاً.

* **الشيخ محمد حسين المظفر:**

ولد عام ١٣١٢هـ لخمس خلون من شهر شوال، قرأ على الميرزا النائيني والمحقق العراقي والسيد الأصفهاني، وأكثَر الاستفادة من أخيه الشيخ محمد حسن. له كتب متعددة ويظهر من مراجعة فهرست كتبه أنه كان يهتم بالموضوعات التي تدعو الحاجة إلى الكتابة فيها؛ من كتبه تاريخ الشيعة، الشعائر الحسينية وغيرها.

* **السيد علي بحر العلوم:**

ولد السيد علي بحر العلوم في النجف عام ١٣١٤هـ وترعرع فيها، وانصرف إلى دراسة الفقه والأصول على أعلام عصره، واشتغل في الجانب الإداري الاجتماعي مع عمه السيد محمد علي بحر العلوم، واستفاد من هذه الملازمة كثيراً واكتسب خبرات علمية وعملية مهمة من هذه الصحبة.

* **الشيخ محمد رضا المظفر:**

ولد في النجف سنة ١٣٢٢هـ وهو شقيق الشيخ محمد حسين المذكور آنفاً. تتلمذ على عدد من الأساتذة من أبرزهم أخوه الشيخ محمد حسن، وكذلك على الشيخ محمد حسين الأصفهاني، والميرزا حسين النائيني. له مجموعة من المؤلفات أهمها: المنطق، أصول الفقه، أحلام اليقظة، عقائد الشيعة، ابن سينا ترجمته ودراسة لفلسفته.

لا يلفت الأنظار إلى هدفنا فيقاوم قبل أن يخطو بعض الخطوات»[١].

أهداف جمعية منتدى النشر:

يبدو أن جمعية منتدى النشر كانت قد وضعت نصب عينيها أهدافاً عالية تريد تحقيقها، والعنوان الأساسي الذي يجمع كل الأهداف الفرعية الأخرى هو إصلاح النظام الدراسي في الحوزة النجفية. إلّا أن القائمين على هذه الجمعية، أعطوا لحركتهم اسماً وشعاراً يختلف عن المضمون الواقعي، وهو اسم «**منتدى النشر**»؛ ليوهموا أصحاب الاتجاهات المحافظة أنهم يريدون نشر الكتب، ولكن الهدف الأول لهم كان تغيير نظام الدراسة. وقد اقترن اسم هذه الجمعية باسم الشيخ محمد رضا المظفر، نظراً لما بذله في سبيل هذا المشروع.

تحت عنوان «**منتدى النشر** » عمل الشيخ على تطوير مشروعه؛ فكان أن سعى إلى تغيير نمط الدراسة الحَوْزَوية إلى دراسة شبيهة بالدراسات الأكاديمية، فأنشأ «**كلية الفقه**» التي «**هزت النوادي النجفية هزة عنيفة اشترك فيها الكبير والصغير، والعالم والجاهل، وقد بلغ عدد الموقّعين على ورقة شروط العمل المائتين، وهم رجال العلم بالنجف وأهل الكلمة فيه**»[٢].

وهكذا يتبين أن مشروع الكلية[٣] وجد من يؤيّده ويدعمه في

---

(١) المظفر (محمد رضا)، **مجلة العرفان** (صيدا)، مج ٢٩، ج ٨ و٩، رجب ١٣٤٩ هـ. أيلول ١٩٣٠م. نقلاً عن علي البهادلي، الحوزة العلمية في النجف، ص ٣١٣.

(٢) الآصفي، محمد مهدي، **مدرسة النجف وحركتها الإصلاحية**، ص١١٥. نقلاً عن: البهادلي (م . س.)، ص٣١٥ والآصفي ينقل بدوره عن: مخطوطات المظفر.

(٣) راجع: ملاحق في آخر الكتاب - البرنامج الدراسي المعتمد في كلية الفقه.

بداياته، فإن تأييد مائتين من رجالات النجف وأهل العلم فيها ليس بالأمر الذي يُستهان به.

ولأجل الكلية ألّف الشيخ وغيره من العلماء عدداً من الكتب التي تحوّلت فيما بعد، إلى مناهج مقرّرة للتدريس في حوزة النجف وغيرها من الحوزات العلمية في العالم الشيعي.

من هذه الكتب:

١- المنطق: وهو كتاب في علم المنطق، أراد له مؤلّفه أن يحل محل الكتب القديمة التي كانت تُدرّس في الحوزة، ككتاب «**حاشية ملا عبد الله على تهذيب المنطق**»، وكان للشيخ ما أراد[(١)].

٢- الأصول العامة للفقه المقارن: من تأليف السيد محمد تقي الحكيم. دوّن هذا الكتاب ليكون متناً دراسياً لطلاب كلية الفقه في السنتين الثالثة والرابعة[(٢)]، ولكن أهميته وعلو كعب مؤلفه لم يشفعا له ليكون متناً دراسياً في الحوزة العلمية.

هذه بعض الكتب التي ألّفت بغرض التدريس في كلية الفقه، وهناك غيرها من الكتب في مجالات أخرى كعلم الكلام والفلسفة وغير ذلك، إلاّ أن أكثرها لم يعرف طريقه إلى حلقات التدريس في الحوزات العلمية.

تقييم حركة الشيخ المظفر:

إذا أردنا أن نقيّم حركة الشيخ المظفر، فلا بد من ملاحظة الأهداف ومقارنتها بالنتائج التي تم الوصول إليها، وعلى ضوء ذلك

---

(١) المظفر، (محمود)، مقدمة الطبعة الثالثة لكتاب **المنطق**، بيروت، دار التعارف، ١٩٩٥م، ص ٥.

(٢) الصدر، (محمد باقر)، دروس في علم الأصول(المقدمة)، ط٥، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٨هـ، ص ١٧.

يمكن القول: إنّ الشيخ المظفر نجح في بعض الجوانب وأخفق في أخرى، أو بعبارة أدق، لم يستطع الوصول إلى كل أهدافه؛ وذلك لأنه كان يسعى لإصلاح الدراسة في الحوزة وتحويلها إلى دراسة أكاديمية منظمة تقوم على الأسس نفسها التي تقوم عليها الدراسة في الجامعات الأخرى، إلّا أن هذا لم يحصل بل كانت الكلية في النجف تسير جنباً إلى جنب مع الدراسة الحَوْزَوية التقليدية. وأما على مستوى من تخرج من الكلية فقد ذكر بعضهم عدداً ممّن درسوا في الكلية وأصبحوا علماء يشار إليهم بالبنان[1].

ويبدو أن السبب في عدم تحول الدراسة في الحوزة إلى النمط الأكاديمي، هو أن العرف الحَوْزَوي قائم على أن مراجع التقليد هم المدراء الفعليون، والموجهون لأمور الدراسة، مضافاً إلى أمور المرجعية، فما لم يكن التغيير والإصلاح منطلقاً من رؤاهم ومدعوماً بتوجيهاتهم، لا يمكن أن يؤتي أكُلَه. وهذه هي نقطة الضعف الأساس في حركة «**كلية الفقه**»، والتي منعتها من فرض نمطها على أرجاء الحوزة. ولكن إذا نظرنا من جهة ثانية، نجد أن الشيخ المظفر استطاع أن يدخل إلى المناهج المقررة في الحوزة كتابين من كتبه، وإذا أخذنا العقلية السائدة في الحوزة من التمسك بكتب السلف والاعتداد بها، فيمكن اعتبار ذلك نجاحاً مهماً.

يبقى أن نشير إلى أن مشروع كلية الفقه لم يكن متكاملاً؛ لأنه كان يهدف إلى إصلاح الحوزة في المراحل الأولى، وأما مرحلة دراسة البحث الخارج فلم يفكر الشيخ المظفر بالتعرض لها، ولم يقدّم لها طرحاً يعوّض نواقصها إن وجدت.

يقول السيد محمد تقي الحكيم:

«**إن المرحلة التي تحتاج إلى التعليم المنظّم هي المرحلة الأولى**

---

(١) أنظر: علي البهادلي، م.س.، ص٣٢٣.

فحسب، لاحتياج الطالب فيها إلى تضخيم الشعور بالمسؤولية، وتوفير الوقت له بتقصير المسافة الدراسية عليه بالأخذ بقسم من المناهج الحديثة..»(١).

وأخيراً لنستمع إلى الشيخ صاحب المشروع يتحدث عن أسباب عدم الوصول إلى الأهداف المبتغاة، حيث يقول:

«وقد أعطتنا التجارب أن الأعمال الكبيرة يجب لإنجاحها، أن تقوم جماعة محدودة تدير دفة العمل بتعاضد وتكاتف وتضحية على عكس ما هو مشهور؛ لأن الشعور بالمسؤولية..(يتناسب تناسباً عكسياً مع عدد الجماعة)»(٢).

ب - المشروع الإصلاحي عند كاشف الغطاء:

ولد في النجف عام ١٢٩٤هـ، درس على عدد من الأساتذة والعلماء واختص بالسيد محمد كاظم اليزدي (صاحب العروة الوثقى) وكان أحد أوصيائه. كتب في مجالات عدة وبعناوين مختلفة، ومن أبرز ما كتب **«أصل الشيعة وأصولها»**، **«تحرير المجلة»** (شرح لمجلة الأحكام العدلية)، **«المثل العليا في الإسلام لافي بحمدون»**، وغيرها من المؤلفات المطبوعة والمخطوطة التي لم تُطبع. له مواقف مشهورة منها خطبته في فلسطين عندما كان مدعواً للمشاركة في **«المؤتمر الإسلامي»** عام ١٣٥٠هـ. فخطب خطبة مشهورة ألهبت مشاعر الحضور مما دعاهم إلى انتدابه ليؤمهّم طيلة أيام المؤتمر(٣).

---

(١) مجلة النجف، السنة ٣، العدد ٢، ذي الحجة ١٣٧٨هـ، مقالة المنتدى تاريخ وتطور، نقلاً عن علي البهادلي، م.س.، ص٣١٥.

(٢) مدرسة النجف، م.س ص ١١٥، نقلاً عن علي البهادلي، ص٣١٦.

(٣) ماضي النجف وحاضرها، ج٣، ص ١٨٤ و مابعدها.

لمحة عن مشروعه الإصلاحي:

كان الطالب الحَوْزَوي يعاني من مشكلات عدة، منها مسألة التجنيد الإجباري، حيث لم يكن يُعفى من التجنيد إلّا إذا كان منتسباً إلى مدرسة رسمية معترف بها من قبل السلطات. ولقد حاول الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء أن يخفف هذا العبء عن الطالب الحَوْزَوي، فأعاد إعمار مدرسة «**المعتمد**» وجعل فيها جناحاً بصفة مدرسة رسمية دينية يعفى الطالب من التجنيد إذا امتحنه أساتذتها ونجح[1].

أبرز معالم المشروع:

لم نجد في ما حاولنا تتّبعه من المصادر من تحدث عن مشروع الشيخ كاشف الغطاء بشكل تفصيلي، سوى ما سجّله الشيخ أحمد عارف الزين في مجلته «**العرفان**» ضمن بنود، هي:

١- وضع منهاج عام للدروس والكتب التي يُفترض دراستها.

٢- تقسيم التعليم إلى ثلاثة مقاطع:

أولي: يتلقى الطالب في هذا المقطع علوم المقدمات والمبادئ.

وثانوي: يكمل به اللازم من علوم المقدمات مع قسم من دروس العلوم التي يراد التخصص بها.

عالي: وهو مرحلة الاختصاص، مع تحديد الوقت لكل مرحلة.

٣- اختيار الأساتذة على أساس الكفاءة والاختصاص.

٤- اعتماد نظام الامتحانات الدورية أثناء السنة الدراسية وفي نهايتها.

---

(١) أنظر المصدر نفسه، ج٣، ص١٨٤، وج١، ص ١٢٨. وكذلك **موسوعة العتبات المقدسة**، ج٧، ص١٣٧.

٥- تبديل الكتب الدراسية أو تقويم أخطائها، أو حذف الزوائد منها ثم تقسيمها حسب عقليات الطلاب ومستوياتهم الفكرية.

٦- إختيار الطلاب على أسس علمية منهجية تعتمد على كفاءتهم واستعداداتهم.

٧- إنشاء مجلة تُعنى بنشر الأفكار العلمية الدينية الجيدة.

٨- تبادل البعثات العلمية بين مدرستي النجف والأزهر تمهيداً لتوحيد مناهج التعليم وأساليب التدريس في كلتي المدرستين.

٩- تعديل المناهج الدراسية المقررة في الحوزة بإدخال بعض المواد الجديدة التي يحتاجها الطالب كعلم النفس، وعلم الاجتماع، والأخلاق وغير ذلك من العلوم التي تمسّ الحاجة إلى الإطلاع عليها[١].

ج - مدرسة الجزائري:

ولد الشيخ عز الدين الجزائري في النجف عام (١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م) وتلقى علومه فيها، ومن مميزاته أنه جمع بين التحصيل العلمي الديني وغيره، فقد حصل على شهادة الدبلوم في الهندسة المدنية، وشهادة أخرى في علوم التجميل، وشهادة ثالثة في العلوم التجارية. ويبدو أن جمعه بين الدراسة الأكاديمية والدراسة الحَوْزَوية، هو الذي دعاه إلى تأسيس مدرسة حملت اسمه (عام ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م) واعتمد فيها أسلوب الدراسة الأكاديمية، وصدر عن هذه المدرسة مجلتان أولاهما باسم «**الذكرى**» صدر منها عشرة

---

(١) أنظر: بوادر الإصلاح في جامعة النجف، مجلة العرفان (صيدا، لبنان) مج ٢٩، ج٢، ١٣٤٨هـ/ ١٩٣٩م. نقلاً عن: الحوزة العلمية في النجف، (م.س.)، ص ٣٢٤.

أجزاء، ثم مجلة ثانية باسم «**رسالة النجف**» توقفت بعد صدور العدد الثالث. ولا تختلف عناصر مشروع الجزائري عما هي عليه عند الشيخ كاشف الغطاء إلّا في دعوته إلى التخصص في الفروع العلمية المختلفة كالقضاء، والاجتهاد، والتبليغ وغيره...[1].

---

(١) لمزيد من الاطلاع عن مدرسة الجزائري، أنظر: البهادلي(م.س.) ص ٣٣٢، ومحسن محمد محسن، **من التنظيم الدراسي في النجف الأشرف**، ط١، بيروت، دار المحجة البيضاء، ١٩٩٨م، ص ١٥ وما بعدها.

الفصل الثالث

الحوزة العلمية النموذجية

في فكر الإمام الخامنئي

المبحث الأوّل: **المبادئ العامة للعمل الحَوْزوي**

المبحث الثاني: **المعالم العامة للحوزة العلمية**

* المطلب الأول: **السياسات التربوية العامة**
* المطلب الثاني: **البرنامج الدراسي**
* المطلب الثالث: **المقررات الدراسية (المتون)**
* المطلب الرابع: **الهيئة التعليمية (المدرسون)**
* المطلب الخامس: **التقييم والامتحانات**

الحوزة العلمية النموذجية في فكر الإمام الخامنئي

تمهيد

سبق أن تحدّثنا عن الفكر الإصلاحي ودواعيه في الحوزات العلمية، وينبغي إضافة أنّ ما طرحه الإمام الخامنئي في هذا المجال يمثّل مرحلة راقية للفكر الإصلاحي على مستوى الحوزات العلمية؛ حيث يعتمد على جملة من المعطيات الأساسية، ويأخذ بالاعتبار الضرورات، والحاجات والتحديات القائمة التي ينبغي للحوزة العلمية معالجتها.

ثم إن الحلول التي تقدّم من أجل تطوير الحوزة ولمواجهة التحديات القائمة، لا يمكن أن تكون منفصلة عن واقع الحوزة، وعن أهدافها، ورسالتها والمبادئ العامة التي يستند إليها كيانها.

وانطلاقاً من الاعتبارات الآنفة الذكر، فإن سماحته يطرح جملة من المبادئ الأساسية التي ينبغي أن تعتمد عليها أيّة حركة إصلاحية تطويرية في الحوزة العلمية، وهي عبارة عن المبادئ التالية:

١- التخطيط.

٢- سيادة النظام.

٣- المسؤولية العامّة.

٤- تكميل وتطوير الحوزة التقليدية لا هدمها.
٥- استقلالية الحوزة.
٦- تقدير الحاجات الواقعية.
٧- الالتزام بالتحديد الكَمّي والرقمي للحاجات.
٨- تقديم الأولويات والحاجات الملحّة.
٩- استمرارية التطوير.
١٠- إيجاد الفضاء الملائم لتطوير الأفكار.
١١- الوحدة بين الدين والسياسة.
١٢- الاستفادة من الآليات والمناهج العلمية
١٣- العمل الفريقي (الجماعي).
١٤- التخصّص في الحقول الإسلامية المختلفة.
وفيما يلي شرح موجز لهذه المبادئ:

المبحث الأول: المبادئ العامة للعمل الحَوْزَوي

يعتبر الإمام الخامنئي أن التطوير لا يأخذ طريقه نحو التطبيق على مستوى الحوزة العلمية، إلّاّ إذا كان منسجماً مع واقع الحوزة، ومبنياً على الاعتبارات الحوزية، ومأخوذاً فيه جميع الاعتبارات الميدانية. من هنا، يؤكد على المنطلقات والمبادئ الآتية لكي يأخذ التطوير مجراه الصحيح، ويعطي مفعوله ولا يؤثر سلباً على الواقع:

١- التخطيط:

يُعتبر التخطيط ركناً أساسياً لكل عمل منظّم ومدروس؛ ولذلك ورد التأكيد عليه في الروايات المأثورة عن المعصومين عليهم السلام. يقول الإمام علي عليه السلام: «**قدّر ثم اقطع، وفكّر ثم انطق، وتبيّن ثم اعمل**»[1].

وهو في المصطلح الإداري عبارة عن: «**عملية تفكير وتقدير منهجية واعية لاستشراف المستقبل، وتوقّع احداثه، بغرض التحكّم فيها، وتوجيهها تحقيقاً للأهداف المرسومة**»[2].

---

(١) الواسطي، علي بن محمد: **عيون الحكم والمواعظ**، دار الحديث، ١٣٧٦هـ.ش.، ص ٣٧١.

(٢) راجع: بربر (كامل): **الإدارة عملية ونظام**، المؤسّسة الجامعية للدراسات، بيروت، د . ت.
أبو قحف (عبد السلام): **أساسيات الإدارة**، الدار الجامعية، بيروت، ١٩٩٨.
الشرقاوي (علي): **السياسات الإدارية**، الدار الجامعية، بيروت، د . ت.

ويُعتبر تحديد الأهداف جزءاً أساسياً من عملية التخطيط، ويشير الإمام الخامنئي إلى ضرورة التخطيط والجهاز المخطّط للحوزة العلمية قائلاً:

«الموضوع الأول هو موضوع البرمجة والتخطيط في الحوزات. لقد سبق أن قلنا في نفس هذا اللفيف من الطلاب والفضلاء بأن كل جهاز صغير -دائرة كان أو جامعة- لا بد له من خطة عمل، والحوزة العلمية بصفتها مكوّنة من مجموعة كبيرة من العلماء العظام والباحثين الكبار في العلوم المختلفة من فقه وتفسير وأصول وكلام وفلسفة وسواها من العلوم الحَوْزَوية، فإنه لا بد لها هي الأخرى من جهاز للتخطيط يمارس عمله بنشاط مستمر»[1].

كما يشير إلى أهمية تحديد الأهداف في كل عمل تخطيطي ومنهجي قائلاً:

«إنّ إنشاء المنظّمات من دون رسم أهداف واضحة وتحديدها بدقة، أو فقدان خطة دقيقة تكفل الوصول إليها، سوف يؤدّي إلى إفشال المؤسّسة في عملية الإنتاج وزوالها أخيراً. وفي حال عدم الزوال نهائياً فإنّها ستظل شكلية»[2].

ولتقريب الفكرة إلى الذهن يذكر مثالاً لكيفية تحديد الأهداف قائلاً:

«...نحن ينبغي أن نعلم ماذا نريد من خريّجي هذه المدرسة حتى نستطيع أن نحدّد نوع المدرِّس، ونوع الدرس، ونوع البرنامج الذي ينبغي أن يرسم هنا.

تارةً نبدأ العمل التخطيطي من المدرّس والبرنامج، وأخرى نبدأ

---

(١) من خطاب له بمناسبة بدء العام الدراسي في الحوزات العلمية، بتاريخ١١/ ج٢/ ١٤٢١هـ. طهران.

(٢) من خطاب له ألقي بحضور ممثلي وطلاب الحوزة العلمية في قم، بتاريخ ٧/ ٩/ ١٣٦٨هـ.ش.

التخطيط من الهدف، والغاية التي نسعى إليها. بيد أن البدء من الأخير، هو أكثر معقولية، وأقل خطراً وخطأً»[1].

ويتطلب التخطيط في المجالات الحوزية أن نأخذ واقع الحوزة ومتطلباتها بعين الاعتبار، ومن ثم نحدِّد الأهداف وفقاً لجدول زمني ضمن دراسة وافية للإمكانيات المتوفرة مادياً ومعنوياً.

٢- سيادة النظام والإدارة

كانت الحوزة العلمية تدار عبر قرون طويلة من عمرها، من خلال نظام بسيط يقع في رأس الهرم (مرجع ديني)، ويقوم بكل ما كان يتطلّبه العمل الحَوْزَوي، من دون وجود جهاز وإدارة، فضلاً عن التخطيط، والتوجيه والرقابة المنظَّمة.

إنّ هذه الحالة كانت مطلوبة في الماضي القديم؛ حيث إن الحياة ومتطلباتها كانت في غاية السهولة والتبسيط، ولكن لا تنسجم هذه الحالة مع العصر الحاضر ومتطلبات الحياة المعقّدة في مجتمع اليوم.

على أن الذهنية الحَوْزَوية التي نشأت في هذا الفضاء، والتراكمات الزمنية لهذه الفكرة، خلقت نظرةً سلبية لدى الحَوْزَويين تجاه التنظيم الفعلي لشؤون الحوزة، إلى درجة أنّه شاعت لديهم مقولة: «**نظامنا هو في عدم انتظامنا**».

وقد تصدّى الإمام الخامنئي لهذه الذهنية قائلاً:

«النظام، هو مقابل الفوضى، ولا يمكن الجمع بين الأمرين؛ حيث إنّ عدم انتظامنا في عدم اتباعنا للنظام، وتأخرنا من عدم سيادة النظام في أوساطنا»[2].

(١) المصدر نفسه.

(٢) من خطاب له في لقاء المدرسين والطلاب في المدارس الدينية، بتاريخ ٢٧/ ٦/ ١٣٦٣هـ.ش.

إنّ عدم التقيّد بالنظام المحدّد في الحوزة لم يكن بمعنى الفقدان الكلي للنظام في العمل الحَوْزَوي، بل كان هناك الكثير من الطلاب والمدرّسين المقيّدين جداً بنظام دراسي، أو تدريسي أو نمط معيّن من الدراسة، وإنّما المقصود هو عدم القبول والاعتراف بضرورة الإلتزام بنظام دراسي وتعليمي موحّد للحوزات العلمية؛ بحيث يجسّد ذلك أهدافاً وبرامج وآليات معيّنة. وقد أشار إلى ذلك قائلاً:

«إن عدم النظام في الحوزات العلمية يعتبر نقصاً كبيراً فيها. إن انعدام النظام كان يشكّل أساساً للعمل الحَوْزَوي. وهذا ليس أنه لم يكن يحكم أي نظام، بل كان هناك نوع من النظام. بمعنى أن المدرِّس كان يحضر للتدريس ساعة معيَّنة، وكان الطلاب يلتزمون أيضاً بساعة الحضور، أو أنَّهم كانوا يلتزمون بمراجعة ومطالعة دروسهم بعد صلاة المغرب والعشاء-مثلاً- إذ كان هناك انتظام بمستوى معيّن، كما أنه كان في الحوزة أناس منتظمون يستفيدون بدقة من أوقاتهم. ولكنني لا أقصد من النظام هذه الأمور. ما أقصده تحديداً، هو وجود برنامج دراسي منظم ومخطّط. ونحن كنا نعاني من هذا النقص في الحوزات»[1].

وهكذا يدعو سماحته إلى سيادة النظام التعليمي المدروس على الحوزات العلمية، وعدم الرضا بما يسود من الاستمرار على بركة الماضين؛ حيث إنّ العلماء السابقين خُلقوا لزمانهم وأجادوا في رفد عصورهم بما كانوا يملكون من مواهب متعددة في مجالات شتّى، ولا يمكن لنا القول بأن الخلف لم يترك للسلف شيئاً. ومن هنا يؤكد سماحته قائلاً:

---

(١) من خطاب له في لقاء علماء ومدرسي الحوزة العلمية في مشهد، بتاريخ ١٠/ ٦/ ١٣٦٧هـ.ش.

«الشرط الأساس في تغيير سليم وتطوير طبيعي في الحوزة، هو التقيّد بالنظام والانضباط من خلال إنشاء مركز مخطّط ونافذ ومطاع في قراراته»[1].

٣- الإحساس بالمسؤولية تجاه الحوزة:

يُعتبر **«الإحساس بالمسؤولية»** تجاه الحوزة وتاريخها، والأمة الإسلامية وتاريخها، حافزاً أساسياً بالنسبة إلى الحَوْزَويين طلاباً وأساتذة ومسؤولين، وبدون تكوين هذا الإحساس الجماعي لا يمكن القيام بأي عمل جاد وأساسي على مستوى من النضج والدقة والمتانة. كما أنّ أي تطوّر وتطوير يصعب حصولهما من دون وجود متابعة جادّة، ملؤها الثقة والاطمئنان بالنتائج وبالمستقبل، وحينئذٍ لا يمكن أن نعتبر أنَّ هؤلاء الحَوْزَويين قد تحوّلوا بالفعل إلى بارقة أمل للأمّة، إلاّ حينما نجد أنهم تحوّلوا إلى صانعي مستقبل هذا المجتمع وسائر المجتمعات الإسلامية، من خلال إحساسهم بالمسؤولية تجاه ما يجري، والقيام بما يمليه عليهم الواجب[2].

ولو راجعنا تاريخ الغرب، وما شهده من تقدّم في مجالات شتّى، فإنّنا نجد:

«أنّ العامل الأساس في تقدّم الغرب وأوروبا، لم يكن وجود قدرات وطاقات علمية خارقة، ولا ماضيهم الحضاري؛ لأنّهم لم يملكوا حضارة قديمة، كما أن العامل الديني والمذهبي والحرية الاجتماعية أيضاً، لم تكن من العوامل الأساسية باعتبار أن هؤلاء

---

(١) من نداء له إلى جامعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم بمناسبة إنشاء المجلس الأعلى للحوزة، ٢٤/ ٨/ ١٣٧١هـ.ش.

(٢) راجع: من خطاب له في لقاء طلاب مدرسة الملا جعفر مجتهدي، بتاريخ ٢٩/ ٩/ ١٣٦٠هـ.ق.

شهدوا حكومات مستبدة وجبّارة. بل كان هناك أساس واحد خلف هذا التقدّم، وهو الجدّ والمثابرة، وعدم التعب من العمل، والسعي الدؤوب، والنشاط المستمر؛ حيث إنهم كانوا في حالة استعداد تام للقيام بأيّ عمل، والحركة نحو الأسئلة المطروحة لديهم وحب الاستطلاع.. عليكم أن تملكوا نفسية البحث وحبّ الاستطلاع»[1].

ولا بد من أن يولِّد الإحساس بالمسؤولية تجاه مستقبل الحوزة استعداداً للعمل، ونشاطاً في العطاء حتى نستطيع القيام بالدور المطلوب لدعم ومسيرتها العلمية.

٤- التكميل لا الهدم:

إنَّ مبدأ تكميل وتطوير الحوزة العلمية لا هدمها، وهو من المبادئ المهمّة في العمل التطويري داخلها. فقد نشأت وقام صرحها العلمي والفكري والجهادي طوال قرون عدة، من خلال جهود جبارة لعدد كبير من العلماء والمصلحين. فلا يمكن العمل بالانقطاع عن ذاك الماضي العريق الحافل بالتجارب والخبرات الثمينة في مجالات عدة. ومن ينادي بالانقطاع عن هذا التراث الغني فإنّه لا يعيش واقع الحوزة، لا بل ابتعد عن فهم رسالتها وأهدافها، من هنا، لا بد من توجيه الجهود للبناء على تجارب السابقين، ومتابعة عملهم بما يتناسب مع الزمان والمكان والواقع الذي نعيشه.

وانطلاقاً من هذه الرؤية، يقول الإمام الخامنئي:

«حينما نتحدّث عن البناء وتجديد مؤسسة الحوزة، لا ينبغي أن يتصوّر أحد أننا نقصد هدم جميع أركان الحوزة . ليس الأمر هكذا

---

(١) من خطاب له بمناسبة تعمّم طلاب مدرسة «مجد»، بتاريخ ١٢/١١/١٣٦٦هـ.ق.

إطلاقاً. لا بد من الاستفادة الكاملة من الطاقات والذخائر الثمينة لحوزة قم العلمية، وأن يصار إلى تنظيمها، وأن يُمتنع عن تكرار الأعمال السابقة»[1]. والواقع أن العديد من الفضلاء يقومون بإعادة نشر ما قام به آخرون، من دون أدنى إثراء وإغناء للفكر والصورة. وهذا ما يعيق التقدم ، ولا يخدم مسيرة التطوير ومبدأ التكميل في الحوزة العلمية.

٥- استقلالية الحوزة العلمية:

إن استقلالية الحوزة العلمية في تنظيمها الخاص، والاحتفاظ بخصوصياتها، جزء مهمّ من السابقة التاريخية للحوزات العلمية الإمامية التي طالما أصرّ علماؤها ومراجعها على أهميتها.

ونظراً إلى السابقة التاريخية العريقة وعوامل أخرى، يعتبر «**الإمام الخامنئي**» أنّ استقلالية الحوزة العلمية عن مؤسسات الدولة أمر مهمّ وينبغي أن يُؤخذ بعين الجدّ: «**إن الحوزة العلمية مؤسسة علمية وروحية. ولا ينبغي أن تتحوّل إلى مؤسسة من مؤسسات الدولة، وإن كانت الدولة هي الجمهورية الإسلامية**»[2].

ويعدّد سماحته أسباب ودواعي استقلالية الحوزة العلمية عن مؤسسات الدولة، كالتالي:

١- عدم جواز ربط مستقبلها بمستقبل الحكومات.

٢- عدم قدرتها على تحقيق أهدافها في حال الاندماج والانصهار.

---

(١) من كلمة له ألقيت في لقاء ممثلي طلاب وفضلاء حوزة قم العلمية، بتاريخ ٧/ ٩/ ١٣٦٨هـ.ق.

(٢) من كلمة له ألقيت في لقاء علماء ومدرسي الحوزة العلمية في قم، بتاريخ ٣٠/ ١١/ ١٣٧٠هـ.ش.

٣- الإختلاف الأساسي بين التكوين الحَوْزَوي وتاريخه، وبين الحكومات[١].

ومن هنا، فإن الحوزة العلمية لا بد من أن تعتمد في انطلاقتها على قدراتها الذاتية، ولا تسعى إلى البحث عن غطاء خارج ذاتها.

٦- تقدير الحاجات الواقعية (معرفة المشكل):

لا يمكن أن نصل إلى حلول ملائمة لمشاكل الحوزة العلمية إلّا بعد تحديد دقيق للمشكلات والمسائل التي تعاني منها. كما أن تحديد المشكلات لا يتحقق إلّا عبر تقدير دقيق، وواقعي وفعلي للحاجات الموجودة. ومن ثم السعي نحو إعطاء الحلول المناسبة لتلك المشاكل، فمن لا يؤمن بوجود المشكلة لا يمكن أن يتحرك للبحث عن الحل:

«**الموضوع الأول، هو الإذعان بوجود المشكل، فلا يأتي أحد ويقول: ما هذا الكلام؟، أليس «الشيخ الأنصاري»، و«الميرزا النائيني»، و «الآخوند الخراساني»، «والإمام الخميني»** وباقي العظماء تخرَّجوا من هذه الحوزات. وأنتم تطرحون أموراً جديدة. فإن لم يذعن هؤلاء بالمشكل فلا يأتي الحل. وهذا الأمر يتمّ على أيديكم -بخاصةً الفضلاء الشباب- فتكلّموا، وأعيدوا الحديث عن الموضوع بتكرار، اكتبوا وأقيموا الأدلة، وناقشوا الذين لا يقبلون هذه الموارد وجادلوهم بحق، وأثبتوا لهم بأنَّ هذا المريض مريض حقاً، وانّ هذا الكائن الحيّ يعاني من الألم. فإن لم يدركوا الألم، ولم يعالجوا فلن يشفى من مرضه»[٢].

---

(١) راجع: الفصول السابقة: الاستقلال الإداري للحوزة.

(٢) من خطاب له ألقي في لقاء فضلاء وطلاب مميزين من الحوزة العلمية في قم، بتاريخ ١٤/ ٩/ ١٣٧٤هـ.ش.

وهذا هو المنطلق الملائم للعمل التطويري، وطالما نؤمن بأننا في عافية تامة ولا تهددنا أية مشكلة، فلا يمكن لنا البحث عن الحلول والمعالجات. فالخطوة الأولى نحو التطوير هي معرفة المشكل والإحساس بها.

٧- الالتزام بالتحديد الكمّي والرقمي للحاجات:

ينبغي لكل المعنيين في شؤون الحوزة العلمية أن يتعاطوا مع مسائلها بواقعية وأرقام، ولا يستندوا إلى تصورات ذهنية وخيالية بعيدة عن الواقع ومتطلباته.

فالتحديدات الكميّة والرقمية المعتمدة اليوم في التخطيط والبرمجة، ينبغي أن تأخذ طريقها إليها؛ كي يصار إلى وضع برامج مدروسة ودقيقة. وقد أشار الإمام إلى ذلك قائلاً:

«من جملة الأمور التي تحتاج إليها الحوزة العلمية هو نظام التعليم والتعلّم، بحيث لا تضيع الأوقات، وفي عصرنا لا يمكن أن نجيز أن تُهدر ساعة واحدة من عمر شاب مؤمن، قد أعدّ نفسه لبذل الجهد والعمل في سبيل الدين»(١).

وعليه، فلا يمكن التهاون بأمر التعليم والتعلّم، والبرنامج الدراسي، كما أنّه ينبغي: **«أن يُملأ هذا الفراغ (عدم الانتظام الدقيق) من خلال وضع برامج تتّصف أولاً: بالدقّة والإتقان، وثانياً: بالتطوّر باستمرار. بمعنى أنه إذا تم وضع برنامج في هذه السنة فلا بد من مراجعته في السنة المقبلة»**(٢).

---

(١) من خطاب له ألقي في لقاء طلاب وفضلاء الحوزة العلمية في قم، بتاريخ ١٤/١١/١٣٦٩هـ.ق.

(٢) من خطاب ألقي في لقاء طلاب ومدرّسي المدارس الدينية، بتاريخ ٢٧/٦/١٣٦٣هـ.ش.

ولا يكفي أن نراجع البرامج التي يتم وضعها باستمرار، بل ينبغي أن تتم تلك المراجعة من خلال تقدير دقيق للحاجات الواقعية والفعلية للمجتمع:

«ينبغي أن نخطّط للمستقبل، فإذا قدّرنا أن الدولة الإسلامية تحتاج إلى عدد معيّن من القضاة في الثلاثين سنة القادمة، فعلى الحوزة أن تنهض لتأمين هذا العدد، والتخطيط لتربية عدد من المجتهدين للقيام بهذه الوظيفة»(١).

٨- تقديم الأولويات والحاجات الملحّة:

نتيجة تراكم مشكلاتها عبر الزمن، لا تستطيع الحوزة العلمية أن تواجه تلك المشكلات في فترة زمنية محدّدة، كما لا تستطيع أن تقدّم حلولاً ومعالجات ناجعة في آنٍ واحد، من هنا، لابد من العمل المرحلي الذي يؤخذ فيه بالحسبان التدرج في المعالجة. ثم إنّ عملية التدرج يجب أن تستند إلى قاعدة عمل واضحة تقدّم فيها الأولويات الفورية والحاجات الملحة على غيرها.

«إنّ الإدارة في الحوزة العلمية تواجه مسائل ومشاكل عديدة، كما أنها سوف تواجه مستجدّات متوقعة وغير متوقعة، وينبغي لها أن تحدّد المهمّة الأولى لها تحديد الأولويات والحاجات الملحّة»(٢).

ولا شك في أن تقدير تلك الحاجات وتحديد الأهم من المهم يجب أن يستند إلى قواعد عمل واضحة، وهذا ما يتطلب وضع معايير دقيقة تُقاس بها الحاجات ودرجة مطلوبيتها نظراً إلى الواقع.

---

(١) من خطاب ألقي في لقاء ممثلي الطلاب والفضلاء في حوزة قم العلمية، بتاريخ ١٣٦٨/٩/٧.

(٢) من نداء إلى جامعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم بمناسبة إنشاء المجلس الأعلى للحوزة، ١٣٧١/٨/٢٤هـ.ش.

٩- استمرارية التطوير:

إنّنا نعيش في بيئة متغيّرة ومتحركة باستمرار؛ لذلك لا يمكن أن نعتمد خطة وبرنامجاً واحداً لكل الظروف والأحوال، بل ينبغي الاستعداد التام للتخطيط في كل الأوقات، نظراً لما يطرأ من مستجدّات، ولما يحصل من انحرافات في الأداء تتطلب تعديلاً في الخطط الموضوعة، والاستزادة المستمرة من التطوّر الحاصل في مجال العملية التعليمية:

«..**لابد من وضع برنامج يتصف أولاً: بالدقة والإتقان، وثانياً: أن يطاله التطوير باستمرار..بمعنى أنّه إذا تمّ وضع برنامج في هذا العام فلا بد أن يتم مراجعته في العام المقبل، لا أن يصار إلى هدمه وإلغائه بل ليجبر ما فيه من نقص.**

كما أنه لا بد من وجود جهاز للرقابة على وضع البرامج، مهمّته المراقبة الدقيقة والمستمرة الميدانية للبرنامج، لمعرفة مواضع الخلل، ومدى تناسبه مع قدرات الطلاب لجهة التقبّل والاستيعاب..»[١].

والرقابة الميدانية على البرامج والخطط تضمن استمرارية التطوير؛ لأنّها تنتج «**تغذية راجعة**» يستفيد المخططون منها لمعرفة نقاط الضعف والتعثرات في البرنامج.

١٠- ملائمة الأجواء مع التطوير:

إنّ وضع البرامج في الحوزة كما في غيرها لا يمكن أن يكون منقطعاً عن بيئتها؛ حيث إنّ البيئة وتداعياتها تلعب دوراً كبيراً في

---

(١) من كلمة له ألقيت في لقاء طلاب ومدرسي المدارس الدينية، بتاريخ ٢٧/٦/١٣٦٣.

تأييد، أو تحجيم الفكر ،خصوصاً إذا كان تطويرياً، من هنا، وقبل أن يصار إلى تطوير البرنامج، ينبغي العمل لإيجاد أجواء ملائمة للبرنامج الجديد حتى يمكن طرحه وتنفيذه في تلك البيئة، وقبل ذلك ينبغي أن تكون البيئة مهيّأة لتنمية المواهب؛ حيث لا يمكن القيام بأي عمل إصلاحي قبل تهيئة الأجواء لذلك:

«ينبغي العمل من أجل إيجاد أجواء منفتحة لتنمية المواهب الفكرية. ولا بد من العمل في هذا المجال في الحوزة؛ لأنّه يؤدّي إلى إحيائها..»[١].

وحينما تتهيّأ الظروف للتنمية يمكن القيام بكل ما من شأنه أن يساهم في الأمر، تخطيطاً، وتنفيذاً ورقابة.

١١- الوحدة بين الدين والسياسة:

إنّ الدين الإسلامي يدعو إلى إصلاح الدين والدنيا، ولا يقتصر على طقوس دينية يمارسها المتديّن من أجل الخلاص في الآخرة. وهذه الخصوصية تتطلب من الحَوْزَويين أن ينطلقوا في تقديرهم للأمور وفي تخطيطهم للعمل التعليمي والتربوي، من هذا الاعتبار:

«الطرح الإسلامي مبتنٍ على أساس أن الدين هو رسالة الحياة، والطريق الوحيد للخلاص من المشاكل والمصاعب التي حلّت بالعالم والتي ستحلُّ فيما بعد، وهو القادر على إعطاء الحلول الناجعة للمعضلات الاجتماعية التي تعاني منها المجتمعات البشرية»[٢].

---

(١) من خطاب ألقي بتاريخ ١٣٧٤/٩/١٤ هـ.ش. عند لقاء فضلاء حوزة قم العلمية.

(٢) من خطاب ألقي للإمام الخامنئي في بداية العام الدراسي في الحوزة العلمية، بتاريخ ٩ ربيع الثاني ١٤١٦هـ.

انطلاقاً من هذا الاعتبار، ينبغي الحذر من الوقوع في فخ العلمانية في الحوزات العلمية،

«ويجب الاهتمام بقضية الوحدة بين الدين والسياسة، في التفقّه وفي العمل. وليعلم الأخوة أن فكرة فصل الدين عن السياسة هي آفة لم تُستأصل بشكل كامل، ولا تزال إلى الآن موجودة في الحوزات مع الأسف.. يجب تأصيل وترسيخ فكرة وحدة الدين والسياسة في الحوزة بحيث تكون الفقاهة، والاستنباط الفقهي على أساس إدارة النظام والمجتمع لا مجرد الإدارة الفردية»[1].

١٢- التواصل مع الخبرات العلمية والعالمية:

إن الحوزة العلمية مؤسسة تعليمية وتربوية مثلها مثل باقي المؤسسات المشابهة، ولا يمكن أن تكون بعيدة عن التطورات العلمية، والمنهجية والمهاراتية في العالم، بل ينبغي لها أن تستفيد من تلك الخبرات بشكل لائق، وعليه،

«فلا بدّ للمتوّلين لتنظيم شؤون الحوزة أن يهيّئوا الأرضية اللازمة لجعل الطلاب على صلة وثيقة بمجريات الأمور في العالم. ولا ينبغي أن ينزوي الطلبة بعيداً عن التطوّرات، والوقائع، والمواضيع العلمية، والنظريات، والاكتشافات الجديدة في مجال الطبيعية والعلوم على الأخص؛ حيث إنّ معرفة الموضوعات ركن مهم في إصدار الحكم والفتوى»[2].

وهذا ما يدعو إلى التأكيد على التواصل التام مع مجريات الأمور، وتطوّر الأفكار والنظريات في العالم من قبل الحوزة العلمية؛ وذلك من أجل الوقوف على الحاجات الفعلية للمجتمعات من

---

(١) من خطاب ألقي بمناسبة بدء العام الدراسي في الحوزة العلمية، بتاريخ ١٢ ربيع الأول ١٤١٢هـ.

(٢) المصدر السابق.

جهة، وبهدف معرفة المستجدات في حقول مختلفة من جهةٍ أخرى: «**فلا بد لنا من النظر إلى العالم حولنا وما تحتاج إليه البشرية، ولا بد لنا من الوقوف على ما يستجد من أفكار ونظريات وآراء وقضايا في كل يوم وآخر، بل بين الفينة والأخرى، مما يتعلّق بشؤون الحوزات العلمية، ليس ما يتعلّق بالحوزات العلمية بشكل مباشر، بل ما يتعلق بالأمور ذات الصلة المباشرة بالحوزات العلمية بشكل خاص**»[١].

كل ذلك بهدف أن لا يعيش الحَوْزَوي خارج دائرة التاريخ، وأن يتفاعل مع مجريات الأمور، ويبُلور موقف الدين والحوزة تجاه قضايا الحياة المعاصرة.

١٣- العمل الفريقي (الجماعي):

من المشاكل التي تعاني منها الحوزات العلمية هي سيادة العمل الفردي، وعدم التواصل والتكامل بين الأفكار والتوجّهات والاجتهادات المختلفة، وهذا ما يؤدّي إلى عدم الاستفادة من الخبرات الموجودة لدى الآخرين. من هنا، يبدو أنّ الحلّ يكمن في السعي لإشاعة ثقافة العمل الفريقي (الجماعي) في الحوزات لكي تتم الاستفادة من أكبر عدد ممكن من الطاقات العلمية والفكرية، لإنجاز مشروع عمل معيّن، سواء كان إنجاز دراسة، أم تدريساً أو أي عمل آخر يتطلب تكافؤ الأفكار والجهود المختلفة:

«**إنّ أعمالنا ليست جماعية، إنني قلت ذات مرة : إنّنا في هذا الجانب مثل أبي ذر** عليه السلام **الذي ورد فيه أنّه «عاش وحده ومات وحده»**. نتعلّم وحدنا، ونطالع وحدنا. فإن المباحثة وإن كانت قائمة بين شخصين، إلّا أنها عمل فردي، لعدم توفّر عنصر التبادل الفكري. بمعنى أنّ «**زيداً**» يقرأ الدرس في يوم ويكون «**عمرو**» تلميذه ويستمع إليه.

---

(١) المصدر السابق.

وغداً يتولى القراءة «**عمرو**» ويستمع إليه «**زيد**». إنّ العمل عمل فردي.

في حين أنّ العمل الجماعي (الفريقي) يتطلّب تكافؤاً للجهود كما يتطلب آليات ملائمة للعمل، إنه عمل جديد في عصرنا...»[1].

ولا نستطيع أن نواكب التطوير والإصلاح إلاّ من خلال العمل الجماعي، إذ التواصل والاحتكاك الفكري هو الذي يولِّد افكاراً وطاقات جديدة في الحوزة العلمية.

١٤- التخصّص في مجالات العلوم الإسلامية:

إنّ ما يسود في الحوزات العلمية هو التوجه الموسوعي في حقول العلوم الإسلامية. بمعنى أنّ طالب العلوم الدينية يسعى لكسب أكبر قدر ممكن من المعلومات في مجالات شتى، وهذا ما يؤدي في الغالب إلى ما يقال من «**أنه يعلم كل شيء ولا يعلم أي شيء**». ويكمن الحل في اعتماد التخصّصات المختلفة في مجالات العلوم الإسلامية بهدف إشباع المطالب العلمية، وإثراء المضامين والاهتمام بالمناهج، والخصائص التفصيلية للعلوم والمعارف، وعليه:

«**يجب على الحوزة العلمية أن تتجه نحو التخصّص، ولحسن الحظ هناك الآن خطوات أولية في هذا المجال، ولكن يجب بذل جهود أكثر.. يجب أن يحمل التخصّص محمل الجدية أكثر لما في العلوم الإسلامية من سعة وشمول، يجب التخصّص حتى في الفقاهة، والمعاملات والعبادات، وإن كانت هذه الموضوعات مرتبطة مع بعضها. ولكن في الوقت نفسه لكل منها باب مستقل، ويمكن أن يكون لكل باب منها متخصّص**»[2].

---

(١) من خطاب ألقي في التجمع الطلابي في مدرسة الفيضية، بتاريخ ١/١٢/١٣٧٠هـ.ش.

(٢) من خطاب ألقي بتاريخ١٢/ربيع الأول/ ١٤١٢هـ.

المبحث الثاني: المعالم العامة للحوزة العلمية

إن الحوزة العلمية النموذجية حسب الإمام الخامنئي، ينبغي أن تستند في عملها إلى الأرض، وفي إدارة العملية التعليمية والتربوية، وفي مجال التحقيق، والدراسات وغيرها، إلى المبادئ العامة التي سبق الكلام عنها في البحث السابق.

وانطلاقاً من تلك المبادئ والأسس العامة، نستعرض بعض جوانب فكر الإمام الخامنئي في تفاصيل العملية التربوية والتعليمية في الحوزة، وذلك ضمن المطالب التالية؛ حيث نتحدث عن:

أولاً: السياسات العامة التربوية - التعليمية التي ينبغي أن تحكم المنهاج الدراسي بشكل عام.

ثانياً: الخطة التعليمية والتربوية ودورها في العمل الميداني (المنهاج التعليمي)، كما نلقي الضوء على مجالات الدراسة في العلوم الإسلامية.

وثالثاً: الكتب الدراسية في الحوزة العلمية(المقرّرات الدراسية).

ورابعاً: الأساتذة والمدرسين للعلوم الإسلامية(الهيئة التعليمية).

وخامساً: الامتحانات الحَوْزَوية(عملية التقييم)؛ ونختم بها بحثنا.

١ - السياسات التربوية العامة

تحتاج الأساليب التربوية-التعليمية في الحوزة العلمية إلى إعادة بناء وتأسيس. ولا تستطيع الحوزة من دون ذلك أن تعالج الإشكاليات الداخلية فيها، كما لا تستطيع أن تلبي حاجات مخاطبيها. ونشير إلى بعض الاقتراحات في هذا المجال:

١- ١- تنظيم العملية التربوية-التعليمية:

الحوزة العلمية كانت ولا تزال -في الغالب- تتّبع تقليداً متوارثاً في مجال التعليم والتربية، من دون اعتماد أسس علمية ومباحث استدلالية تؤكد أو تنفي توجهاً تربوياً-تعليمياً في المراحل الدراسية من المقدمات إلى الخارج[١]، سواء على مستوى المواد الدراسية، أم على مستوى مقرراتها، أو الأساليب والوسائل التعليمية.

(١) وهذا لا يعني إنكار بعض الخصائص الإيجابية للحوزة تاريخياً مثل سيادة العلاقات الأخلاقية-الإيمانية بين المدرّسين والمتعلمين، وحرية انتخاب المدرّس من قبل الطلاب، ووجود الدوافع الراسخة لدى شرائح من المتعلمين، وبعض التقاليد الإيجابية كالمباحثة والمطالعة المسبقة للدروس وما إلى ذلك من إيجابيات.

وكانت سنّة السلف الصالح هي الركيزة الأساسية المعتمدة في مجال التربية والتعليم[1].

وهذه الطريقة من التعاطي مع العملية التربوية-التعليمية كانت ولا تزال تؤدي إلى هدر الأوقات والإمكانيات والطاقات؛ حيث ينتسب إلى الحوزة العلمية آلاف الطلاب ولا يتخرَّج إلّا فئة قليلة تملك القدرات اللازمة في مجال ممارسة التعليم، أو التبليغ، أو البحث والكتابة أو الاجتهاد. هذه الطريقة وإن تم تكريسها من خلال عصور تاريخية متتالية، إلّا أنها غير مجدية ولا يعترف بها أي نظام تربوي-تعليمي مدروس:

«تحتاج الحوزة العلمية إلى وجود نظام تعليمي-تربوي يحول دون هدر الأوقات؛ إذ لا يجوز في عصرنا أن نسمح بإضاعة يوم أو ساعة من عمر شاب ملتزم نذر نفسه في سبيل الإسلام... إنّ على الحوزة العلمية أن تبرمج لأوقات هؤلاء، حتى يستفيدوا من أوقاتهم بأحسن وجه، وأن يتحولوا إلى رصيد للنظام الإسلامي؛ بحيث يساهمون في تحقيق الأهداف المتوخّاة من الدراسة؛ أي نشر الإسلام وترويجه والتعريف به. وهذا يلزمه نظام تعليمي دقيق ولا يمكن تحقيقه من دون نظام. ولا ينبغي أن نترك مجموعة كبيرة تبلغ عشرين ألفاً من الطلاب من دون أن نعرف ماذا يتعلمون، وكيف يتعلمون، وما هو هدفهم وما هو مستواهم التعليمي...»[2].

---

(١) هذا ما يعبّر عنه السيد محمد باقر الصدر بـ **«النزعة الاستصحابية»** قائلاً: «الاستصحاب الذي قرأناه في علم الأصول طبّقناه على أساليب العمل، وعلى حياتنا، فكنّا نتجه دائماً إلى ما كان، ولا نفكّر أبداً في أنه هل بالإمكان أن يكون أفضل مما كان؟!». المحنة، طبعة قم، ص ٦٧-٩٧ (بتصّرف).

(٢) من خطاب له خلال لقائه بممثلي طلاب الحوزة العلمية في قم، بتاريخ ٤/ ١١/ ١٣٦٩هـ.ش.

١-٢- الاختصاص في الحقوق الدراسية:

إن النظام الدراسي السائد في الحوزة العلمية هو نظام الحقل الواحد، ويحكمه برنامج تقليدي لتربية الفقيه والمجتهد فقط، إلاّ أنه -انطلاقاً من الحاجات واختلاف الاتجاهات والرغبات لدى طلاب العلوم والمعارف الدينية- يجب أن لا نقتصر على هذا الهدف، بل ينبغي -ضمن الاهتمام الكافي بحقل الفقه- أن نوجد حقولاً دراسية أخرى؛ كي نستطيع من خلالها تلبية حاجات المجتمع:

«**لابد أن تكون مؤسسات الحوزة ونظامها الدراسي مبنية على التخطيط والاستشراف المستقبلي المسبق. ولابد من تصنيف الطلاب؛ حتى لا يُختَصر عالم الدين بالفقيه القادر على ممارسة عملية الاستنباط؛ حيث لا يبلغ البعض إلى هذه المرحلة أصلاً لعدم توافر القدرات اللازمة لديهم. كما أن بعض الطلاب لا يرغب في ذلك، بل يرغب أن يصبح مبلّغاً قديراً وعالماً.**

وهناك أفراد لا يستطيعون ممارسة التحقيق والبحث في الفقه، ولكن يستطيعون القيام بالبحث في مجال علوم القرآن، والحديث. وهناك أفراد ينحصر اهتمامهم بالتبليغ في خارج البلد... وعليه، فالقدرات مختلفة، ولا يريد الجميع أن يصبحوا فقهاء ومجتهدين، كما أن ليس لدى الجميع القدرة على تحمّل صعوبة البحث والتحقيق في المسائل الفقهية. وهذا يتطلب تصنيف الطلاب وتوسيع الحقول الدراسية، وفتح الصفوف والمدارس المختلفة ببرنامج مختلف، وهذا هو التنظيم الذي نحتاج إليه في الحوزة...»[١].

---

(١) من خطاب له خلال لقائه بعلماء وطلاب الحوزة العلمية في مشهد، بتاريخ ١٠/٦/١٣٦٧هـ.ش.

١-٣- إضافة مواد دراسية جديدة:

إن الموضوعات والمواد الدراسية في الحوزة العلمية في تناقص مستمر، بدل أن يزداد عددها، في حين أننا نجد توالد معارف ومعلومات عامة، وتخصصية مرتبطة بمجالات المعارف الحَوْزَوية في موضوعات عدة، بعضها في عداد الضروريات وبعضها في عداد الأوليات المؤكدة.

ولكن النظام السائد في الحوزة تعاطى مع تلك المعارف بسلبية واحتقار، واعتبرها مخلّة بالعمل الدراسي في الحوزة فتنصّل منها. ومن النماذج في هذا المجال هي اللغة الأجنبية التي لم يتم التعاطي معها بإيجابية:

«عندما نقصّر وقت العملية التعليمية يبقى عند الطالب ما يسمح له بتعلم أمور أخرى، وأما الآن فإذا طلبنا من الطالب الحَوْزَوي أن يتعلَّم لغة أجنبية في هذا الزمن المفتوح على العلم واكتساب المعارف، فسوف يقال: لا وقت عند الطالب. وحقاً يقال؛ حيث إن الطالب لا يملك من الوقت ما يكفيه في ظل هذه الوضعية السائدة. ولكن لو اقتصدنا في الوقت سوف يبقى عند الطالب ما يكفيه من الوقت لتعلم اللغة الأجنبية»[١].

ولا تنحصر المعارف الجديدة التي نحتاج إليها في الحوزة العلمية باللغة الأجنبية؛ حيث إن الطالب يحتاج في دائرة الفقه - نفسه- إلى معارف تمنحه الحصانة العلمية والدينية من جهة، وتعينه على حسن إدارة الحياة الاجتماعية من جهة أخرى.

والمعارف السائدة في الحوزة لا تستطيع أن تؤمِّن تلك الآفاق. إنَّها قادرة فقط على تنمية القدرات الفقهية، ولكنها عاجزة عن تنمية

---

(١) من كلمة له في فضلاء حوزة قم، في ١٤/ ٩/ ١٣٧٤هـ.ش.

الحالة الإيمانية في الفرد وفي المجتمع. وهذا هو التحدي الكبير الذي تواجهه الحوزة. وهناك مجالات كثيرة أصبحت مهملة أو مستبعدة من الاهتمام الحَوْزَوي المباشر مثل العلوم والمعارف ذات العلاقة بالكتاب والسنة والعقيدة. وهذا ما يؤدي إلى الخلل بين ما تنتجه الحوزة وبين متطلبات المجتمع وحاجاته:

«هناك مجموعة من العلوم الإنسانية وغيرها لها تأثير مباشر على عملية الاستنباط وتنقيح الموضوعات الفقهية، ولابد للفقيه من الاهتمام بها، كما لابد من أن يحيط بجميع أدوات الاستنباط الصحيحة -التي منها المعرفة الدقيقة بالموضوعات- ومن البديهي أن المعرفة الصحيحة للموضوع لها أثر ملحوظ في المعرفة الصحيحة بالأحكام الإلهية»[1].

هذا ما يرتبط بالفقه وعملية الاستنباط، كما أن هناك علوماً أخرى تتصل بشكل مباشر باهتمامات الحوزة، وتأمين أهدافها وتعتبر من المعارف الأصلية، ولابد من توسيعها وتعميقها في الدروس الحَوْزَوية مثل المعارف القرآنية، وفقه الحديث، والفلسفة والكلام وغيرها:

«إن العلوم الإسلامية كالتفسير، والحديث، والفلسفة، والكلام، والرجال، وغيرها، لابد من الاهتمام التام بها وإدخالها ضمن البرنامج الأساسي للحوزة العلمية. كما أن على الحوزة العلمية أن تقوم بتأسيس حقول تخصصية في هذه المجالات كي لا تعيش المعارف والعلوم ذات المنشأ الحَوْزَوي الغربة في مهدها، ومن ثم تمدّ الحوزة يد العون إلى غيرها في تلك المعارف...»[2].

---

(١) من نداء له إلى جامعة المدرسين في الحوزة العلمية-قم، بتاريخ ٢٤/٨/١٣٧١هـ.ش.

(٢) المصدر السابق.

١-٤- السرعة والإتقان معاً:

لا بد من أن يتسم برنامج الحوزة بالدقة والإتقان والسرعة كي لا يؤدي إلى حجز الطالب في مرحلة المقدمات لمدة طويلة، وأن لا يستهلك كل طاقاته في هذه المرحلة. وهذا ما يستلزم التقيّد بمجموعة من الاعتبارات:

أ- حذف الموضوعات الزائدة:

ينبغي إعادة النظر الكامل في المواد الدراسية، وأن يصار إلى حذف الموضوعات التي لا ترتبط بالأهداف الأساسية للمادة. والانطلاق من هذا الاعتبار يساعدنا في إعادة النظر في الكتب والمقررات الدراسية، ونستطيع من خلاله أن نحافظ على الموضوعات الأساسية والاستغناء عن الزوائد والهوامش:

«**ما هي الضرورة التي تدعو إلى دراسة كتاب «ابن هشام»**؟ وما هي خصائصه؟ وكما هو معروف، فإنّ كتاب «**المغني**» يتناول النحو بمرحلة الخارج (التخصّص)، ويتضمن مباحث تفصيلية مثل: كون «**الواو**» بهذا المعنى أو ذاك أم لا؟ ثم يسرد أدلة المثبتين والنافين وهكذا. نحن لا نحتاج في دراسة النحو إلى هذه المباحث التفصيلية، ما نحتاجه هو أن نعرف أن «**الواو**» بأي معنى تستعمل»[١].

ب- التسريع في إنجاز المقدمات:

ينبغي الفصل بين الدروس الأساسية والعامة والمقدمات في البرنامج الدراسي. لا أن ننظر إلى المقدمات كما ننظر إلى الدروس الأساسية. فلا يجب التدقيق والبحث التفصيلي والإطالة في الدروس

---

(١) من كلمة له خلال لقائه بجمع من فضلاء ونخب الحوزة العلمية في قم، بتاريخ ١٤/ ٩/ ١٣٧٤هـ.ش.

المقدمية. لكن ما يحصل في الحوزة العلمية هو الخلط بين الدروس المقدّمية والدروس الأساسية، فينظر إليهما بمنظار واحد، ويؤدي ذلك إلى ضياع الأوقات، وتلفها:

«إنني أوصي الإخوة المعنيين ببرنامج هذه المدرسة ومثيلاتها أن يوصلوا الطلاب من الإخوة والأخوات إلى مستوى ذي المقدمات - في الفقه والمعارف الإسلامية- بمعنى أنه ينبغي أن لا يتوقفوا كثيراً في مرحلة المقدمات. إضافة إلى توصيتي السابقة بأن تكون العملية التعليمية متقنة ومحكمة، وذلك ضمن الابتعاد عن المنهج القديم المعمول به في المدارس المبني على إطالة المقدمات. وينبغي عدّ هذا الأمر من العناصر الأساسية للعمل التعليمي»(١).

ج- الاستعانة بالوسائل والمناهج الجديدة:

إن الأساليب والوسائل التعليمية وإمكاناتها في تطور مستمر. وقد وفّر تقدم العلوم، والفنون، والخبرات الإنسانية إمكانيات كبيرة لجهة تحقيق نتائج كبيرة في وقتٍ قصير.

ولكن الحوزة العلمية لا تستفيد، بشكل مناسب، من تلك الأساليب والوسائل، بل لا يستفاد في الغالب حتى من الوسائل البصرية في العملية التعليمية، مع ما لها من دورٍ كبير في تسريع تلك العملية. حتى أنها احتفظت بأساليب ووسائل تقليدية قديمة في مجالي التربية والتعليم.

فمثلاً، للحاسوب الدور الكبير في عصرنا في مجال العملية التعليمية، ويشير السيد الخامنئي إلى ذلك بقوله:

«عندما نقوم ببعض الأعمال الابتدائية في بعض المجالات

---

(١) من كلمة له خلال لقائه بطالبات مدرسة مسجد سليمان العلمية، بتاريخ ٤/٦/ ١٣٦١ هـ.ش.

ينتابني، في وقت واحد شعوران متناقضان: أشعر بالسرور للشروع في هذا العمل، ويخيم الحزن على قلبي من جهة أخرى، عندما أقارن بين ما نحن عليه وبين ما وصل إليه العالم في هذا العصر في مجال الاستفادة من الكومبيوتر؛ حيث أرى أنهم وصلوا إلى مراحل عالية في هذا الميدان ومازلنا نحن في بدايات الطريق، وهذا سبب حزني العميق؛ لأننا التفتنا متأخرين إلى هذا الأمر وبدأنا به متأخرين أيضاً»[1].

١- ٥- التوجّه التربوي - التعليمي:

ينبغي أن يصاغ النظام التعليمي في الحوزة على ضوء حاجات المجتمع ومشاكله، وذلك على مستوى المسائل والأبحاث العلمية، وحقول الدراسة، وتوزيع الطلاب على تلك الحقول. ولكن -مع الأسف- نلاحظ أن الأمور في الحوزة تجري على خلاف هذه السيرة؛ بحيث نشاهد هوَّة كبيرة بين أبحاث الحوزة ودروسها وبين حاجات المجتمع:

«... هذا ما يقتضيه المنهج الجديد في التحصيل العلمي، ونحن نعتقد أن على الحوزة العلمية أن تؤدي عملين:

الأول: الالتزام بالسنن الحَوْزَوية القيمة.

الثاني: التفكير في أسلوب جديد للتحصيل العلمي يتناسب مع تلك السنن المشار إليها.

ولكن ما هو هذا الأسلوب؟ وما هي طبيعته؟ المميز الأول لهذا الأسلوب هو أن يتوجه الدرس والتحصيل العلمي على ضوء حاجات المجتمع الإسلامي، ليس في إيران فقط، بل في العالم بأكمله.

---

(١) من كلمةٍ له أثناء زيارته لمركز البحوث الكومبيوترية، ١٤/ ١٠/ ١٣٧١هـ.ش.

وأما ما هو سائد في الحوزة فمختلف تماماً، عندما تختارون دروسكم في الحوزة -على الأقل في مرحلة ما بعد السطوح- تجرّبون مجموعة من المدرسين، هذا يدرِّس باب الإجارة، وذاك باب التجارة والمكاسب، وثالث باب النكاح، ورابع باب الصلاة، وخامس باب الزكاة، وفي النهاية تختارون أحد هذه الدروس وتلتزمون بها. فلو سئلتم لماذا اخترتم الدرس الفلاني، فالجواب عادة يكون: لأن المدرّس الفلاني حسن الأخلاق وعالم محقق وهكذا... والحال أن اختيار الدرس يجب أن يكون بدوافع الحاجة الاجتماعية، إذاً، لا الأستاذ ولا الطالب يصوِّبون اختياراتهم على أساس الحاجات، بينما يجب أن تكون هي المعيار في اختيار الموضوعات للمدرّس والطالب على حد سواء»[١].

كما أن وجود الدولة الإسلامية بدوره يلقي على عاتق الحوزة بعض المسؤوليات أيضاً؛ حيث تستطيع أن تؤِّمن عبر تخطيط مناهجها الدراسية، احتياجات النظام الإسلامي كبحث الإشكاليات التي تواجه الحكومة الإسلامية، وطرحها في صلب المقررات الدراسية، وثانياً تربية الكوادر الذين تحتاجهم الدولة في مواقع متعددة:

«هذا النظام وهذه الحكومة الإلهية تحتاج إلى المعارف والمقررات الإسلامية للعمل بها... ومن جهة أخرى تحتاج إلى أشخاص مؤهلين لإدارة بعض الأمور. على الحوزة أن تربيهم لتحقيق هذه الغايات»[٢].

---

(١) من كلمة له في مجموعة من طلاب مدرسة الشهيد مطهري العالية، ٣/٩/ ١٣٦٢هـ.ش.

(٢) من كلمة له عند شروع درس الخارج، ١٤/٦/١٣٧٤هـ.ش.

١- ٦- إعادة النظر في الكتب الدراسية:

التقليد والجمود الغالب على الكتب الدراسية القديمة واحدة من المشاكل الأساسية في النظام التعليمي للحوزة، هذا رغم أن نقد هذه الكتب ليس جديداً وطارئاً عليها. وقد خطا بعض العلماء كالشهيد الصدر، والشيخ المظفر وغيرهم خطوات مهمة في مجال تجديد المناهج والمقررات الدراسية، إلّا أن هذه الجهود لم تؤدِ إلى حل المشكلة، وما زال الإصلاح يواجَه بمجموعة من المعيقات.

أ- يعتقد بعض الحَوْزَويين أن هذه الكتب قد أظهرت نجاحاً؛ حيث تخرّج علماء كبار بعد دراستهم لها؛ ولذلك لا يجوز استبدالها بكتب أخرى تحتاج إلى وقت طويل حتى تثبت جدارتها أو يثبت عدم جدوى دراستها.

ولكن أصحاب هذا المعتقد لا ينظرون إلى الإمكانيات التي تُهدر، والعدد الكبير من الطلاب الذين لا يصلون إلى ما يمكن أن يصلوا إليه لو تبدلت هذه الكتب، وينظرون إلى العلماء الكبار الذين وصلوا إلى الغايات التي كانوا يَبْتَغون أو تُبتَغى لهم، وكأن السبب الوحيد لظهور هؤلاء ووصولهم هو هذه الكتب دون غيرها من الأسباب والعوامل المساعدة الأخرى. ثم ألم يبلغ القدماء مراتب عالية من سلّم التطور العلمي قبل أن تظهر الكتب الدراسية الرائجة الآن إلى ساحة الوجود؟!

يقول السيد القائد مشيراً إلى هذه الفكرة:

«الكتب الدراسية واحدة من مشكلات الحوزة العلمية في قم وغيرها، فعندما نتحدث عن تجديد هذه الكتب واستبدالها بغيرها يقال مباشرة: إن العالم الفلاني والمحقق الفلاني درس هذه الكتب وتربى عليها. والثوريون منهم يقولون: إن الإمام الخميني قد قرأ هذه

الدروس وبذلك وصل إلى ما وصل إليه! ولكن هل وصل الإمام إلى هذا المستوى، بهذه الكتب وحدها؟ ليس الأمر كذلك، لقد كان الإمام(ره) جوهراً خاصاً، ليست عظمة الإمام(ره) ناشئة من دراسته في هذه الكتب، ثم إنه لابد من الالتفات إلى أنه يفصلنا عن ذلك الزمان ما يقرب من ستين إلى سبعين سنة»[1].

ب- يقع بعض الحَوْزَويين تحت التأثير الآسر والساحر للعلماء الذين دوَّنوا هذه الكتب المتداولة في الحوزات العلمية؛ ويظنون أنه لا يمكن العثور على عالم بمستوى أولئك العلماء ولا تأليف بمستوى ما كتبوه ليُتَّخذ مقرراً دراسياً:

«**يقولون: إننا لسنا الشهيد الثاني ولا نستطيع أن نكون. أولاً: إن عدداً كبيراً من فقهائنا المعاصرين فاقوا المتقدمين منهم. ولا أريد أن أقول: إن المستوى العلمي للمعاصرين أعلى من المتقدمين، فربما لو كان الجميع في عصر واحد لبرز المتقدمون، ولكن أقصد أن معارف المعاصرين أوسع وأشمل**»(٢).

ج- تعتقد مجموعة أخرى من الحَوْزَويين أن العبارات المعقدة، وحل الألغاز والأحاجي. ينمّي قدرات الطالب، ويمنحه اجتهاداً صافياً، ولا يحتاج إبطال هذه النظرية إلّا إلى التأمل في المناهج الجديدة للتعليم؛ حيث يُسعى لبيان أعقد المطالب والمفاهيم بأبسط الوسائل. ولا ينبغي أن يبقى التعليم الديني بمنأى عن هذه الطريقة؛ لكونه خاضعاً لأسس التعليم والتعلم نفسها، فالسهولة والبساطة عماد أساس لهذه العملية:

«**في هذا العصر يتدرب المعلِّمون على بيان أعقد المباحث بأبسط الوسائل والقواعد** [Formulas] ؛ ليفهم السامع بكلمة واحدة

(١) من كلمة له عند لقائه مع مجموعة من علماء حوزة قم ومدرسيها، ٣٠/١١/ ١٣٧٠هـ.ش.

عشرات الكلمات، أما نحن فنختار أعقد العبارات لبيان مقاصدنا والتعبير عن أفكارنا، فلو أتى أحد العلماء ودوَّن كتاباً مختصراً وحديثاً يشرح فيه ما شرحه صاحب **«المعالم»**(ره) بأسلوب أسهل وأبسط، لاشك في رجحان كفة هذا الكتاب الجدي على كتاب المعالم»[1].

د- يرجع تمسك بعض المدافعين عن الكتب الرائجة في الحوزة العلمية إلى كونهم دَرَسُوها ودرَّسوها لمرات متعددة، وحصل بينهم وبينها أنس روحي؛ بحيث صاروا يشعرون وكأنَّها وحي منزل، وكأن تغييرها يمثل عندهم تحريفاً لكتاب سماوي. ولكن بملاحظة سريعةٍ لهذه الكتب نجد أنها لم تكن بمستوى واحد، علماً أن تغييرات عدة تعرضت لها النصوص الدراسية في القرون الأخيرة، بل في النصف الأول من هذا القرن، وتبدلت بعض الكتب التي كانت تدرس، وقد أدرك بعض المعاصرين هذا التغيير وربما عايشوه:

«ليست هذه الكتب منزلة من السماء. لقد كان الطلاب يدرسون في كتب أخرى، أَوَ هَل يُعدّ كتاب «الرياض» كتاباً سيئاً؟ لقد كان كتاباً دراسياً في الحوزة العلمية- ولم يكن ذلك في زماننا بل في زمان آبائنا- لقد كان العرف الحَوْزَوي يقضي بدراسة كتاب الرياض بمجلديه، فهل ندرسه نحن الآن أيضاً؟! وكذلك كانت تدرس كتب أخرى كالقوانين والفصول في الحوزة. وأما الآن فقد هُجِرت هذه الكتب وأُخرِجت من دائرة مقررات الحوزة الدراسية. ما المانع من ذلك؟»[2].

هـ- يعتقد بعض الناس أن تغيير الكتب الدراسية القديمة يؤدي

---

(١) المرجع نفسه.

(٢) من كلمة له في مجموعة من فضلاء حوزة قم، ١٤/ ٩/ ١٣٧٤هـ.ش.

إلى نوع من السطحية في فهم الطلّاب؛ ولذلك يخالفون تغييرها:

«قال لي أحد الأصدقاء الذي أُجِلُّ ذكراهم: ينبغي أن لا ننتِج طلاباً من البلاستيك [كناية عن عدم المتانة (المترجم)]. على الطالب أن يدرس المطوَّل والمعالم والقوانين و... من الأول إلى الآخر. وأنا لا أقول: إننا نريد طلاباً بلاستيكيين، بل أدعي أنه في عالمنا اليوم يستطيعون صنع صفيحة أرق من الورق من معدن أصلب من الحديد»[1].

بالتأمل في مجموعة الأدلة التي يسوقها المتمسكون بالكتب القديمة، لا نجد ما يصمد أمام النقد العلمي، ويدعو إلى الحفاظ على الوضع الراهن، ويسمح بإضاعة الفرص والإمكانيات وهدرها. من هنا، ندعو إلى تغيير دقيق وشامل للكتب والمقررات الدراسية في أسرع وقت ممكن، على ضوء الأصول والقواعد العامة للتعليم.

وقد أدلى الإمام الخامنئي بمجموعة من الإرشادات المهمة في هذا المجال:

«إن تغيير الكتب الدراسية واستبدالها بأخرى أحدث منها، ينبغي أن يتم بشكل منظّم يَحُوِل دون التسرع والوقوع في الخطأ»، ومن جهة أخرى يُوكِل سماحته هذا الأمر إلى إدارة الحوزة ويطالبها به منذ سنوات:

«هل يمكن أن نتصوَّر أن كوادر الحوزة العلمية بما يملكون من استعدادت كبيرة عاجزون عن استحداث كتب جديدة؟ هذا أمر غير معقول. ولكن من هي الجهة التي عليها أن تقوم بذلك؟ أعتقد أن هذه مسؤولية إدارة الحوزة»[2].

---

(١) من كلمة له في مجموعة من علماء حوزة قم ومدرسيها في ٣٠/١١/١٣٧٠هـ. ش.

(٢) المرجع نفسه.

هذا المشروع المهم والحياتي للحوزة العلمية هو عمل جمعي وفريقي؛ حيث إن العمل الفردي في هذا المجال سوف يكون ناقصاً بالتأكيد، لما يتصف به من دقَّة يصعب للفرد الواحد أن يقوم بها. ولابد من الاستفادة من خبراء في هذا الميدان، ولا يكفي الخبرة العلمية والتسلّط الكافي على الموضوعات العلمية نفسها:

«يجب تشكيل لجنة من فضلاء الحوزة العلمية لتقوم بتدوين كتاب فقهي استدلالي من الطهارة حتى الديات يقوم بدور كتاب «شرح اللمعة»... وكذلك تشكيل لجنة أخرى لتدوين كتاب يتضمن المباحث التي تجب دراستها بدل كتاب **«المكاسب»** للشيخ الأنصاري يخلو من التعقيدات التي تكثر في هذا الأخير»[١].

ويلاحظ في هذا النص تأكيد سماحته على العمل الجمعي، ويقول في مورد آخر:

«بالتأكيد، يوجد بعض الأفراد الذين أدلوا بدلوهم في هذا الميدان، كتبوا، وألّفوا، أو دَرَّسوا، مبحثاً جديداً، وأبدعوا مطلباً لم يُسبَقوا إليه، إلّا أن العمل الفردي، حتى ولو تحلّى بالإخلاص، لا يمكن أن يصل إلى مستوى العمل الجمعي»[٢].

يجب أن يقوم عماد عملية تغيير الكتب الدراسية على تقليل مدة التحصيل عند الطالب إلى الحد الأدنى؛ بحيث يدرس أكبرَ عددٍ ممكنٍ من الأفكار والمباحث في أقصر وقت:

«يجب تغيير الكتب الدراسية، على أن يُراعى في هذا الأمر الاقتصاد في وقت الطلاب. يدرس الطالب في الحوزة العلمية كتاب المغني (ويصرف وقتاً طويلاً لذلك) في حال أنه يمكنه درس

(١) من كلمة له في مجموعة من فضلاء حوزة قم، في ١٤/٩/١٣٧٤هـ.ش.
(٢) المرجع نفسه.

المطالب نفسها في كتاب آخر في وقت أقل إذا كانت لغة هذا الكتاب معاصرة. فهل في الأمر ما يدعو إلى قراءة كلمات ابن هشام بعينها؟»[1].

إن أهم ما يقدمه اقتصاد الوقت في عملية التحصيل العلمي أنه يفسح المجال للطالب ليصرف أوقاته في اكتساب علوم أخرى، ومعارف جديدة لم تكن تسمح له الطريقة المعمول بها، بالوصول إليها نظراً لضيق وقته.

«عندما نقصّر وقت العملية التعليمية يبقى عند الطالب ما يسمح له بتعلّم أمور أخرى، وأما الآن فإذا طلبنا من الطالب الحَوْزَوي أن يتعلَّم لغة أجنبية في هذا الزمن المفتوح على العلم واكتساب المعارف، فسوف يقال: لا وقت عند الطالب. وحقاً يقال؛ حيث إن الطالب لا يملك من الوقت ما يكفيه في ظل هذه الوضعية السائدة. ولكن لو اقتصدنا في الوقت سوف يبقى عند الطالب ما يكفيه من الوقت لتعلم اللغة الأجنبية»[2].

---

(١) من كلمة له في مجموعة من علماء حوزة قم ومدرسيها، في ٣٠/ ١١/ ١٣٧٠هـ.ش.

(٢) من كلمة له في جمع من فضلاء حوزة قم، في ١٤/ ٩/ ١٣٧٤هـ.ش.

٢- البرنامج الدراسي

تمهيد

ينبغي أن تكون الأهداف بأقسامها البعيدة والمتوسطة والقريبة، هي التي تحكم وضع البرنامج الدراسي، فإن كانت الأهداف البعيدة لمؤسسة تعليمية عريقة مثل الحوزة العلمية عبارة عن فهم الإسلام (أهدافاً، وأحكاماً، ومفاهيم)، وتنمية وإثراء الوعي الديني والمساهمة الجادة في مجال بناء الحضارة الإسلامية[١]، فإن الأهداف المتوسطة هي تربية المجتهدين والمدرّسين، والمحقّقين والباحثين في مجال الدراسات الاسلامية، إضافة إلى المبلّغين القادرين على حمل مسؤولية التبليغ والإرشاد الديني. أما الأهداف القريبة فتتمثّل في إنجاز وتطبيق مجموعة من المقررات الدراسية، والنشاطات التربوية التي تحمل في طياتها بلورة الأهداف البعيدة والمتوسطة في أمد زماني محدّد، وضمن آلية معيّنة.

ولتخطيط وإنجاز البرنامج، لابد من التقدير الدقيق للحاجات الفعلية، ومعرفة الطاقات والقدرات الإنسانية الموجودة، ومتطلّبات البيئة ومستلزماتها، وخصائصها الاجتماعية والثقافية، إضافةً إلى

---

(١) راجع: الإمام الخامنئي: الحوزة العلمية وآفاق الإصلاح والتجديد (مرفق)، كلمة عند اللقاء بطلاب الحوزة العلمية في مشهد، تاريخ ١٣٧٦/٤/٢٢ هـ . ش.

الإحاطة بالموانع والمعيقات في العمل والإجراء.

ثمّ إنّ **«الاجتهاد»** الذي يمثّل المستوى العالي والتخصّصي لتجسيد الفهم الديني الإسلامي، ليس هو الهدف الوحيد للحوزة العلمية، باعتبار أنّ العمل التعليمي والفكري لا ينحصر ببلوغ هذه المرحلة؛ وذلك لأسباب عدة، بعضها راجع إلى القدرات الشخصية للطلّاب، والبعض الأخر راجع إلى الحاجات الفعلية والميدانية للعالم الديني بمستوى أقل من الاجتهاد. كما أنّ العمل الاجتهادي لا ينحصر بالفقه، بل هناك مجالات أخرى في دائرة العلوم الإسلامية تحتاج إلى الاجتهاد والتحقيق والتأصيل، ولم تأخذ حقها من البحث والتحقيق، وعليه:

«نحن بحاجة إلى حوزويين في كافة المستويات، وبقدرات وتخصّصات متعدّدة. لدينا قابليات وقدرات مختلفة ومتعددة، وعلينا بالدرجة الأولى أن نقوم بدراسة هذه القابليات، وعلى ضوء ذلك تتحدّد الدروس وتُجزّأ المراحل والدورات.. إن الحوزة العلمية يراد لها أن تكون كالمعمل توفّر للمجتمع متطلباته، ومن خلال العمل الدؤوب والسعي المتواصل، تعمل وتزوّد المجتمع بمنتوجاتها التي هي عبارة عن مجموعات من المحققين، والمبلّغين، والمدرّسين، والمؤلّفين وغيرهم من المتخصّصين»[1].

٢-١- تخطيط البرنامج الدراسي:

إنّ تخطيط المنهاج والبرنامج الدراسي يتصّل بأمور عدّة:

أولاً: تقدير الحاجات العلمية المعرفية والقدرات اللازمة لمستوى معيّن.

---

(١) من كلمة له ألقيت بمناسبة بدء العام الدراسي في الحوزة العلمية، بتاريخ ٩ ربيع الثاني ١٤١٦هـ.

ثانياً: تحديد وتقدير حاجات المجتمع ومتطلباته نظراً إلى المستويات المطلوبة.

ثالثاً: تحديد حاجات ومواصفات الطلاب وقدراتهم الذاتية.

رابعاً: تحديد حاجات ومواصفات البيئة، الكادر التعليمي، والإدارة التعليمية وغيرها.

خامساً: المبادئ، والأصول، والقيم والاتجاهات السائدة في الفكر الإسلامي.

ومن خلال تحديد هذه العوامل يمكن الوصول إلى تقدير صحيح للإمكانيات اللازمة للقيام بهذا العمل.

«الأمر الأساس المطروح دائماً بالنسبة لنا، هو: ما هي الوجهة العلمية التي ينبغي للطلّاب والعلماء أن يتخذوها في تحصيلهم العلمي؟ وهذا الأمر مطروح منذ قديم الأيام ولسنا نحن أول من طرحه في ظلّ الجمهورية الإسلامية. بل هو تساؤل قديم، هل يكتفي الطالب بدراسة الفقه والأصول، أم لا بد من وجود شيء إلى جانبهما؟»[1].

إن تحديد الاتجاه وأخذ الموقف الملائم يرتبط بالخطوات الآنفة الذكر؛ حيث نستطيع أن نختار اتجاهاً معيّناً في العملية التعليمية بعد اجتياز المراحل السابقة، وتحديد دقيق للحاجات والأهداف على ضوء الأسس والاعتبارات المعتمدة.

٢-٢- مجالات الدراسة في العلوم الإسلامية:

تشمل **«الدراسات الإسلامية»** اليوم مجالاً واسعاً من المعارف والعلوم على المستوى الكمّي والنوعي، من الدراسات التي تتناول

(١) المصدر السابق.

النصوص الدينية الأساسية، أي الكتاب والسنة والمعارف المرتبطة بهما، مثل علوم القرآن والتفسير، وعلوم الحديث والدراسات الكلامية والفلسفية، والفقه والأصول وغيرها.

على أنّ «**علم الفقه**» يمثّل المحور الأساس للدراسات الحَوْزَوية، وتمَّ التركيز عليه تاريخياً من جهة الكم والنوع والعمق، بحيث أصبح الدرس الحَوْزَوي يساوي الدرس الفقهي، وتحوّل الفقه إلى الدرس الأساس في الحوزة: «**إنّ الفقه الذي هو بمعنى استنباط الأحكام الفرعية من الأدلة التفصيلية هو أساس الحوزات العلمية**»[1]. ونتيجة ذلك تحولت «**الفقاهة**»، أي «**طريقة ردّ الفروع إلى الأصول والاستنباط من الأصول ومن الأسس التي هي الكتاب، والسنة، والإجماع والعقل..**»[2] إلى الهدف الأسمى للحوزوي.

وفيما يلي نعرض للمواد التي ينبغي دراستها والاهتمام بها تحقيقاً، وبحثاً واستثماراً، في الحوزة العلمية:

٢-٢-١- الدراسات القرآنية:

إنّ الحوزة العلمية، ونتيجة ظروف وملابسات معيّنة وسيادة توجّه خاص، ابتعدت تاريخياً عن الاهتمام الكبير بالقرآن والدراسات القرآنية، وهذا البعد عن القرآن وعلومه ترك آثاراً سلبية جمّة على مجمل مجريات العمل الدراسي والتدريسي فيها، سواء على مستوى الرؤية الكونية أم لجهة أمور متصلة بالعمل اليومي والممارسة الفعلية:

«**إنّ الانزواء عن القرآن الذي حصل في الحوزات العلمية وعدم استئناسنا به، أدّى إلى إيجاد مشكلات كثيرة في الحاضر والمستقبل،**

---

(١) من خطاب ألقي بتاريخ ١٢ ربيع الأول ١٤١٢هـ.

(٢) نفس المصدر.

وكذلك، فإنّ البعد عن القرآن يؤدي إلى وقوعنا في قصر النظر»[1].

وهذا ممّا يدعو إلى الاستغراب أن طالب العلوم الدينية من الممكن أن يصبح عالماً ومجتهداً في مجال الإسلام، والفكر والفقه الإسلاميين، بمعزل عن القرآن الكريم «**كتاب الوحي**»:

«مما يؤسف له أن بإمكاننا بدء الدراسة ومواصلتها إلى حين استلام إجازة الاجتهاد من دون أن نراجع القرآن ولو مرة واحدة..لماذا هكذا؟ لأن دروسنا لا تعتمد على القرآن، وقد ترد في الفقه بعض الآيات القرآنية ولكن لا تدرس، ولا تبحث بشكل مستفيض كما يجري في الروايات»[2].

إنّ الأمر لم يقتصر في الحوزة العلمية على هذا الحد، بل تجاوز ذلك، وأصبح الاهتمام بمجالات الدراسة القرآنية مدعاة للاستهزاء عند بعض دعاة العلم، القائلين بأن العلم كل العلم، ينحصر بدائرة الأبحاث الأصولية والفقهية، وهذا ما دعا إلى توجيه سهام التجريح إلى المنشغلين بالقرآن والعلوم القرآنية، واصفين هذه العلوم بالمسائل الجانبية التي يمكن تحصيلها لكل قادر على ضبط بعض مصطلحات الأصول وشذرات من هنا وهناك:

«إذا ما أراد شخص كسب أي مقام علمي في الحوزة العلمية كان عليه أن لا يفسّر القرآن حتى لا يُتّهم بالجهل...حيث كان ينظر إلى العالم المفسّر الذي يستفيد الناس من تفسيره على أنّه جاهل ولا وزن له علمياً؛ لذا يُضطر إلى ترك درسه.. ألا تعتبرون ذلك كارثة؟!»[3].

من هنا، فإنَّ الحلَّ يكمن في إعادة الأمور إلى مجاريها

---

(١) نفس المصدر.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

الصحيحة، وبناء العلوم الإسلامية على محورية **«الكتاب والسنّة»، لا** أن تتحوّل المعارف المؤسّسة على هامش الكتاب والسنة إلى معارف محورية، وتتحول دراسة الكتاب والسنة إلى دراسات فرعية. هذا نقضٌ للغرض، وهو أنّ الأصول، والفقاهة، والمنطق، وعلوم العربية، وغيرها هي من أجل فهم الكتاب والسنّة لا العكس:

«فيجب أن لا نغفل عن القرآن، وعن علوم القرآن، وعن فهم القرآن، والأنس به، ويجب أن يكون القرآن جزءاً من دروسنا في الحوزات العلمية، وعلى طلابنا حفظ القرآن أو جزء منه على الأقل»[١].

٢-٢-٢- علوم الحديث:

تدور العلوم والمعارف الإسلامية - كما أشرنا - حول محور **«الكتاب والسنّة»**، حيث يُعتبران المنطلق والأساس لهذه العلوم، والأهم من ذلك أنّ باقي العلوم والمعارف الإسلامية نشأت من أجل تفعيل البحث حول الكتاب والسنّة، فعلما الأصول والفقه، مثلاً ، تم تأسيسهما بهدف قراءة أفضل (أقل خطأً وأكثر صواباً) للكتاب والسنة، وما يحصل في الحوزات العلمية، هو أنّ العلوم المقدمية تأخذ حيّزاً وموقعاً أهم من العلوم الأساسية، ويتم التعاطي معها كعلوم مستقلة ومحورية. فعلم أصول الفقه، مثلاً، بدل أن يقوم بالتقنين لفهم الكتاب والسنّة ودراستهما، بدأ يبحث -بعيداً عن الواقع- عن الافتراضات والقضايا الذهنية التي لا تمتُّ إلى الواقع، ولا إلى الكتاب والسنّة، وهذا ما يؤدي إلى الابتعاد عن الهدف الذي نشأ العلم من أجله. وهكذا الأمر بالنسبة للعلوم المقدمية (الغيرية) الأخرى.

---

(١) المصدر السابق.

من هنا، لا بد من التوجيه والترشيد، وهذه مهمّة أساسية على عاتق المتخصّصين في مجالات العلوم الإسلامية؛ وذلك بهدف إرساء علاقة تبادلية إيجابية بين هذه العلوم والمعارف، وبهدف الوصول إلى الغرض الأساس(فهم الكتاب والسنّة) من هذه العلوم والمعارف، وحينئذٍ نستطيع أن ندعو إلى اكتساب القدرة والمهارة على إعطاء حلول ملائمة لقضايا ومشاكل معاصرة على ضوء الكتاب والسنّة.

على أنّ النظرة الشمولية إلى العلوم الإسلامية، والعلوم والمعارف المرتبطة بها، والتي نفترض أن لا يُنظر إليها على أنها جزر منعزلة لا صلة بينها، تعطي الإنسان قدرة على فهمٍ أفضل للعلاقات المتبادلة بين هذه العلوم، كما أنّها تساعد على استثمار أحسن للعلاقات القائمة للوصول إلى الأهداف الأساسية.

والنظرة الشمولية تقتضي أن يتمّ التركيز على المعارف والعلوم التي تخدم فهم الكتاب والسنّة بشكل أفضل. ومن تلك العلوم التي ينبغي أن يتمّ تفعيلها بشكل موضوعي ودقيق، هي العلوم المرتبطة بدراسة الحديث بشكل مباشر، أو ما اصطلح عليها بـ «**علوم الحديث**»، وتشتمل بدورها على علمي الرجال والدراية، وفقه الحديث.

وينبغي تجسير العلاقة الحميمة والعضوية بين علمي الدراية والرجال، وفقه الحديث. كما ينبغي أن تسبق ذلك كلّه دراسة موضوعية ومترابطة للحديث كبناء متكامل يجسّد الإسلام بوصفه كلاً واحداً، ومنظومةً متكاملةً ومترابطةً. ولا يتيسر ذلك إلّا بالخروج من الدراسة الحرفية للروايات إلى دراسة المعاني المستهدفة، والأهداف المتراصّة خلف تلك الألفاظ، وإيحاءاتها، واقتضاءاتها، بل الملاكات والمنطلقات والأفكار المطروحة فيها.

وما ينبغي وعيه من قبل الدارسين للحديث، هو أنّ النظريات المعتمدة في الجرح والتعديل، وتقييم الروايات، ليست نظريات نهائية ناجزة، بل هي قابلة للتعديل والتصحيح، لا سيّما على ضوء العديد من المعارف والدراسات المطروحة اليوم على صعيد معالجة النصوص، والتي تساعد الباحث في التأكّد من صحة أو عدم صحة الصدور:

«إن الحديث لم يكن مطروحاً في مناهجنا، إلّا بعد الدخول في مباحث الفقه الاستدلالي؛ حيث يتمّ طرح مجموعة من الأحاديث الفقهية..»[١]. من دون معالجة الكثير من الأمور المتصلة بالحديث والتي تلقي بظلالها على مجمل الأبحاث الفقهية وغيرها.

٢-٢-٣- الدراسات العقلية - الكلامية والفلسفية:

إنّ تكوين **«الرؤية الكونية»** المعتمدةِ على المبادئ والأسس القرآنية، والفكر الإسلامي، مهمّة أساسية للحوزة؛ حيث إنّ البعد الفكري (العَقَدِي) يشكّل ركناً أساسياً في الدراسات الحَوْزَوية، كما أنّ التصدّي للشبهات والإشكاليات الفكرية والعَقَديّة من المهمّات الأساسية للحوزويين.

من هنا، أضحى الاهتمام بالدراسات العقلية من الأمور المسلّم بها. والتي لا خلاف فيها، إنّما الخلاف في مدى أهميتها ومستوى الاهتمام بها، وكيفية تحصيلها؛ حيث إنّ بعض الحَوْزَويين يتصوّرون أنّ الدروس العقلية، كلامية كانت، أم فلسفية، هي من دروس الدرجة الثانية التي ينبغي أن يهتمّ بها على هامش الدروس الأساسية(والدروس الأساسية حسب هذا التصوّر تختزل بعلمي الفقه

---

(١) خطاب في لقاء سماحته بطلاب مدرسة الصدر العلمية- بابل، بتاريخ ١٩/ ٢/ ١٣٦٣هـ.ش.

وأصوله، والمقدمات التي يحتاج إليها هذان العلمان)، في حين أنّ التصوّر الآخر يرى أنّ العلوم الحَوْزَوية نظراً إلى ملاكي متطلّبات الواقع، والحاجات الفعلية للساحة الإسلامية وتحقيق الاجتهاد الكفؤ، لا ينبغي أن تقتصر على تلك الدروس. كما يرى أصحاب هذا الرأي أن العلوم العقلية كالكلام، والفلسفة، والمنطق وغيرها، هي من العلوم الأساسية التي يحتاج إليها الحَوْزَوي في أداء رسالته، والوصول إلى الأهداف التي اختارها، كما أنّها تساعده في تحصيل المعارف والعلوم الأخرى(الفقه وأصول الفقه وغيرهما)، وتحديد أولوياتها وحاجاتها، بل تساهم تلك المعارف في إرساء دعائم الفكر الأصولي، والفقهي، وحل العديد من القضايا والمسائل المرتبطة بهما.

كما يصعب قبول قول القائل بأنّ تحصيل المعارف والعلوم العقلية، يتيسّر للطلاب لو ترك لهم وحدهم تحصيلها، لا سيما لو تأملنا في تعقيدات وملابسات الموضوعات والمسائل لفروع عديدة من هذه العلوم، مما يدعونا إلى ضرورة دراسة نظامية ومبرمجة لها، ومن خلال مدرِّسين أكفّاء قادرين على استيعاب وإيصال تلك الأفكار إلى الطلاب والدارسين.

وأهمّ من ذلك كله، «**المادة العلمية**» التي ينبغي أن يتمَّ التعاطي معها على مستوى العمل التعليمي. إذ الشبهات الكلامية -مثلاً- ليست أموراً غير تاريخية، بحيث لا ترتبط بالواقع، بل إن الشبهات التي طرحت في الماضي متصلة بالواقع التاريخي والثقافي لأصحابها، فضلاً عن أنّ التصدّي المناسب لها مرتبط، أيضاً، بالواقع الثقافي والتاريخي واقتضاءاتهما: وعليه،

«يجب الاهتمام بعلم الكلام، والكلام الذي نحتاجه اليوم للدفاع عن العقائد الدينية هو غير المباحث الكلامية السابقة، فشبهة (ابن

كمونة) مثلاً، ليست مطروحة اليوم حتَّى نرّد عليها، ولكن هناك شبهات كثيرة في الأذهان وفي المجتمع البشري، وعلى الحوزات العلمية، معرفة هذه الشبهات ثم التصدّي لها»[1].

على أنّ الموضوع المهمّ بعد البحث عن تحديد ما ينبغي أن يُبحث، وما ينبغي أن يتم تداوله، ومالا يستحقّ التداول والبحث، هو تعيين المنهج الكلامي المناسب. كما أن منهجية البحث ليست مشكلة علم الكلام فحسب، بل تأتي في باقي العلوم العقلية أيضاً. ومن تلك المشاكل تلك المشكلة القائمة على مستوى البحث الفلسفي؛ حيث يتمّ التركيز فيه على الجانب الكمّي للمعلومات الفلسفية، من دون السعي لبناء «**الشخصية الفلسفية**» ولتربية طلاب قادرين على التعاطي مع إشكاليات الواقع، في حين أننا نعرف أنه:

«**ليست «الفلسفة**» أن نأخذ كتاب «**الأسفار**» أو «**المنظومة**» ونقرأهما من البداية إلى النهاية فحسب، بل إنّ التبحّر في الفلسفة، يعني أنّ الإنسان يستطيع الاطّلاع على جميع الأفكار الفلسفية الموجودة في العالم والتي تتقدم باطّراد، ويتسلّح بفلسفتنا في وجه الفلسفات الخاطئة، كما وأنّه لو تم العثور في تلك الفلسفات أحياناً على نقطة إيجابية، لوجب علينا الاستفادة منها»[2].

وهذا ما يطرح بالفعل أهميّة الحاجة الفعليّة للفلسفة، وتحديد ما هو المطلوب بالدرجة الأولى وما هو المطلوب بالدرجة الثانية، حيث إنّ الفلسفة تشتمل على أفكار إنسانية قابلة للتغيير والتطوير، وليست هناك مباحث فلسفية نهائية ينبغي التوقّف عندها، وعدم تجاوزها.

وعلى هذا الأساس، فإنَّ الباحث الفلسفي لا يتوقّف عند

(١) من خطاب ألقي بتاريخ ١٢ ربيع الأول ١٤١٢هـ.
(٢) المصدر السابق.

النصوص الفلسفية التاريخية، ولا يكتفي بقراءة وترديد تلك النصوص والعبارات شرحاً، وتعليقاً وتحشية، إنّما يسعى من خلال كل ذلك إلى السيطرة على المبادئ والأسس التي تساعده على حلّ الإشكاليات، والقضايا الفلسفية المعاصرة.

٢-٢-٤- الفقه وأصوله:

يُعتبر «**الفقه**» محور العلوم الإسلامية منذ القدم، وكان مصطلح الفقه في السابق يُطلق على معنى يشمل ما هو أعم من علم الأحكام والفروع؛ ولذلك اصطُلح على أصول الدين بـ «**الفقه الأكبر**»، وعلى فروع الدين بـ «**الفقه الأصغر**» الذي كان يشمل الأخلاق أيضاً. ومن ثم، ونتيجة كثرة الاستعمال، تمّ حصر مفهوم الفقه بـ «**علم الأحكام**» تحديداً.

لقد كان علماؤنا الأعلام يؤمنون بأنّ القدرة على استنباط الأحكام الشرعية الفرعية تعطي القدرة على ضبط باقي العلوم الإسلامية أيضاً؛ وذلك نظراً لهيمنة «**علم أصول الفقه**» على باقي العلوم والمعارف الإسلامية؛ حيث يُطلق عليه «**عصب العلوم الإسلامية**»، أو «**منطق الفقه**»[1]. فالأصول إذن، «**منهج البحث**» عند الفقيه، أو هو منطق مسائله، أو بمعنى أوسع «**هو قانون عاصم لذهن الفقيه من الخطأ في الاستدلال على الأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها التفصيلية**»[2]. ثم إنّ، «**الفقه الذي هو بمعنى استنباط الأحكام**

---

(١) يبدو أن اعتبار «**علم أصول الفقه**» بالنسبة إلى الفقه كـ«المنطق» بالنسبة إلى الفلسفة وسائر العلوم، أمر قديم نجد نقده عند «البهاري» صاحب كتاب «مسلم الثبوت»، ج١، ص ٥. كما نجد التركيز عليه عند السيد محمد باقر الصدر في «دروس في علم الأصول»، الحلقة الأولى، والمعالم الجديدة.

(٢) النشار (د. علي سامي): **مناهج البحث عند مفكري الإسلام** (بتصرّف)، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٤هـ، ص ٨٠.

الفرعية من الأدلة التفصيلة، هو أساس الحوزات العلمية»[1].

وعليه، فمن الطبيعي أن يكون لعلم المنهج في الفقه الهيمنة على العلوم والمعارف الحَوْزَوية كافة.

على أنّ الفقه الإسلامي توسّع عبر قرون عدة من خلال توسيع الأبحاث والأبواب الموجودة، والتعمّق فيها بإضافة مسائل، أو ملاحظات، أو حواشي أو تعليقات. وتشكّل المكتبة الفقهية تراثاً غنياً وثميناً بالنسبة إلى المسلمين كافة، والحوزات العلمية خاصة. إن الجهود التي بذلها علماء المسلمين، لا سيَّما الإمامية منهم، في مجال الأحكام، وقواعدها ومبادئها، وطرق استخراجها واستنباطها من المصادر الأساسية، والفرعية، لا تقدّر بثمن. لكن المكتبة الفقهية يغلب عليها في العصور المتأخرة، طابع التحشية، والتعليقة، وإضافة الهوامش، واستدراك موارد وما إلى ذلك، وينقصها التعمّق المباشر في المسائل الفقهية، في حين أن هناك حاجة ماسّة للباحثين الجادين في هذه المجالات وهذا ما يتطلب:

«... توسيع قاعدة التعمّق بالفقه، والتعمّق لا يعني تناول الحواشي، والهوامش، والزوايا والتعليقات الزائدة، بل هو معالجة المسائل ووضعها موضع التفحّص والتحقيق باستعمال الطرق والأساليب الجديدة حتى يتحقق التعمّق»[2].

ثم إنّ التركيز على عنصري الزمان والمكان من القضايا ذات الأهمية في هذا المجال، ولكن الاهتمام بهما مغيَّب في دراساتنا الفقهية. فالمسائل التي تُطرح اليوم، والمشاكل التي يواجهها الإنسان، ويحتاج إلى معرفة الحكم والرأي الشرعيين فيها، تختلف تماماً عن المشاكل والمسائل التي كانت مطروحة في الأزمنة السابقة. كما أن

---

(١) من خطاب لسماحة السيد الخامنئي في ١٢ ربيع الأول ١٤٢١هـ.
(٢) المصدر نفسه.

تجارب وخبرات واجتهادات السابقين من العلماء والمجتهدين، تختلف عن تجارب وخبرات العلماء في العصر المعاش، وهذا الاختلاف يستدعي:

«أن يكون الفقه في زماننا أعمق من الفقه في زمن الشيخ [الأنصاري] وتلامذته الذين كانوا مشايخ المرحلة السابقة، لا يجوز أن نحصر اهتمامنا في المسائل السطحية، بل علينا أن نعطي الفقه عمقاً، وهذا من أهم أبعاد تطور الفقه»[1].

وأما الجانب الآخر في الموضوع، فهو أن الفقه لم يتوسع بشكل متوازن، بل توسّع في بعض الأبعاد وأهملت الأبعاد الأخرى. فمثلاً، لم يأخذ الشأن العام والفقه السياسي والاجتماعي حقه من البحث، والتعمق والاجتهاد، كما أخذت سائر أبواب الفقه مثل العبادات، والمعاملات، والأحوال الشخصية وغيرها؛ ولذلك يجد الباحث في فقه الشأن العام صعوبةً كبيرة؛ لأنّ موضوعاتها مبعثرة في ثنايا علوم مختلفة كالكلام، والتاريخ، والسيرة، والفقه وأصوله، والحديث وشروحه، والتفسير وما إلى ذلك من علوم، فضلاً عن أن الباحث لا يجد ضالّته في أبواب معيّنة من تلك العلوم، بل يجدها مبعثرة في ثنايا ذلك العلم كله. ففي الفقه مثلاً، نجد البحث حول الحكم والإدارة في أبوابٍ عدّة مثل: الوصية، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقضاء، والبيع، والحسبة، والصلاة وغيرها؛ وهذا ما يستدعي:

«أن لا نكتفي ببعض أبواب الفقه التي لها أهمية فردية وليس لها أهمية اجتماعية. مثلاً تلاحظون وفرة في البحث عن الطهارة، لا تلاحظ في باب الجهاد، أو القضاء أو الحدود، أو المسائل الاقتصادية في الإسلام. ولو أجريتم مقارنة، لوجدتم أن ما كتب في باب الطهارة

---

(١) المصدر نفسه.

أكثر بكثير مما كتب في المسائل الأخرى، وحتّى أن كتب بعض العلماء لا بحث عن الجهاد فيها»[1].

إنَّ تعيين الاتجاه العام والخطوط العريضة في الدراسة الفقهية، وتحديد الأهداف فيها، مسألة في غاية الأهمية. فإذا بنينا على أن مهمّة الفقه هي بيان المسائل الفردية المبتلى بها، فإننا نكون بذلك قد رسمنا الاتجاه الذي ينبغي أن نسلكه في العمل الاجتهادي والفقهي. وأما لو اعتبرنا أنّ الفقه لا تنحصر مهمته بذلك، فسوف نسير في اتجاه مختلف عما سبق؛ لأنّنا نعتبر أنَّ الفقه يتولّى بيان الأحكام الاجتماعيّة، ونُظم الحياة، إضافة إلى القضايا الفردية. السؤال الأساسي إذن: ما هي مهمّة الفقه؟ فإن قلنا:

«يجب أن نستنبط نظامنا الاقتصادي من الإسلام، يجب أن نستنبط مسائلنا العسكرية من الإسلام، وكذلك الأحكام المتعلقة بسياستنا الخارجية والروابط الأخلاقية...»[2]. فإن هذا التوجه يفرض علينا القول:

«يجب إعادة النظر فقهياً في كثير من الأحكام الشرعية الفردية، ولا يجوز التساهل في ذلك؛ فإنّنا نطرح الدين بوصفه نظاماً للدولة، وإطاراً للحكومة، وطوال العصور الماضية لم ننظر إلى الفقه من هذا المنظار»[3].

ويتطلب هذا الاتجاه كما هو واضح، إعادة النظر في كثير من المسائل والأحكام، وتأسيس **«فقه جديد»** مبني على نظرة مختلفة إلى الإسلام، وقواعده، وأسسه، ومبادئه العامّة، ومقاصده في الحياة. تلك النظرة الداعية إلى إدخال مجالات الحكم والدّولة في الفقه الإسلامي. و:

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

«هل هناك فقيه يجرؤ على القول: إنّه قد استنبط هذه المسائل [مسائل الحكم والدولة]؟ وأنّها كلها جاهزة للتطبيق والتنفيذ؟ طبعاً، الإجابة سلبية، ولم يدّع أحد ذلك لا في الحاضر، ولا في الماضي، بل لا يجرؤ أحد على دعوة كهذه»[1].

إذاً، فهذه الدعوة مبنيّة على نظرة جديدة، ومعطيات مختلفة، وظروف مؤاتية:

«وبناءً على ذلك يجب علينا أن نستخرج هذه المسائل من الفقه، وهذا يعني فكراً جديداً أو مستحدثاً»(٣).

ولكن السؤال الملحّ المطروح، في هذا المجال، هو أنَّه: كيف يمكن لنا أن نقوم بتأسيس فقه يأخذ بعين الاعتبار تلك المجالات والاهتمامات؟

إنّ الخطوة الأساسية في هذا المضمار هي الانطلاق من أن **«الإسلام كلٌّ واحد»**؛ بمعنى أن استنباط حكم فرعيّ من أحكام الإسلام، يتّصل اتصالاً عضوياً بسائر المجالات الإسلامية كالعقيدة، والأخلاق، ونُظُم الشريعة في مجال السياسة والتربية، والاقتصاد، والمجتمع، والأسرة وغيرها.

ثم بعد ذلك، نحن نملك **«تراثاً غنياً»** في مجال الفقه وأصوله، وهذا التراث يحتاج إلى البلورة والتهذيب والتكميل. ونعني بـ**«تكميل الفقه»** ملأ الفراغات التشريعية في مجالات مختلفة؛ حيث إنّ الحاجات والموضوعات، وظروف البيئة والواقع المرتبط بهما في تغيّر دائم، وهذا ما يتطلّب اجتهاداً يتلاءم مع هذه العوامل كلِّها:

«هناك بعض الموضوعات التي بيّنت أحكامها في السابق، قد طرأ عليها من التغيير والتحوّل ما جعل من المتعذّر تطبيق نفس

---

(١) المصدر السابق.

الأحكام السابقة عليها بسهولة في الوقت الحاضر. ففي مثل هذه الموارد، لابد لفقهاء العصر وبالاعتماد على دقّة النظر والإحاطة العلمية، والالتزام بأسلوب الفقاهة من جهة، والحرية في التفكير والشجاعة العلمية من جهة أخرى، من اكتشاف مفاهيم فقهية جديدة، وتقديم أحكام جديدة مستندة إلى الكتاب والسنّة، وهذا هو معنى تكميل الفقه»[1].

وأما المقصود ببلورة و«**استثمار الفقه**»، فهو أن نستفيد من الفقه، قواعد، وأصولاً ومبادئ؛ لاستنباط الأحكام الشرعية في مجالات عديدة، لم يتم التطرّق إليها ضمن موضوعات الفقه التقليدي في الحوزات العلمية؛ أي الأمور المتّصلة بالشأن العام -مثلاً- حيث إنّه:

«لابد من الإجابة على الأسئلة والإشكاليات المطروحة حول مظاهر الحياة المتجددة يوماً بعد يوم، وتوضيح أحكامها بشكل مقنع ومدلَّل. كما أنه يمكن الاستفادة من الفقه المعاصر-بما يتمتع به من الدقة والقوة في الاستدلال- في تكميل علم القانون الوضعي وتطويره، وفتح منافذ جديدة أمام باحثي مراكز القانون في العالم»[2].

٢-٢-٥- الدراسات الإنسانية:

هناك مجالات أخرى غير تلك التي سبق الكلام عنها، تدخل ضمن اهتمام الحوزة العلمية، ويمكن تصنيفها ضمن علوم إنسانية كالتاريخ العام، والتاريخ الإسلاميّ، والعلوم الاجتماعية، والنفسيّة والتربوية.

---

(١) من نداء إلى المؤتمر العالمي لدائرة معارف الفقه الإسلامي، بتاريخ٢٠ شعبان ١٤١٤هـ.

(٢) المصدر نفسه.

فهذه المجالات وإن لم تكن من العلوم والمعارف الأساسية في التصنيف الحَوْزَوي، إلّا أنّها من العلوم والمعارف المساعدة التي لا غنى عنها لتحقيق أغراض العلوم والمعارف الأساسية التي تهتم بها الحوزة العلمية؛ حيث إنّ الدراسات المجالية التي يقوم بها الطالب تتصل اتصالاً عضوياً بالعديد من تلك المعارف والعلوم. فمثلاً بالنسبة إلى طالب العلوم الدينية:

«التاريخ مهم جداً؛ حيث يمكن الاستفادة منه في مجال الفقه. فالكثير من المسائل الفقهية ترتبط بالتاريخ ولكننا لم نهتم بهذا الارتباط ولم نحاول اكتشافه»[1].

وكذلك الأمر بالنسبة إلى المعارف الاجتماعية المتصلة بفهم الدين والنصوص الشرعية، وأحكامها. كما أنّ لتلك المعارف الاجتماعية الدور في الجانب العملي لنشاط علماء الدين:

«ينبغي أن تطلع الحوزة على ما يحصل في العالم من تطورات في جميع المسائل التي لها ارتباط بالعلوم الإسلامية، وأن تتفاعل معها، فمثلاً تطرح اليوم في باب الاجتماع مفاهيم جديدة، ولهذه المفاهيم ارتباط بدائرة عمل علماء الدين»[2].

وسبق أن أشرنا في الأبحاث السابقة إلى أن التبليغ الإسلامي من المهمات الأساسية لطلاب العلوم الإسلامية وعلمائها، والعمل التبليغي يتطلّب الإلمام بالعديد من المعارف الاجتماعية والنفسية؛ حيث أن في عالمنا، أساليب حديثة ومتطورة لعملية التواصل والإقناع والإعلام، ولا يمكن الاستغناء عنها في إيصال الأفكار والتواصل الناجح مع الشرائح الاجتماعية والثقافية المختلفة.

---

(١) من خطاب ألقي بمناسبة بدء العام الدراسي في الحوزة العلمية، بتاريخ ١٢ ربيع الأول ١٤١٢هـ.ق.

(٢) المصدر السابق.

٢-٢-٦- اللغة العربية وآدابها:

وأما دور اللغة والمعارف المتصلة بها فهو من الأمور التي أذعن لأهميتها علماء المسلمين بالنسبة إلى دراسة النصوص الدينية، وعملية الاستنباط الفقهي من قديم الزمان؛ حيث نجد الراغب الأصفهاني[١]، والسيوطي[٢] وغيرهما يذكرون اللغة بجانب علوم ومعارف أخرى، شرطاً أساسياً لممارسة الاجتهاد الفقهي.

إلى ذلك، فإن اللغة وآدابها تعتبر من المعارف الآلية والمساعدة في آن واحد؛ فهي أدوات للفكر والاستنباط، والنشاط الذهني، والعمل المعرفي، والعلمي، ولا يمكن الاستغناء عنها في دراسة العلوم بشكل عام، والعلوم والمعارف الإسلامية بشكل خاص، باعتبار أنّ اللغة ومعارفها تمثّل الأداة الأكثر هيمنة وتأثيراً في هذا المجال؛ لمحورية «**النصّ**» في المعارف الإسلامية.

«**ما هي الضرورة لدراسة كتاب «ابن هشام»**؟ وما هي خصائصه؟ وكما هو معروف فإنّ كتاب «**المغني**» يتناول النحو بمرحلة الخارج (التخصّص)، ويتضمن مباحث تفصيلية مثل أن «**الواو**» هل تأتي بهذا المعنى أو ذاك أم لا؟ ثم يسرد أدلّة المثبتين والنافين وهكذا. نحن لا نحتاج في دراسة النحو إلى هذه المباحث التفصيلية، ما نحتاجه هو أن نعرف أن «**الواو**» بأي معنى تستعمل»[٣].

٢-٢-٧- الأخلاق:

أما علم الأخلاق والأبحاث المتصلة به، فيبدو أنه من الأمور

(١) مقدّمة في التفسير، ص ٩٣.

(٢) أنظر: السيوطي: **الإتقان في علوم القرآن**، ج٤، ص ١٨٧ وما بعدها.

(٣) من كلمة له خلال اللقاء بجمع من فضلاء ونخب الحوزة العلمية، بتاريخ ١٤/ ٩/ ١٣٧٤هـ . ش.

المسلم بدخوله ضمن اهتمام الحوزة العلمية، كونه بعداً أساسياً للعلوم الإسلامية كافة، ومن مهمّة علماء الإسلام الذين يعتبرون ورثة الأنبياء، الاهتمام بهذا الجانب؛ حيث يقولﷺ: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[1].

ينقل الإمام الخامنئي عن اهتمام الإمام الخميني بالموضوع قائلاً:

«**ذهبنا ذات يوم مع جمع من كبار الأساتذة المعروفين في الوسط الحَوْزَوي عند الإمام (ره)، وقد تحدث أحد هؤلاء عن حوزة قم العلمية، ومن ثم تحدث الإمام(ره) قائلاً: ينبغي عليكم الاهتمام الجاد بأمرين: أولاً، الفقه، وثانياً، الأخلاق**»[2].

ولكن تبرز المشكلة أكثر حينما نجد أن،

« **الحوزة العلمية لا توجد فيها دروس خاصة في الأخلاق. في حين أنّ الطلاب يمتلكون دائماً صفاءً داخلياً وينشؤون غالباً في أجواء أخلاقية جيدة... ولكن حينما كنا -نحن الطلاب - نشعر بالحاجة إلى المعلّم والمربّي في مجال الأخلاق، لم نكن نجد مبتغانا في الحوزة العلمية**»[3].

ونجد المشكلة ذاتها في مجال الدراسات الأخلاقية، ومع ما نجد من التقدم في مجال فلسفة الأخلاق وعلم الأخلاق، فإنّ الأبحاث المطروحة في الوسط الحَوْزَوي لا تتجاوز نطاق مباحث «**جامع السعادات**» والكتب المماثلة.والأسلوب السائد في الحوزة في

---

(١) المجلسي: **بحار الأنوار**، مجلد ١٦، ص ٢١٠.

(٢) من خطاب له في لقاء جمع من أساتذة طلاب الحوزة العلمية في مشهد، بتاريخ ١٣٦٦/١/٥هـ . ش.

(٣) من خطاب له في لقاء جمع من أساتذة طلاب الحوزة العلمية في مشهد، بتاريخ ١٣٦٤/٦/١١هـ. ش.

مجال الدراسات الأخلاقية هو الأسلوب التقليدي نفسه، والعديد من الكتابات المتداولة بمثابة تكرار لأسلوب كتاب «**طهارة الأعراق**» لابن مسكويه، و«**جامع السعادات**» و«**معراج السعادة**»، وفي أحسن الأحوال، المتّبع هو النمط المعتمد لدى الغزالي في «**إحياء العلوم**»، والفيض الكاشاني في «**المحجّة البيضاء**». في حين أن العديد من الكتّاب يقتصرون على جمع الآيات والروايات الواردة في مجال الأخلاق، وإضافة بعض الشروح والتعليقات البسيطة عليها.

وينقل الإمام الخامنئي عن أحد أعلام الحوزة الذي سافر إلى بريطانيا وزار فيها مكتبة، ووجد فيها طابقاً مخصّصاً للكتب المؤلفة في مجال الأخلاق في السنوات الأخيرة يقول:

«ماذا كتب علماء الحوزة في تلك السنوات في مجال الأخلاق؟ هل بنسبة واحد بالألف مما ألفه الآخرون؟ أم واحد بالعشرة آلاف؟ وأتصور أقل من ذلك. ... ماذا كتبنا في الحوزة العلمية في مجال الأخلاق بعد كتابي «معراج السعادة» و«جامع السعادات»؟»[1].

(١) من خطاب له في لقاء جمع من أساتذة طلاب الحوزة العلمية في قم، بتاريخ ١٤/٩/١٣٧٤هـ . ش.

٣- المقررات الدراسية

تُعتبر الكتب والمقررات الدراسية ركناً أساسياً من أركان العملية التعليمية، بمعنى أن هذه العملية لا يمكن أن تجري بشكل سليم إلاّ من خلال مقررات تتوفر فيها شروط عدة، وأهمّها:

١- أن تعبّر عن الأهداف التي تسعى العملية التعليمية إليها. فلا يمكن اعتماد كتاب لا ينسجم مع الأهداف العامة والأهداف الخاصةبها.

٢- أن تعبّر عن آخر مراحل تطور العلم، فلا يجوز أن يكون المقرر الدراسي معبّراً عن مرحلة من العلم قد عفا عليها الزمن وتجاوزتها الأبحاث المتأخرة.

٣- أن يُعتمد في كتابة وإعداد المقرّر اللغة والمصطلحات وأساليب الكتابة المعاصرة، إضافة إلى أساليب البرهنة والمعايير. فلا يمكن اعتماد مقرّر تم فيه استخدام المعايير والموازيين التي لم تعد معروفة في عصرنا.

٤- أن يؤخذ بعين الاعتبار في المقرر مستوى الطلاب والمرحلة الدراسية. فلا يصح اعتماد مقرّر لا يتناسب مع المستوى المعرفي والإدراكي، والمرحلة الدراسية التي يتعلم فيها الطالب.

٥- أن يُراعى التدرّج من الأبسط إلى الأعمق وليس العكس.

إنَّ أغلب الكتب القديمة المعتمدة للتدريس في الحوزات العلمية، إضافة إلى عدم توفر الشروط والمواصفات الآنفة الذكر، تعاني من بعض المشاكل الأخرى أيضاً، ونشير إلى بعض تلك المشاكل:

أولاً: «**إنّ الكتب الأربعة (أي القوانين والمعالم والرسائل والكفاية)**[1]. **لم تؤلَّف من قبل أصحابها لهذا الهدف -أي هدف التعليم- وإنما أُلفت لكي تعبّر عن آراء المؤلف وأفكاره في المسائل الأصولية المختلفة... ومن أجل ذلك كانت الكتب الدراسية المتقدّمة الذكر غير صالحة للقيام بهذا الدور، على جلالة قدرها العلمي**»[2]. وعليه، فإنّها لم تؤلّف من أجل الطلاب، وبغرض القيام بالعمل التعليمي كي تتحقق عبرها عملية التعليم بشكل سليم.

ثانياً: إن الكتب الدراسية السابقة لا تحتوي على الصعوبة والتعقيد في الجانب المعنوي والفكري فحسب، بل في الجانب اللفظي والتعبيري أيضاً، ولهذا ترى أن العبارات تظل مستعصية على الفهم حتى بعد شرحها من قبل المدرّس[3].

ثالثاً: إن الكتب الأربعة الآنفة الذكر لا ينسجم بعضها مع البعض الآخر، كما لا تنسجم مع مرحلة الخارج أيضاً،

«**فالطالب لكي يتسلسل من كتب السطوح إلى درس الخارج،**

---

(١) وهي الكتب الأكثر تداولاً في مجال تدريس مادة أصول الفقه في الحوزات العلمية في السابق.

(٢) الصدر، السيد محمد باقر: دروس في علم الأصول، مقدمة الحلقة الأولى، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٨هـ، ص ٢١ وما بعدها.

(٣) راجع: (ن . م)، ص ٢٣.

كأنه يكلف بطفرة، وبأن يقطع بلحظة مسافة لم يقطعها علم الأصول خلال تطوره التدريجي إلاّ في مائة عام»[1].

وانطلاقاً من تلك الاعتبارات، يبدو تبديل وتغيير الكتب الدراسية أمراً ضرورياً:

«فيجب تغيير الكتب الدراسية، وأن تكون الغاية من تغييرها الحيلولة دون هدر وقت الطالب فطالبنا يدرس «المغني» في حين أنّ المطالب اللازمة في كتاب المغني موجودة في كتاب آخر أصغر منه، إذ كتب بلغة جديدة ومن خلال كاتب معاصر. لماذا يتحتّم علينا أن ندرس كتاب ابن هشام؟ فما هي خصوصيته؟

لماذا يتعيّن علينا أن نقرأ **«المعالم»** الذي هو في الأساس أول كتاب أصولي يعود إلى عدة قرون ماضية؟ في حين أن كتاب المعالم وإن كانت مطالبه الأصولية للمبتدئين، إلاّ أنّ عباراته معقدة، فلماذا نهدر وقت الطالب في هذه العبارات؟

و كتاب **«شرح اللمعة»** -مثلاً- معقّد شيئاً ما، فلماذا نؤخّر الطالب في العبارات المعقدة؟ وكذلك الكتب الدراسية الأخرى.

فهذه الكتب لم ينزل فيها وحي من السماء، وفي يوم ما كانت هناك كتب دراسية أخرى.. يقولون: إن كتاب **«المكاسب»** للشيخ الأنصاري كتاب جيد جداً، وهو كذلك، لكن هل كتاب **«الرياض»** سيء؟ فقد كانت الرياض من جملة الكتب التي كانت تدرس في الحوزات العلمية.. فهل يجب علينا أن ندرسه الآن؟ وكانوا يدرسون كتابي **«القوانين»** و**«الفصول»**.. فنسخت فما المانع من ذلك؟»[2].

---

(١) (ن . م)، ص ٩.

(٢) من خطاب له في ١٢ رجب ١٤١٦هـ، مدرسة دار الشفاء، قم.

من هنا، نستطيع القول: إننا لا يمكن أن نواكب التطوّر العلمي في مجالات مختلفة من المعارف والعلوم، إلّاّ إذا استطعنا أن نخرج من دائرة تأثير الأسماء أشخاصاً وكتباً، وأن يوجّهنا في ذلك العلم والمعرفة وتطبيقاتها، وآثارهما على الطالب، وعلى مستوى العملية التعليمية بأثرها.

وإذا أخذنا الواقع بالحسبان فسوف لن نبحث عمّا هو الأقدم وما هو الأعقد من حيث العبارة والأسلوب، بل نبحث عمّا هو الأقرب والأنفع والأنجع في عملية التعليم والتعلّم.

٤- المدرِّسون (الهيئة التعليمية والعلمية)

يمثّل المدرّس دوراً مهماً في العملية التعليمية، وفي تنمية القدرات العلمية لدى الطلاب، لا سيّما في الحوزات العلمية؛ حيث إنّه ليس فقط منفِّذاً للبرامج، ومعلِّماً للمقرّرات والمتون الدراسية، بل إنَّه مضافاً إلى ذلك، يُعتبر موجهاً، ومربّياً وقدوةً للطلاب في السلوك العلمي الرصين، والهدفية، والموضوعية والمنهجية، والابتعاد عن الذاتية والعبثية العلمية.

فالمدرِّس القدير الموضوعي الذي يملك منهجية سليمة في تدريسه وتقييمه، يترك أثراً مهمّاً جداً على الطلاب وعلى سلوكهم العلمي والمعرفي.

ويعتبر إعداد وتأهيل المدرّس الناجح من المهمّات الأساسية للحوزة العلمية، وهذه المهمّة لا تتحقّق إلّا من خلال رؤية واضحة إلى الأمور، والتقييم المستمر للخطة والأداء في آن واحد معاً:

«ونحن اليوم بصفتنا أناساً ننتمي إلى الحوزات العلمية، يجب علينا أن نخطّط لفكر وحركة ونهضة جديدة في منهجنا العلمي وفي مباحثنا الإسلامية، في ضوء هذه الظاهرة العالمية، فحينما نشاهد العلم الذي انطلقت منه هذه الحركة السياسية على أساسه؛ أي العلوم الإسلامية والمعارف والكلام والفقه- الذي يحظى اليوم بكل هذا الاهتمام من قبل الأوساط العلمية والسياسية والعالمية- يجب علينا

بذلك المزيد من الاهتمام والدقّة وتقييم عملنا من جديد بصفتنا علماء دين وأصحاب رأي في القضايا الدينية»[1].

وهذا ما يستدعي العمل من أجل تربية مدرِّسين قادرين على القيام بالمهمّة الملقاة على عاتقهم، ويتطلّب ذلك بدوره تأمين البرنامج والآلية المناسبة لتأهيل وإعداد هؤلاء، وعليه:

«يجب أن نوفِّر السبل الكفيلة بتربية وإعداد المدرّسين الناجحين وندخلها ضمن البرامج الحَوْزَوية»[2].

وانطلاقاً من الأهداف التعليمية، ينبغي أن تتوفر في المدرّس شروط ومواصفات في الجانبين المهني والسلوكي. ففي الجانب المهني والفنّي لا بد للمدرّس من أن يكون محيطاً إحاطة تامة بالمادة التي يقوم بتدريسها، ويكون على اطلاع كامل على آخر الإنجازات الفكرية والعلمية للمادة. كما ينبغي له أن يملك رصيداً علمياً، وحساً نقدياً يخوّله تقييم الآراء والأفكار المختلفة المطروحة في مجال تدريسه:

«فالذين لا يتمتعون برصيد علمي -في أي مجال- إذا ما أرادوا تحقيق الإبداع حسب إيحاءاتهم، فإنّهم سيقعون في العبثية العلمية، وهذا ما نلاحظه على صعيد العلوم الإنسانية والمعارف الدينية، فهنالك من الجهلة من اقتحموا الميدان دون أن يتوفروا على رصيد علمي كافٍ وأدلوا بدلوهم متصورين ذلك إبداعاً منهم، وهو في واقعه لا يمثل إبداعاً بل هو فوضوية»[3].

---

(١) من كلمة له بمناسبة بدء العام الدراسي في الحوزة العلمية بتاريخ ٨ جمادى الثاني ١٤٢١هـ.

(٢) من كلمة له بمناسبة بدأ العام الدراسي في الحوزة العلمية بتاريخ ٩ ربيع الثاني ١٤١٦هـ.

(٣) من كلمة له بمناسبة الزيارة التفقّدية لجامعة أمير كبير، طهران، ٥ ذي الحجة، ١٤٢١هـ.

إلى ذلك، على المدرّس أن يضع خطته التعليمية انطلاقاً من الأهداف التي تسعى إليها عملية التعليم بشكلٍ عام، والمؤسسة التعليمية بشكل خاص. كما ينبغي أن يكون ضليعاً بأساليب الإيصال والتواصل، وتقنيات التعليم، وطرق التدريس، وأصول وأساليب التقييم المتناسب مع الحقول والمواد الدراسية التي يقوم بتدريسها.

وأمّا في الجانب السلوكي (الجانب الأساسي الآخر للمدرِّس لا سيما في المعاهد والحوزات الدينية)، فلا بد من أن يجسّد المدرّس من خلال تعاطيه مع الطلاب ومع العمل التعليمي والإدارة التعليمية، المثال والقدوة في الانضباط، ورعاية آداب المهنة، وأصول التعاطي الإيجابي والبنّاء.

ثم إنّ الهيئة التعليمية، مثلها مثل باقي الهيئات الفنية والمتخصّصة، يجب أن تكون على تواصل تام مع التطورات العلمية والمعرفية في مجالات مختلفة من الحقول المعنية بها. كما على الحوزة العلمية أن تبادر إلى تشكيل هيئات علمية متخصّصة تراقب الحركة العلمية وشؤونها في المستويات التعليمية المختلفة، وتكون مهمتها التوجيه العلمي والإشراف على سير العمل التعليمي في الحوزة، بغية التعديل والتطوير، ولفتح آفاق جديدة أمام الطلاب والمتعلمين. باعتبار أن،

«... المفاهيم تنسخ، وهذا ما يحصل في جميع العلوم، ولأجل سدِّ الفراغ في الآراء والمباحث والمسائل المنسوخة، لا بد من طرح مباحث حديثة، ولابد من أن يبلغ التحليق الذهني في كل علم- من ناحية حجم المفاهيم الذهنية -حدّ الكمال. هذا هو التعديل الذي بحاجة إلى جهد ونشاط كبيرين... إنّ الحقائق الإنسانية -كالإنسان نفسه- يعتريها الموت والحياة، والقوّة والضعف، والصحّة والسقم،... إن الحوزة العلمية إنّما يمكنها تعديل نفسها والارتقاء والنمو فيما إذا

كانت حيّة، وإلّا فلا يمكن للحوزة العلمية إنجاز هذا الأمر»[1].

ولا يستطيع القيام بهذا الدور المهمّ والحسّاس إلّاّ المدرّسون الذين يملكون رصيداً علمياً ومعنوياً كبيراً لدى شرائح المجتمع الطلابي، لا سيما إذا تحقق هذا الدور من خلال هيئات علمية متخصّصة تقوم بدور الإرشاد والتوجيه العلمي، والمعرفي والفنّي في الحقول الدراسية المختلفة.

(١) من كلمة له، بتاريخ ١٢ رجب ١٤١٦هـ، في مدرسة دار الشفاء، قم.

٥- عملية التقييم والامتحانات

إنّ العملية التربوية والتعليمية مرهونة بعملية التقويم، حيث لا يمكن التأكّد من تحقيق الأهداف، ورصد حصيلة عملية التعلّم ومدى تحقّق أغراضها، والعمل من أجل وضع خطط بديلة وتكميلية، أو الحكم على المنهاج المتّبع، إلاّ من خلال تقويم شامل ودقيق يشمل جميع مستويات ومراحل العملية التعليميّة، برامج، وطرق تدريس، ومقرّرات دراسية وغيرها، بهدف الوصول إلى النتائج التي تركها كل ذلك على الطالب لجهة المعلومات، والمهارات، والسمات الشخصية، والخصائص النفسية وغيرها.

وقد عاشت الحوزة العلمية معاناة كبيرة في هذا المجال، حيث كانت تضم جملة من الطلاب الذين أخذوا يتخطّون المراحل الدراسية المتتالية من دون رقيب أو حسيب، ولم يكونوا ليصرفوا على فهم المنهج واستيعابه إلاّ الوقت الذي يقضونه في حلقات الدرس، لكي ينتقلوا شكلياً من مرحلة إلى مرحلة أعلى، بل وقد يُعرض البعض عن الدرس بشكل كامل وينشغل في أمور معيشية أخرى، مبتعداً عن هدفه في الحياة، ما دام اسمه مثبتاً في سجل الدارسين[١].

---

(١) هذه الفقرة مقتبسة من: الباقري(د. جعفر): **ثوابت ومتغيرات الحوزة العلمية**، دار الصفوة، بيروت، ١٤١٥هـ. ص ١٤٦-١٤٧(بتصرف).

وكان السبب في ذلك ـ سابقاً ـ يكمن بأنّه لم يكن هناك **«لطلاب العلوم الدينية امتحان واختبار خاص للدخول في الحوزة العلمية، لذا فقد كان يدخل من ليست له مؤهّلات الدخول إلى هذه الحوزة المقدّسة. وبما أنّه لم تكن هناك امتحانات، فإنّ الطالب كان حرّاً في الانتقال من الكتاب الأدنى رتبة إلى الكتاب الأعلى رتبة، ومن البديهي أنّه كثيراً ما كان يحدث أن ينتقل الطالب إلى الرتبة الأعلى وهو بعد لم يطوِ المراتب الأدنى، فتنقطع دراسته ويصيبه الملل وفتور الهمّة في تحصيل الدروس.**

وبما أنه لم يكن يتمّ فحص وتعيين استعدادات الطلاب، فإن النتيجة هي أنّه قد انشغل من له استعداد (الفقاهة)، أو (الفلسفة)، أو (الكلام)، أو (الأدب)، أو (التاريخ)، أو (التفسير).. أو غير ذلك بغير ما كان مستعداً له، فلم تحصل الاستفادة الكاملة من وجوده..»[1].

هذا هو الحال في السابق بشكل عام، ولا تزال بعض الحوزات تتبع النمط والطريقة ذاتها في العمل التعليمي، ولكن يوجد مدارس وحوزات هنا وهناك من حوزة قم أو غيرها، غيّرت الكثير مما كان سائداً، ومع هذا، لمّا تصل الحوزات العلميّة بعد إلى جادة الصواب في طريقة التقييم، وفي منح الدرجات العلمية والاستفادة المناسبة من عملية التقييم في مجالات وأصعدة مختلفة.

من هنا، يبدو أن العمل من أجل تأسيس وتقنين الأسس، والمبادئ، والأساليب الملائمة للعمل التعليمي في الحوزة العلمية، هو حاجة ملحّة تحتاج إلى مزيد من الاهتمام، وإلّا فسوف تستمر الفوضى القائمة في نسبة الألقاب، والصفات غير المحدّدة إلى أشخاص ينقصهم الكثير من المواصفات، ومن دون أن تسبق ذلك

---

(١) المطهري، الشيخ مرتضى: مجلة (حوزة)، العدد ٢، ربيع الأول ١٤٠٤هـ، (ص٧)، نقلاً عن المرجع السابق(بتصرف).

عملية تقييم دقيق ومحدّد لهؤلاء. إضافة إلى أنّ عملية التطوير ترتبط عضوياً بعملية التقييم ولا يمكن الفصل بينهما، فلا تطوير إلّا ويسبقه تقويم، ولا تطوير إلّا ويلاحقه تقويم.

كل ما سبق قوله يستدعي العمل في مجالين:

أولاً: تحديد الأسس والمبادئ العامة للتقييم انطلاقاً من الخصوصيات الحَوْزَوية.

ثانياً: تحديد الأساليب الملائمة لتقييم المواد والدروس الحَوْزَوية.

ففي الجانب الأول ينبغي التركيز على:

١- إنسجام التقويم مع الأهداف العامّة والخاصّة الموضوعة للبرنامج والمواد الدراسية.

٢- شمولية التقويم لجميع الأهداف الدراسية والسلوكية وغيرها.

٣- إعتماد التقويم على الموضوعية في العمل التقييمي، والابتعاد عن التقييم الذاتي، وتطبيق المعايير المختلفة في الموارد الموحّدة والمتشابهة.

كما أنّه ينبغي أن يتمّ التركيز في الجانب الثاني على ما يلي:

١- تحديد الحقول الدراسية المختلفة وأهدافها الخاصة.

٢- تحديد نوع التقييم الملائم مع الحقل الدراسي والمادة الدراسية.

٣- تحديد القيمة النسبية للموضوعات والأهداف.

٤- تعيين نوع الاختبار وأسلوب التصحيح الملائم له.

يشير الإمام الخامنئي إلى أسلوب التقييم والامتحانات، ويؤكد قائلاً:

«يجب أن تجري الامتحانات بأسلوب صحيح بعيداً عن الإغراق الذي لا فائدة منه في المسائل الصغيرة، والعبادات، والمسائل الهامشية والفرعية... ولا يصح أن يتصوّر الطالب أنّه إذا أراد أن يُمتحن فعليه أن يدقق في الجزئيات بالصورة التي يهمل فيها المسائل الأصلية»[1].

مشيراً بذلك إلى ما يجري من أسلوب غير سليم؛ حيث يتم التركيز على التفاصيل والجزئيات التي تعتمد على الحفظ والذاكرة، من دون التركيز على الخطوط العريضة والأفكار الأساسية التي تعتمد على التحليل، والفهم، والبرهنة والاستدلال، ومن دون السعي لربط الأفكار بعضها ببعض، وتقييم المعلومات، وتطبيق القواعد والضوابط.

وهذا خلل كبير، يحتاج إلى المعالجة من خلال اعتماد طريقة مدروسة في امتحان المواد الدراسية المختلفة، نظراً إلى المعلومات، والحقائق، والمهارات والآثار الأخرى التي تترتب على العملية التعليمية وتدريس المادة المعيّنة.

---

(١) من خطاب له ألقي في ١٢ ربيع الأول، ١٤١٢هـ.

الفصل الرابع

نماذج من البرامج والمقررات الدراسية المتّبعة في الحوزات العلمية

* البرنامج الدراسي المتّبع في الحوزة العلمية في قم (المنهاج الحرّ)
* البرنامج الدراسي المتّبع في الحوزة العلمية في النجف الأشرف
* برنامج مدرسة العُلوم الإسلامية ـ النجف الأشرف
* البرنامج الدراسي لكليّة الفقه ـ النجف الأشرف
* برنامج مؤسَّسة الإمام الخميني ـ قم المقدسة
* برنامج مؤسَّسة باقر العلوم ـ قم المقدسة
* برنامج معهد الرسول الأكرم ﷺ العالي ـ بيروت

نماذج من البرامج والمقررات الدراسية
المتّبعة في الحوزات العلمية

فيما يلي نماذج من البرامج والمقررات الدراسية المتّبعة في الحوزات العلمية في الماضي والحاضر، انطلاقاً من ثلاثية مراحل التحصيل(المقدمات، والسطوح، والخارج)، وهي عبارة عن:

* البرنامج والمقررات الدراسية المعتمدة في حوزة قم المقدسة(المنهاج غير المدرسي-الحر)، نموذج رقم (١).

* البرنامج المعتمد في حوزة النجف الأشرف (تاريخياً)، نموذج رقم(٢).

* البرنامج المعتمد في مدرسة العلوم الإسلامية في النجف الأشرف، نموذج رقم(٣).

* البرنامج المعتمد في كلية الفقه - النجف الأشرف، نموذج رقم (٤).

* البرنامج المُقترح من قبل الشيخ مصباح اليزدي لحقلَي الفقه والقضاء، نموذج رقم (٥)، و(٦).

* البرنامج المعتمد في مؤسسة الإمام الخميني -حقل الفلسفة، نموذج رقم (٧).

* البرنامج المعتمد في مؤسسة الإمام الخميني -حقل الكلام، نموذج رقم (٨).

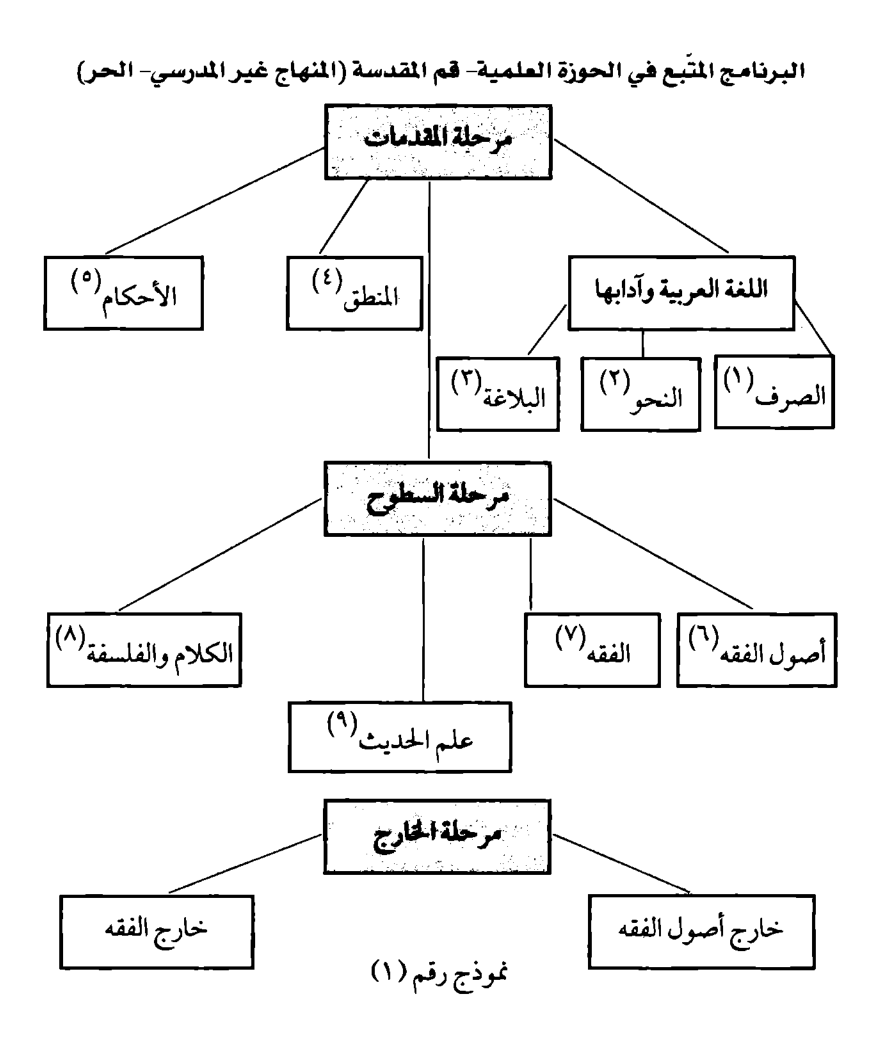
* البرنامج المعتمد في مؤسسة باقر العلوم -حقل الفلسفة والكلام، نموذج رقم (٩).

* البرنامج المعتمد في معهد الرسول الأكرمﷺ العالي - بيروت -المرحلة العامة- نموذج رقم (١٠).

* البرنامج المعتمد في معهد الرسول الأكرمﷺ العالي - مرحلة التخصص في الفقه والحقوق الإسلامية-، نموذج رقم (١١).

* البرنامج المعتمد في معهد الرسول الأكرمﷺ العالي - مرحلة التخصص في الفلسفة والكلام الإسلامي-، نموذج رقم (١٢).

البرنامج المتّبع في الحوزة العلمية- قم المقدسة (المنهاج غير المدرسي- الحر)



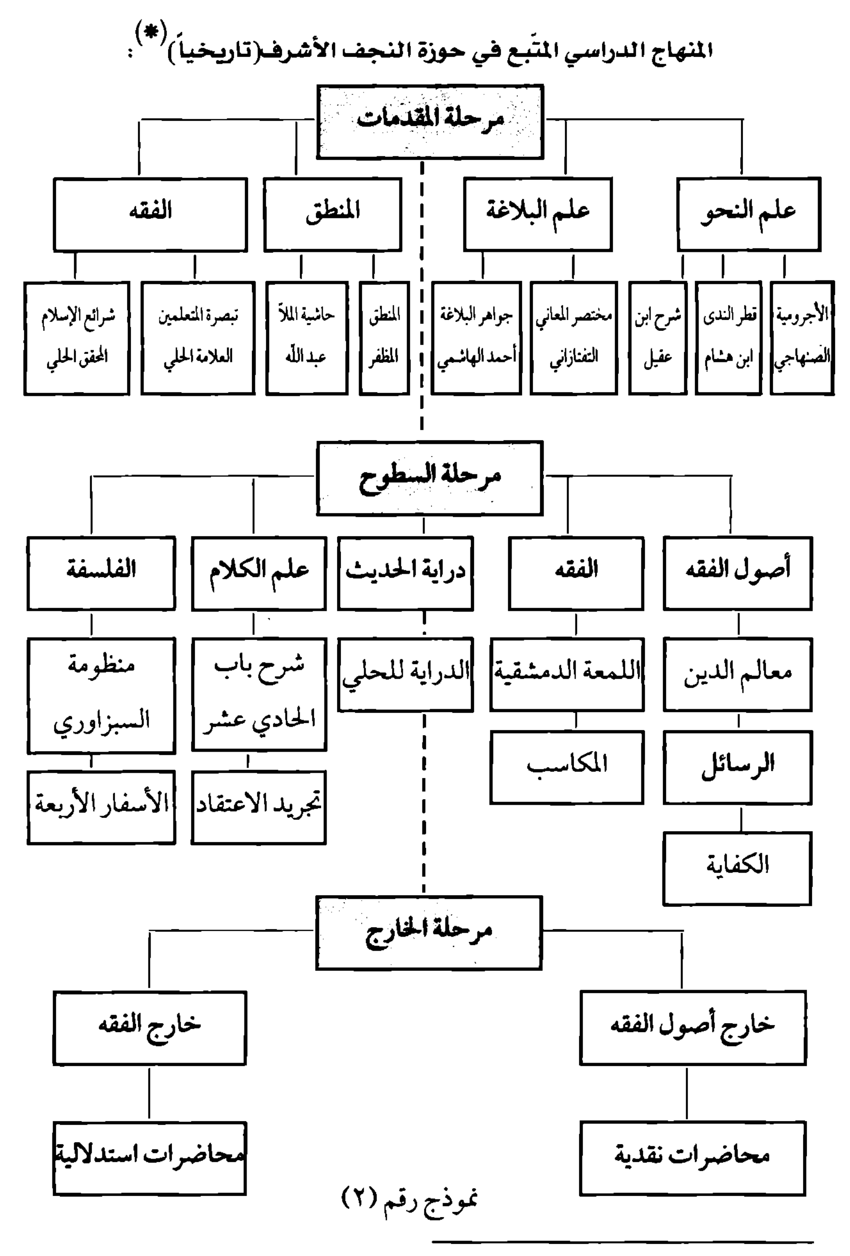
نموذج رقم (١)

(١) **الصرف:** المقرر الدراسي لمادة الصرف - المعتمد تاريخياً- هو **«شرح أمثلة»** و **«صرف مير»** وغيرهما من كتاب **«جامع المقدمات»**.

(٢) **النحو:** المقرر الدراسي لمادة النحو هو الكتب التالية بالترتيب: ١- **الهداية والصمدية**، من كتاب «جامع المقدمات» ٢- **شرح السيوطي على ألفية ابن مالك**، ٣- **المغني لابن هشام**.

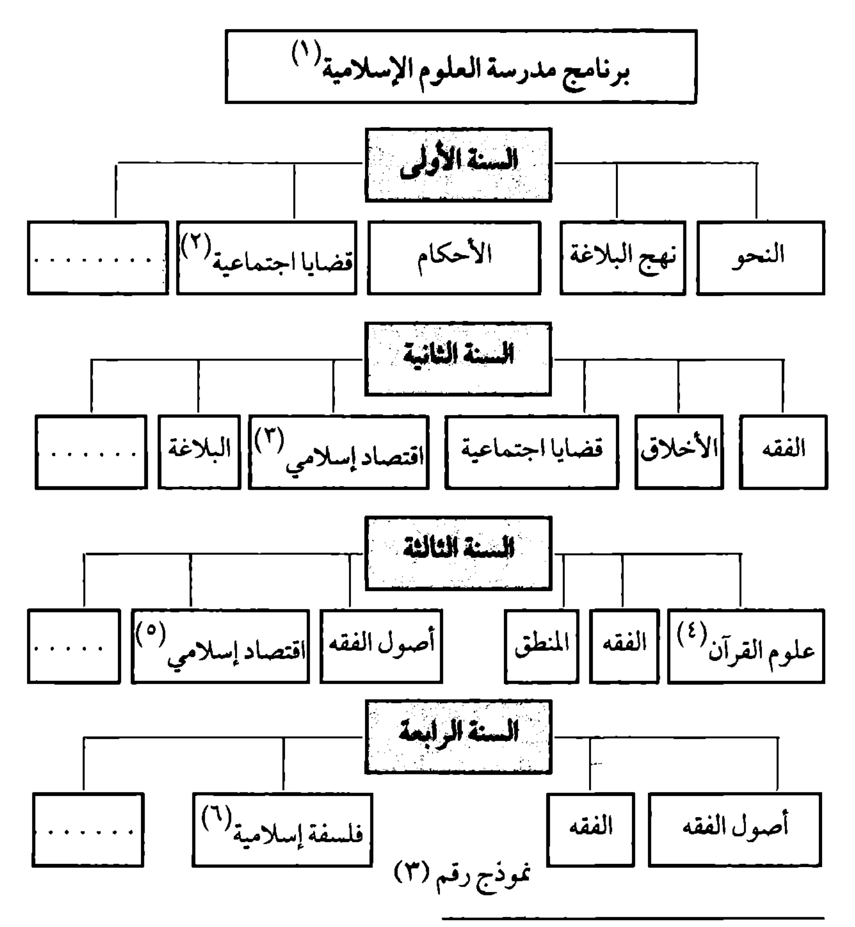
(٣) **البلاغة:** إن المقرر الدراسي المعتمد في مادة البلاغة هو «**مختصر المعاني**» للتفتازاني(توفي ٧٩١هـ) و «**المطول**» له -أيضاً- وأخيراً، استبدل «**المختصر**» بـ «**جواهر البلاغة**» لأحمد الهاشمي و«**البلاغة الواضحة**» لعلي الجارم وزميله.
(٤) **المنطق:** المقرر الدراسي المعتمد هو كتاب «**الحاشية**» للملاّ عبدالله اليزدي(توفي ٩٨١هـ)، و «**الشمسية**» لقطب الدين الرازي(٧٦٦هـ) ومنطق «**الإشارات والتنبيهات**» لابن سينا (توفي ٤٢٨هـ.). ودرج أخيراً «**منطق المظفر**» بدل الحاشية.
(٥) **الأحكام:** المقرر الدراسي لمادة الأحكام هو «الرسالة العملية» للمراجع الأكثر شهرة في الحوزات الدينية. مثل: «**العروة الوثقى**» للسيد كاظم اليزدي، و«**وسيلة النجاة**» للسيد أبو الحسن الأصفهاني، و«**تحرير الوسيلة**» للإمام الخميني و«**المنهاج**» للسيد الحكيم والسيد الخوئي...
(٦) **أصول الفقه:** المقرر الدراسي المعتمد لمادة أصول الفقه هو الكتب التالية بالترتيب:
١- **معالم الدين وملاذ المجتهدين:** للشيخ حسن زين الدين(توفي ١٠١١هـ).
٢- **قوانين الأصول:** للميرزا القمي الكبير (توفي:١٢٢٧هـ.) واستبدل بكتاب **فرائد الأصول** المعروف بـ «**الرسائل**» للشيخ مرتضى الأنصاري (توفي ١٢٨١هـ).
٣- **كفاية الأصول:** للشيخ محمد كاظم الخراساني (توفي ١٣٢٩هـ).
ملاحظة: استبدل كتاب «**الرسائل**» في العقدين الأخيرين بكتاب «**أصول الفقه**» للشيخ محمد رضا المظفر وشاع تدريس «**دروس في أصول الفقه**» في ثلاث مراحل المعروف بـ «**الحلقات**» للسيِّد محمد باقر الصدر بدل الكتب الثلاثة المعروفة (المعالم والرسائل والكفاية).
(٧) **الفقه:** المقرّر الدراسي الأساس للفقه الاستدلالي في المرحلة الأولى من السطوح هو كتاب «**شرح اللمعة الدمشقية**» لـ (الشيخ محمد مكي المعروف بـ «الشهيد الأول» والشيخ زين الدين العاملي المعروف بـ«الشهيد الثاني» توفي ٩٦٥هـ). وفي مرحلة السطوح العالية كتاب «**المكاسب**» للشيخ مرتضى الأنصاري.
(٨) **الفلسفة والكلام:** المقرر التقليدي لمادة الفلسفة هو كتاب شرح «**المنظومة**» للملاّ هادي السبزاوري (توفي ١٢٨٩هـ)، وكتاب «**الأسفار الأربعة**» لصدر الدين الشيرازي المعروف بـ«ملاّ صدرا» توفي (١٠٥٠هـ).
وقد استبدل «**شرح المنظومة**» بكتابي: «**بداية الحكمة**»، و«**نهاية الحكمة**» للسيد محمد حسين الطباطبائي في حوزة قم.
وأما المقرر الدراسي التقليدي لمادة الكلام الإمامي فهو «**شرح الباب الحادي عشر**» للعلامة الحلّي (توفي ٧٢٦هـ)، و«**تجريد الاعتقاد**» لنصير الدين الطوسي (توفي ٦٧٢هـ). وشرحه للعلامة الحلّي.
(٩) **علوم الحديث:** المقرر المعتمد لمادة علوم الحديث هو «**البداية**»، و «**الرعاية**» لزين الدين العاملي المعروف بـ «الشهيد الثاني».

المنهاج الدراسي المتّبع في حوزة النجف الأشرف(تاريخياً)(*):



نموذج رقم (٢)

(*) المرجع: البهادلي (د. علي): **الحوزة العلمية في النجف**، دار الزهراء، بيروت ـ لبنان، ١٤٠١ هـ، (بتصرف). ص ٢٧٦ ـ ٢٨٢.



نموذج رقم (٣)

---

(١) تأسست هذه المدرسة في النجف الأشرف سنة ١٣٨٢هـ-١٩٦٣م. برعاية المرجع الديني آنذاك السيد محسن الحكيم تعبيراً عن النزعة الإصلاحية النجفية. راجع: البهادلي: (م.س.) ص ٣٤٢-٣٤٩.

(٢) المقرر المعتمد في هذه المادة هو «**المدرسة الإسلامية**» للسيد محمد باقر الصدر.

(٣) المقرر المعتمد في هذه المادة هو «**ماذا تعرف عن الاقتصاد الإسلامي؟**» للسيد محمد باقر الصدر.

(٤) المقرر المعتمد في هذه المادة هو «**البيان في تفسير القرآن**» للسيد أبي القاسم الخوئي.

(٥) المقرر المعتمد في هذه المادة هو «**اقتصادنا**» للسيد محمد باقر الصدر.

(٦) المقرر المعتمد في هذه المادة هو «**فلسفتنا**» للسيد محمد باقر الصدر.

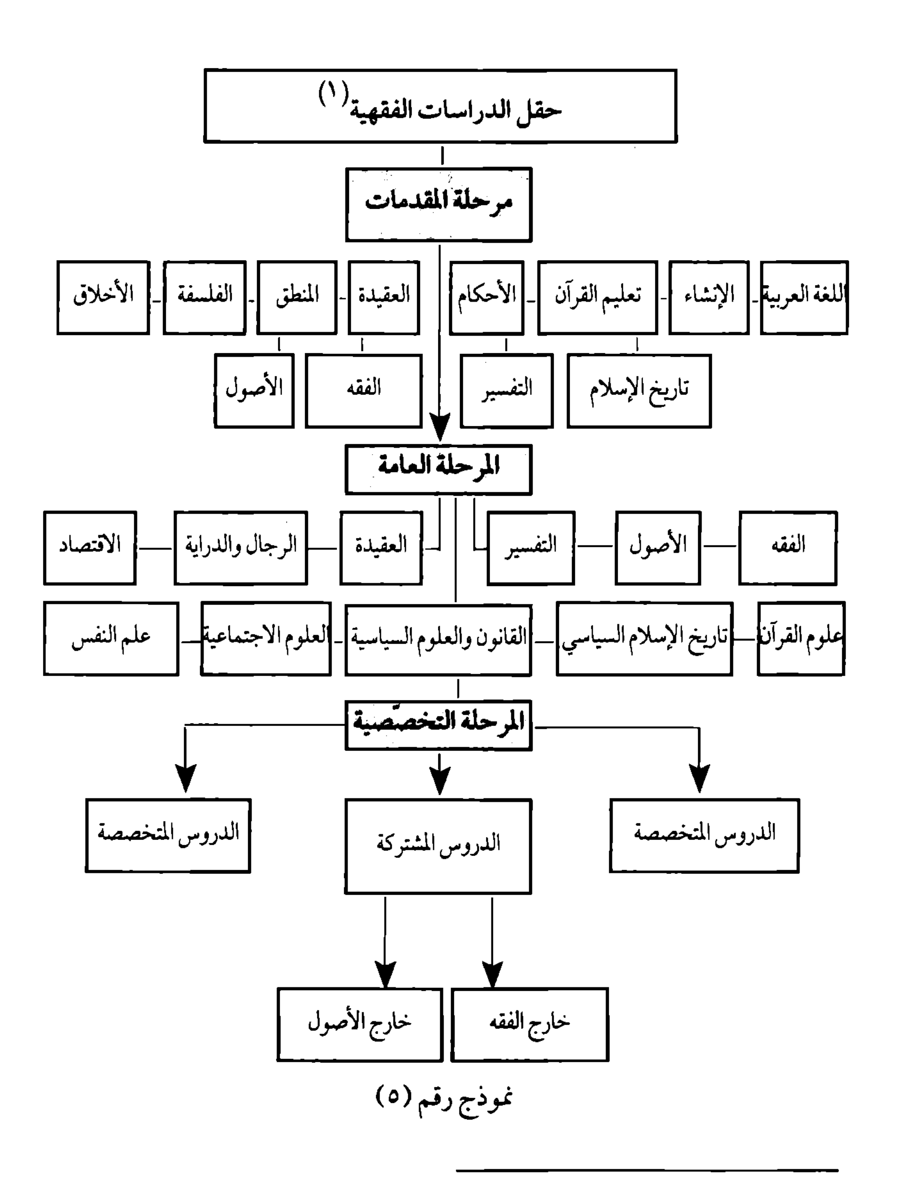
	السنة الأولى		السنة الثانية		السنة الثالثة		السنة الرابعة
١	الفقه	١	الفقه	١	الفقه	١	الفقه
٢	أصول الفقه	٢	أصول الفقه	٢	أصول الفقه	٢	أصول الفقه المقارن
٣	الحديث	٣	التاريخ الإسلامي	٣	التفسير/ علوم القرآن	٣	أصول الفقه
٤	النحو	٤	الفلسفة الإسلامية	٤	التاريخ الإسلامي	٤	التفسير/ علوم القرآن
٥	البلاغة	٥	النحو	٥	الفلسفة الإسلامية	٥	الفلسفة الحديثة
٦	تاريخ الأدب العربي	٦	البلاغة	٦	الالتزام (قانون)	٦	النحو
٧	أصول البحث والمكتبة	٧	تاريخ الأدب العربي	٧	النحو	٧	تاريخ الأدب العربي
٨	المنطق	٨	النقد	٨	العَروض	٨	فقه اللغة
٩	علم الاجتماع	٩	علم النفس	٩	تاريخ الأدب العربي	٩	طرق التدريس
١٠	اللغة الإنكليزية	١٠	اللغة الإنكليزية	١٠	النقد	١٠	أصول البحث والمكتبة
١١	—	١١	—	١١	التربية	١١	الصرف

نموذج رقم (٤)

(١) أسست «كلية الفقه» في سنة ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م، بغرض تفعيل العمل التعليمي الديني، وتم الاعتراف الرسمي بها في سنة ١٣٧٧هـ-١٩٥٨م، وألحقت في سنة ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م. بجامعة بغداد، وفي سنة ١٤٠٠هـ-١٩٧٩م. بجامعة المستنصرية، وفي ١٤٠٨هـ-١٩٧٨م. أصبحت إحدى كليات جامعة الكوفة، وألغيت أخيراً في عام ١٤١١هـ- ١٩٩١م. ويدور الحديث لدى المهتمين في مجال العمل التعليمي الحوزوي حول فشل أو نجاح هذه التجربة التي انطلقت أساساً من خلال رائدها المجتهد المجدّد الشيخ محمد رضا المظفّر(توفي١٣٢٧هـ)، بهدف تلافي النواقص التي يشتكي منها الطالب؛ وذلك بتبسيط بعض الكتب، وتنظيم المناهج والدروس والامتحانات.

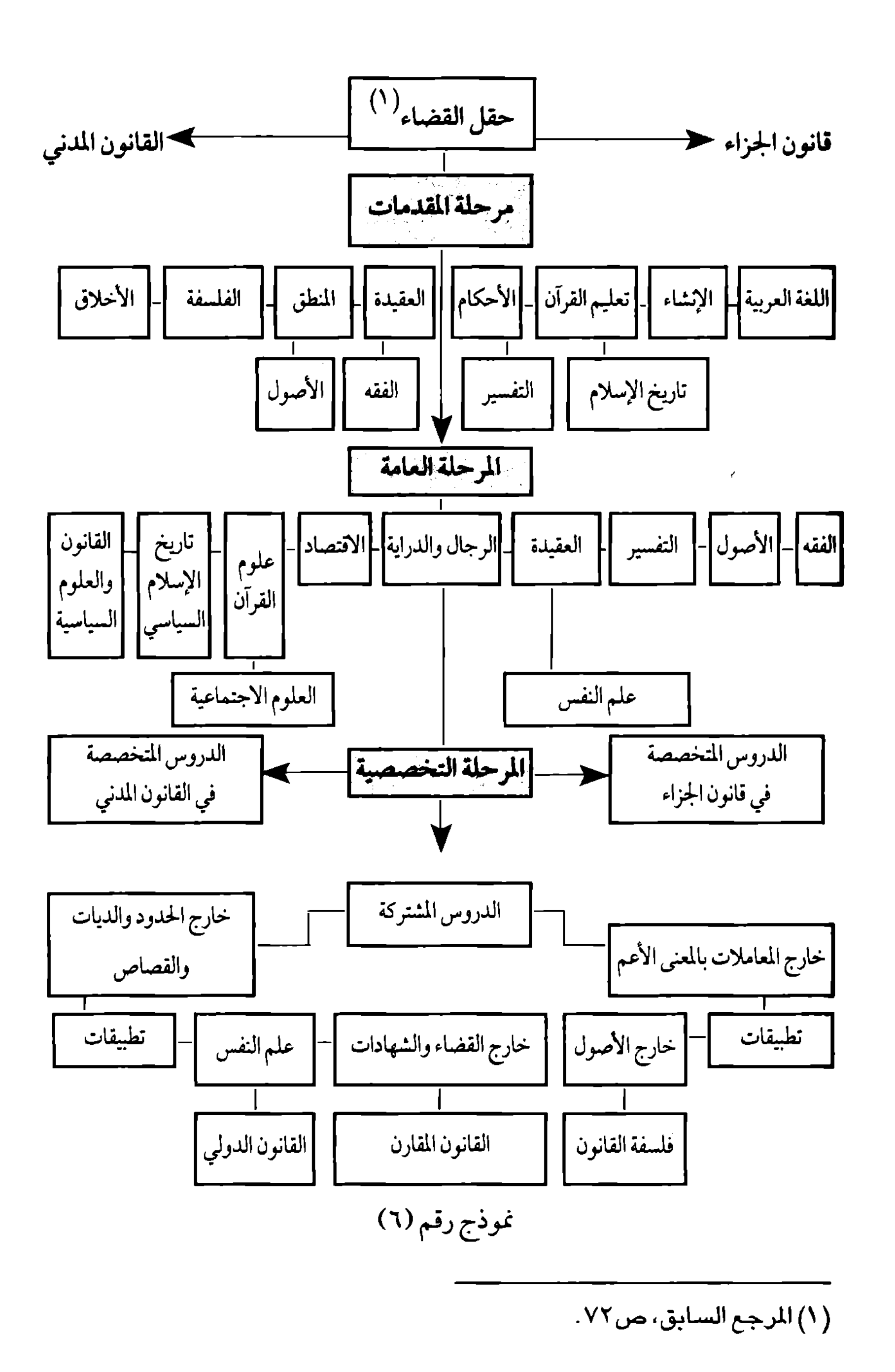
أنظر: الآصفي (محمد مهدي): **مدرسة النجف وتطور الحركة الإصلاحية فيها**، دار النعمان، النجف، ١٣٨٣هـ-١٩٦٣م.

والبهادلي: (م.س.)، ص ٣٦٦-٣٦٧ و ص ٣٧٢.



نموذج رقم (٥)

(١) البرنامج المقترح من قبل الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي لحقل الفقه وأصوله. أنظر: رضائي أصفهاني (محمد علي): **شيوه هاى تحصيل وتدريس در حوزهاى علمية** (أساليب الدراسة والتدريس في الحوزات العلمية)، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٤١٩هـ. ص ٧١.



نموذج رقم (٦)

---

(١) المرجع السابق، ص٧٢.

المنهاج الدراسي لمؤسسة الإمام الخميني (قده) المواد الاختصاصية لحقل الفلسفة - مرحلة الليسانس		
رقم المادة	اسم المادة	عدد الوحدات
١١٠	المنطق القديم	٣
١١١	المنطق الجديد	٣
١١٢	الفلسفة الإسلامية الوسيطة - ١	٤
١١٣	الفلسفة الإسلامية الوسيطة -٢	٤
١١٤	الفلسفة الإسلامية الوسيطة -٣	٤
١١٥	الفلسفة الإسلامية الوسيطة - ٤	٣
١١٦	تاريخ الفلسفة الإسلامية - ١	٤
١١٧	تاريخ الفلسفة الإسلامية -٢	٤
١١٨	الكلام القديم	٣
١١٩	الكلام الجديد	٣
١٢٠	العرفان النظري	٤
١٢١	تاريخ فلسفة الغرب - ١ (من البداية أفلاطون)	٢
١٢٢	تاريخ فلسفة الغرب -٢ (من أفلاطون حتى أرسطو)	٢
١٢٣	تاريخ فلسفة الغرب -٣ (من القرون الوسطى حتى عصر النهضة)	٢
١٢٤	تاريخ فلسفة الغرب -٤ (من بيكون حتى هيوم)	٤
١٢٥	تاريخ فلسفة الغرب -٥ (من كانط حتى أواسط القرن التاسع عشر)	٤
١٢٦	تاريخ الفلسفة الجديدة والمعاصرة	٢
١٢٧	الفلسفة المعاصرة والمذاهب الفلسفية في القرن العشرين	٤
١٢٨	فلسفة العلم	٢
	المجموع	٦١

نموذج رقم (٧)

المنهاج الدراسي لمؤسسة الإمام الخميني (قده) المواد الاختصاصية لحقل الكلام - مرحلة الليسانس		
رقم المادة	اسم المادة	عدد الوحدات
١١٠	اللغة التخصصية - ١ (نص في فلسفة الدين)	٢
١١١	اللغة التخصصية - ٢ (نص في فلسفة الأخلاق)	٢
١١٢	اللغة التخصصية - ٣ (نص في الكلام الإسلامي باللغة الإنكليزية)	٢
١١٣	نصوص فلسفية وكلامية (باللغة العربية المعاصرة)	٢
١١٤	المنطق الجديد	٤
١١٥	التفكير النقدي	٢
١١٦	علم المعرفة	٢
١١٧	فلسفة العلوم التجريبية	٢
١١٨	فلسفة العلوم الاجتماعية	٢
١١٩	فلسفة العلوم التاريخية	٢
١٢٠	تاريخ الفلسفة الإسلامية	٤
١٢١	تاريخ فلسفة الغرب	٤
١٢٢	تاريخ التصوف والعرفان	٣
١٢٣	مباني العرفان ومبادؤه	٢
١٢٤	التعرف على الأديان الكبرى	٤
١٢٥	الفرق والمذاهب الإسلامية	٢
١٢٦	الكلام الإسلامي - ١	٤
١٢٧	الكلام الإسلامي - ٢	٤
١٢٨	الكلام المقارن (بين الأديان)	٣
١٢٩	فلسفة الدين - ١	٢
١٣٠	فلسفة الدين - ٢	٢
١٣١	فلسفة الأخلاق	٤
	المجموع	٦٠

نموذج رقم (٨)

المنهاج الدراسي لمؤسسة باقر العلوم - قم
حقل الفلسفة والكلام

رقم المادة	الدروس العامة (مرحلة الليسانس)	عدد الوحدات
١	المعارف الإسلامية - ١	٢
٢	المعارف الإسلامية - ٢	٢
٣	الأخلاق والتربية الإسلامية	٢
٤	الثورة الإسلامية وجذورها	٢
٥	تاريخ الإسلام	٢
٦	النصوص الإسلامية	٢
٧	اللغة الفارسية	٣
٨	اللغة الأجنبية	٣
٩	الرياضة (التربية البدنية) - ١	١
١٠	الرياضة (التربية البدنية) - ٢	١
	المجموع	٢٠
رقم المادة	الدروس الأساسية	عدد الوحدات
١١	اللغة الأجنبية التخصصية	٢
١٢	المنطق القديم	٢
١٣	المنطق الجديد	٢
١٤	القضايا الكلامية الجديدة	٢
١٥	تاريخ علم الكلام والفرق الإسلامية	٢
١٦	فلسفة المشاء - ١	٢
١٧	فلسفة المشاء - ٢	٢
١٨	فلسفة الملاّصدرا - ١	٢
١٩	فلسفة الملاّصدرا - ٢	٢
٢٠	فلسفة الملاّصدرا - ٣	٢
٢١	فلسفة الإشراق - ١	٢
٢٢	فلسفة الإشراق - ٢	٢
٢٣	فلسفة الغرب - ١	٢
٢٤	فلسفة الغرب - ٢	٢
٢٥	الفلسفة التطبيقية	٢
٢٦	اللغة الأجنبية العامة - ١	٢
٢٧	اللغة الأجنبية العامة - ٢	٢
٢٨	رسالة التخرّج	٤
	المجموع	

نموذج رقم (٩)

الأرصدة والوحدات الدراسية لمرحلة الإجازة/ معهد الرسول الأكرم (ص)

السنة الأولى

تسلسل	الرمز	الرصيد الدراسي	الوحدات	الحصص
		الفصل الدراسي الأول		
١	٠١١	التجويد	٣	٥١
٢	٠٣١	العقيدة الإسلامية (١)	٢	٣٤
٣	٠٤١	الفقه (١) العبادات	٤	٦٨
٤	٠٦١	الأخلاق (١) العلم والتعليم في الإسلام	٢	٣٤
٥	٠٧١	المنطق (١)	٤	٦٨
٦	٠٨١	النحو (١)	٤	٦٨
٧	٠٨٢	الصرف	١	١٧
٨	٠٩١	التاريخ الإسلامي (١) العهد النبوي	٢	٣٤
٩		مبادئ الكومبيوتر	١	١٧
المجموع		مجموع الوحدات :		
		مجموع الحصص :		
		الوقت اللازم للتنفيذ : فصل دراسي كامل		

تسلسل	الرمز	الرصيد الدراسي	الوحدات	الحصص
		الفصل الدراسي الثاني		
١	٠١٢	علوم القرآن الكريم وتاريخه	٢	٣٤
٢	٠٣١	العقيدة الإسلامية (٢)	٣	٥١
٣	٠٤١	الفقه (٢) العبادات	٤	٦٨
٤	٠٦١	الأخلاق (٢) الحقوق والأدب في الإسلام	٢	٣٤
٥	٠٧١	المنطق (٢)	٤	٦٨
٦	٠٨١	النحو (٢)	٤	٦٨
٧	٠٩١	التاريخ الإسلامي (٢) مرحلة الأئمة(١)	٢	٣٤
٨	١١١	البحث العلمي (١) قواعد التحرير	٢	٣٤
المجموع		مجموع الوحدات :		
		مجموع الحصص :		
		الوقت اللازم للتنفيذ : فصل دراسي كامل		

الأرصدة والوحدات الدراسية لمرحلة الإجازة/ معهد الرسول الأكرم (ص)

السنة الثانية

تسلسل	الرمز	الفصل الدراسي الأول الرصيد الدراسي	الوحدات	الحصص
١	٠١٣	مبادئ التفسير ومناهجه	٢	٣٤
٢	٢١	علوم الحديث (١) الدراية	٢	٣٤
٣	٣١	العقيدة الإسلامية (٣)	٤	٦٨
٤	٤١	الفقه (٣) الأحوال الشخصية	٤	٦٨
٥	٦١	الأخلاق (٣) مباني الأخلاق	٢	٣٤
٦	٨١	النحو (٣)	٤	٦٨
٧	٩١	التاريخ الإسلامي (٣) مرحلة الأئمة(٢)	٢	٣٤
٨	١١٢	البحث العلمي (٢) أصول البحث العلمي	٢	٣٤
المجموع		مجموع الوحدات :		
		مجموع الحصص :		
		الوقت اللازم للتنفيذ : فصل دراسي كامل		

تسلسل	الرمز	الفصل الدراسي الثاني الرصيد الدراسي	الوحدات	الحصص
١	٠١٤	مفردات القرآن وغريبه	٢	٣٤
٢	٠٢٢	علوم الحديث (٢) كليات علم الرجال	٣	٥١
٣	٣٢	مدارس وأديان	٢	٣٤
٤	٤٢	مدخل إلى علم الفقه	٢	٣٤
٥	٥١	أصول الفقه (١) ح ١	٢	٣٤
٦	٦١	الأخلاق (٤) فلسفة الأخلاق	٢	٣٤
٧	٨٣	البلاغة	٣	٥١
٨	٩١	التاريخ الإسلامي (٤) مرحلة الأئمة(٣)	٢	٣٤
٩	١١٣	البحث العلمي (٣) أصول تحقيق التراث	١	١٧
المجموع		مجموع الوحدات :		
		مجموع الحصص :		
		الوقت اللازم للتنفيذ : فصل دراسي كامل		

الملاحظات : وحدتان لدراسة كليات علم الرجال ، ووحدة لعلم الحديث والرجال عند أهل السنة

الأرصدة والوحدات الدراسية لمرحلة الإجازة/ معهد الرسول الأكرم (ص)

السنة الثالثة

تسلسل	الرمز	المادة الدراسية	الوحدات	الحصص
		الفصل الدراسي الأول		
١	٠١٥	التفسير الترتيبي (١)	٢	٣٤
٢	٣٣	الفرق والمذاهب الكلامية*	٢	٣٤
٣	٤٣	القواعد الفقهية	٢	٣٤
٤	٤٥	الفقه الاستدلالي (١)	٤	٦٨
٥	٥١	أصول الفقه (٢) : ح٢	٣	٥١
٦	٦١	الأخلاق (٥) : تزكية النفس	٢	٣٤
٧	٠٧٢	الفلسفة (١) : مدخل إلى الفلسفة وتاريخها	٢	٣٤
٨	٨٤	الأدب العربي (نصوص أدبية)	٢	٣٤
٩	٩٣٩٢	مدخل إلى علمي النفس والاجتماع	٢	٣٤
المجموع		مجموع الوحدات :		
		مجموع الحصص :		
		الوقت اللازم للتنفيذ : فصل دراسي كامل		

الملاحظات : * تُحال الأجزاء التاريخية من المادة إلى المطالعة

تسلسل	الرمز	المادة الدراسية	الوحدات	الحصص
		الفصل الدراسي الثاني		
١	٠١٥	التفسير الترتيبي (١)	٢	٣٤
٢	٣٤	مبادئ علم الكلام	٢	٣٤
٣	٤٥	الفقه الاستدلالي (٢)	٤	٦٨
٤	٥١	أصول الفقه (٣) : ح٢	٣	٦٨
٥	٠٥٤	نظريات الحكم والإدارة في الإسلام	٢	٣٤
٦	٠٧٢	الفلسفة الإسلامية (٢)	٣	٥١
٧	١١٤	البحث العلمي (٤) مناهج العلوم*	٢	٣٤
المجموع		مجموع الوحدات :		
		مجموع الحصص :		
		الوقت اللازم للتنفيذ : فصل دراسي كامل		

الملاحظات : * تخصص وحدة دراسية لمنهج البحث التاريخي

الأرصدة والوحدات الدراسية لمرحلة الإجازة/ معهد الرسول الأكرم (ص)

السنة الرابعة

تسلسل	الرمز	المادة الدراسية	الوحدات	الحصص
		الفصل الدراسي الأول		
١	٠١٦	التفسير الموضوعي	٢	٣٤
٢	٠٣٥	علم الكلام الجديد	٢	٣٤
٣	٤٥	الفقه الاستدلالي (٣)	٤	٦٨
٤	٥١	أصول الفقه (٤) : ح ٢	٣	٥١
٥	٠٧٢	الفلسفة الإسلامية (٣)	٣	٥١
٦	٩٤	مناهج التبليغ وأساليبه	٢	٣٤
٧	١٠٧	بحث التخرج	٤	٦٨
المجموع		مجموع الوحدات :		
		مجموع الحصص :		
		الوقت اللازم للتنفيذ : فصل دراسي كامل		

تسلسل	الرمز	المادة الدراسية	الوحدات	الحصص
		الفصل الدراسي الثاني		
١	٤٥	الفقه الاستدلالي (٤)	٤	٦٨
٢	٠٦١	أصول الفقه (٥) : ح٣	٤	٦٨
٣	٦٢	مدخل إلى علم العرفان	٣	٥١
٤	٠٧٢	الفلسفة الإسلامية (٤)	٣	٥١
٥	٩٥	أساليب التدريس *	٢	٣٤
٦	١٠٧	بحث التخرج	٤	٦٨
المجموع		مجموع الوحدات :		
		مجموع الحصص :		
		الوقت اللازم للتنفيذ : فصل دراسي كامل		

الملاحظات : * تنفذ ورشة عمل موسّعة

النوع : الدراسات الإسلامية العامة

الشهادة : الإجازة في الشريعة

المدة : أربع سنوات/ ثمانية فصول دراسية/ * وحدة دراسية

الإعداد : مركز التخطيط للتعليم والمناهج والدراسات الإسلامية

الأرصدة والوحدات الدراسية لمرحلة الإجازة/ معهد السيدة الزهراء(ع)

السنة الأولى

تسلسل	الرمز	الرصيد الدراسي	الوحدات	الحصص
		الفصل الدراسي الأول		
١	٠١١	التجويد	٣	٤٥
٢	١٧	حفظ القرآن ومفرداته	١	١٥
٣	٠٣١	العقيدة الإسلامية (١)	٣	٤٥
٤	٤١	الفقه (١) العبادات	٤	٦٠
٥	٠٦١	الأخلاق (١) العلم والتعليم في الإسلام	٢	٣٠
٦	٨٢/ ٨١	النحو والصرف (١)	٣	٤٥
٧	٩١	التاريخ الإسلامي (١) العهد النبوي	٢	٣٠
٨	١١١	البحث العلمي (١) قواعد التحرير (القسم الأول)	١	١٥
المجموع		مجموع الوحدات الصفية : ١٩		
		مجموع الحصص :٣٢٣		
		الوقت اللازم للتنفيذ : فصل دراسي كامل		

تسلسل	الرمز	الرصيد الدراسي	الوحدات	الحصص
		الفصل الدراسي الثاني		
١	١٧	حفظ القرآن ومفرداته	١	١٥
٢	٠٣١	العقيدة الإسلامية (٢)	٣	٤٥
٣	٤١	الفقه (٢) الأحوال الشخصية	٤	٦٠
٤	٦١	الأخلاق (٢) الحقوق والآداب في الإسلام	٢	٣٠
٥	٧١	المنطق (١)	٣	٤٥
٦	٨٢/ ٨١	النحو والصرف (٢)	٣	٤٥
٧	٩١	التاريخ الإسلامي (٢) أئمة أهل البيت (١)	٢	٣٠
٨	١١١	البحث العلمي (٢) قواعد التحرير	١	١٥
		(القسم الثاني)		
المجموع		مجموع الوحدات الصفية : ١٩		
		مجموع الحصص :٣٢٣		
		الوقت اللازم للتنفيذ : فصل دراسي كامل		

الأرصدة والوحدات الدراسية لمرحلة الإجازة/ معهد السيدة الزهراء(ع)

السنة الثانية

تسلسل	الرمز	الرصيد الدراسي	الوحدات	الحصص
		الفصل الدراسي الأول		
تسلسل	الرمز	الرصيد الدراسي	الوحدات	الحصص
١	١٧	حفظ القرآن ومفرداته	١	١٥
٢	٠٣١	العقيدة الإسلامية (٣)	٣	٤٥
٣	٤١	الفقه (٣) المعاملات	٣	٤٥
٤	٦١	الأخلاق (٣) مباني الأخلاق	٢	٣٠
٥	٠٧١	المنطق (٢)	٣	٤٥
٦	٨١	النحو (٣)	٤	٦٠
٧	٩٣	مدخل إلى علم الاجتماع	١	١٥
٨	٩١	التاريخ الإسلامي (٣) أئمة أهل البيت (٢)	٢	٣٠
٩	١١٣	البحث العلمي (٣) أصول تحقيق التراث	١	١٥
المجموع		مجموع الوحدات الصفية : ٢٠		
		مجموع الحصص : ٣٤٠		
		الوقت اللازم للتنفيذ : فصل دراسي كامل		

تسلسل	الرمز	الرصيد الدراسي	الوحدات	الحصص
		الفصل الدراسي الثاني		
تسلسل	الرمز	الرصيد الدراسي	الوحدات	الحصص
١	١٢	علوم القرآن وتاريخه	٢	٣٠
٢	١٧	حفظ القرآن ومفرداته	١	١٥
٣	٣٢	مدارس وأديان	٢	٣٠
٤	٤٢	مدخل إلى علم الفقه	٢	٣٠
٥	٦١	الأخلاق (٤) فلسفة ا لأخلاق	٢	٣٠
٦	٨٣	البلاغة	٣	٤٥
٧	٩١	التاريخ الإسلامي (٤) أئمة أهل البيت(٣)	٢	٣٠
٨	٩٦	علم النفس التربوي	٢	٣٠
٩	١١٢	البحث العلمي (٤) أصول البحث العلمي	٢	٣٠
المجموع		مجموع الوحدات : ١٨		
		مجموع الحصص : ٣٠٦		
		الوقت اللازم للتنفيذ : فصل دراسي كامل		

الأرصدة والوحدات الدراسية لمرحلة الإجازة/ معهد السيدة الزهراء(ع)

السنة الثالثة

تسلسل	الرمز	الرصيد الدراسي	الوحدات	الحصص
		الفصل الدراسي الأول		
١	١٣	مبادئ التفسير ومناهجه	٢	٣٠
٢	١٧	حفظ القرآن ومفرداته	١	١٥
٣	٢١/ ٢٢	علوم الحديث (دراية + رجال)	٣	٤٥
٤	٣٣	الفرق والمذاهب الكلامية*	١	١٥
٥	٤٣	القواعد الفقهية	٢	٣٠
٦	٥١	أصول الفقه (١)	٢	٣٠
٧	٦١	الأخلاق (٥) : تزكية النفس	٢	٣٠
٨	٧٢	فلسفة (١) مدخل إلى الفلسفة وتاريخها	٢	٣٠
٩	٩	التاريخ الإسلامي (٥) سيرة الزهراء القدوة	٢	٣٠
المجموع		مجموع الوحدات : ١٧		
		مجموع الحصص :		
		الوقت اللازم للتنفيذ : فصل دراسي كامل		

تسلسل	الرمز	الرصيد الدراسي	الوحدات	الحصص
		الفصل الدراسي الثاني		
١	١٥	التفسير الترتيبي	٢	٣٠
٢	١٧	حفظ القرآن ومفرداته	١	١٥
٣	٤٥	الفقه الاستدلالي (١)	٣	٤٥
٤	٥١	أصول الفقه (٢)	٣	٤٥
٥	٧٢	الفلسفة الإسلامية (٢)	٣	٤٥
٦	٩٤	مناهج التبليغ وأساليبه	٢	٣٠
٧	٩٧	أسس التربية الإسلامية وتنشأة الطفل	٢	٣٠
٨	١١٤	البحث العلمي (٥) مناهج العلوم	٢	٣٠
٩	١١٤	منهج البحث التاريخي	١	١٥
المجموع		مجموع الوحدات : ١٩		
		مجموع الحصص :		
		الوقت اللازم للتنفيذ : فصل دراسي كامل		

الملاحظات : * تحال الأجزاء التاريخية من الرصيد إلى المطالعة

الأرصدة والوحدات الدراسية لمرحلة الإجازة/ معهد السيدة الزهراء(ع)

السنة الرابعة

تسلسل	الرمز	الرصيد الدراسي	الوحدات	الحصص
		الفصل الدراسي الأول		
تسلسل	الرمز	الرصيد الدراسي	الوحدات	الحصص
١	١٦	التفسير الموضوعي	٢	٣٠
٢	٣٤	مبادئ علم الكلام	٢	٣٠
٣	٤٥	الفقه الاستدلالي (٢)	٤	٦٠
٤	٥١	أصول الفقه (٣)	٣	٤٥
٥	٧٢	الفلسفة الإسلامية (٣)	٣	٤٥
٦	٨٤	الأدب العربي (نصوص أدبية)	٢	٣٠
٧	٩٨	نظام الأسرة في الإسلام	٢	٣٠
٨	-	بحث التخرج	٢	٣٠
المجموع		مجموع الوحدات : ٢٠		
		مجموع الحصص :		
		الوقت اللازم للتنفيذ : فصل دراسي كامل		

تسلسل	الرمز	الرصيد الدراسي	الوحدات	الحصص
		الفصل الدراسي الأول		
تسلسل	الرمز	الرصيد الدراسي	الوحدات	الحصص
١	٣٥	الكلام الجديد	٢	٣٠
٢	٤٤	نظريات الحكم والإدارة في الإسلام	٢	٣٠
٣	٤٥	الفقه الاستدلالي (٣) الأحوال الشخصية	٣	٤٥
٤	٥١	أصول الفقه (٤)	٣	٤٥
٥	٦٢	مدخل إلي علم العرفان	٣	٤٥
٦	٧٢	الفلسفة الإسلامية (٤)	٣	٤٥
٧	٩٥	أساليب التدريس	٢	٣٠
٨	-	بحث التخرج	٢	٣٠
المجموع		مجموع الوحدات : ٢٠		
		مجموع الحصص :		
		الوقت اللازم للتنفيذ : فصل دراسي كامل		

النوع : الدراسات الإسلامية العامة

الشهادة : الإجازة في الشريعة

المدة : أربع سنوات/ ثمانية فصول دراسية/ * وحدة دراسية

الإعداد : مركز التخطيط للتعليم والمناهج والدراسات الإسلامية

الأرصدة والوحدات الدراسية لمرحلة التخصّص/ ماجستير في التفسير وعلوم القرآن

السنة الأولى

تسلسل	الرمز	الفصل الدراسي الأول		
تسلسل	الرمز	المادة الدراسية	الوحدات	الحصص
١	٢٢٢م	تاريخ القرآن	٣	٥١
٢	٢٣٣م	مفردات القرآن وغريبه	٢	٣٤
٣	٢٣٢م	أصول التفسير وقواعده	٢	٣٤
٤	٢٢٣م	علوم القرآن (١) صيانة القرآن عن التحريف	٢	٣٤
٥	٢٣١م	مناهج التفسير والمفسّرين (١)	٢	٣٤
٦	٢١٢م	ت . موضوعي (١) (القسم النظري)	١	١٧
٧		حفظ القرآن *	١	١٧
٨	٢٢٣م	علوم القرآن (٢) : القراءات ـ١ـ	٣	٥١
المجموع		مجموع الوحدات : ١٦		
		مجموع الحصص : ٢٧٢		
		الوقت اللازم للتنفيذ : فصل دراسي كامل		

الملاحظات : * يخصّص وحدة صفية لإدارة ، ومتابعة مشروع الحفظ ، والباقي للتحصيل الذاتي .

** تخصّص الذين لم يدرسوا المادة في مرحلة الإجازة أو في الدورات التخصّصية .

تسلسل	الرمز	الفصل الدراسي الأول		
تسلسل	الرمز	الرصيد الدراسي	الوحدات	الحصص
١	٢١١م	ت . ترتيبي (١)	٢	٣٤
٢	٢١٢م	ت . موضوعي (٢) العقيدة في القرآن	٢	٣٤
٣	٢٢٣م	علوم القرآن (٣) إعجاز القرآن ـ١ـ	٣	٥١
٤	٢٣١م	مناهج التفسير والمفسّرين (٢) المنهج الأثري ـ المنهج اللغوي	٣	٥١
٥	٢٢٣م	علوم القرآن (٤) المحكم والمتشابه وعلاقتهما بالتأويل	١	١٧
٦	٢٢٣م	علوم القرآن (٢) القراءات ـ٢ـ	٣	٥١
٧	-	حفظ القرآن	١	١٧
المجموع		مجموع الوحدات : ١٥		
		مجموع الحصص : ٢٥٥		
		الوقت اللازم للتنفيذ : فصل دراسي كامل		

الملاحظات : * يُعتمد تفسير الميزان كمتن دراسي في جميع الفصول ، مع حذف الأبحاث المستقلة .

* يخصّص وحدة صفية لإدارة ، ومتابعة مشروع الحفظ ، والباقي للتحصيل الذاتي .

الأرصدة والوحدات الدراسية لمرحلة التخصّص/ ماجستير في التفسير وعلوم القرآن

السنة الثانية

تسلسل	الرمز	المادة الدراسية	الوحدات	الحصص
		الفصل الدراسي الأول		
١	٢١١م	ت .ترتيبي (٢)	٣	٥١
٢	٢٢٣م	علوم القرآن (٣) إعجاز القرآن ـ٢ـ الإعجاز العلمي	٢	٣٤
٣	٢١٢م	ت .موضوعي (٣) الأخلاق والعرفان	٢	٣٤
٤	٢٣٥م	لغة القرآن	٢	٣٤
٥	٢٢٤م	القرآن والعهدان (دراسة مقارنة)	٢	٣٤
٦	ـ	حفظ القرآن*	١	١٧
٧	ـ	اللغة الأجنبية	٢	٣٤
المجموع		مجموع الوحدات : ١٤		
		مجموع الحصص : ٢٣٨		
		الوقت اللازم للتنفيذ : فصل دراسي كامل		

الملاحظات : * يخصّص وحدة صفية لإدارة ، ومتابعة مشروع الحفظ ، والباقي للتحصيل الذاتي .

** يُخصص وحدة دراسية للبحث الأخلاق ، وأخرى للبحث العرفاني .

تسلسل	الرمز	المادة الدراسية	الوحدات	الحصص
		الفصل الدراسي الثاني		
١	٢١١م	ت .ترتيبي (٣)	٣	٥١
٢	٢١٢م	ت .موضوعي (٤) الفقه في القرآن	٣	٥١
٣	٢٣٧م	القرآن والأدب (١) القصة والمثل في القرآن	٢	٣٤
٤	٢٣٤م	فقه اللغة	٢	٣٤
٥	٢٢٣م	علوم القرآن (٥) الوحي	١	١٧
٦	٢٣٨م	القرآن وأصول الفقه	١	١٧
٧	–	حفظ القرآن*	١	١٧
٨	–	اللغة الأجنبية	٢	٣٤
المجموع		مجموع الوحدات : ١٥		
		مجموع الحصص : ٢٥٥		
		الوقت اللازم للتنفيذ : فصل دراسي كامل		

الملاحظات : * يخصّص وحدة صفية لإدارة ، ومتابعة مشروع الحفظ ، والباقي للتحصيل الذاتي .

* يدرس القسم النظري للقراءات ضمن مادة تاريخ القرآن .

الأرصدة والوحدات الدراسية لمرحلة التخصّص/ ماجستير في التفسير وعلوم القرآن

السنة الثالثة

تسلسل	الرمز	المادة الدراسية	الوحدات	الحصص
		الفصل الدراسي الأول		
تسلسل	الرمز	المادة الدراسية	الوحدات	الحصص
١	٢١١م	ت . ترتيبي (٤)	٣	٥١
٢	٢١٢م	ت . موضوعي (٥) الفلسفة في القرآن	٢	٣٤
٣	٢٢٥م	القرآن والمستشرقون	٣	٥١
٤	٢١٢م	ت . موضوعي (٦) : عناصر الدعوة وأساليبها في القرآن	١	١٧
٥	٢٣٧م	القرآن والأدب (٢) عمارة السورة القرآنية	٢	٣٤
٦	-	حفظ القرآن*	١	١٧
٧	-	الرسالة	٢	٣٤
المجموع		مجموع الوحدات الصفية : ١٢/ العام ١٤		
		مجموع الحصص : ٢٣٨		
		الوقت اللازم للتنفيذ : فصل دراسي كامل		

تسلسل	الرمز	المادة الدراسية	الوحدات	الحصص
		الفصل الدراسي الثاني		
تسلسل	الرمز	المادة الدراسية	الوحدات	الحصص
١	٢١١م	ت . ترتيبي (٥)	٣	٥١
٢	٢١٢م	القرآن والحديث (علاقة القرآن بالسنة)	٢	٤٣
٣	٢٣١م	مناهج التفسير والمفسّرين (٣) المنهج القرآني في تفسير القرآن	٢	٤٣
٤	٢٣٩م	اللسانيات الحديثة والنص القرآني	٢	٤٣
٥	٢٣٦م	منهجية القرآن المعرفية	١	١٧
٦	-	الرسالة	٣	٥١
المجموع		مجموع الوحدات الصفية : ١٠/ العام : ١٣		
		مجموع الحصص : ٢٢١		
		الوقت اللازم للتنفيذ : فصل دراسي كامل		

الملاحظات : * يخصّص وحدة صفية لإدارة ، ومتابعة مشروع الحفظ ، والباقي للتحصيل الذاتي .

النوع : الدراسات التخصّصية

الشهادة : الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

المدة : ثلاث سنوات/ ستة فصول دراسية/ عدد الوحدات : ٨٥ وحدة .

مكان الدراسة : معهد الرسول الأكرم (ص) معهد السيدة الزهراء (ع) .

الإعداد : مركز التخطيط للتعليم والمناهج والدراسات الإسلامية

الأرصدة والوحدات الدراسية لمرحلة التخصّص/ ماجستير الفقه والأصول

السنة الأولى

تسلسل	الرمز	المادة الدراسية	الوحدات	الحصص
		الفصل الدراسي الأول		
تسلسل	الرمز	المادة الدراسية	الوحدات	الحصص
١	٣١١م	الفقه الاستدلالي المعمّق (١)	٤	٦٨
٢	٣٣١م	أصول الفقه (٢) ح ٣	٤	٦٨
٣	٣١٢م	القواعد الفقهية (استدلال معمّق)	٣	٥١
٤	٣٢١م	مدخل إلى فلسفة الفقه	٢	٣٤
٥	٣٤١م	تطبيقات في علم الرجال (١)	٢	٣٤
المجموع		مجموع الوحدات الصفية : ١٥		
		مجموع الحصص : ٢٥٥		
		الوقت اللارزم للتنفيذ : فصل دراسي كامل		

تسلسل	الرمز	المادة الدراسية	الوحدات	الحصص
		الفصل الدراسي الثاني		
تسلسل	الرمز	المادة الدراسية	الوحدات	الحصص
١	٣١١م	الفقه الاستدلالي المعمّق (٢)	٤	٦٨
٢	٣٣١م	أصول الفقه (٣) ح ٣	٤	٦٨
٣	٣٣٢م	أصول الفقه المقارن (١) المبادئ العامة	٢	٣٤
٤	٣١٣م	آيات الأحكام	٣	٥١
٥	٣٤١م	تطبيقات في علم الرجال (٢)	٢	٣٤
المجموع		مجموع الوحدات الصفية : ١٥		
		مجموع الحصص : ٢٥٥		
		الوقت اللارزم للتنفيذ : فصل دراسي كامل		

الأرصدة والوحدات الدراسية لمرحلة التخصّص/ ماجستير الفقه والأصول

السنة الثانية

		الفصل الدراسي الأول		
تسلسل	الرمز	المادة الدراسية	الوحدات	الحصص
١	٣١١م	الفقه الاستدلالي المعمّق (٣)	٤	٦٨
٢	٣٣١م	أصول الفقه (٤) ح ٣	٤	٦٨
٣	٣١٦م	الفقه المقارن	٣	٥١
٤	٣٣٢م	أصول الفقه المقارن (٢) مصادر الاستنباط	٢	٣٤
٥	-	اللغة الأجنبية التخصّصية	٢	٣٤
المجموع	مجموع الوحدات الصفية : ١٥			
	مجموع الحصص : ٢٥٥			
	الوقت اللازم للتنفيذ : فصل دراسي كامل			

		الفصل الدراسي الثاني		
تسلسل	الرمز	المادة الدراسية	الوحدات	الحصص
١	٣١١م	الفقه الاستدلالي المعمّق (٤)	٤	٦٨
٢	٣٣١م	نصوص أصولية (١) كفاية الأصول	٤	٦٨
٣	٣١٧م	الحق والقانون في الفقه (دراسة مقارنة)	٣	٥١
٤	٣١٤م	أصول الإثبات في القضاء الإسلامي (١) (دراسة مقارنة)	٢	٣٤
٥	-	اللغة الأجنبية التخصّصية	٢	٣٤
المجموع	مجموع الوحدات الصفية : ١٥			
	مجموع الحصص : ٢٥٥			
	الوقت اللازم للتنفيذ : فصل دراسي كامل			

الأرصدة والوحدات الدراسية لمرحلة التخصّص/ ماجستير الفقه والأصول

السنة الثالثة

تسلسل	الرمز	المادة الدراسية	الوحدات	الحصص
		الفصل الدراسي الأول		
١	٣٣٣م	نصوص أصولية (٢) الرسائل	٤	٦٨
٢	٣١٤م	أصول الإثبات في القضاء الإسلامي (٢)	٢	٣٤
٣	٣١٥م	فقه الحكومة الإسلامية	٣	٥١
٤	٣١٨م	بحوث فقهية حديثة	٢	٣٤
٥	-	الرسالة	٢	٣٤
المجموع		مجموع الوحدات الصفية : ١٣		
		مجموع الحصص : ٢٢١		
		الوقت اللازم للتنفيذ : فصل دراسي كامل		

تسلسل	الرمز	المادة الدراسية	الوحدات	الحصص
		الفصل الدراسي الثاني		
١	٣٣٣م			
٢	٣١٩م	فقه الاقتصاد الإسلامي *	٣	٥١
٣	٣٢٠م	الفقه الجنائي (الحدود والقصاص)*	٤	٦٨
٤	-	الرسالة	٣	٥١
المجموع		مجموع الوحدات الصفية : ١٤		
		مجموع الحصص : ٢٣٨		
		الوقت اللازم للتنفيذ : فصل دراسي كامل		

* يختار الطالب إحدى المادتين لتمهيد لاختصاصه الأعلى .

النوع : الدراسات التخصّصية

الشهادة : الماجستير في الفقه والأصول

المدة : ثلاث سنوات/ ستة فصول دراسية/ عدد الوحدات : ٨٧ وحدة .

مكان الدراسة : معهد الرسول الأكرم (ص) .

الإعداد : مركز التخطيط للتعليم والمناهج والدراسات الإسلامية .

الفصل الخامس

نداء الإمام الخامنئي إلى الحوزات العلمية

* وظائف الحوزة الرئيسة
* الحوزة العلمية واقعها ومشكلاتها
* إشكاليات الحوزة
* مواطن التصور وأسبابها
* برنامج مؤسَّسة باقر العلوم ـ قم المقدسة
* خطوات نحو العلاج

نداء الإمام الخامنئي إلى الحوزات العلمية[1]

الحوزات العلمية عبر التاريخ:

تمثّل الحوزة العلمية في قم، والتي نذكر اسمها اليوم بكل فخر وإجلال، ثمرة وحصيلة الحوزات العلمية منذ إيجادها في أواخر القرن الهجري الثاني، أو على الأقل منذ أوائل القرن الثالث، حينما ظهرت مراكز دينية مثّلت نواة الحوزات العلمية. وقد كانت حوزة قم في عهد آخر ثلاثة أئمة من أئمتنا (الجواد والهادي والعسكري عليهم السلام) -وهو ما عرف بعهد القميين- حوزة علمية بالمعنى الحقيقي للكلمة؛ إذ كان يتم فيها التدريس، والتتلمذ، والبحث، والتدوين والنشر.

أما اجتماعات الصحابة والمحدّثين، وحملة العلم من حواريّي الأئمة في مدينة الكوفة، وغيرها فلا نريد أن نصطلح عليها بـ«**الحوزة العلمية**».

على هذا، ربما يمكن اعتبار حوزة قم، من أقدم حوزاتنا العلمية؛ وهو ما تدل عليه آثار العظماء من أمثال الأشعريين وآل بابويه وآخرين، والتي ظلت حتى يومنا هذا.

لكنَّ هذه الحوزة لم تبقَ على ازدهارها وعظمتها، بل توزّع

(١) مدينة قم، شهر رجب، ١٤١٦ هـ.ق.

الثقل العلمي على مراكز أخرى من العالم؛ في شرق العالم الإسلامي وما وراء النهر[1] وشرق خراسان، حيث عاش رجال مثل الشيخ العيّاشي[2] ، والشيخ الكشّي[3] ، والسمرقنديين[4] ، والنسّائيين[5] وغيرهم ممن عرفناهم كمحدّثين، ورواة ومؤلّفين. كما انبثقت حوزة بغداد على يد الشيخ المفيد[6]، ومن بعده السيد المرتضى[7] ، والشيخ الطوسي[8] عليهم الرحمة والرضوان، إضافةً إلى حوزة النجف التي وُلدت بهجرة الشيخ الطوسي إلى هذه المدينة حوالي العام ٤٥٠ أو ٤٤٨ أو ٤٤٩، حيث أقام تنظيماً مركزياً باسم الحوزة العلمية للفقاهة، والحديث والعلوم الإسلامية. كل ذلك شكّل مرحلة مهمّة من مسيرة الحوزات العلمية.

بعد ذلك انبثقت الحوزات العلمية الشيعية في **«الشامات»**[9]؛

---

(١) أي ما وراء نهر جيحون بخراسان القديم.

(٢) الشيخ محمد بن مسعود بن محمد بن عياش السلمي السمرقندي، من فقهاء الشيعة، توفي ٣٢٠هـ.

(٣) الشيخ محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي، صاحب كتاب رجال الكشي (المعروف)، صحب العياش وأخذ منه.

(٤) أمثال: العياشي - الأنف الذكر - وجعفر بن أحمد بن أيوب التاجر السمرقندي، وحيدر بن محمد السمرقندي، ومحمد بن الوارث السمرقندي وغيرهم.

(٥) أمثال: علي بن سويد النسائي، ومحمد بن ربيع النسائي، ويونس النسائي وغيرهم.

(٦) الشيخ محمد بن محمد بن النعمان الحارثي البغدادي، المشتهر بالمفيد (ت: ٣١٤هـ.) وكان من كبار علماء الشيعة وصاحب مدرسة فقهية.

(٧) السيد علي بن الحسين الموسوي (ت: ٤٣٦هـ.) فقيه الإمامية ونقيب نقباء الطالبيين في بغداد. صاحب مؤلفات كثيرة.

(٨) الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت: ٤٦٠هـ.) شيخ الطائفة وكبير فقهاء الإمامية في القرن الخامس الهجري، وصاحب مدرسة اجتهادية.

(٩) أي بلاد الشام.

أي «**طرابلس**»، و«**حلب**»، ثم في مدينة «**الحلّة**»[1] التي أنجبت فقهاءَ عظاماً خلّدهم التاريخ، وضمت آثارها كتب الفقه الشيعي.

واستمرّت هذه المسيرة حتى مجيء الحكم الصفويّ في إيران، لتبدأ بذلك مرحلة مهمّة من التاريخ. ورغم محاولات البعض إظهار الصفويّين كأعداء للشيعة والإسلام والقيم الدينية، إلّا أن سلاطين الصفويّين -رغم كل النقاط السلبيّة في حكمهم وفي شخصيات حكامهم -قاموا بخطوات كبيرة خالدة، لا يمكن أن تُنسى، ومن هذه الأعمال كان الاهتمام بتوسيع وتطوير الحوزات العلمية الشيعية، وقد شمل اهتمامهم بالتطوير حوزات قم، وأصفهان، وخراسان، والنجف وباقي المناطق التي ازدهرت ببركاتهم، ومن يقرأ التاريخ سيطّلع على أعمال عظيمة ومدهشة.

فلو نظرتم إلى قائمة فقهاء الشيعة في ما قبل هذه المرحلة، لما رأيتم بينهم من الفقهاء الإيرانيين سوى العدد القليل جداً، أما بعد عهد الصفويين، فقد أصبح الإيرانيون يشكّلون الغالبيّة العظمى التي قد تصل إلى ٩٠ بالمائة من مجموع الفقهاء.

بعد تلك المرحلة التاريخية، بلغت حوزتا النجف وكربلاء ذروة إزدهارهما، وظهر فيهما طلاب من أمثال المرحوم الوحيد البهبهاني[2] ثم الشيخ[3]، وصاحب الجواهر[4]، ثم تلاميذ هؤلاء

---

(١) مدينة تقع جنوب بغداد عاصمة العراق.

(٢) مؤسس حوزة كربلاء ومجدّد عصره، صاحب مواقف تاريخية في مقابلة النزعة الأخبارية لدى الشيعة لا سيّما في كربلاء. (توفي ١٢٠٥هـ.).

(٣) الشيخ مرتضى الأنصاري، من كبار مراجع الشيعة، ومجدد علم أصول الفقه، وصاحب كتابي **الرسائل في أصول الفقه، والمكاسب في الفقه الاستدلالي** (توفي ١٢٨١هـ.).

(٤) الشيخ محمد حسن النجفي، صاحب موسوعة فقهية شهيرة باسم «**جواهر الكلام**» (توفي ١٢٦٦هـ.).

العظماء الذين استمرّوا حتى المراحل الأخيرة.

بعد ذلك، انتقل مركز الحوزة العلمية مرة أخرى إلى قم، على يد المرحوم آية الله الحائري[1]، ثم المرحوم آية الله البروجردي[2]، وما زالت قم مركز الحوزة العلمية حتى يومنا هذا.

من هنا، فإن الحوزة العلمية في قم، تمثّل حصيلة مسيرة تاريخية غنيّة، وثمرة حركة علمية عظيمة اجتمعت فيها الهجرة والعلم والبحث، حتى أصبحت الحوزة التي أنتم فيها اليوم.

إن الحوزات العلمية تشكل موضوع دراسة تاريخيّة وعلميّة ذات أهمية فائقة، تستحق من فضلاء الحوزة وعظمائها وأهل الرأي فيها، القيام بها؛ وأحمد الله على ما أرى من اهتمام بهذا الشأن.

وظائف الحوزة الرئيسة: حفظ الحوزة، ترميمها وتطويرها

إذن، نحن اليوم أمام حوزة تُعتبر ميراث اثني عشر قرناً من الحركة العلمية، علينا أن نقوم بعدّة وظائف، سأذكر ثلاثاً منها مع بعضها البعض باعتبارها من البديهيات، ولا تحتاج إلى بحث أو استدلال.

الوظائف هي:

١- الحفاظ على الحوزة.

٢- ترميمها وسد نواقصها.

٣- تطويرها وتنميتها ودفعها إلى الأمام.

١ ـ الحفاظ على الحوزة:

بحمد الله، فإن **«الحفاظ على الحوزة»** أمر حاصل، بل إن هذه

---

(١) مؤسس حوزة قم العلمية في العهد الأخير، (توفي ١٣٥٥هـ.).

(٢) من كبار مراجع الشيعة، (توفي ١٣٨٠هـ.).

الوظيفة تُؤدى بشكل أفضل من الماضي، كماً ونوعاً. وعموماً، فإنّ هذه الوظيفة لا تشكو من تقصير. لكن الصعوبة والدقة تكمن في عملية «**الترميم**»، والأكثر صعوبة من ذلك، هي عملية «**التطوير**»، فلا يكفي أن تحافظوا فقط على ميراث السلف لتسلّموه إلى الجيل الجديد، لأن التوقّف في المكان نفسه هو في حد ذاته عودة إلى الوراء.

٢ ـ ترميم الحوزة:

ماذا يعني الترميم؟ إنه -باختصار- قيام الحوزة بتخريج العناصر الجديدة التي من شأنها سد الثلمة التي يخلّفها فقدان بعض عناصر الحوزة من رجالها؛ وأيضاً، إيجاد مفاهيم جديدة يمكنها أن تحل محل المفاهيم المندرسة والقديمة.

فالمفاهيم تتقادم وتفقد نضارتها وحيويتها بمرور الزمن، بفعل معطيات جديدة وظهور رؤى وأساليب جديدة في النظر إليها.

وهنا يتوجّب استبدالها بمفاهيم جديدة تحل محلها، فلا يكفي، مثلاً، أن تقوم في مجال علم الأصول بمراجعة كتاب «**صاحب الفصول**»[١]، أو «**صاحب القوانين**»[٢]، واعتبار العديد من مباحثه في حكم المنسوخ(رغم أن هذا قائم بالفعل)، فأيّ من الفضلاء والأصوليين البحاثة يشعر -خلال تأملاته الأصولية- بالحاجة إلى كتاب «**الفصول**»، أو إلى العديد من أبواب كتاب «**القوانين**»؟ لقد أصبحت قديمة، وفقد الكثير من مفاهيمها بريقه بعدما دخلت بدلاً منها مفاهيم عصرية جديدة.إذن، فالمفاهيم تتعرّض للنسخ. وكذلك

---

(١) الشيخ محمد حسين الإصفهاني (ت: ١٢٥٤ أو ١٢٦٠هـ.) صاحب كتاب **الفصول في علم الأصول**.

(٢) الشيخ أبو القاسم القمي (ت: ١٢٣١هـ.) من كبار فقهاء وأصوليي الإمامية.

الحال في باقي العلوم، وهو ما يستدعي بذل جهد متواصل لتقديم مباحث ومفاهيم جديدة لسد الفراغ الحاصل بنسخ القديمة.

فالأفق الذهني لكل علم بلحاظ حجم المفاهيم اللازمة له يجب أن يبلغ الكمال؛ هذا هو «**الترميم**» الذي يلزم بذل مزيد من الجهد والفعالية من أجله.

٣ ـ تطوير الحوزة

والأهم من الترميم هو التطوير بما يعنيه من الدفع إلى الأمام واكتشاف آفاق جديدة؛ فليس التطوير هو فقط أن نضاعف من الدّقة لدى الخوض في بحث ما؛ كأن يأتي أحدهم ليعيد التدقيق في مسألة بحث فيها عالم من القرن السادس مستخدماً استدلاله في ذلك الوقت، فيقوم هذا الشخص بتأييد بعض استدلالاته وإبطال البعض الآخر، وإخراج المسألة نفسها مع بعض الاختلاف.

يجب أن لا يقتصر العمل على هذا الجانب، بل يجب فتح آفاق جديدة في العلم نفسه(أي الفقاهة) وفي حصيلة هذا العلم (أي الأبحاث الفقهية)، وكذا الحال في الأصول والكلام وباقي الأبحاث التي تحتاج دائماً إلى تجديد حياتها.

فالحوزات يجب أن تتمتّع بالحيويّة، لتتمكّن من تطوير نفسها، أما الحوزة الجامدة أو الميّتة فلا قدرة لها على ذلك.

إن الحوزة -كما الإنسان- لها حالات ضعف وقوة، وحياة وموت، وسقم وصحة؛ ويجب أن تكون دائماً حيّة قوية وسليمة لتتمكّن من النموّ والتطوّر، وفتح آفاق جديدة تمكّنها من فتح ساحات عمل جديدة تُطلّ فيها على المستفيدين منها.

ونحن عندما نخوض في تاريخ الحوزة العلميّة في قم، لا نريد الإشارة فقط إلى أن تلك المراحل التاريخية التي شكّلت سلف

الحوزة الحالية، إنما نريد التأكيد على التواصل في المضمون بين الماضي والحاضر. فأبحاث الشيخ الطوسي وبعدها إبداعات ابن ادريس[1]، والمحقق الحلّي[2]، والمجهود الفقهي الواسع الذي بذله العلّامة[3]، وإنجازات باقي العلماء، كلها تبلورت وترعرعت في هذه الحوزة.

فكل من قدّم شيئاً أو أبدع في الفقه والأصول خلال القرون الماضية، نجد آثاره اليوم في دروس، وبحوث وتأليفات هذه الحوزة العلمية.

الحوزة العلمية، واقعها ومشكلاتها:

ما هو الوضع الحالي لهذه الحوزة التي تملك هذا التاريخ وهذه الجذور؟

إنه (هذا السؤال) الموضوع الذي يجب الخوض فيه دائماً، خصوصاً من قبل أولئك المهتمين بمصير الإسلام والمسلمين؛ فليس هذا الأمر مما يمكن إهماله أو التنصّل منه، بل هو واجب يقع على عاتقكم أنتم فضلاء الحوزة وطلابها الموجودين هنا الآن، وعلى عاتق كل طالب في أرجاء العالم يشعر أنه مدين لهذه الحوزة، بل وعلى كل مسلم استفاد من بركتها، أو يريد الاستفادة منها.

وطبيعي أن هذه المهمّة لا يقوم بها غير العلماء (علماء الدين)

---

(١) الشيخ محمد بن أحمد بن إدريس الحلّي (ت: ٥٩٨هـ.) من كبار فقهاء الإمامية، من كتبه: السرائر الحاوي لتحرير الفتاوى.

(٢) الشيخ نجم الدين جعفر بن الحسن الحلّي (ت: ٦٧٦هـ.) من كبار فقهاء الإمامية، وصاحب كتاب **«شرائع الإسلام»**.

(٣) الشيخ أبو منصور، جمال الدين الحسن بن يوسف بن علي بن المطَّهر الحلّي من كبار علماء الإمامية، وله مؤلفات عديدة في **الفقه والأصول والكلام** وغيرها، (ت: ٧٢٦هـ.).

من أبناء هذه الحوزة؛ فلو أريد إنجاز عمل مجدٍ، فيجب أن يتم داخلها، وعلى أيديكم أنتم.

ربما تجدون مؤيّدين لكم من خارج الحوزة -مثلي أنا- إلاّ أن دور هؤلاء يقتصر على الدعم والمساعدة، أما العمل الأساسي فيجب أن يتم على أيديكم أنتم.

من هنا، فإنني أؤكد دائماً على أن ترميم الحوزة وتطويرها يجب أن يكون ذاتياً، ولا يمكن لأحد من خارجها القيام بذلك.

كيف هي الحوزة اليوم؟ وكيف ستكون غداً؟ أو كيف يجب أن تكون؟

لا شك في أنها شهدت اليوم تطوراً كبيراً مقارنة مع ما كانت عليه في الماضي، وهذا ما لا يستطيع أحد إنكاره، بل لا مجال للمقارنة بين الحوزة الحالية والحوزة السابقة...

فهي، كما ذكر آية الله المشكيني، تطورت نوعاً وكمّاً؛ إذ كان فيها خلال تلك العهود أربعمائة طالب، أما اليوم فهي تضم آلاف الطلبة والأفاضل الذين يواصلون الدراسة.

وما يقدّمه بعض الطلاب اليوم يفوق في أهميته العملية -وأحياناً العلمية- ما قدّمه طلاب العهود الماضية بعشرات المرات.

ولا يمكن لأحد القول بأن الحوزة تراجعت إلى الوراء، بل إنّها تقدّمت بالفعل، كما أن أفكار رجالها القدامى موجودة بين أيديكم، فمثلاً كتاب «**المكاسب**» الذي تدرسونه هو كتاب البحث الخارج لـ «**الشيخ**»[(١)] وهو يمثّل أعلى مراتب بحوثه، وكذلك فإن «**الكفاية**» التي تدرسونها، تمثّل قمة الأفكار الأصولية للمحقّق الخراساني.

---

(١) المقصود هو الشيخ مرتضى الأنصاري (ت: ١٢٨١هـ.) من كبار فقهاء وأصوليي الإمامية، وصاحب مدرسة اجتهادية.

فلو قرأ أحد الطلبة، اليوم، «**كفاية الأصول**» وفهمها، فحاله كحال أكابر تلامذة «**الآخوند**»[1] آنذاك، لكن على الطالب اليوم أن يعي أنّ ما يقرأه في «**الكفاية**»، ليس نهاية الطريق، كما كانت في ذلك العهد.

وعلى هذا، فإن الحوزة شهدت تطوراً كبيراً في الفقه والأصول، وعلى صعيد حجم النشاط، وفي عملها التبليغي، وتوسعها في أنحاء العالم، واضطلاعها بمسؤوليات عديدة.

إشكاليات الحوزة:

لو نظرنا إلى الحوزة من زاوية أخرى، فسنكون أمام أمرين هامين، يعتبران اليوم إشكالين مهمين في وضعها؛ الأول لم يكن موجوداً في الماضي وهو خاص بهذا العصر، والثاني على الأرجح كذلك.

١ـ الحوزة وإشكالية المعاصرة:

الإشكال الأول: هو عدم مواكبة الحوزة لمعطيات العصر، ففي الماضي لم تكن متخلفة عن عصرها أبداً، بل كانت متقدّمة عليه.

أنظروا مثلاً إلى ما قدّمه علماؤنا إلى أهل زمانهم على الصعيد العلمي والفقهي والكلامي.

لقد كان عطاؤهم كبيراً رغم قلّة عددهم، فلو كان هنا نفر من الشيعة في نيسابور، أو بلخ أو هرات التي كانت تُعَدُّ من أقصى نقاط العالم الإسلامي بالنسبة إلى بغداد، وكانوا بحاجة إلى رأي فقهي أو كلامي، كان الشيخ المفيد يتواصل معهم من مركزه في بغداد ويمدّهم بما يطلبون.

---

(١) هو الشيخ محمد كاظم الهروي الخراساني (ت: ١٣٢٩هـ.)، من كبار فقهاء الإمامية، صاحب كتاب «**كفاية الأصول**» في علم الأصول.

إذن، فالشيخ المفيد لم يكن متخلفاً عن زمانه، وكذلك الحال في زمن الشيخ الطوسي، إذ تصدّى لذلك الشخص المعادي لمدرسة أهل البيت، والذي قال للشيعة «**أن لا مصنّف لكم**»، فبادر الطوسي إلى الرد عليه عبر تلخيص واحد من أكبر كتب الرجال «**رجال الكشي**»، كما كتب هو نفسه كتاباً وفهرستاً في الرجال لهذا الغرض. وما كاد يسمع ممن يشكل على الشيعة بأن لا فقه لهم، حتى بادر إلى تأليف كتاب كبير وغني بالبحث، حسب مستوى البحث آنذاك.

وعندما كان محمد بن زكريا الرازي يتفوّه بعدّة كلمات إلحادية، كان ينبري له السيد مرتضى الرازي[١] للرد عليه في كتاب خاص.

وعندما وضع أحد الكتّاب المعادين لأهل البيت كتاباً يسخر فيه من حقائق الشيعة وعقائدهم، بادر عبد الجليل الرازي القزويني إلى الرد عليه في كتاب سمّي بـ «**النقض**».

إذن، فإنّ كل من كان يتناول الشيعة سلباً، خصوصاً في المجال الفقهي الكلامي، لم يكن الشيعة يتركونه من دون الرد عليه، بقوة، وبلاغة علمية.

هكذا كان الحال؛ ففي الهند قام أحد الكتّاب بتأليف كتاب اسمه «**التحفة الاثني عشرية**»[٢] تناول فيه الشيعة بالقدح والذم، وفي الوقت نفسه تناول أهل البيت بالمديح والثناء، فتصدّى له السيد حامد حسين بكتاب عظيم اسمه «**عبقات**»[٣]، تبعته ردود عديدة ربما وصلت إلى العشرة حسبما أذكر.

---

(١) صاحب كتاب «**تبصرة العوام في المقالات**» (سفينة البحار ٣/ ٣٧٠-الذريعة ٣/ ٣١٨).

(٢) **التحفة الاثني عشرية في الرد على الإمامية**، للمولوي عبد العزيز الدهلوي (ت: ١٢٣٩هـ).

(٣) **عبقات الأنوار في إمامة الأئمة الأطهار**ﷺ، للعلامة السيد حامد حسين اللكهنوي (ت: ١٣٠٦هـ).

وقد أطلعت على فهرست لكتب علماء الهنود الشيعة بينهم كبار وأعلام من الرتبة الأولى، وبحسب ظنّي فهناك أكثر من عشرة ردود على ذاك الكتاب (التحفة الاثني عشرية).

إذن، فالحوزات العلمية لم تكن متخلّفة عن زمانها، وكلما قام شخص ما بوضع كتاب خطّي ليقوم شخص آخر بتوزيعه، وثالث بقراءته بحيث لا يقرأه طوال الدهر أكثر من أربعة أشخاص، كان العالم الشيعي يبادره على الفور بالرد وبالطريقة نفسها، وأحياناً بسرعة وحزم أكبر. وحتى عهد الشهيد الأول[1](ره) كانت كتبنا الفقهية تتضمن آراء فقهاء أهل السنّة مثل كتاب **«العلامة»**، و **«فخر المحققين»**[2]، لكنّ الأمر تغيّر فيما بعد ولم تعد كتب الشيعة في الغالب، تأتي على ذكر آراء أهل السنّة؛ فأنتم ترون أن كتبنا القديمة كانت تتضمن آراء أهل السنّة مع الأدلة المتعددة الجوانب.

لا تنظروا فقط إلى كتاب **«الخلاف»** الذي تمسك فيه الشيخ الطوسي بالإجماع؛ إذ غالباً ما تحتوي كتب العلّامة والآخرين، وكذلك كتب الطوسي نفسه على استدلالات محكمة ومفصّلة.

لكن وضع الحوزة يختلف اليوم عما كان في الماضي، فهي حالياً متخلّفة كثيراً عن زمانها ومساحة هذا التخلّف ليست صغيرة؛ ويمكن تشبيه وضعها بشخصين يعتليان حصانين ويسيران معاً، حصان أحدهما أكثر سرعة، فيلجأ الثاني صاحب الحصان البطيء إلى السيارة، فيسبق صاحبه رغم سرعة حصانه؛ وهكذا هي أوضاعنا

---

(١) الشيخ محمد بن مكّي المعروف بـ «الشهيد الأول»، من كبار فقهاء الإمامية (ت: ٧٨٩هـ).

(٢) الشيخ محمد بن الحسن المطهر الحلّي، المعروف بـ «فخر المحققين»، له مؤلفات عدة أشهرها: **«إيضاح الفوائد في شرح إشكالات القواعد»**، (ت: ٧٧١هـ).

اليوم، فأمواج الفقه، والفلسفة، والكلام والحقوق اجتاحت العالم، وعندما نعود إلى أنفسنا نجد أننا متخلفون عنها إلى حدٍّ بعيد.

هذا الأمر ينطبق حتى على الأخلاق، إذ ينقل لي أحد الأعلام في الحوزة -أدام الله بقاءه-، وهو موجود بيننا الآن- أنه خلال زيارته لإنجلترا مؤخراً، رأى في إحدى المكتبات طابقاً كاملاً مخصّصاً لكتب الأخلاق التي وضعها المؤلفون الأوروبيون خلال السنوات الأخيرة.

تُرى، كم كتاباً في الأخلاق صدر عن الحوزة العلمية في قم في تلك السنوات؟ هل تشكل واحداً من الألف أو لنقل عشرة من الألف من تلك الكتب؟ باعتقادي أن ما صدر هو أقل من هذه النسبة بكثير.

واللافت أننا نتحدث عن موضوع الأخلاق الذي نعلم أن الغرب لا يعيره أهمية كبرى؛ ومن الطبيعي أن كتب الأخلاق في الغرب، على الأغلب، موضوعها فلسفة الأخلاق وانتقاد الأخلاق، وطرح آراء في الأخلاق غير المعنوية(المادية). أما نحن، فماذا صدر عن الحوزة بعد «**معراج السعادة**»[1]، و «**جامع السعادات**»[2] باستثناء القليل الذي صدر خلال السنوات الأخيرة مما يمكن اعتباره كتباً علمية؟

وينطبق هذا الأمر نفسه على مجال «**القانون**» (الحقوق)، فأنتم ترون كم كتاباً صدر -حتى الآن- في باب القوانين المدنية والجزائية ومختلف الأبحاث القانونية، وكل ذلك حدث في الغرب، وفي العالم الإسلامي غير الشيعي.

---

(١) معراج السعادة (فارسي)، ألفّه الشيخ أحمد بن مهدي النراقي الكاشاني، على منهج كتاب والده «**جامع السعادات**»، (ت: ١٢٤٥هـ).

(٢) **جامع السعادات**، تأليف الشيخ مهدي النراقي الكاشاني، (ت: ١٢٠٩هـ).

وعلينا الاعتراف بأننا متخلّفون جدّاً في هذا الجانب، رغم أنّه من صلب تخصصاتنا، حيث يشكّل الفقه أغلب تخصصات الحوزات العلمية.

أنظروا كم صدر -حتى الآن- من كتب، ودراسات وبحوث في مجالات الفلسفة والكلام، والكلام الجديد، وفلسفة الدين وأبحاث حول الدين، وكم من الأعمال تحققت في هذا المجال؟ ربما تكون هذه كلها على غير صواب، لكنها تظل متاعاً للفكر، وأمواجاً فكرية تشغل حيّزاً في المساحة الذهنية للمجتمعات؛ فأين أنتم من كل هذا وكيف تريدون مواجهته؟ أين هو عبد الجليل الرازي القزويني ليكتب «**النقض**» الذي يناسب هذا الزمان؟ ليس كتاباً واحداً بل عشرات الآلاف من الكتب في هذه المجالات.

إن العالم، اليوم، هو عالم الموجات، فبالموجات والكومبيرتر تنقل المفاهيم والعلوم كافة من هذا الجانب من العالم إلى الجانب الآخر؛ لقد أصبح بالإمكان، الاطلاع على محتويات كتاب من مكتبة الكونغرس الأميركي، بواسطة الكمبيوتر وخلال دقائق (الانترنت)، والحصول على نسخة مطبوعة لكل ما نريد.

نحن متأخرون جداً عن هذا العالم، فلماذا ننكر ذلك؟.. إنه النقص الرئيسي والأكبر الذي تعاني منه حوزتنا اليوم.

٢ـ الحوزة وإشكالية توظيف الطاقات الإنسانية

الإشكال الثاني: الذي تعاني منه الحوزة، والذي أعتقد أنه لم يكن في الماضي؛ هو عدم الاستثمار الصحيح للطاقات البشرية الموجودة فيها.

ففي حوزة قم، الآن، آلاف القابليات والطاقات الخلّاقة للطلاب الأفاضل والشباب الجيدين، ولو حظي هؤلاء بقليل من

الاهتمام الخاص، ووُضع كلّ في محله المناسب له، وكُلّفوا بما يستطيعون من دون تضييع لأوقاتهم، لأصبح بإمكان كل واحد من هؤلاء سد جانب من النقص الذي تشكو منه الحوزة.

من الطبيعي أن هذا النقص كان في زماننا أيضاً، عندما كنت مقيماً في الحوزة، لكنني أعتقد أنه لم يكن بالدرجة الموجودة حالياً، فالعلّامة الحلّي، مثلاً، أنشأ مدرسة سيّارة، وكان يتجوّل برفقة «**الجايتوي خدا بنده**» في المناطق النائية ليستقطب الطلاب إلى المدرسة، لكنّ بعض الوقائع التاريخية تجعل الإنسان يدرك أن المراحل السالفة شهدت استثماراً للطاقات البشرية بالشكل الصحيح.

أ ـ مواطن القصور وأسبابها

تعاني الحوزة من مواطن قصور عدة تعكس وجود نواقص في جسمها؛ وفي البداية، لنستعرض حالات القصور ونرى ما إذا كنا نعترف بها أم لا؟

١ـ عدم التناسب الكمي والنوعي:

من أشكال القصور في الحوزة، عدم التوسع الذي يتناسب وعدد المنتسبين؛ صحيح أن عددهم الآن يبلغ عشرة ضعف ما، بل ربما مئة أضعاف لما كانوا عليه سابقاً، إلّا أن عددهم لم يصل إلى المعدل المطلوب؛ فهناك الكثير من المساجد، والجامعات، والقرى، والمصانع والمعسكرات التي تفتقد وجود عالم دين فيها، كما أن هناك دولاً عديدة يفتقد مسلموها وجود علماء الدين.

من هنا، فإن هذا الحجم الضخم الذي نشاهده للحوزة العلمية، اليوم، لا يفي بالغرض، وهذا نقص واضح لا يمكن إنكاره.

في الماضي، كان يوجد في بعض المدن الكبيرة عشرة من المجتهدين الذين يتمكّن كلّ منهم من إدارة وتعليم مئتي شخص. أما اليوم، فلا يوجد شخص واحد مثل أولئك السلف في تلك المدن؛ كما يوجد في بعض المدن علماء دين ممن لا يتمتعون بالقدرة

العلمية والفكرية اللازمة، أو لايملكون الحماسة اللازمة للعمل، هذا بالرغم من وجود البعض ممن هم في المستوى المطلوب.

٢ـ نقص المحتوى الدراسي في الحوزة:

ومن مظاهر النقص الأخرى في الحوزة، القصور الظاهر في تطوير محتوى المقرّر (المتن) الدراسي الحوزوي؛ فلدينا اليوم الكثير من المسائل الفقهية والكلامية التي لم تحلّ.

كما أننا نعاني نقصاً في المعارف اللازمة لعالم الدين، وفي أماكن كثيرة لدينا علماء دين لا يتمتعون بما ينبغي أن يتمتع به العالم، بما يتناسب وظروف العصر؛ وهذا ما ندرجه في خانة نقص المحتوى الذي تعاني منه الحوزة.

٣ـ ضعف النشر والتبليغ:

يُعتبر عدم التطور والتوسّع على صعيد التبليغ والنشر، من أشكال القصور الأخرى في الحوزة. فإصدار الكتب والصحف والمجلّات، واستخدام الموجات «**السمعية والبصرية**»، لا يتم بالقدر اللازم، كما أن الحوزة لا تبعث بالقدر الكافي من المبلّغين الدينيين، فيما نحن نتلقى طلبات عديدة من أرجاء العالم كأفريقيا، وأوروبا، وآسيا لإرسال هؤلاء المبلّغين.

لقد ذكرت لكم في اجتماع سابق في العام ١٤١٠هـ، أن بعض الأفاضل الذين يقومون بزيارة بعض البلدان لأمر ما، يقولون عند العودة: إن الطلاب الجامعيين في البلد الفلاني بحاجة ماسة إلى عالم دين، فلماذا لا ترسلون لهم من يلبّي حاجتهم؟ أقول: من الجيد أنكم ذهبتم للعلاج هناك، ولمستم هذه الحقيقة بأنفسكم.

إننا نتلقى -اليوم- طلبات عديدة من كل أنحاء العالم. وهذا

النقص موجود ولا يمكننا إنكاره. هذه الحالات تعكس مجموعة نواقص يشكو منها جسد الحوزة الموقّرة.

وعلى أيّة حال، فإن هذه النواقص موجودة، إلى جانبها الكثير من الإيجابيات والثقل العلمي، كما أن السادة الفضلاء والباحثين والآخرين، يبذلون جهوداً مشكورة في هذا المجال.

فمع كل هذه السلبيات، فإنّ في الحوزة رجالاً يبذلون جهودهم في التأليف والسفر قدر الإمكان، ويتحملون في ذلك العناء والجوع؛ إن كانت هناك جبهة قتال، فإنهم يحضرون فيها، وإن احتاجت منطقة ما إلى مبلّغ، توجهوا إليها؛ وإذا دعوا إلى قرية للعمل فيها، لبّوا الدعوة؛ وإذا طلب منهم السفر إلى الخارج استجابوا...

لكنّ هذه الحالات تبقى فرديّة وغير كافية. هذه هي النواقص التي تعاني منها الحوزة، والتي تنبع من أسباب وعوامل داخلية لا بد من تحديدها.

ب ـ الأسباب الرئيسية للقصور

١ـ عدم تطور الفقه:

السبب الأول: هو أن الفقه الذي يشكّل مهمتنا الرئيسة، لم يتطوّر ليشمل المجالات الجديدة التي أفرزتها تطورات العصر، أو أنه تطور ولكن بنسبة محدودة جداً.

فاليوم، لدينا الكثير من المسائل التي يجب أن يحدد الفقه التكاليف حيالها، لكن هذا لم يحدث... وليس القصور في الفقه، ففيه القدرة على تقديم الجواب على كل سؤال، لكن المحقّقين والعلماء لم يلجوا هذه المجالات الجديدة...

ومن هذه المجالات، مسائل النقود. فما معنى النقد؟ ما معنى الدرهم والدينار اللّذين ورد اسماهما في الأبواب الفقهية المختلفة مثل الزكاة والديات والمضاربة؟

يجب الخوض في هذا الموضوع وتحديد هذه المفاهيم. إن من اليسير جداً أن نضع العمليات المصرفية (عدا موضوع النقود) والودائع تحت عنوان القرض الربوي وننتهي منها، لكن ألا يتطلب الأمر قدراً أكبر من التوغّل في عمق هذه الأمور لمعرفة هل إن هذا يُعتبر قرضاً حقاً أم لا؟ فنحن نودع في البنك ونقرضه المال، والبنك هو الذي يقترض منها... فمن يقبل بهذا الكلام؟ الموضوع هو إيداع في البنك وليس إقراضاً له.

هناك من هذه المسائل الكثير... مثلاً، ما هو مصير قيمة العملة في مراحل التضخم الاقتصادي الكبير -وليس المقصود ذلك التضخم الإجباري في حركة كل مجتمع والذي يؤدي إلى النمو ومن دونه يحل الركود الاقتصادي، بل المقصود هنا التضخم الكبير والسريع والذي تبدأ نسبته من ٢٠بالمائة، و٣٠ بالمائة إلى٥٠ بالمائة فما فوق، بحيث تشهد النقود انخفاضاً كل أسبوع -فما هو مصير النقود؟ وكيف يتم التعامل مع القروض التي يأخذها الناس من بعضهم البعض؟ فإذا كنا قد اقترضنا منكم مئة تومان قبل ستة أشهر، فتصبح هذه المائة، مختلفة عن تلك المائة تومان... هذه الأمور يجب أن تُبحث وتُوضع أسس محددة لها في الفقه.

ربما يلجأ الإنسان إلى الإطلاقات والعمومات لتيسير أموره، لكن ذلك لا يحل المشكلة من الأساس.

إن العديد من الأبحاث الخاصة بشؤون الحكم مثل الديّات، والحدود، ومسائل القضاء التي يحتاجها جهازنا القضائي الكبير، ما تزال تفتقد الحل الفقهي ولم يبتّ الفقهاء بها. لكن ذلك لا يعني إلقاء اللوم على السلف؛ لأن القضاء والديّات والحدود لم تكن قائمة، أما اليوم فمسؤولية التقصير تقع علينا.

وعندما يدخل المرحوم المحقق الأردبيلي في بحث الجهاد، يقول: **«إن هذا المبحث لا نحتاجه»**، فذلك العظيم كان يعي أكثر منا ويعلم كيف يجب أن يكون الجهاد، ولكنه، في الوقت نفسه، يرى أن الناس في ذلك الزمان لم يكونوا بحاجة إلى موضوع الجهاد، ومع ذلك فقد بُحث الموضوع في عدة صفحات. لكنّ الوضع اختلف اليوم، وأصبح الجهاد محل ابتلاء لنا، وهذه المسألة غير واضحة في فقهنا. وهناك الكثير من المسائل الأخرى مثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وشؤون الحكم الأخرى، وكذلك

المسائل المتعلقة بحياة الناس مثل قضية التشريح وزرع الأعضاء...

كل هذه الأمور تحتاج إلى أن يدخل الفقه ميدانها بجديّة وعمق، ولا يمكن أن نكتفي بالتعامل معها بشكل عابر وسريع متصورين أنها ستحل.. كلا فهذه كمثل باقي الأبواب الفقهية.

أنتم ترون مدى الدقّة التي مارسها فقهاؤنا في مسائل العبادات والطهارة والصلاة، كل هذا بسبب أذهانهم الحية المتحركة وهو ليس نقصاً.

لكن البعض يسأل: لمَ كل هذه الدقة؟ فالواقع هو أن أولويات اليوم، ليست أولويات الأمس نفسها، فاليوم تقدّمت أمور جديدة يجب أن تأخذ نصيبها من الاهتمام وتشغل الحيّز اللازم في الأذهان، لتدخل دائرة البحث والاهتمام العام.

إن عدم التطور، يعني عدم التعاطي في الفقه مع موضوع الفقاهة نفسه؛ فالفقاهة هي الأسلوب والآلية المعتمدة في عملية استنباط الأحكام؛ هذا هو ما نسميه الفقاهة. فإن لم تدرسوا هذا الموضوع لن تتعلموا كيف يمكن استنباط الحكم من الكتاب والسنّة، فالفقاهة هي أسلوب الاستنباط. هذا ليس مستوى الكمال، بل هو يسير نحو الكمال.

والفقاهة بحد ذاتها، بحاجة إلى تطور، فلا يمكن الادعاء بأننا وصلنا إلى أعلى مرحلة فيها، وأن الأسلوب المتبع هو آخر ما يمكن التوصل إليه، فالشيخ الطوسي بعظمته وعلمه، كان يتمتع بالفقاهة، لكن انظروا إلى فتاواه في مسألة فقهية معيّنة، فأي مجتهد مستعد لأن يتبع أسلوبه؟

إن تلك الفتاوى تُعتبر، اليوم، بسيطة وسطحية، والمجتهد المعاصر لا يمكن أن يقبل باتّباع ذلك الأسلوب نفسه في الاستنباط.

لقد تكاملت الفقاهة خلال أدوار عدة، وعندما ينظر الإنسان

إلى تاريخها، فسيرى مراحل متعددة وآراء مختلفة. وأنا أتصور أن عهد «**الشيخ**» مرحلة، وعهد «**العلّامة**» مرحلة أخرى؛ وعندما نذكر «**العلّامة**» ولا نذكر «**المحقق**» -والحال أنهما أساساً بالمستوى ذاته- ؛ فذلك لأن البحث الاستدلالي للعلامة أكثر، وأسهل على الإدراك والفهم، ما لا يتوفر مثله لدى المحقّق.

ثمّ مرّت مرحلة زمنية استمرت ٢٥٠ عاماً لتأتي مرحلة «**المحقق الكركي**» الذي يختلف عن أسلوب «**العلّامة**»، فالفقاهة واحدة لكنها تكاملت أكثر.

بعد ذلك تأتي مرحلة تلاميذ وحيد البهبهاني، حيث تفتّحت وازدهرت الفقاهة الأصولية، وبرز فيها «**صاحب القوانين**»، و «**الشيخ جعفر**»[(١)]، و «**السيد بحر العلوم**»[(٢)]...

ثم نصل إلى عهد الشيخ الأنصاري، و «**صاحب الجواهر**»، الذي اتّسم بتطور أسلوب الفقاهة ،وهو ما يبدو واضحاً في أسلوب عمل «**الشيخ**» بالقياس إلى أسلوب «**صاحب الجواهر**». وبالرغم من أن أسلوب صاحب الجواهر كان جديداً، إلّا أن المرحلة التي يمكن أن نتحدث عن تطور الفقاهة فيها، بعد مرحلة الشيخ الأنصاري، هي -في رأيي القاصر- مرحلة المرحوم آية الله البروجردي[(٣)]، الذي فتح باباً جديداً في الفقاهة.

تُرى، ما الذي يمنع الفضلاء والمحققين من إضافة جديدة إلى

---

(١) الشيخ جعفر بن خضر الحلّي المعروف بـ«كاشف الغطاء» و«الشيخ الأكبر»، من أبرز تلامذة «الشيخ الوحيد البهبهاني»، (ت: ١٢٢٧هـ).

(٢) السيد محمد مهدي الطباطبائي المعروف بـ«بحر العلوم» من أبرز تلامذة الوحيد البهبهاني، (ت: ١٢١٢هـ).

(٣) السيّد محمد حسين الطباطبائي البروجردي، من كبار مراجع الإمامية، صاحب منهج اجتهادي متميّز (ت: ١٣٨٠هـ).

أسلوب البروجردي لإكماله؟ ولو حدث ذلك، فما أكثر المسائل الجديدة التي ستلغي مسائل قديمة، وسيتغير الكثير من النتائج والأساليب، وإذا ما تبدّلت الأساليب، تبدّلت الأجوبة على الكثير من المسائل، واتخذ الفقه شكلاً آخر. إنّ هذا من جملة الأعمال التي يجب أن تنجز.

على المحقق اليوم أن لا يكتفي بالعمل في المنطقة نفسها التي عمل فيها المرحوم الأنصاري، أوا لتعمّق أكثر بكثير؛ فهذا لا يكفي، بل يجب عليه البحث عن آفاق جديدة، وهذا ما حدث في الماضي أيضاً.

فمثلاً، اكتشف الشيخ الأنصاري موضوع الحكومة في النسبة بين دليلين، ثم جاء آخرون ليتعمقوا أكثر فأكثر، وليتعاملوا مع الموضوع بدقة وتوسع أكثر.

إن المطلوب اليوم، هو فتح آفاق جديدة في موضوع الفقاهة، فما الذي يمنع عظماءنا وفقهاءنا من عمل كهذا؟

والواقع أنّ بعض الأجلّاء في هذا العصر، لا يتمتعون بأقل مما كان لدى الأسلاف، من حيث القوة العلمية ودقة النظر، لكن ما نحتاجه هو ظهور إرادة القيام بهذا العمل داخل الحوزة. إنّنا نحتاج إلى توفر الشجاعة لدى المؤهّلين، وإلى احتضان الحوزة لهم؛ لكن ذلك لا يعني أن كلّ من رفع صوته بموضوع ما، فإن على الحوزة أن تقبل به وتدعمه؛ وفي الوقت نفسه، يجب أن لا يظل الرأي الجديد والفكرة المعاصرة، أمراً مستنكراً.

٢ ـ ركود علم الكلام:

السبب الثاني: أما النقص الثاني فهو عدم حصول التطور الكافي في باب الكلام. وهذا يُعدّ فاجعة مرة... والأكثر مرارة من

ذلك هو نسيان علم الكلام. فالحوزة في الإسلام، وحوزة أهل البيت العلمية، كانت، في الدرجة الأولى، حوزة الكلام ثم الفقه، وكبار فقهائنا كانوا من المتكلمين، لكن انظروا كيف أن «**الكلام**»[1] أصبح منسوخاً في الحوزات العلمية، فيما غالبية الهجوم تأتي اليوم من جانب المباحث الكلامية.

أعود للقول: إنّنا لم نكن في الماضي متخلّفين عن زماننا، وكل من كان يطلق حديثاً أو رأياً ضدّنا، كان يجد الجواب الشافي السريع. أما اليوم، فالوضع مختلف، فالعالم يشهد اتساع نطاق المباحث الكلامية إلى درجة كبيرة، بينما حوزاتنا لا تعلم عن ذلك شيئاً.

أتعلمون كم يخضع موضوع علم الأديان وفلسفة الأديان للبحث والنقاش اليوم؟ ومن هم الذين يمارسون الكتابة والحديث والبحث، بينما نحن نجهل كل هذا؟ إنه نقص كبير حقاً.

ولا ينفي هذا، أن تقوم جهود فردية لبعض منتسبي الحوزات بإنجاز أعمال قيّمة في هذا المجال، وهذا ما حصل ويحصل، إلّا أنّه يظلّ أقل أثراً مما لو قامت به الحوزة بشكل منظم، فهذا العمل ليس فردياً بل يجب أن يتم في إطار نظام الحوزة، ولو قام شخص ما بعمل في هذا المجال وقدم ثماراً جيدة، فلا يمكن أن نضع ذلك في حساب الحوزة... فالحوزة مقصّرة فعلاً في هذا الموضوع.

وإذا كنا نتحدث عن «**الكلام**»، فيجب أن لا ينصرف الذهن إلى تأليف بضعة كتب في بحوث الكلام، فالنشر لا يشكّل أغلب مسؤوليات الحوزة، بل إنها تتولى الفكر التكاملي، ما زاد الإنتاج

---

(١) كان علماء الإمامية يولون علم الكلام اهتماماً كبيراً، وكبار فقهاء الإمامية هم متكلمون أيضاً أمثال: الشيخ المفيد، والسيد المرتضى، والشيخ الطوسي، والعلامة الحلّي، وغيرهم.

الفكري، توسع النشر أيضاً، والذي يأتي في الدرجة الثانية. لذا يجب أن لا نتوهم بأن الأمر ينتهي عند تأليف عشرة كتب، مثلاً، حول موضوع معيّن، بل إن الحوزة يجب أن تنتج أفكاراً في المجال الكلامي.

أعزائي! هناك، اليوم، شبهات جديدة وخطيرة، حيث انتهت الشبهات القديمة، فلم يعد أحد يطرح شبهة **«ابن كمّونة»**، بل حلّت محلها شبهات كبيرة في جميع المجالات الكلامية، بدءاً من أصل موضوع التوحيد وضرورة الدين، وحتى موضوع إثبات الصانع، والنبوة العامة، والخاصة ومسألة الولاية، إضافة إلى مسائل متعددة في المجال الديني والإسلامي.

كل هذه الأمور مدار نقاش وبحث، وتثار حولها شبهات عديدة، فمن يتحمل مسؤولية الردّ على هذه الشبهات؟ أليس العلماء هم حماة حدود العقيدة؟ فهل إن هذه الحدود تفتقد الحامي والمدافع؟ من سيتحمل أمام الله مسؤولية أيتام آل محمد ﷺ، الذين يقفون عزّلاً أمام هذه الأمواج الهادرة من الشبهات؟

إن غياب الدفاع العلمي يؤدي إلى بروز حالة انفعال، وغضب وضجيج عند بروز أي تطاول، أو إثارة شبهة على مجتمعنا، بينما المفروض أن يكون هناك ردّ علمي هادئ على الشبهات.

فلو كتب أحدهم مقالاً اعتمد فيه استدلالاً خاطئاً ومغالطات واضحة، فإن الواجب يُحتّم المبادرة من قِبَل الحوزة العلمية في قم إلى نشر عشر أو عشرين، أو حتى مئة مقالة في كل صحيفة ومجلة للرد على تلك الشبهات، وعندها لن يكون هناك مكان للردود الانفعالية.. فلماذا الانفعال؟ أليس من الحيف أن يُتهم هذا الدين المنطقي والاستدلالي بأنه لا يعتمد الاستدلال، وأنّه يعتمد الانفعال والصراخ؟

وعندما يتمادى الآخرون في التطاول، فإنهم يتّهموننا بأننا أهل التكفير، فمن الذي كفّرناه لغاية الآن؟ فهناك كفار بأعداد كبيرة، لكن لسنا نحن الذين كفّرناهم، إنّ الحوزة لا تكّفر أحداً.

إذن، فالنقص الأول يتعلق بالفقه، أما الثاني فإنني أعتقد أنه يتقدّم الأول، وهو نقص كبير حقاً، ويتعلق «**بالكلام**» الذي يستدعي منا المعالجة السريعة، وعليكم أنتم أيضاً القيام بذلك.

٣ ـ التبليغ، أساليبه ووسائله:

السبب الثالث: النقص الثالث الذي تشكو منه الحوزة، هو فصل التبليغ عن الحوزة، وهذا خلل كبير جداً.

وبالرغم من أننا نرى بعض طلبة الحوزة يُضطرون إلى التبليغ في أيام شهر محرم، أو شهر رمضان المبارك بفعل دوافع وحاجات معيّنة، إلّا أن الحقيقة هي أن التبليغ وتدريسه حالياً لا علاقة له بنشاط الحوزة. فهو مهنة وفنّ، بإمكانه أن يكون علماً أيضاً، وهو كذلك بالفعل، ويجب أن يتحول إلى درس من دروس الحوزة.

قد يكون أداء المبلّغ حسناً أو سيّئاً، أو أنه يقول عكس ما يريد، وقد يحصل كثيراً أن يؤدي قصور المبلّغ، أو جهله إلى أن يصل في خطابه، أو كلامه إلى عكس النتيجة التي يتوخاها من دون أن ينتبه إلى ذلك. أو أنه يمارس التبليغ، لكنه يجهل علم نفس التبليغ، فيتكلم مع الناس بخطاب يختلف عن الخطاب الذي يفهمونه، كأن يتكلم في القرية مثلاً، بأسلوب الكلام نفسه في الجامعة، ويتكلم في المصنع بما يجب أن يتكلم به في القرية.

إذن، فإنّ الحوزات ينقصها تعليم أساليب وفنون ومتطلبات التبليغ لتزويد المبلّغ بالأسس العلمية والعملية، مثل علم النفس الاجتماعي وغيره مما يحتاجه في عمله.

أضف إلى ذلك، أنه من الضروري أن يتم توفير مواد ومضامين لعملية التبليغ، كأن يجري تصنيف المواضيع المطروحة من قِبل المبلّغ على أساس طبيعة المستمعين.

وهذا ما لا يوجد في الحوزة أيضاً، وهو أمر ضروري جداً؛ فمثلاً يجب تعليم المبلّغ ما يجب أن يطرحه في كل بلد أو منطقة يمارس فيها مهمّته، فهذه المواضيع، مثلاً، مفيدة للبلد الفلاني وتلك غير مفيدة، وهذه ضرورية للطرح في القرية وتلك في المدينة، وهذه المواضيع مفيدة في طهران والجامعة والوسط الحوزوي، وأخرى لمجالس النساء وهكذا...

هذا العمل لم تقم به الحوزة العلمية، وكذلك الأمر مع استخدام الصوت والصورة في التبليغ، وهو ما يجب أن يصدر عنها أيضاً.

لست ممن يقارن كل شيء بما عند الأجانب، فيلغي ما عنده... يجب أن تعلموا هذا.. فأنا أعتز بحقائق وظواهر موجودة في مجتمعنا، ولست ممن يعتقدون بالتفوق المطلق للآخرين علينا، لكنني أرى في العالم إمكانيات ووسائل تمكّننا من ممارسة عملنا في الحياة بصورة أفضل.

إنّ الكنيسة متخلّفة من حيث علم الدين، رغم أن هناك من بين القساوسة المعروفين، من هم بدرجة بروفيسور في علوم عديدة مثل البيولوجي والنبات، فقد درسوها رغم أنها لا علاقة لها بالمنهج الروحي، إلّا أن بعض رجال الدين اتجهوا لاكتسابها. وهناك بين المكتشفين المعروفين عدد كبير من القساوسة الذي درسوا، مثلاً، التاريخ والرياضيات.

لكن الكنيسة تفتقد علم الدين بالشكل المدوّن، والعميق والاستدلالي، ومع كل هذا نراها متقدّمة في مجال التبليغ

الديني(التبشير). وقد أنتج هؤلاء الكثير من الأفلام التي تبدو أنّها عادية، لكنها تدعو ضمناً إلى المسيحية.

حتى في الإذاعة والتلفزيون عندنا، إذ يقوم بعض الأصدقاء هناك بعرض أفلام دينية مسيحية في أيام ميلاد السيد المسيح مجاملة لعدد من مواطنينا المسيحيين، وعندما دقّقت فيها رأيتها تنطوي على التبليغ للكنيسة؛ فالذي عرض هذا الفيلم لم يدرك هذا البعد الذي يتضمنه، لكن الذي يشاهد الفيلم يتأثر به؛ فهو يعرض قسيساً ذا وجه نوراني يقوم بأعمال معيّنة، من الطبيعي أن هناك قساوسة من أنماط مختلفة؛ وأنا أعرف أوضاعهم، لدينا القس الصالح كما لدينا السيء، لكن هدفي من الكلام هو توضيح كيف أننا نفتقد أسلوبهم في التبليغ.

هذا العمل واسع وشامل، ولا يمكن أن يُنجز بين عشيّة وضحاها؛ فإذا بدأتم العمل اليوم باستخدام الموجات الصوتية والتصويرية خاصة، فلن يصبح لدى الحوزة هذه الإمكانيات إلّا بعد عشر سنوات على الأقل.

إننا نفتقد هذه الإمكانيات الآن، فلا نستخدم الفن في التبليغ، ولا الكتاب أو المجلة أو الصحيفة، فإن كانت الأساليب الحديثة والتقنيات المتطورة غير متوفرة في متناول اليد، فإن الكتاب والمقالة ليست بعيدة المنال، لكننا نفتقدها هي أيضاً، فالحوزة لا تمارس عملية التبليغ حتى عن طريق الكتاب والمطبوعات.

هناك قصور كبير في موضوع التبليغ، كما لا يوجد أي اهتمام بهذا الأمر، باعتباره مرتبطاً بنظام الحوزة ومسؤولياتها.

يوجد الكثير من الكلام الذي يمكن أن يقال عن الحوزة، لكننا ندخل الآن في الفصل الأخير للخوض في سبل معالجة القصور فيها.

أعزائي.. إن القصور يمكن علاجه اليوم، ربما لم يكن ممكناً في الماضي، ولربما يمكن علاجه في المستقبل لا سمح الله **«قم فاغتنم الفرصة بين العدمين»**.

فقبل أربعة أعوام، جئت إلى هنا وقلت في حديثي معكم: إننا في مرحلة الشباب؛ وعندما كنا قد تلقينا هذه الأفكار وتعرّفنا على أفكار جديدة متعلّقة بالحوزات، لم نكن نملك فرصة مناسبة لتنفيذ مشاريع جديدة في الحوزات.

كان حديث التجديد يتردد آنذاك، فهو ليس بجديد؛ وهذا هو أحد أشكال المعاناة، فقد كان هذا الهدف موجوداً، إلّا أنّ ما أنجز من عمل كان قليلاً جداً.

لقد كان آية الله البروجردي(رضوان الله عليه) أول من تحرّك في هذا الاتجاه، فقد تجمع حوله المرحوم آية الله محقق داماد[1]، والمرحوم آية الله مرتضى الحائري[2]، والإمام الخميني(رضوان الله عليه)؛ وكانوا من الفضلاء الشباب والنشطين آنذاك، يجمعهم هدف واحد، لكنهم عجزوا عن تحقيق شيء لأسباب عدة.

المهم أن هذه الأفكار كانت موجودة منذ القديم؛ وقد نقل إلي المرحوم آية الله الأميني[3] (رضوان الله عليه)، أن هذه الأفكار كانت مطروحة، أيضاً، في الحوزة الدينية في النجف في عهد المرجع السيد أبو الحسن[4] (رحمة الله عليه)، فقد كان المرحوم آية

---

(١) السيّد محمد محقق الداماد، من كبار فقهاء الإمامية، (ت: ١٣٨٨هـ.).

(٢) الشيخ مرتضى الحائري اليزدي نجل مؤسّس الحوزة العلمية في قم، من فقهاء الإمامية المعاصرين.

(٣) الشيخ عبد الحسين الأميني، صاحب موسوعة الغدير، (ت: ١٣٩٢هـ.).

(٤) السيد أبو الحسن الأصفهاني، من كبار مراجع الإمامية، (ت: ١٣٦٥هـ.).

الله الخوئي[1] وآخرون في عداد الشباب المتحمسين آنذاك، وكانوا يرددون هذه الأفكار نفسها.

ما نستطيع قوله هو أن هؤلاء لم يكونوا يستطيعون عمل شيء آنذاك، لأن الحكم كان بيد فئة ظالمة، ولم تكن في متناول الحوزة أموال وإمكانيات كبيرة، ولم يكن أحد يسمح بالقيام بهذه الخطوات، بل كانوا يقابلون كل خطوة بإجراءات صارمة مما ولّد لدى كبار مسؤولي الحوزة مخاوف على مصيرها من الأساس.

لذا، فكلما طالب شخص بالإصلاح داخل الحوزة، كان الجواب يأتيه بأن أساسها الآن في خطر، والظالمون الذين في السلطة سيبتلعونها، أما اليوم، فالظروف تغيّرت، ولم يعد وجود لهذا الكلام.

ويجب أن نشير هنا إلى أننا، أيضاً، نواجه الآن عقبة من نوع آخر، فما أن تطرح هذه الأفكار حتى ينبري أصحاب النوايا السيئة للقول بأننا نريد جعل الحوزة خاضعة للحكومة..

وأنا هنا أنفي بشدة هذه المزاعم، من الطبيعي أن الحكومة هي حكومة إسلامية، ورئيس الحكومة إنسان فاضل ودرس في هذه الحوزة، أيضاً رئيس جمهوريتنا هو من رحم هذه الحوزة وليس من خارجها، لكنني لا أرى وجوب أن تصبح الحوزة تابعة لمؤسسات أخرى، ورأيي هذا منذ ما قبل الثورة وترسخ أكثر بعدها.

عندما طرح هذا السؤال: الآن وقد أصبحت الحكومة إسلامية، فهل يجب أن تظل للحوزة تنظيمات منفصلة؟ وقد كنت ممن يرى، بالاستدلال الراسخ، ضرورة بقاء الحوزة مستقلة.. ومازلت على هذا

---

(١) السيد أبو القاسم الخوئي، من كبار مراجع الإمامية المعاصرين، (ت: ١٤١٣هـ).

الرأي، ولا أمارس فيه تقيّة من أحد، ولا أداري مشاعر أحد.

ألجموا كل من يثير الوساوس في وجه أية دعوة إصلاحية، هؤلاء يسكتون أمام كل ممارسات العدو لكنهم ينبرون إلى إلصاق تهمة ما، بكل صرخة إصلاحية، وكل حديث نابع من قلب متألم وحريص على الإصلاح.

هذه المشكلة يمكن علاجها اليوم، فالحكومة اليوم إلهية، وإسلامية، ومستندة إلى الحوزة، ومؤمنة بها وتدعمها، وتكُنّ لها كل الإجلال والتقدير.

وإنني على استعداد لأدعم كل تحرك إيجابي فعّال في هذا السبيل. إذن، فالوقت اليوم هو وقت العلاج، ويجب أن يُصار إلى ذلك، وإلّا فإن الله -سبحانه وتعالى- سيحاسبنا.. هذا هو رأيي.

خطوات نحو العلاج

أحاول هنا إيجاز طرق العلاج التي أراها مناسبة لهذه الحالات:

١ـ الاعتراف بالقصور:

أولاً: الاعتراف بالقصور؛ فلا يأتِ أحد للاعتراض على هذا الكلام بحجة أن الشيخ الأنصاري، والميرزا النائيني، والآخوند، والإمام الخميني وباقي العظماء ترعرعوا في هذه الحوزة، وأن موضوع الإصلاح كلام جديد، وغريب عنها.

إن عدم الاعتراف بالنقص يعني عدم إمكانية معالجته. وهذه المهمة مناطة بكم لا سيّما الفضلاء الشباب؛ اطرحوا هذا الموضوع وكرروا طرحه، اكتبوا واستدلوا عليه، ناقشوا الذين يعارضون هذا المنحى، جادلوهم بالحق وأثبتوا لهم أن هذا المريض، مريض حقاً، وأن هذا الجسم الحي يعاني الألم، وما لم يفهموا ألمه سيبقى مريضاً دائماً.

٢ـ إرادة العلاج:

ثانياً: توفر الإرادة الصلبة للعلاج، لا تقولوا: هناك ألم ولكن ما الذي يمكن عمله؟ فقبل ثلاثين عاماً قال أحد الفضلاء (رضوان الله عليه)، وهو ممن أكنّ له كل ودٍّ واحترام: «**نعم لقد حدث ذنبٌ كبير**

(لا أذكر التعبير بالضبط) لكنه حدث، فما الذي يمكننا عمله؟» هذا يعني إدراك المشكلة ووعيها، لكن مع عدم التحرّك للمعالجة.

على الطلاب الشباب بشكل خاص، باعتبارهم يستشعرون مواطن الألم والقصور، أن ينشروا هذا الأمر وينقلوه إلى الآخرين، ويطرحوه مع المسؤولين وأصحاب الأمر لدفعهم إلى معالجته.

٣ـ استنهاض روح العمل:

ثالثاً: استنهاض روح العلم والسعي لدى شباب الحوزة، وعندما نتكلم عن الشباب، فلا نعني كل شاب جديد العهد بالحوزة وظروفها، بل نعني الفضلاء الشباب الذين يشكلون الآن شريحة كبيرة داخل الحوزة، ممن تقارب أعمارهم الأربعين عاماً، الذين يقومون بتدريس الكفاية، والمكاسب ودرس الخارج، هؤلاء الذين قضوا سنوات طويلة في دراسة الفقه، والأصول وبعض المباحث الأخرى.

إن روح العمل والسعي يجب أن تُستنهض في هؤلاء(الفضلاء والشباب)، والذين نخاطبهم بكلامنا (العلماء) يجب أن يُنهضوا روح العمل فيها، وإن لم يفعلوا(العلماء) فعليهم (الفضلاء الشباب) هم بأنفسهم أن يتحركوا ويسعوا ويعملوا بهمة وعزم.

٤ـ المركز القانوني النشط:

رابعاً: يجب إيجاد مركز خاص يتولى هذه الأعمال، فقبل أربع سنوات، جرى الحديث عن تأسيس هذا المركز، وقد أقيم بحمد الله، فالحوزة تملك اليوم مجلساً أعلى ومديراً، وأغتنم الفرصة لتوجيه الشكر للسيد **«مؤمن»** صاحب الخدمات الجليلة في إدارة الحوزة لعدة سنوات (أدام الله بقاءه الشريف)، وكذلك لعزيزنا السيد

«**أستادي**» (دامت بركاته) الذي أخذ على عاتقه هذه المسؤولية الجسيمة، وأنا أكنّ له المودة والإخلاص من صميم قلبي.

إنّ الحوزة يجب أن تتولى مسؤولية هذه الإصلاحات، فإدارتها يمكنها أن تعمل على صعيدين:

الأول: أعمال قانونية، ووضع أنظمة داخلية لتنظيم هيكلية الحوزة، ووضع برامج الامتحانات، والقبول والرواتب.

أما الثاني: فهو أعمال كبيرة وجبارة، وربما لا تندرج تحت أي من اللوائح الإدارية، بل هي حركة جهادية وتعبوية، واعتماد أفراد متنوعين لتسيير الأمور.

المهم، يجب أن يقوم بهذه المهمّة مركز خاص ومحدد، وبرأيي، فإنّ هذا المركز تمثله مديرية الحوزة.

٥ ـ توسيع المحافل التخصصية والتحقيقية:

خامساً: إيجاد أجواء مناسبة لتنمية الأفكار؛ هذه المهمة يجب أن تتم في الحوزة، وهذا الأمر بحد ذاته يؤدي إلى تنشيط حيويتها.

يجب تشكيل مجامع خاصة للفقه، والكلام والعلوم العقلية؛ فمثلاً يجب إيجاد مجمع خاص بدراسة المباحث الفقهية الجديدة، يتألّف من سبعة إلى ثمانية أو عشرة أعضاء من الطلبة الأفاضل، بحيث يكون لهذا المجمع مركز، وتعقد اجتماعات منتظمة ومحاضرات فقهية مفتوحة؛ ليتمكن كل صاحب فكرة جديدة، أو موضوع معيّن من مواضيع الفقه، صغيراً كان أم كبيراً من الديّات والطهارة، من تقديمها إلى هذا المجمع لتجري مناقشتها؛ فإن رأى الأعضاء أن الموضوع مكتمل الأركان (لا أن تكون الفكرة صحيحة بالضرورة)، ومستند إلى بحث واستدلال أصولي ومتخصص، قاموا بإدراجه في جدول أعمال المجمّع لحين وصول دوره، فيأتي

صاحب الفكرة أو الموضوع الجديد ليطرحه بكل حرية أمام جمع من المتخصصين يُعلن مسبقاً عن حضورهم، ثم يقوم هؤلاء بمناقشته والإشكال عليه، وربما كان الحضور أكثر علماً من صاحب الفكرة، لكن ذلك لا يضر أبداً، فالموضوع الذي يُطرح للنقاش ينشّط الأذهان.

المهم، يجب أن لا نعمد إلى رفض كل من يطرح فكرة أو فتوى فقهية جديدة حتى لو كانت خاطئة، بحيث نعاجله بالرد عليه، والقول بأن فلاناً جاء بفتوى سخيفة في الموضوع الفلاني؛ لأن ذلك يبقى في النهاية رأياً فقهياً يجب طرحه على بساط البحث، وفتح الباب أمام إبداع الأفكار الجديدة، علماً بأن هذا الأمر يحتاج إلى قوانين وضوابط خاصة لئلا يتحول إلى طرح اعتباطي للأفكار.

وعلى غرار ذلك، يجب تشكيل مجمع لـ «**الكلام**» يجري فيه طرح المواضيع والأفكار الكلامية، ويحضره الطلبة. يجب أن يكون ممكناً طرح المواضيع في محيط الحوزة، وأن يتمكن أصحاب الأفكار الجديدة من طرحها والقول «**ربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه**»؛ فما أكثر الذين يطرحون موضوعاً فقهياً معيّناً فينقله عنهم بعض السامعين ليصبح بعد ذلك موضوعاً جيداً، وقد يكون الموضوع المطروح خاطئاً في أساسه ولا معنى له، لكنه قد يثير في ذهن السامع موضوعاً، أو فكرة جديدة توصله إلى أفكار جديدة وممتازة. وهذا أيضاً ينطبق على الأمور العقلية.

٦ـ تغيير المناهج الدراسية:

سادساً: تغيير الكتب المقرّرة في التدريس، ويجب بذل اهتمام جدي بهذا الموضوع، وأن يكون الأساس في التغيير هو التوفير في وقت الطالب؛ فعندما نقرأ كتاب «**المغني**» نجد مضامينه الضرورية نفسها في كتاب صغير آخر، لقد كُتب «**المغني**» بلغة جيدة وعلى يد

كاتب معاصر، فما حاجتنا إلى كتاب **«إن هشام»**؟ وما الذي يميّز هذا الكتاب؟ إن **«المغني»** هو درس خارج في النحو، فهو يستدل على ما إذا كانت **«الواو»** تفيد المعنى الفلاني أم لا؛ ففلان قال: إنها تفيد ذلك ودليله هو كذا، أما فلان فقد رد عليه؛ هذا درس خارج، فهل نريد أن نقرأ درساً خارجاً في النحو؟ نحن نريد فقط أن نرى ماذا تفيد الـ**«واو»** فلماذا نضيّع كل هذا الوقت في **«المغني»** و **«المطوّل»**؟

إنّ ما نحتاجه من **«المطوّل»** نجده في كتاب صغير يصل إلى عُشر حجمه. وما الذي يحتّم علينا قراءة **«المعالم»** الذي هو أول كتاب في الأصول، رغم أنه يعود إلى ما قبل أربعة قرون خلت؟

فهذا الكتاب في الأصول وموضوعه جديد على المتعلّم، كما أن عباراته معقّدة، فلماذا نضيّع وقت الطالب بالعبارات المعقّدة؟

اليوم يسعون في أنحاء العالم، إلى تبسيط العبارات وتسهيل فهمها وإدراكها، بل يعمدون إلى ترميزها لتعوّض كل كلمة عن عشر كلمات، بينما نأتي نحن ونختار العبارات الصعبة المعقّدة.

إن المواضيع نفسها الواردة في **«المعالم»** صيغت من قبل عالم آخر في كتاب أصغر حجماً وأحدث منه أسلوباً، فبعد أربعة قرون من صدور **«المعالم»** جاءت محتوياته في كتابٍ سهل اللغة والبيان، فما الذي يبرّر عدم استبدال الكتاب القديم بالجديد؟

يجب أن تجتمع لجنة من فضلاء الحوزة العلمية، وتضع دورة مناهج متكاملة في الفقه، بدءاً من الطهارة وحتى الدّيات، لتقوم بما قام به كتاب **«شرح اللمعة»**، وبيان كيفية الاستدلال؛ فشرح اللمعة مُعقّد الأسلوب، فلماذا نضيع وقت الطالب بعباراته؟

ويسري هذا الأمر على باقي الكتب الدراسية المقررة، فهي ليست مُنزلة من السماء، حتى أن تلك الكتب لم تكن يوماً مقرّرة بل كانت كتب أخرى غيرها، فهل يشكو كتاب **«الرياض»** من نقص؟

يقال: إن كتاب المكاسب لـ«**الشيخ**» كتاب جيد، لكن هل كان كتاب «**الرياض**» سيّئاً؟ ففي زمن ما كانوا يدرسون هذا الكتاب في الحوزة العلمية -طبعاً كان ذلك قبل زماننا، بل في زمان آبائنا -فهل يجب علينا أن ندرس هذا الكتاب الآن أيضاً؟ لقد كان يدرسون «**القوانين**» و «**الفصول**» سابقاً، لكنها نُسخت الآن ولم يعودوا يدرسونها، فما المانع في ذلك؟

يجب أن تتألف لجنة تتولى إعادة كتابة المواضيع التي تريدون دراستها في المكاسب، والتي وردت بعبارات وبأسلوب معقّد؛ لتصاغ مجدّداً في كتاب جديد، وبأسلوب سهل ممتنع، مع كل استدلالاتها؛ ليصبح هذا الكتاب مقرراً في منهج الحوزة.

نريد أن يقوم جهد يكفل تيسير الدراسة للطالب؛ بحيث إذا وصل إلى بحث الخارج - الذي يمثّل مرحلة الدراسة الحقيقية؛ لأن المراحل السابقة هي مقدّمة للخارج - لا يصاب بالدوار حين يسمع عبارات أستاذه، ونريد أن يتعلّم الطالب (قبل درس الخارج) المسائل الأصولية، ويدرس كتب الأصول، وأن يتعلّم الفقه، ويتعوّد ذهنه على الاستدلال، ويعرف الأسس التي اعتمدها «**الشيخ**» و»الآخوند».

هذه العلوم هي هدف الطلبة خلال مراحل مقدّمة السطوح والسطوح العالية، فما المانع من أن يُجتاز كل ذلك في أربع سنوات؟ لنقبل الطلبة من خريجي الثانوية (البكالوريا)، وليدرسوا على مدى خمس سنوات المقدمات والآداب، والسطوح، ثم ليدخلوا مرحلة الخارج ليبدأ عملهم الأساسي، فلو استطعنا تقليص مدة الدراسة، فسنمكّنهم من التزوّد بعلوم أخرى أيضاً.

لو قلنا اليوم: إنّ طالب الحوزة بحاجة إلى تعلّم لغة أجنبية ليصبح عنصراً مفيداً في عالم تقلّصت فيه المسافات، وارتبط بعضه البعض، لجاءنا الجواب بإن الطالب لا يملك الوقت لذلك، وهم

على حق، لأن الطالب مع وجود هذه المناهج لا يملك الوقت أبداً، أما لو استطعنا تقليص وقت الدراسة، فسيتمكن من تعلم اللغة الأجنبية أيضاً.

إذن، يجب، أيضاً، القيام بعملية تغيير جذري في المناهج الدراسية؛ لأن التطوير يجب أن يبدأ من الأساس، والمناهج هي الأساس الذي يجب أن تبدأ به عملية التغيير. أما في مرحلة الخارج في الفقه، فيجب أن تطرح مباحث أكثر عملية؛ لأن بعض الأبحاث الموجودة خصوصاً في الفقه والأصول، لم يعد أحد بحاجة إليها لكنها تطرح لغاية الآن، فالفقيه ربما يحتاج إلى بحث ما، أو مباني معاني الحروف، أو الحقيقة والمجاز، أو مبانٍ أخرى مرة واحدة خلال عشرين عاماً، فلماذا يضيع وقته في هذه الأبحاث غير الضرورية؟

لقد قام المرحوم الشهيد محمد باقر الصدر بعمل جيد في هذا المجال، فما أنجزه في باب الأصول، وما اقترحه في مجال تدريس الأصول كان شيئاً جيداً.

٧ ـ إيجاد فروع مستقلة في «الكلام»:

سابعاً: إيجاد فروع مستقلة في «**الكلام**» كما هو الحال في الفقه، فالفقه فرع رئيسي في الحوزة العلمية ويجب أن يصبح «**الكلام**» كذلك أيضاً. لا تكتفوا بعدة ساعات «**للكلام**»، كلّا، فالطالب يجب أن يدرس إلى مستوى معيّن، ثم يتوجه إلى الفقه أو الكلام باعتباره فرعاً أساسياً في الحوزة؛ يجب أن يصبح لدينا مجتهد في «**الكلام**» أيضاً.

٨ ـ الاهتمام بتدريس اللغات الأجنبية:

ثامناً: إدخال اللغات الأجنبية ضمن الدروس الإلزامية للحوزة، وقد تحدثت عن هذا الموضوع.

٩ ـ تصنيف الطلاب على أساس الأهداف والحاجات:

تاسعاً: التصنيف التدريجي للطلاب حسب الأهداف؛ فقد اطلعت على إحصاء يشير إلى وجود ٢٣ أو ٢٤ ألف طالب في الحوزة، ولو اعتمدنا هذا الرقم فيجب أن يكون لدينا ٧ أو ٨ آلاف شخص من الفضلاء والعلماء الكبار الذين لا مكان لهم في هذا التقسيم، وهؤلاء هم ممن اجتازوا مراحل عديدة وبلغوا مستويات عالية، وأما القسم الآخر فيتألف من أناس لم يكونوا من أهل الدراسة والتحصيل في فترة الشباب، وليس لديهم الوقت الكافي لذلك الآن.

لو افترضنا وجود خمسة عشر ألف طالب في قم وحدها، فعلينا حسب الضوابط السابقة، اختيار حوالي ألف من هؤلاء لإعدادهم كي يكونوا فقهاء ومجتهدين كباراً في المستقبل، وضمن المدة الزمنية اللازمة، ولنفترض دورة زمنية للدراسة مدتها عشرون عاماً، حيث يدخل كل عام عدد جديدلينضم إلى هؤلاء، وبالمقابل يخرج عدد منهم أيضاً، لكن المعدل هو عشرون عاماً.

هؤلاء الأفراد يجب أن يكونوا على استعداد، ويمتلكون الرغبة والشوق للفقاهة، وليسوا ممن يفكّرون في ترك التحصيل، هؤلاء يجب اختيارهم وتخصيص برامج في الفقاهة خاصة لهم، وسيخرج من بينهم مدرّسون ومؤلّفون كبار في الفقه، ومراجع التقليد؛ فلو تخرّج من الحوزة ألف فقيه كل عشرين عاماً، فسيكون رقماً كبيراً جداً.

وإذا ما نظرتم إلى العشرين أو الأربعين عاماً الماضية، فستدركون أن ألف فقيه كبير وبارز يمكنهم في المستقبل تغطية أرجاء العالم الإسلامي في مجال الفقاهة، وألف متكلم مجتهد في الكلام يسد حاجة العالم الإسلامي، هؤلاء ليسوا بالعدد القليل.

عليكم أن تختاروا الذين يُقبلون على الدراسة بشوق وشغف، ويجب أن تعطوهم دروساً خاصة، وإذا لزم الأمر يجري إرسالهم إلى الخارج في دورات، أو في بعثات علمية.

بعد ذلك يتم اختيار خمسة آلاف عالم للمدن، يجري إعدادهم في مستوى متوسط، وبين هؤلاء مجتهد، وقريب للاجتهاد، ومجتهد متجزئ؛ فيجري تأمين ما يحتاجونه، وهؤلاء يجتازون بالطبع دورات محددة، ربما تصل مدتها إلى عشرين عاماً.

فلو استمرت دورة الفئتين الأوليين عشرين عاماً، فإن مرحلة الفئة المتوسّطة ربما تكون أقل من ذلك؛ كل هذا يمكن أن يُخطّط له.

إلى ذلك يجري انتخاب خمسة آلاف شخص آخرين ليتم إعدادهم وتخريجهم مبلّغين، وخطباء، وكتّاب وعلماء أفاضل، وثلاثة آلاف شخص ليكونوا مبلّغين خارج البلاد.

وبهذا سيكون مجموع هؤلاء خمسة عشر ألف شخص؛ هذا التقسيم لا يمكن أن يتم غداً، ولو ابتدأنا اليوم فلربما نتمكن من إنجاز ه بعد خمسة أعوام؛ لكن الحوزة يجب أن تصل إلى هذه المرحلة، وكل يوم يمر من دون إنجاز هذا العمل، سيؤدي إلى تأخرنا أكثر فأكثر.

إعلم أنه عمل صعب ومُعقّد، لكنه ممكن -إذا قررت الحوزة وليس شخصاً واحداً- إنجازه.

الحديث موجَّه لمن؟

الذين أتوجه إليهم في كلامي ثلاث فئات:

الأولى: رجال الحوزة وكبارها الذين يحضر منهم الكثير في هذا اللقاء؛ وأنا أكن لغالبية هؤلاء السادة كل تقدير وإخلاص منذ

القدم؛ منهم من فضلاء وكبار هذه الحوزة مّمن عرفناهم دائماً بالتقوى والعظمة والعلم، وهم في مقدمة من نخاطبهم؛ نظراً لنفوذهم الكبير.

الثانية: الفضلاء والشباب في الحوزة، فأنتم معنيون بالكلام بشكل خاص، وعليكم أن تشمّروا عن سواعدكم للعمل.

الثالثة: جهاز الإدارة وشخص مدير الحوزة العزيز، والمجلس الأعلى للحوزة العلمية، وهؤلاء سيتحملون القسط الأكبر من المسؤولية. ولأجل أن يسير العمل على ما يرام، يجب أن يعقدوا اجتماعات علميّة مستمرة.

خلال زيارتي السابقة طلبت أن تعتمدوا أسلوب الندوات لحل أيّة مسألة تواجهونها؛ والندوات يجب أن تكون بالمعنى الحقيقي، وليست اجتماعاً يتحدث فيه اثنان أو ثلاثة أشخاص، ثم يذهب كل إلى سبيله، فهذه ليست ندوة؛ بل الندوة هي أن يتم اختيار موضوع يحتاج إلى تأمل عقلي فيقوم أهل الرأي بالتفكير والقراءة والخ... حول الموضوع، ثم يجتمعون للبحث والتداول فيه، وليقدم كل منهم رأيه، ثم تقوم إدارة الندوة بجمع هذه الآراء لاستخراج حصيلة منها.

وبالطبع، فقد عقدت ندوة دراسية قبل فترة، وكانت نتائجها جيدة والحمد لله، لكن أحداً لم يتابع هذه النتائج.

عليكم أن تختاروا أشخاصاً مناسبين لهذا العمل، اختاروا الأساليب اللازمة، وتوصلوا إلى حلّ للمسائل المطروحة، اختاروا خمسين أو مائة من أصحاب الرأي، وادعوا الذين يتولّون إدارة هذا العمل، واعقدوا الندوة معاً ليومين أو ثلاثة، ليقوم هؤلاء بالتفكير والدراسة والاستدلال، فالحوزة العلمية هي حوزة استدلالية.

الفصل السادس

الحوزة العلمية وتطوير البرامج والخُطط التعليمية

* دور الحوزات العلمية
* تطوير برامج الحوزة
* الفقه والعلوم والمعارف الأخرى
* الطرق الحديثة في البحث والتحقيق
* الحوزة والتخصص
* الحوزة والتبليغ
* الوحدة بين الدين والسياسة
* تهذيب الأخلاق في الحوزة

الحوزة العلمية وتطوير البرامج والخُطط التعليمية[1]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطاهرين، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: **«الفقيه كل الفقيه من لم يُقنط الناس من رحمة اللّه، ولم يؤيسهم من روح اللّه ولم يؤمنهم من مكر اللّه»**[2].

طبعاً، هناك أحاديث قريبة من هذا المعنى وخلاصة هذه الأحاديث هي، أن الفقيه هو الذي يبيّن للناس الحقيقة كما هي، لا الذي يُيئس الناس بتحميلهم المشاق أو بإدخال بعض المفاهيم المنحرفة لقصر نظره، ولا الذي يؤمّن الناس من المكر الإلهي باتباع الهوى واعتماد آراء لا أساس لها في الأُصول، فيشجع الناس على ارتكاب المعاصي. فلب الفقاهة هو فهم حقيقة الدين والشريعة

---

(١) كلمة القائد أمام جمع من طلبة البحث الخارج - ١٩٩١/٩/٢١، (الموافق: ١٢ ربيع الأول ١٤١٢ هـ).

(٢) الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: نهج البلاغة، شرح وتحقيق: الشيخ محمد عبده، ج٤، دار المعرفة، بيروت، د.ت.، ص ٢٠. والواسطي (علي بن محمد الليثي): عيون الحكم والمواعظ، مطبعة دار الحديث، طهران، ١٣٧٦هـ.ش.، ص ٥٥.

وبيانها للناس. بعد توقف طويل نسبياً، أود أن أشرع من جديد، وحسب الطريقة السائدة في الحوزة. ولكن رأيت من اللازم في البداية أن أعرض بعض الأُمور التي أرجو أن تكون -إن شاء اللّه- مفيدة للسادة الحاضرين، ولمن يطلع عليها وسأتناولها بالترتيب:

أولاً: دور الحوزات العلمية:

يجب دراسة دور الحوزات العلمية والتحقيق فيه سواء في الماضي والحاضر أو المستقبل، والذي جعلنا نختار الحوزة العلمية من بين كل المجاميع الروحانية، هو أنها تُعتبر مزرعة علماء الدين ومنبت رجال الفقه. وقد استطاعت هذه الحوزات:

أولاً: ولفترات طويلة حفظ الدين وبيانه، فلولا جهود الحوزات العلمية من أول قيامها وإلى الآن، لما بقي من الدين والحقائق الدينية شيء، فبقاء الدين مرهون للجهود العلمية للحوزات.

ثانياً: كان للحوزات دور مهم في تقوية الالتزام الديني لدى الناس، فمن هذه الحوزات نهض العلماء المبلّغون يروّجون ويرسخون القيم الدينية بين الناس كما تمكنوا من توجيه المجتمع توجيهاً فكرياً.

فمنذ ألف سنة مضت وإلى الآن، أي بعد مرحلة تدوين الحديث وحتى ابتداء مرحلة الاستدلال ولحد الآن استطاعت الحوزات العلمية توجيه الفكر الديني للناس، والمحافظة على الدين وإشاعة الروحية الدينية.

ثالثاً: كان للحوزات وعلى طوال التاريخ، تأثير في المسائل السياسية، وقد رأينا هذا الأمر في تاريخنا الماضي، فمثلاً في فترة العلامة الحلّي(ره)، الذي كان له مدرسة متجولة، وكان يحرك الطلاب معه في المدن والبلاد بكل سهولة وقبله في زمان الشيخ

الطوسي(ره)، وتلامذته الكبار الذين انتشروا في آفاق العالم الإسلامي في الشرق والغرب، وفي مدن الشام، وطرابلس ومناطق أُخرى، وكذلك في زمان السيد المرتضى(ره)، وفي الأزمنة القريبة من زماننا كالفترة التي سبقت الشيخ الأنصاري(ره)، في زمان المرحوم كاشف الغطاء؛ حيث كانت الحوزات العلمية آنذاك مؤثرة في التحولات الجارية في حياة الناس، ومن ثم تلامذة الشيخ الأنصاري، كالمرحوم الميرزا الشيرازي، ومن بعده الأخوند الخراساني وسائر العلماء الذين تعرفون دورهم في القضايا التي جرت قبل الحركة الدستورية، وأثناءها، وبعدها وحتى الآن. والذي يدعو للأسف أنّ هذا الأمر يجهله كثير من الناس، وهذه المسائل هي ضمن البحوث التي لم تحظ باهتمام المحققين.

يجب أن يطلع الناس على هذه الاُمور فإنها -ولله الحمد- مدوّنة ومكتوبة، وكذلك في زماننا، فإن تحرك الشعب، وقيام الثورة الإسلامية، وبناء المجتمع على أسس إسلامية كان بواسطة الحوزات العلمية، فلقد كان الاستاذ في هذه الحوزات هو الطليعة والقائد، وكان الطلاب وفضلاء الحوزة في كل البلاد بمثابة جنود لذلك القائد.

ثانياً: تطوير برامج الحوزة :

إن إقامة الحكومة الإسلامية لم يكن بالأمر السهل؛ فإنه لم يتحقق على طول تأريخ الإسلام منذ الصدر الأول وإلى يومنا هذا، وحتى بعد انتصار الثورة الإسلامية وإلى اليوم، فإن حضور ومشاركة الأساتذة والطلاب عبر المراحل المختلفة التي مرت بها الثورة، كان واضحاً. وهذا يعني أن للحوزة العلميّة دورا حيوياً في المجتمع من جهات مختلفة، وهو دور يجب أن يحظى بالاهتمام؛ أي أن يتوفر أشخاص يتولّون ذلك، ويجمعون المواد اللازمة ويقدمون في هذا

الصدد أفكاراً جديدة. هذه مسألة، والمسألة الثانية هي أننا، الآن، نملك كنزاً بهذه العظمة وهو الحوزات العلمية، والذي هو ملك للعالم الإسلامي ولعلماء الإسلام أيضاً.

ولو أنّ مثل هذا الكنز الغالي كان موجوداً لدى أية جماعة أخرى في العالم، لرأيتموهم كيف يسهرون ليل نهار للمحافظة عليه، ولا يغفلون عن تقويته وتوجيهه لحظة واحدة. إنّ العلماء الكبار، وأصحاب الفكر يفكّرون، ويخططون لكيفية الاستفادة من هذه الذخيرة العظيمة. أما نحن، فما هو حجم تخطيطنا للحوزات العلمية؟ ومن الذي يتولى التخطيط؟ وكم يصرف الكبار وخيرة العلماء من أوقاتهم في التخطيط والبرمجة للحوزة؟ وهل يتم التخطيط للحوزات العلمية كما يخطط لدائرة حكومية صغيرة، أو لأمر من أُمور الحياة، أو لجامعة صغيرة؟ بالتأكيد لا، فمن الممكن أن يفكر شخص ما في أمر دراسته، وفي نوع المسائل التي يطرحها في السنة الدراسية، ويفكر في طريقة العرض، وكذلك في المصادر التي يراجعها في البحث، ولكن، أين هذا من أمر التخطيط؟ كم عدد الحوزات العلمية في البلد؟ هل تجدون عبر تاريخ الشيعة حوزة علمية مثل الحوزة العلميّة في قم اليوم؟ الحوزات العلمية في النجف، قم، أصفهان، مشهد، وتبريز وغيرها، وكذا الحوزات العلمية الكبيرة على طول التاريخ، لم تكن كالحوزة العلمية في قم اليوم بما فيها من عظمة وازدهار. يجب تشكيل لجان خاصة للتخطيط والبرمجة تدرس وتحقق بصورة مستمرة مسيرة الحوزات العلمية، وتضع الخطط والبرامج العلمية للمستقبل.

ثالثاً: الفقه في الحوزات :

يجب أن يكون الأساس في الحوزات هو الفقاهة. فالفقاهة يجب أن تتطور، ونقصد بذلك الفقه بالمعنى الخاص، أما الفقه

بالمعنى العام الذي هو معرفة الدين، فليس موضع بحثنا هنا. ما نقصده هو المعنى الخاص للفقه؛ أي المعرفة بعلم الدين والفروع الدينية والتي هي عبارة عن الفقه. الفقه بهذا المعنى مهم جداً، ففيه يُحدد تكليف الإنسان في الحياة من قبل الولادة إلى ما بعد الوفاة، بما فيه من أحكام حياته الفردية، والاجتماعية والسياسية، والاقتصادية وشؤونه الأُخرى؛ هذا الذي نقصده هنا بالفقه والذي يسمى بالأحكام الفرعية، فالفقه بمعنى استنباط الأحكام الفرعية من الأدلة التفصيلية هو أساس الحوزات العلمية، وعندما نذكر كلمة (فقه) فمقصودنا هو هذا، ولكن عندما نذكر كلمة (فقاهة) نقصد بها أسلوب وطريقة الاستنباط. وقد استعملت كلمة الفقاهة، أحيانا، بالمعنى نفسه في كلمات الفقهاء. فالفقاهة: عبارة عن طريقة رد الفروع إلى الأصول، والاستنباط من الأصول ومن الأسس التي هي الكتاب، والسنّة والإجماع والعقل؛ كيفية الاستنباط، وحل التعارض بين الأدلة، وترتيبها بحسب المرتبة، وتجديد ما يرجع إليه في البداية، فهل نرجع إلى الأدلة الاجتهادية أم إلى الظواهر؟

إذا كان في الظواهر تعارض ماذا نصنع؟ وان لم يكن لدينا ظواهر فماذا نصنع إذاً؟ ومتى يأتي دور الأصول العملية؟ وأي الأصول يقدم على غيره؟ ومسائل من هذا القبيل. وهذه هي الطريقة التي ندرسها في علم الأصول، ونحن نصطلح على هذه الطريقة بالفقاهة.

الأساس في الحوزات العلمية هو الفقه بالمعنى الذي ذكر، وطريقة الفقاهة تدخل في هذا المعنى أيضاً.

يجب أن يتطور الفقه والفقاهة في الحوزات من حيث العمق، فإنهما يجب أن يكونا أكثر عمقاً منه في زمان الشيخ الطوسي(ره)؛ أي أننا نواجه أفكاراً ونظريات مختلفة وبلغ الزمن عمقاً ودقة خاصة،

والفقه في زمان المحقق الثاني قياساً إلى فقه العلامة فقد صار أعمق بكثير، وكذلك فقه الشيخ في المكاسب أكثر عمقاً من السابقين. علينا توسيع قاعدة التعمق بالفقه. والتعمق لا يعني تناول الحواشي، والهوامش، والزوايا والتعليقات الزائدة، بل هو معالجة المسائل ووضعها موضع التفحص والتحقيق باستعمال الطرق والأساليب الجديدة والذي يعمل في ميدان البحث والتحقيق يمكنه معرفة هذا الأسلوب في البحث. إن الفقه في زماننا يجب أن يكون أعمق من الفقه في زمن الشيخ وتلامذته الذين كانوا مشايخ المرحلة السابقة؛ يجب تجنب الرؤية السطحيّة في الفقه، وألا نفكر أبداً في المسائل السطحية، بل يجب أن نعطي الفقه عمقاً، وهذا بُعد من أبعاد تطور الفقاهة.

أما البُعد الآخر لتطور الفقه، فهو سعته وشموليته لمسائل الحياة، أي أننا يجب أن لا نكتفي ببعض أبواب الفقه التي لها أهمية فردية وليس لها أهمية اجتماعية. مثلاً، تلاحظون حجم الكتب المؤلفة في باب الطهارة بخلاف باب الجهاد، أو القضاء، أو الحدود والديات، أو المسائل الاقتصادية في الإسلام. ولو أجريتم مقارنة في ذلك، فستجدون أن ما كتب في باب الطهارة أكثر بكثير مما كتب في المسائل الأخرى، وحتى في كتب بعض العلماء لا تجد كتاباً للجهاد. فصاحب الحدائق لم يجد من الضروري أن يتطرق إلى باب الجهاد، والذي هو من أسس الإسلام والشريعة، وطبعاً دورة كتاب الحدائق لم تكتمل ولم تستوعب كل الأبواب، ولكن المؤلف تجاوز المحل الذي يجب أن يبحث فيه الجهاد، حيث إنه تناول بحث الجهاد في آخر كتاب العبادات، ولكنه لم يبحثه قبل الدخول في المعاملات والعقود. والكثيرون اتخذوا هذا المنهج أيضاً، فالمرحوم النراقي لم يبحث في الجهاد، وطبعاً هناك علماء بحثوا ذلك ولكن بصورة مختصرة جداً ،ولم يستخدموا تلك النقاط العلمية الظريفة

والدقيقة التي ترونها في بعض الكتب. يجب علينا توسيع دائرة الفقه، يجب أن يتطور فقهنا من حيث سعة مستوى الفقاهة فيشمل كل مسائل الحياة، فهناك اليوم الكثير من المسائل غير واضحة من الناحية الفقهية، ويمكن القول بأنه في بعض أبواب الفقه التي بحثها القدماء وبيّنوا أحكامها، مسائل لم يبحثها المتأخرون. فلو راجعتم، مثلاً، مبسوط الشيخ(ره) أو تحرير العلامة، ستجدون فروعاً أكثر مما في كتب الفقهاء الذين جاءوا بعدهما، خصوصاً الفقهاء القريبين من زماننا، حيث أعطوا للفروع أهمية أقل، في حين أن كل فرع من هذه الفروع يتناول دوراً معيناً. فالتأمل بصورة جيدة في أحكام الإجارة بمقياس عالمي، وكذلك استنباط، وبيان أحكام، وأنواع وأقسام العقود من الشريعة المقدسة، يبين الأحكام السابقة غير واضحة لنا اليوم؛ فمثلاً عقد المضاربة الذي لم يكن يحظى عندنا من قبل بالأهمية، يمكن تشكيل نظام إدارة البنوك بناء عليه، لماذا لا نقوم بإجراء البحوث اللازمة في الكتب الفقهية وأبوابها المختلفة كي نحصل على أساليب مختلفة لإدارة شؤون الناس؟ وعلى هذا فالفقه، فضلاً عن العمق، يجب أن يتطور من حيث السعة والشمولية والأُسلوب.

الأُسلوب الفقاهتي الذي عُرض آنفا يحتاج تهذيباً، وابتكاراً وتطوراً، ويجب ادخال أفكار جديدة لزيادة فاعليته، والخلاصة، أن أساس الفقاهة يجب أن يتطور في الأبعاد الثلاثة التي عرضناها.

رابعاً: العلوم الأُخرى

على الرغم من أن الأساس في الحوزات العلمية هو الفقاهة، فإنه يجب عدم الغفلة عن العلوم الأساسية الأخرى، وعلى سبيل المثال يجب أن لا نغفل عن القرآن، علوم القرآن، فهم القرآن، والأنس بالقرآن. يجب أن يكون القرآن جزءاً من دروس الحوزات

وعلى طلابنا في الحوزات حفظ القرآن، أو جزء منه على الأقل، وعليهم الأنس به، فالكثير من مفاهيم الإسلام هي في القرآن، ولو اقتصرت دراستنا على الفقه فقط فلن تتوفر لنا الفرصة لدراسة علوم القرآن. إن الانزواء عن القرآن الذي حصل في الحوزات العلمية وعدم استئناسنا به، أدى إلى إيجاد مشكلات كثيرة في الحاضر والمستقبل. كذلك فإن البعد عن القرآن يؤدي إلى وقوعنا في قصر النظر.

وقد كنت أقول في درس التفسير الذي كنت أعقده في مشهد: إنه، مع الأسف، قيل: إنّ بإمكاننا بدء الدراسة ومواصلتها حتى استلام إجازة الاجتهاد، من دون أن نراجع القرآن ولو مرة واحدة؛ أي دروسنا ومنهاجنا التدريسي قد رُسم بطريقة بحيث إن الطالب من أول تعلمه ودراسته، وإن لم يكن قد راجع القرآن ولو مرة واحدة، مع هذا يمكن طي الطريق والوصول إلى الاجتهاد، لماذا هكذا؟ لأن دروسنا لا تعتمد على القرآن، وقد ترد في الفقه بعض الآيات القرآنية ولكن لا تدرس ولا تبحث بشكل مستفيض كما يجري في الروايات. ولهذا يجب الاهتمام بعلوم القرآن والمسائل المتعلقة بالقرآن، ومجموعة المسائل المنضوية تحت عنوان العلوم القرآنية التي تنتشر الآن ، والتي كتب عنها السلف كتباً كثيرة.

والآن، ومن حسن الحظ، هناك اهتمام جيد بالقرآن لدى البعض ولو بشكل نسبي. إن تفسير القرآن علم مستقل وكذلك معرفة الحديث وعلم الحديث بالشكل الذي ينتهي إلى الغور في هذا العلم، وإلى تنظيم وترتيب فهارس خاصة ومسائل مبوبة، للأسف نحن اليوم محرومون منها. وفي علم الرجال، أيضاً، يجب البحث والدارسة. فعلى الرغم من وجود الكتب الجيدة فإن الفرد يشعر بوجود فراغ كبير في هذا العلم، فعن طريق علم الرجال يمكننا الحصول على الحجة في باب السنة. والتاريخ مهم جداً كذلك؛

حيث يمكن الاستفادة منه في مجال الفقه. فالكثير من المسائل الفقهية ترتبط بالتاريخ ولكننا لم نهتم بهذا الارتباط ولم نحاول اكتشافه. وبالطبع، فإنني أطرح التاريخ هنا بعنوان علم مستقل من العلوم الإسلامية، والذي يجب العمل والبحث فيه. وكذلك الفلسفة التي رغم انتشارها في الحوزات، فإنه يمكن القول إنها مهجورة في الواقع، ولهذا ينبغي ترويج الفلسفة في الحوزات، وليست الفلسفة أن نأخذ كتاب الأسفار أو المنظومة ونقرأهما من البداية إلى النهاية فحسب، بل إنّ التبحر فيها يعني أنّ الإنسان يستطيع الاطلاع على جميع الأفكار الفلسفية الموجودة في العالم، والتي تتقدم باطّراد، والتسلح بفلسفتنا في قبال الفلسفات الخاطئة، ولو عثرنا في تلك الفلسفات أحياناً على نقطة إيجابية، يجب الاستفادة منها وبهذه الصورة تتطور الفلسفة، على العكس مما إذا كانت مجرد عرض لأفكار وكلمات الكبار عند ذلك لا تكون لها قيمة، الفلسفة يجب ان تبلغ بنا المعرفة الكاملة، يجب أن نرى ماذا يحصل في المجتمع البشري عبر مجالات المعرفة.

يجب أن تطرح أعمال، وأفكار، وطرق وأساليب جديدة في الحوزات، وبصورة مستمرة. ويجب الاهتمام بعلم الكلام أيضاً، فإن الكلام الذي يلزم اليوم للدفاع عن العقائد الدينية هو غير المباحث الكلامية السابقة، فمثلاً شبهة ابن كمونة ليست مطروحة اليوم حتى نرد عليها، ولكن هناك شبهات كثيرة في الأذهان وفي المجتمع البشري وعلى الحوزات العلمية معرفة هذه الشبهات ثم التصدي لها. عليها في كل زمان أن تكون هجومية في مقابل الفلسفات والاتجاهات الفكرية والمذاهب المنحرفة. وعليه، فإنّ هذه الأقسام الدراسية يجب أن يُعتنى بها، ويجب إعداد متخصصين لهذه العلوم، وعلى الحوزات أن تعير أهمية لهذا الموضوع. سابقاً، إذا أراد أحد كسب أيّ مقام علمي في الحوزة، كان عليه أن لا يفسر القرآن حتى

لا يُتهم بالجهل، حيث كان ينظر إلى المُلة المحترم والعالم المفسر الذي يستفيد الناس من تفسيره على أنه جاهل ولا وزن له علمياً؛ لذا يُضطر إلى ترك درسه. ألا تعتبرون ذلك فاجعة؟ في حين يجب أن يكون عكس هذا، فمن المفترض أن نقول: إنّ فلانا متخصص في التفسير، وأستاذ التفسير. لذا فإنه يجب أن يكون عنواناً محترماً في الحوزة؟ ينبغي تثمين المتخصصين سواء في الكلام، أم في التفسير أو في التاريخ كما كان الأمر في الماضي البعيد. المرحوم العلامة الطباطبائي (رض) لو حصر اهتمامه بالفقاهة لأصبح، بالتأكيد، مرجع تقليد؛ فهو إن لم يكن أكبر علماء عصره، فبالتأكيد ليس بأقل منهم. لكنه ترك الفقاهة للمتخصصين بها. ففي ذلك الزمان، كان المرحوم آية اللّه البروجردي في قم مشغولاً بالفقاهة وكذلك الاساتذة بعده، فجاء المرحوم الطباطبائي وتناول الفلسفة فأحياها، ووسع هذا العلم في وقت لم يكن للفلسفة شأن يذكر في الحوزة العلمية بقم؛ فأعدّ تلاميذ في المعارف والفلسفة، وطبعاً كان الإمام الخميني (قدس سره) قد مارس الفلسفة قبله ولكن بدائرة محدودة، ولطلبة معينين. ولكنه وسّع دائرة الدروس وصرف عمره في الفلسفة.

هكذا يجب أن تكون الحوزات، يجب أن لا يتوجه الجميع إلى الفقاهة فقط، على الطلبة أن يعرفوا أنّ من يسلك طريق التخصص في التاريخ، أو التفسير، أو الفلسفة، أو الكلام، أو علوم القرآن أو بقية العلوم الإسلامية، فقد سلك طريقاً قيماً، ولعلمه وتخصصه مكانة محترمة.

خامساً: الحوزة والمعارف العالمية:

على الحوزة أن تطلع على ما يحصل في العالم من تطورات في جميع المسائل التي لها ارتباط بالعلوم الإسلامية وأن تتفاعل معها. فمثلاً، تطرح اليوم في باب الاجتماع مفاهيم جديدة، ولهذه

المفاهيم ارتباط بدائرة عمل علماء الدين. ولنفرض أنّ مفاهيم الاجتماع الماركسية تأتي وتدخل المجتمعات وتصبح وسيلة لإلقاء الأفكار المادية، والمباحث الاجتماعية، أو المسائل الاقتصادية او الفلسفية لماركس؛ هذه البحوث مع أنها مرتبطة ببعضها البعض، ولكنها في الوقت نفسه تمثل مقولات منفصلة، فالمادية، الاشتراكية العلمية، الاقتصاد والطبقات الاجتماعية وتحولاتها التاريخية القائمة على أساس الاشتراكية التي رسمها ماركس، هي مقولات مختلفة، ولكن هذه المسائل الاقتصادية والمفاهيم الاجتماعية تأتي وتؤثر في الذهن الفلسفي لمخاطبها، عندها تبدأ الحوزة العلمية مساعيها لترد على الهجمة المادية وتتصدي لها. لماذا لا تهتم منذ البداية بما يجري في العالم وبالأفكار التي تطرح للبشرية كي تستطيع التهيّؤ لها مسبقاً؟ لماذا تمر مئة سنة على موت ماركس، وبعدما انتشرت أفكاره في كل مكان ومنها إيران، مما أدى ببعض شبابنا إلى أن يكونوا شيوعيين وينكروا اللّه -تعالى-، ثم نأتي الآن ونكتب ونرد على تلك الأفكار الملحدة؟

لو كانت الحوزات العلمية قد التفتت إلى الأفكار المادية، والاقتصادية، والاجتماعية للماركسية (والتي ليس لها وجود الآن)، أو أية نظرية ملحدة ومنحرفة أخرى وهي في طور النمو والانتشار، لكانت الحوزات قد نجحت في عرض الأفكار الإسلامية الصحيحة وكانت في موقع الدفاع - بل كان يمكنها أن تكون في موقع هجومي دوماً -. وعلى هذا، فإن على الحوزات العلمية أن تواجه الأفكار التي لها مساس بالمسائل الإسلامية في الوقت المناسب؛ فالمنطق الديالكتيكي مثلاً، قد طرح في العالم مدة طويلة؛ حيث جاء رجل اسمه (هيجل) بديالكتيكية انتشرت في أنحاء العالم، وبعدما استطاع أن يقطع شوطاً، أخذنا في نقد الديالكتيك والرد عليهم، وهذا تعامل انفعالي.

سادساً: الحوزة والطرق الحديثة في البحث والتحقيق

يجب أن تطّلع الحوزة على الطرق الحديثة في الدراسات والبحوث، والذي نقصده من البحوث والدراسات هو التعمق في البحوث، أي ما نسميه في الحوزة بالتحقيق. الدراسة العرضية والسطحية للموضوع والتعمق فيه؛ أي البحث عن الموضوع في السطح والعرض، والبحث عنه في العمق، كلا هذين النوعين من الأبحاث لهما اليوم أساليب حديثة، فالأساتذة يقومون بتوجيه الطلاب ويجري التحقيق بصورة جماعية، والتحقيق والدراسة الجماعية هي أكثر اطمئناناً من الدراسة الفردية؛ إذ تقل فيها الاختلافات ويزداد التقدم. هذه الأساليب يجب استخدامها في الحوزة.

لقد كان لدينا في الحوزة، دوماً، أسلوب الدراسة والبحث الفردي، وأعتقد أنه لا تزال الأساليب الفردية معمولاً بها، طبعاً هذه الحلقة الدراسية نفسها التي تلاحظونها هي عمل فردي ، فصحيح ان مائة شخص أو ألف شخص يحضرون في الدرس، يخاطب الأستاذ بشكل مستقل، فيذهب كل طالب بعد انتهاء الدرس ليطالع بنفسه، ولوحده. وحتى مباحثاتنا العلمية، فإنها قائمة على الطريقة الفردية، ففي يوم ما يصبح هذا الطالب استاذاً لغيره، فيصبح هو المتكلم والآخر مستمع، وفي يوم آخر يكون الأمر بالعكس، وهذا العمل ليس عملاً جماعياً بل عمل فردي. وبالطبع، فإن لهذا العمل الفردي جوانبه الإيجابية، ويجب أن لا تذهب حسنات هذا الأسلوب في العمل التحقيقي، ولكن الأساليب الدراسية والتحقيقية بالطريقة الجماعية أصبحت أمراً معمولاً به في العالم، فلماذا لا نستفيد من هذه الأساليب؟ على الحوزات التفكير في ذلك.

سابعاً: الحوزة والتخصص :

على الحوزة أن تتجه نحو التخصص، ولحسن الحظ فإن هناك، الآن، خطوات أولية في هذا المجال، ولكن يجب بذل جهود أكبر، يجب تشخيص جدول زمني، وتحديد وقت معين لإيصال الحوزة إلى الشكل المطلوب في التخصص.

لحد الآن، ينحصر التخصص في الحوزة العلمية في قم بفرعين: أحدهما علم التفسير والآخر علم الكلام، هذا المقدار لا يكفي إلا أنه جيد كخطوه أولى، ولكن يجب أن يُحمل التخصص على محمل الجدية أكثر لما في العلوم الإسلامية من سعة وشمول، يجب التخصص حتى في الفقاهة، والمعاملات والعبادات، وإن كانت هذه الموضوعات مرتبطة مع بعضها، ولكن، في الوقت نفسه، لكل منها باب مستقل، ويمكن أن يكون لكل باب منها متخصص. ينبغي الجدية في أمر التخصص في الأصول، وأبواب الفقه، ومراتب التخصص والأساليب الأخرى في الحوزة.

ثامناً: الحوزة والتبليغ والدعوة:

على الحوزة الالتفات إلى أمر التبليغ والدعوة بشكل جدي؛ أي أن يجري له برمجة وتخطيط، ففي الحوزة ذخيرة تبليغية عظيمة من الروحانيين الشباب المستعدين للتبليغ والدعوة والخطابة. بالطبع، إنّ الطلاب يمارسون التبليغ، وباندفاع ذاتي وبشكل دائمي سواء كان ذلك بدعوة أو بلا دعوة، وسواء كانت المواضيع المطروحة جيدة ومفيدة أو قليلة الفائدة. وعلى أي حال، فإن هذه الطريقة لا تؤدي أية نتائج مدروسة ؛لأنها تفتقد إلى التخطيط، فلو كان - لا سمح اللّه - طلبة يبلّغون في مكان ما بأمور لا فائدة فيها، فإنه لا يوجد حينئذ من يقف أمامهم ليتلافى ما ألحقوه من خسارة؛ لأنه لا يوجد تخطيط مسبق.

يجب على الحوزات أن تبحث أين يجب أن تجري حركة الدعوة، وما هي الوسائل؟ وما هو المحتوى والمضمون؟ وما هو الهدف المرسوم؟ ماذا نريد أن نصنع بالمخاطَب؟ فأحياناً يجري التبليغ من أجل تعبئة الناس للذهاب إلى جبهات الدفاع العسكري لمدة شهر، أو شهرين، أو ستة أشهر وهذا هدف، وقد يكون الهدف من التبليغ بناء إنسان مؤمن يعيش عمره مؤمنا متديناً. وقد تحدث، أحياناً، قضية من القضايا المؤقتة وتحتاج إلى تبليغ، عندها يجب التخطيط للتبليغ بما يناسب هذه القضية، لذا يجب أن تكون في الحوزات أجهزة خاصة للتخطيط والبرمجة التبليغيين، تتولى العمل وإعداد الأشخاص، وتهيئة الأساليب الحديثة في التبليغ، ووضعها تحت تصرف هؤلاء المبلّغين.

تاسعاً: الوحدة بين الدين والسياسة :

يجب الاهتمام بقضية الوحدة بين الدين والسياسة في الفقه وفي العمل. وليعلم الأخوة أنّ فكرة فصل الدين عن السياسة هي آفة لم تستأصل بشكل كامل، ولا تزال إلى الآن موجودة في الحوزات مع الأسف. وهناك من يتصور أن على الحوزات الانشغال بأعمالها، وأهل السياسة وإدارة البلد ينشغلون بأعمالهم وأمورهم، والمطلوب هو أن لا يختلفوا فقط. أما أن يكون الدين في خدمة إدارة حياة الناس وأن تتغذى السياسة من الدين، فهي مسألة لم تحظ باهتمام البعض لحد الآن. فيجب تأصيل وترسيخ فكرة وحدة الدين والسياسة في الحوزة؛ بحيث تكون الفقاهة والاستنباط الفقهي على أساس إدارة النظام والمجتمع لا مجرد الإدارة الفردية.

إن فقهنا ابتداء من الطهارة إلى الديات، موجَّه لإدارة بلد، ومجتمع، ونظام؛ فلو أمعنتم النظر لوجدتم أنّه حتى هذا الباب (الطهارة) في الماء المطلق أو ماء الحنفية، له تأثير على جانب من

إدارة حياة المجتمع، فما بالكم بأبواب المعاملات والأحكام العامة وبقية الأبواب الموجودة؟ يجب أن تُستنبط الأحوال الشخصية وغيرها بعنوان أنها جزء من مجموعة الأحكام المتعلقة بإدارة البلد. هذه الروحية في الاستنباط ستؤثر، وقد تؤدي، أحياناً، إلى تغييرات دقيقة. وفضلاً عن هذا فإنّه من الواجب عملياً، إعداد الطلاب لتلبية حاجة المجتمع؛ فعندما يحتاج المجتمع إلى قاض مثلاً، يلزم أن تقوم الأجهزة في قم بتوجيه الطلاب قضائياً ولا يصح أن تحول الحوزة مسألة إعداد القضاة إلى غيرها. فعليها أن تؤسس مركزاً يوجه الطلاب للمشاركة في الأجهزة المتنوعة لإدارة البلد، كدوائر التعليم العقائدي السياسي والدوائر المختلفة الأخرى، والتي هي بحاجة إلى عدد كبير من الروحانيين. وكذلك عليها أن توجه جمعاً آخر للتحقيق، والبحث واستخراج المسائل المهمة التي يحتاجها النظام، فنحن اليوم نواجه في إدارة البلد مسائل وقضايا هي جزء من المشكلات والمعضلات الدينية والفقهية التي نريد أجوبة عنها، ولكن ليس هناك من يجيب؛ ولذا، فإننا نكلف شخصاً نطلب منه استخراج جواب عن مسألة ما عن طريق البحث في كتب المصادر، في حين أنه يجب أن يتوفر جهاز يتابع المشكلات والمعضلات التي قد يواجهها النظام لأجل حلها وتهيئة الجواب المناسب لها، وهذا جزء من وظائف الحوزات العلمية، فالنظام الحاكم في إيران، متعلق بالإسلام، والحوزة العلمية قد وجدت من أجل الإسلام، وثمة بعد آخر للوحدة بين الدين والسياسة، وهو أن لا تبتعد الحوزات العلمية عن السياسة أبداً، فيجب أن يتمتع الطلاب بوعي سياسي، وحذار أن تسبق الاتجاهات السياسيّة المعاصرة أذهان الطلاب والحوزات العلمية.

يجب أن يقف العلماء على المسائل السياسية أولاً بأول، بل ويتقدموا على الزمان، وليكن لديهم فكر سياسي نير، فقد رأينا كيف

أن العلماء الذين كانوا يتمتعون بالفكر السياسي الواضح هم مفيدون ونافعون، وأحياناً نجد عالماً محققاً وشجاعاً، وذا شخصية مفيدة، ولكنّه لا يملك وضوحاً في الفكر السياسي؛ لذا فلا يستفاد منه في الموقع المناسب، فنراه يصدر أحكاماً ويعلن آراء غير صحيحة ولا ذات فائدة.

كل هذا لأنه يعاني من هذا الضغط، لهذا يجب أن يكون لدى عالم الدين فكر سياسي نَيِّر، وحيّ يتناسب مع العصر.

عاشراً: الحوزة والقيم الإسلامية :

على الحوزة أن تبذل منتهى العناية والاحترام للقيم الإسلامية، فالطالب الذي جاهد وبذل وقتاً طويلاً من عمره في الدّفاع والجبهة مثلاً، لا بد من أن تكون له منزلة ومكانة رفيعة في الحوزة، والطالب الحوزوي الذي صرف جزءاً من عمره في العمل الإداري في مؤسسة من مؤسسات البلد، وخدم مدة من الزمن من أجل مصلحة النظام بعيداً عن أجواء الحوزة وما فيها من شوق ولذة؛ حيث الدرس والتحقيق وأمثالهما، مثل هذا الطالب يجب إعطاؤه مكانته واعتباره. فلا ينبغي أن يكون في الحوزات تفكير أو تصور بأن الطالب الذي يقضي سنوات من عمره في العمل الإداري قد تضاءلت مكانته العلمية أبداً، بل يجب أن أقول: إنّه ازداد مكانة وقيمة، فمن هو أكثر مكانة ومنزلة، أهذا الذي صرف سنوات من عمره لخدمة المجتمع والنظام الإسلامي، أم ذاك الذي ليس لديه أي اهتمام بحاجات المجتمع، في حين أن المجتمع بحاجة اليه؟. ومن الواضح أن العمل الاسهل والأكثر راحة هو أن يبقى الإنسان في مكانه، ويواصل أعماله الشخصية ولا يهتم بأي شيء، وطبعاً سيتوفر له الوقت الذي يقرأ فيه أكثر من غيره، ولكن من يقول إنّ فهمه أكثر وأفضل؟ من يدري أنّ ادراكه للمسائل أفضل؟ يجب على الحوزات أن تعطي

للجهاد، والإيثار، وحضور الطلبة في الجبهات والمؤسسات أهمية قصوى، وتثمن ما بذلوه من جهود وتعطي ذلك مكانة وقيمة. وحتى إذا كان لدى هؤلاء الطلبة العاملين والمجاهدين نقص ما من الناحية العلمية، فعلى الحوزات جبران ذلك.

يجب على الحوزة تثمين وتقدير الشخص الذي قضى شهراً أو سنوات في منطقة نائية لا يرغب أحد في الذهاب إليها لتلبية حاجة الثورة، حاجة الناس، الحاجة الدينية للمجتمع، فمثل هذا الشخص هو أفضل مكانة من ذاك الذي لم يتحمل هذه المصاعب، مصاعب البرودة، الحرارة، عدم الأمن، الجوع، المشاكل، المخاطرة، البعد عن الأهل. فمن المؤكد أن الذين بذلوا هذا الجهاد والجهد، يجب أن يحظوا باحترام أكبر. وطبعاً، كل عمل قيم جدير بالاحترام، فلربما يوجد شخص ما قد لازم الحوزة وقدم أبحاثاً قيمة، فإن لهذا الأمر أيضاً قيمة ومكانة. يجب الاعتناء بجميع القيم الإسلامية، ومن هذه القيم هو التبليغ في المناطق الخطيرة المحتاجة إلى التبليغ، وكذلك المناطق النائية، والحضور في الجبهات، والمؤسسات الحكومية وأمثال ذلك، والتي تعتبر من القيم التي لها أهميتها وقيمتها.

الحادي عشر: رفاه الطلبة:

على الحوزات الاهتمام بالأساليب الحديثة والاستفادة من توفير الرفاهية للطلبة، ولا سيما الذين لهم مورد مالي غير الراتب الشهري، يجب إنجاز أعمال من قبيل بناء المساكن، والتأمين وأمثال ذلك من التسهيلات ، لكي يتفرغ ذهن الطالب نسبياً للدراسة. ومع أن العادة جرت في الحوزات على القناعة والزهد، وهي عادة حسنة وعلى الطلاب المحافظة عليها، ولكن مع هذا يلزم التفكير بهذه الأمور.

الثاني عشر: الحوزة والنزاعات الفئوية:

والحمد لله، فقد تمت رعاية هذا الموضوع من قبل، ولكي يحافظ على تلك المراعاة وعدم الدخول في الخطوط والأجنحة، خصوصاً من قبل الطلبة الشباب. عليهم اليقظة وعدم جر الحوزة إلى المسائل الحزبية، والفئوية، والنزاع، والغيبة وغيرها؛ لأنها تؤدي إلى أضرار كبيرة.

الثالث عشر: التخطيط والبرمجة الفردية:

على كل طالب حوزوي أن يخطط لمستقبله العلمي والفقهي، يجب أن لا يبقي أي طالب حوزوي يدرس بلا هدف، طبعاً، هناك فترة للدراسة؛ حيث يدرس الطالب الكفاية حتى يصل درس الخارج، وبعد درس الخارج يريد أن يكون مجتهداً، ولكن بعد ذلك يجب عليه التخطيط للمستقبل.

لكل شخص ذوق معين، واستطاعة معينة، فمن الممكن أن تحصل له ظروف خاصة، عليه أن يخطط لها مسبقًا ويهيّئ نفسه، إذ ليس من الصحيح أن يبقى الطالب مدة (١٥) سنة أو (٢٠) سنة في الحوزة بلا هدف، متنقلاً من هذا الدرس إلى ذاك، وبالتالي يضعف فلا يبقى فيه فائدة لا للناس ولا لنفسه.

الرابع عشر: تهذيب الأخلاق في الحوزات العلمية :

إن مسألة تهذيب الأخلاق في الحوزات العلمية تعتبر من أهم المواضيع، وبما أننا تحدثنا عن هذه المسألة مراراً وتكراراً، لذا لا أريد التفصيل فيها، فتهذيب الأخلاق هو ببساطة الحياة والإعراض عن زخارف الدنيا وهو يجب التعامل معه بجدية.

لا يصح أن يفكر الطالب الحوزوي بأن يصعد سيارة شخصية

من بيته إلى محل الدرس الذي لا يبعد مسافة شارعين! لقد كان الأساس في البناء الأول للحوزة قائماً على الزهد وعدم الاعتناء بالزخارف الدنيوية.

وطبعاً، فإنّ الحد المعيشي الأدنى الذي يهم الإنسان مطلوب توفيره؛ كي يستطيع الطالب المواصلة براحة بال، ويؤدي العمل الضروري المتوقع، ولكن يجب أن لا يتبدل المحيط الحوزوي والدراسة الحوزوية إلى شيء شبيه ببقية الأعمال التي يمارسها الآخرون، إنه من العيب الكبير أن يوجد في الحوزات اهتمام بالزخارف الدنيوية وهو أمر يجب التصدي له بقوة.

الخامس عشر: الامتحانات في الحوزة :

هذه المسألة، أيضاً، تعتبر من المسائل المهمة، حيث يجب أن تجري الامتحانات بأسلوب صحيح بعيدًا عن الاستغراق في المسائل الصغيرة، والعبادات، والمسائل الهامشية والفرعية، ولا يصح أن يتصور الطالب أنه إذا أراد أن يمتحن فعليه أن يدقق في الجزئيات بالصورة التي يهمل فيها المسائل الأصلية. هذه المسألة يجب مراعاتها في الدروس أيضاً؛ إذ يجب توجيه الطلبة أكثر فأكثر نحو التحقيق، والتمعن، والتفكير الحر، والاستيعاب في المسائل المطلوبة والابتكار.

السادس عشر: الكتب الدراسية:

المسألة الأخيرة هي مسألة الكتب الدراسية؛ فهذه الكتب في الحوزات ليست أزلية، ولا يصح القول: (إن الثلاثة ليست لها نهاية: الرسائل، المكاسب، الكفاية). كلا، فكتاب الرسائل لم يكن موجوداً في يوم من الأيام، وكذا كتاب المكاسب، ولكن عالماً قبل الشيخ كتبها، كما أن كتاب الكفاية لم يكن موجوداً أيضاً، فجاء روحاني

مثل الأخوند وكتبه. فلا نتصور أن الدراسة لا بد من أن تتمحور على هذه الكتب، بل يجب أن نشخّص عيوب هذه الكتب ونوفر للطلاب كتاباً لا عيب فيه، يجب أن ننظر إلى المراحل العلمية القائمة هل هي صحيحة أم لا؟ إذا رأينا أنها غير صحيحة، فنبحث عن الطريقة الصحيحة، ولتكن لدينا لجان خاصة لتدوين المناهج وكتابة مواضيع جديدة، وكذلك فتح باب الفقه المقارن.

والخلاصة: استخدام أساليب جديدة في الكتب الدراسية.

كانت هذه مجموعة مسائل أردت عرضها، على الرغم من أن السادة الحضور لا يحتاجون إلى ذلك؛ لأنهم ليسوا في الحوزة، وإنما هم الآن خارجها (أي أنهم تجاوزوا المراحل التمهيدية ووصلوا إلى البحث الخارج)، لكننا أردنا إجمالاً، طرح هذه المسائل في جو فكري وعلمي.

وإن شاء اللّه تعالى، سندخل غداً في المسألة العلمية التي نبحثها، وابتداءً أوضحنا، بشكل مجمل، فهرساً لما درسناه حتى اليوم من أول كتاب الجهاد، وكذلك سنقدّم عرضاً مجملاً عن بعض البحوث القادمة، ثم نشرع بالبحث المطلوب.

والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته.

الفصل السابع

وزة العلمية وآفاق الإصلاح والتجديد

* الحوزة والتنمية
* الأزمات المختلفة
* التحّجر هو التحدي الأكبر
* ما هو التجديد؟
* الانفتاح العلمي في الحوزة
* تربية الروح والجسم
* المسؤولية هي حفظ النظام الإسلامي
* إعادة النظر في الكتب الدراسية

الحوزة العلمية وآفاق الإصلاح والتجديد[1]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا أبي القاسم المصطفى محمد وآله الأطيبين المنتجبين المعصومين الهداة المهديين، لا سيما بقية الله في الأرضين.

الشرط الأول لحلاوة أي اجتماع، هو الأمل بتأثير الكلمات والقرارات التي تصدر عن ذلك الاجتماع، وهو كذلك، الارتباط العاطفي والمحبة المتبادلة بين المتكلم والسامع. من جهتي أنا، إنني أشعر بالحب لكم، والإيمان بكم أعزائي الحضور في هذا المحفل المبارك، هذه المحبة التي أكنُّها للجيل الشاب، جيل العلم، والمعرفة، والثقافة والتحصيل من أجل هداية البشر.

العلم بكل أنواعه شريف، ويزداد شرفه بحسب الأهداف الكبيرة التي يمكن أن يحققها، ولكن لا يمكن لعلم من العلوم أن يصل إلى منزلة العلم والمعرفة التي يراد منه هداية الناس ونجاتهم، وتنوير الظلمات التي تحيط بعقول الضالين وأذهانهم (لتردهم إلى جادة الهداية).

---

(١) خطاب السيّد الخامنئي خلال لقائه بطلاب الحوزة العلمية في مدينة مشهد، بتاريخ ٢٢/ ٤/ ١٣٧٦هـ. ش.

هذه هي خلاصة ما أعتقده حول جيل الشباب بين طلاب الحوزة العلمية. وهذا الاعتقاد، وهذه النظرة، تثير في نفسي عواطف جياشة تستند إلى قواعد وأسس منطقية وفكرية أيضاً. وظاهر الحال أنكم تنظرون إلى أخيكم بعين المحبة والثقة كذلك.

وهذا الاجتماع يكتسب أهمية من الآثار التي تترتب عليه إن شاء الله. وسوف يكون لكلماتي -بعون الله- أثرٌ يجعل الحضور الكرام (أساتذة الحوزة العلمية، وعلماءها، والطلاب الفضلاء، والمفكرين وأصحاب الرأي)، يتأملون في مستقبل الحوزة العلمية، وما يتعلق بها من شؤون وشجون؛ حيث إن هموم الحوزة وشؤونها لا تنفك عن مستقبل الوطن، والمجتمع، والإسلام والمسلمين.

وهذا الاجتماع يكتسب، بالنسبة لي، أهمية من جهة أخرى؛ حيث إنه يثير ذاكرتي، فهنا مدرسة الميرزا جعفر -المركز المعنوي لحوزة مشهد- فعندما كنت أدرس في حوزة مشهد، كنت أتردد على هذه المدرسة للبحث والدرس، وكنت على علاقة بطلابها، وكل مدارس مشهد في تلك الفترة، كانت مراكز للتربية الروحية الناظرة إلى مستقبل البلاد.

ولاشك في أن لحوزة مشهد نصيباً مهماً ودوراً فعالاً في ما حصل في هذا البلد، وكانت منشأً لبركات كثيرة.

وأقدّم شكري الخالص لأخي العزيز الشيخ طبسي -أدام الله بركاته-؛ حيث إنه اهتم بهذه الحوزة المباركة وبعث فيها الروح، رغم كثرة اهتماماته وأعماله التي تعود بالخير العميم على الثورة والبلد بشكل عام.

أحمد الله -سبحانه- أن حوزة مشهد صارت، اليوم، من الحوزات البارزة المميزة؛ لجهة وجود ما يقرب من عشرة آلاف

شخص، بين طالب، ومدرس وعالم حكيم. وبالمقايسة مع زماننا، فإننا نجدها أكثر حيوية ونشاطاً.

ومن اللافت في هذه الحوزة، أيضاً، إحياء هذه المدارس القديمة التي تعد آثاراً رائعة في فن العمارة، ولا يمكن الفصل بين الجمال الفني المعماري، وبين الآثار المعنوية المترتبة عليه. أسأل الله -سبحانه- أن يحفظ الشيخ طبسي ويوفقه في ما يخطط له من برامج تسير بالحوزة إلى مزيد من التقدم والتطور.

محاور التخطيط في الحوزة

سوف أتحدث عن جملة من العناوين في هذا الاجتماع الذي يغلب عليه طابع الأخوَّة والمحبة. وأوجّه كلامي، بالدرجة الأولى، إليكم أنتم الطلاب، بما أنكم تشكّلون أساس الحوزات ومتنها، ومستقبل الحوزة بيدكم أنتم. ورغم أن ما سوف أتحدث عنه يرتبط بنحو من الأنحاء، بجميع العناصر العاملة في الحوزة، إلاّ أنه يرتبط بكم مباشرة وبالدرجة الأولى. هذه العناوين التي سوف أتحدث عنها تَختَصر جملة مهمة من شؤون الحوزة العلمية وشجونها. وأحاول أن أعرض، بادئ ذي بدء، للعناوين بشكل موجز وسريع، ثم أعمل على التفصيل والشرح.

المسألة الأولى: الترميم والتنمية، فالترميم هو وظيفة اليوم، والتنمية هي الهدف الأبعد.

المسألة الثانية: هي الأزمة التي يُعمَل لفرضها على الحوزات العلمية؛ حيث إن العدو الذكي والواعي الذي يملك البرامج والأدوات الفعالة، يسعى لفرض أزمات عدة على الحوزات.

المسألة الثالثة: هي التحجر، وهو البلاء الأصلي للحوزات العلمية. وسوف أشرح كيف أن هذا البلاء يحظى بالدرجة الأولى، وغيره من المصائب تقع في المرتبة الثانية والثالثة.

المسألة الرابعة: التجديد والإبداع، فإنه عندما يكون التحجر هو البلاء الأول يجب أن يكون التجديد هو الواجب الأول، والوظيفة الأولى.

المسألة الخامسة: الحرية الفكرية المستتبعة للتجديد، وهذه بدورها لابد من أن ترتسم حدودها بشكل واضح وجلي؛ كي لا يأتي العدو الذي لا يعترف بنا ولا بسوابقنا، ولا يملك صلاحية فكرية ولا علمية، فيفسر لنا حريتنا ويضع لنا حدودها. أليس الأجدر بنا نحن أن نفسّر الحرية ونفهمها على ضوء ما نملك من تراث معنوي وذخائر فكرية؟!

المسألة السادسة: قضية نشاط الشباب؛ الأمر الذي لا يُلتفت إليه في الحوزة العلمية مع الأسف، ولا يُهتم به.

المسألة السابعة: الدفاع عن النظام (نظام الجمهورية الإسلامية) الذي هو من واجبات الدرجة الأولى.

المسألة الأخيرة: الكتب الدراسية.

هذه ثمانية عناوين تيمناً بثامن الأئمة[1] الهداة المهديين عليه صلوات الله وصلوات أوليائه وملائكته أجمعين.

وليت هذه الأمور الثمانية وحدها هي كل مشكلات الحوزة العلمية وشؤونها، إلّا أنها سوف تحرككم وتدفعكم نحو التفكير فيها وفي أطرافها؛ للتخطيط لحلها والارتقاء بالحوزة العلمية وتطويرها.

١- الترميم والتنمية:

قبل سنتين أو ثلاث في سفري إلى حوزة قم، قلت في محضر كبار علماء الحوزة العلمية وعظمائها: إن علينا تجاه الحوزة وظائف

---

(١) يقصد الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام المدفون في مدينة مشهد حيث يلقي السيد -حفظه الله- كلمته.

ثلاثاً، هي: **الحفظ، والترميم، والتنمية.**

الحفظ هو الوظيفة الأساسية، وبحمد الله لا مشكلة من هذه الناحية، فالحوزات العلمية محفوظة -إن شاء الله- بفضل إرادة الله -سبحانه وتعالى-، وعبر أسباب ومقدمات يساعد هو -سبحانه- على تحقيقها.

نعم، توجد بعض القضايا التي يمكن أن يشار إليها حول حفظ الحوزة، وقد تحدثت عنها في قم، ولا أريد أن أكرر هنا ما قلته هناك. وكنت اليوم قبل الظهر، أطالع تلك الكلمة، فوجدت من المناسب أن تطلعوا عليها، وسوف أكلف الإخوة بطباعتها وتقديمها إليكم للاطلاع عليها لمن لم يطلع حتى الآن.

وعلى أية حال، فإن ما سوف أتحدث عنه الآن مبني على ذلك الكلام، ومترتب عليه. وحول الترميم أقول: إن كل حادث يسير نحو الفناء والزوال، وهذه هي خاصة الحدوث والخلق؛ فكل شيء له أول وآخر، وما بين الأول والآخر ضعف وعجز وخور، فإذا لم يتيسر لهذه الأمور من يتعهدها بالرعاية والإصلاح، فسوف يسرع أوان زوالها.

وينطبق هذا القانون على كل شيء؛ فإنكم إن لم تهتموا بأجسامكم، فإنها سوف تنهار وتتلف، كما ينهار البناء إذا لم يتم ترميمه. وكذلك ينطبق على الحوزة العلمية؛ فإنها إن لم ترمم بين فترة وأخرى، فسوف تضمحل بمرور الزمان، نعم، يحصل هذا الترميم بشكل طبيعي.

يتم الترميم بشكل طبيعي وتلقائي في الأجهزة الحيّة المولدة والنامية، فبدن الإنسان ما دام حيّاً، فإنه يمر بعملية الترميم هذه، حتى ولو لم يستعمل دواءً، وتتبدل خلاياه باستمرار، فتنعدم الخلايا الهرمة ويحل محلها خلايا جديدة، وهكذا... وتستمر حياة الإنسان ويبقى

جسمه سالماً معافىً فيما لو تم هذا الأمر ضمن برنامج محدد وصحيح.ومن هنا، علينا أن نفكّر في ترميم الحوزات.

ولكن الأهم من الترميم نفسه هو أن نعرف أين تحتاج الحوزة إلى الترميم؛ حيث توجد مجالات عدة قد يتصور وجود داع للترميم فيها، وهي:

أولاً: الترميم من ناحية الشخصيات العلمية الكبيرة التي ترحل عن الحوزات. لماذا لا ننتبه إلى هذا الأمر؟ لقد رحل من هذه الحوزة (حوزة مشهد) عدد من العلماء في مجال الفقه، والعلوم العقلية، وفي مجال التقوى والأمور المعنوية. نعم لقد ترك هؤلاء العظماء الحوزة بشكل قهري ولا بد من سد الفراغ الذي خلّفوه وراءهم، ولا بد من العمل على تربية الكوادر التي تملأ هذا الفراغ.

أنا لا أنسى عندما جاء المرحوم آية الله الميلاني[1] إلى مشهد -وقد فكّرت اليوم فوجدت من واجبي أن أشير إليه لما له من حق عظيم على الحوزة العلمية- نعم، أتى إلى الحوزة العلمية في مشهد وزيّنها بآثاره العلمية، وقد كانت بحاجة إلى الترميم بأمثاله في ذلك الوقت.

لا أنسى عندما كان علماء الحوزة يذهبون لزيارته، وأذكر أنني قد زرته مع المرحوم الوالد وكنت في مقتبل العمر وقتها. وأذكر أن المرحوم آية الله الشيخ مجتبى القزويني، الأستاذ الكبير والعالم المعروف في حوزة مشهد، قد زاره وأصر عليه ملتمساً منه البقاء في مشهد، وإليه يرجع الفضل في بقائه في مشهد.

وهكذا بقي المرحوم الميلاني في مشهد وحوزتها التي نمت

---

(١) السيد محمد هادي الميلاني، من كبار فقهاء الإمامية المعاصرين (ت: ١٣٩٥هـ).

وتطورت بوجوده. نعم، قَبل الميلاني كانت الحوزة عامرة بالعظماء، إلّا أنّها لم تكن تستطيع أن تضع خريجيها في مصاف خريجي الحوزات الأخرى، الأمر الذي تحقق بعد مجيء السيد الميلاني.

والمرحوم الشيخ مجتبى القزويني -رضوان الله تعالى عليه- هو نموذج آخر من هؤلاء العظماء بمقامه العلمي والمعنوي الشامخ، بتلك القدسية التي كان يتحلى بها. وقد قلت مراراً: إن أمثاله بين العظماء وعلماء الشيعة قليلون، وربما رأيت شخصاً آخر يملك مواصفاته نفسها. ذلك المعدن الثمين وتلك الجوهرة الروحية أثْرت الحوزة وأثّرت فيها. وكذلك أذكر من عظماء هذه الحوزة المرحوم آية الله الشيخ هاشم القزويني.

ولاشك في أن الحوزة في هذا العصر تتمتع بشخصيات كبيرة وعظيمة، ولكن لكل عظيم مكانه الذي يصبح شاغراً برحيله وكما ورد في الروايات: «**إذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدّها إلاّ عالم مثله**».

وليؤمن كل واحد منكم بأنه هو من سيسد تلك الثغرة، ويملأ ذلك الفراغ، واعملوا على هذا الأساس. وقد كان طلاب المرحوم الميرزا الشيرازي[1]، وبعده طلاب المرحوم الآخوند الخراساني في مرحلة من تاريخ الحوزة مجموعة علمية لا نظير لها، أو على الأقل قل نظيرها في تاريخ الفقه الشيعي.

بعد هؤلاء العظماء قلما أنتجت الحوزات العلمية -وعندي حاشية على هذا المطلب لعلني أشير إليها خلال حديثي- فبعد هذه المرحلة وقعت حوادث كان أسوأها تسلط البهلويين المذل الذي

---

(١) السيد محمد حسن الشيرازي من أبرز تلامذة الشيخ مرتضى الأنصاري، صاحب الفتوى الشهيرة بتحريم التنباك في العصر القاجاري، (ت: ١٣١٢هـ).

أدى إلى انتكاسة في الحوزات الفقهية الشيعية، لابد لها من الخروج منها، وهذا نحو من أنحاء الترميم.

ثانياً: وترميم الأفكار أهم مما أشرنا إليه، وأقصد بذلك الأفكار التي انتهى زمن صلاحيتها. لاحظوا علم الأصول مثلاً، وتأملوا في أبحاث كبار العلماء في هذا العلم كصاحب الفصول والميرزا القمي، هذه الأفكار التي كانوا يعالجونها كان لها عظيم الأهمية في زمان أصحابها ولكنها لم تعد كذلك الآن، كثير من تلك الأفكار لم يعد يهتم بها أحد، وحلت محلها أبحاث جديدة وأفكار جديدة.

ولا يُعقل أن نتقدم في جميع الشؤون المرتبطة بحياتنا، بينما نكتفي في قضايانا العلمية بكلمات منسوخة أو شبه منسوخة. يجب على العلماء والعظماء أن يعملوا لإنتاج الأفكار الجديدة، وليحافظوا على نضارة الحوزة علمياً. وهذا نوع من الترميم أيضاً. وأشير هنا إلى أن هذا العمل تخصصي، فلا يتسنى لأشخاص لم يصلوا إلى حد النصاب من الناحية العلمية أن يقدموا شيئاً في هذا المجال.

وأهم من هذا أيضاً، هو الترميم في المناهج العلمية فمضافاً إلى اهتمامنا بالأفكار العلمية نحتاج إلى الاهتمام بالمناهج؛ حيث إن بعض المناهج المستفاد منها في التخصصات العلمية العالية تحتاج إلى إعادة نظر من قبل العلماء، والمتخصصين وأهل الفن.

لاحظوا مثلاً مسألة الزمان والمكان التي طرحها الإمام الخميني-رضوان الله تعالى عليه- ذلك الفقيه العظيم الذي أدرك دور الزمان والمكان في آراء الفقيه والأحكام التي يتوصل إليها. ولا علاقة لنا بأولئك الذين لم يفهموا مراد الإمام وابتلوا بالإفراط أو التفريط في هذه القضية. والأمر عينه يصدق على مناهج التبلغ وغيرها من المناهج العلمية الموجودة في الحوزات.

إذاً، على الحوزة أن تبقى في حالة ترميم دائم، لتساير

عصرها، ولا تكون متأخرة عنه. وقد أشرت في كلمتي التي ألقيتها في قم إلى أن الحوزة تقدمت كثيراً عما كانت عليه قبل خمسمائة عام، لكن هذا وحده لا يكفي، بل لا بد من المقايسة بين الحوزة وبين الزمان الذي هي فيه، فالحوزة في ذلك العصر لم تكن متأخرة عن زمانها، بينما حوزاتنا اليوم متأخرة عن عصرها في كثير من الميادين. وعندما تقرأون تلك الكلمة، سوف تلاحظون الأمثلة التي أشرت إليها[1].

٢- الأزمات المختلفة:

قد تنشأ الأزمات والمشاكل، أحياناً، من الداخل عندما يجتمع عدد من الأشخاص ليعملوا معاً. وأما الحوزة العلمية، فليس في داخلها ما يولِّد أيّة أزمة، فلا صراعات مادية توصل إلى الاعتصام والإضراب، ولا تعارض في المناصب، ولا غير ذلك مما يؤدي إلى أي نوع من الأزمات. وربما تنشأ بعض الأزمات لأسباب داخلية في بعض المجتمعات العلمية، وأما الحوزة العلمية فلا. وهذه الصفة من خصوصيات الحوزات العلمية، وسبب ذلك أن الفرد العامل في الحوزة لا شيء لديه ليفقده وقد قال الشاعر:

ليس عندنا ما نخشى عليه الزوال

أيها الفلك! خذ ما وهبت حتى التاج الذي منحتنا إياه

في الحوزة العلمية، وبين الحوزويين، لم يعط أحد أحداً شيئاً مادياً حتى يجّرده منه، وهذا بخلاف الأماكن الأخرى التي تعرفون أمثلتها. هذا، ولكن فرض الأزمة من الخارج على الحوزة العلمية

---

(١) يشير السيد في كلامه إلى موردين من موارد التأخر، إلّا أن النص الذي اعتمدناه ليس فيه سوى مورد واحد؛ لذا اكتفينا بما هو مذكور من دون عده أولا كما هو في النص المتوفر بين أيدينا.

أمر مُتصوَّر وممكن، ومن هنا يسعى الكثيرون لخلق الأزمة في الحوزة، وهذه الأزمة هي أزمة الهوية، وهي أزمة روحية لا علمية.

ما هي أزمة الهوية؟ هي أن تصبح مجموعة ما غير عالمة بذاتها، وبالدور الذي يمكن أن تلعبه. وهذا ما يمارس مع الحوزة؛ حيث تبذل الجهود لإفهام الحوزة أنها لا ضرورة لها في نظام حياة الناس! كما لو يقال للأطباء: إنكم لستم ذوي أهمية بالنسبة للناس! أو يقال لمعلمي بلد من البلاد: إن المجتمع لا يحتاجكم!

ومن الواضح أن المعلمين لو تركوا عملهم، فسوف لن يموت أحد من الناس، منذ تلك اللحظة إلى حلول الليل، ولن ينفجر مكان ما. فيقال للمعلمين باستدلال سطحي عامي جاهل: لا ضرورة لوجودكم، فلو لم تكونوا لن يموت أحد من الجوع!

وهكذا يقال للحوزة العلمية التي تحمل مشعل الهداية المعنوية، والمكان الذي منه تضاء مصائر الناس وتتحدد نهاياتهم، يقال للحوزويين: لا ضرورة لكم (ولا حاجة للناس بكم). ويُسعى لتلقين الحوزة هذه الأفكار. والحال أن كل فرد من أفرادها يشعر بشكل جازم وقاطع، أنه مورد حاجة للناس جميعاً.

نعم، يحاولون أن يفعلوا ما كان رضا خان يحاول فعله في هذا البلد، وهذا أيضاً ما كان بدأه ناصر الدين شاه بعد قضية التنباك، وقبل هذه القضية لم تكن الحكومات السابقة تحاول إخراج العلماء من الساحة، فلم يشعروا بالحاجة إلى ذلك، أو أن هذه الفكرة لم تكن قد انقدحت في رؤوسهم. بعد قضية التنباك شعر ناصر الدين شاه والإنكليز بأن هؤلاء العلماء يزاحمون أعمالهم، ويقفون في وجه كثير من مشاريعهم واستقرار حكوماتهم، فلا بد من إزاحتهم من الطريق.

هذا، ولكن لم يكن من مجال في تلك الأيام للقيام بعمل

أحمق، فلو خرج الميرزا الأشتياني[1] من طهران، فإن طهران بأجمعها كانت ستهتز، فلم يكن التعرض له مباشرة؛ لذا بحثوا عن طريق آخر، فاتهموا وأهانوا! بعد ذلك، وفي قضية المشروطة، أخذت هذه التهم شكلاً معاصراً على يد المتنورين الغربيين، وقد حاولوا أن يركزوا التهمة والإهانة على العلماء الأكثر وعياً وإدراكاً لمؤامرة الأعداء وخططهم. والمثال الأبرز لهؤلاء العلماء كان المرحوم الشهيد فضل الله النوري[2].

أوصي الطلاب الشباب بقراءة تاريخ المشروطة بدقة، والتركيز على دور المرحوم فضل الله النوري الذي كان من دعاتها والمنادين بها، ثم انقلب عليها ووقف في وجهها عندما رأى أنها تحولت إلى مشروطة إنكليزية. وهذا له معناه. عندها قيل بسهولة: إنه -ذلك العالم الكبير- يأخذ الرشوة! نعم مثقف مأجور -بالمعنى الحقيقي للكلمة؛ أي أنه كان يتاقضى أموالاً من السفارة البريطانية- يكتب في صحيفته أن الشيخ يأخذ الرشوة!... وما زال يتردد ويقال ذلك عن الشيخ حتى يومنا هذا وكل ذلك ضريبة وعيه.

كان العالم الأوعى هو الهدف الأبرز لهجوم أعداء الإسلام، واليوم كذلك أيضاً. الشخص الأكثر بغضاً وكرهاً هو العالم المطلع على خفايا خطط ومؤامرات من يريدون السوء بالإسلام والمسلمين. وعندما تفتحون أي كتاب عن المشروطة، سوف تجدون أن التهم مازالت تكال للشيخ فضل الله النوري حتى بعد مضي عشرات السنوات.

---

(١) الشيخ محمد حسن الأشتياني، من كبار فقهاء الإمامية ومن تلامذة الشيخ الأنصاري البارزين (ت: ١٣١٩هـ).

(٢) الشيخ فضل الله النوري من كبار المعارضين للمشروطة والداعي إلى المشروطة المشروعة.

وكلما أرى ذلك أتذكر قول شاعرنا، حيث يقول:

ماذا قرأت في صلاة عشقك حتى تُعلَّق على الأعواد

وحتى تظل تنهشك تلك الأحقاد الهرمة في مماتك(١)

نعم، بعد مضي عشرات السنوات، مازالوا ينالون من الشيخ فضل الله النوري، في كتب تاريخ المشروطة التي تُكتَب بأقلام مأجورة للسفارة البريطانية. وهذا يكشف عن عمق الضربة التي تلقاها العدو من هذه الحركة.

لقد فعل رضا خان ما يشبه ما فعله غيره، ولكن بشكل آخر. لقد أقفل المدارس، ونزع عمائم العلماء، وحاصرهم في بيوتهم، وهجَّر الطلاب ومنع العلماء من التدريس، [بل قل] إنه قد أحدث فاجعة في الحوزات العلمية على مدى عشرين سنة، ومازال أثر تلك الأفعال بادياً حتى بعد مضي ما بين أربعين إلى خمسين سنة من موته. وقد كان يحاول ولو بالقوة، إزالة الحوزة من الوجود.

وبعد رضا خان لاحَظوا أنهم لا يصلون إلى مرادهم بهذه الطريقة، فحاولوا بطريقة أخرى، واليوم يكررون تلك الأحاديث بعينها، فيتَّهم أحدُهم أحد علماء الطبقة الأولى بأخذ الرشوة. من؟ الميرزا حسن الأشتياني؟ الميرزا حسن الأشتياني الذي كان زعيم الحوزة العلمية في طهران. هذا الرجل [العظيم] يحتاج إلى الرشوة؟ لكنه العدو، كتب وقال.

العالم الذي كان ينفق على مئات العائلات، يذهب إلى موظف في الدولة ويقبل رشوته! الأمر الذي كانوا هم يفعلونه نسبوه إلى الميرزا الأشتياني؛ ليشوهوا سمعته، ولم يوفقوا في ذلك.

إذاً، مرة بهذه الطريقة، وأخرى باتهام الشيخ فضل الله النوري،

---

(١) الشعر لشفيعي كدكني.

وثالثة بالقوة والعنف كما كان يفعل رضا خان، ورابعة بالإهانة كما بعد رضا خان، والآن وفي هذا العصر بشكل آخر، بصيغة التساؤل: **«ما هي فائدة الحوزة العلمية والعلماء؟»** الحوزة والعلماء هم لتبيين الدين وشرحه للناس، فكل من يؤمن بالدين محتاج إلى من يبيِّنه له.

يقول بعض الناس: إن العلماء يتعاطون مع الدين تعلماً واستنباطاً بشكل علمي منهجي، تنحوا أيها العلماء حتى نفهم الدين، ونفهمه بدون هذا المنهج العلمي والمقدمات التي تستخدمونها لفهمه، وبالتالي نقول ما يناسب أهواءنا. وهذا هو حقيقة ما يريدونه، ويحاولون طرحه ونشره في الحوزة العلمية، وتمثل هذه الإشكالية واحدة من هموم الحوزة العلمية.

ولكن لن يكون لهم ذلك، فالحوزات بمثابة تيار أصيل وعميق كان وسيبقى دائماً ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[(١)].

ولا تستطيع الحوزة العلمية أن تتجاهل هذه القضية، واعلموا أن هذه هي سياسة العدو على المدى البعيد وعلى الحوزة أن تواجه ذلك قولاً وعملاً... لتُثبِتَ أن أية علامة استفهام تُوَّجه إلى الحوزة العلمية، هي كما لو وجّهت إلى الجسم الطبي في البلاد. والواقع هو هذا، بل إن الطبابة التي تمارسها الحوزة أعلى شأناً، وأرفع قدراً من طبابة الأبدان، ولكن هذا الأمر لا يفهمه الكثيرون من الناس العاديين، فلو أن أحدهم سأل عن شخص وقيل له: إنه يعمل، وجاء ووجده جالساً في غرفته يقرأ كتاباً، فسوف يقول بعض الناس: إنه لا يعمل، إنه جالس في غرفته، وكأن العمل هو العمل بالمعول والرفش أي العمل البدني وحده. نعم، هذا هو عمل الحوزات، هو طبابة الروح، الطبابة المعنوية للحصول على الراحة والأمان النفسي

---

(١) سورة الرعد: الآية ١٧.

﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ﴾[1]. وهذا الكلام لا يفهمه الجميع وإنما يفهمه أهل الدقة.

وعلى أيّة حال، على الحوزة أن تقوم بعملها بشكل مطلق، وأن تقدم جواباً واضحاً وثابتاً، وصريحاً وقاطعاً ليستفيد جميع الناس من جهودها.

٣- التحّجر هو التحدي الأكبر:

المطلب الثالث هو التحجّر: التحجّر هو البلاء الأصلي. ولماذا نقول هو البلاء الأصلي؟ الجواب: إنه يمنع من حصول التطور؛ وما لم يتحقق التطور سيحل التحلل والموت...

ولكن لابد من التمييز وعدم الخلط بين التحجّر والمحافظة على الأصول والقيم؛ حيث لابد من حفظ قيم الحوزة وأصولها، وهذا يختلف عن التحجّر، فهذا الأخير هو أن لانهتم بتأمين ما نحتاجه للتقدم في حركتنا العلمية، والحال أنه علينا أن نهيّئ الأرضية اللازمة والوسائل المناسبة للتطور العلمي.

عندما توجد جادة وسطى، أو طريق أكثر أمناً ونفعاً، لابد من التعرف عليها وتأمين وسائل السير فيها. وهذا أمر لا مجال للتردّد فيه. ولكن عندما نصرّ على السير بطريقة خاطئة، ونقول: لقد تعوّدنا أن نسير دائماً في هذا الطريق، ولا يمكن أن نحوِّل وجهة سيرنا وما اعتدنا عليه، فإن الأوضاع سوف تتجه نحو الهاوية والدمار. التحجّر آفة الحوزات العلمية التي تحتاج إلى علاج، وفي المقابل أكثر العلماء تجدداً، أكثرهم نفعاً للطلاب.

ولا أنسى أن الأشخاص الذين أشرت إليهم [في بداية كلمتي] في الحوزة العلمية في مشهد، والذين كان لهم الفضل الأكبر على

---

(١) سورة الأنعام: الآية٨١.

هذه الحوزة ونشاطها، هؤلاء كلهم كانوا مجددين. فالمرحوم الحاج الشيخ هاشم القزويني كان معروفاً بالتجديد ونضارة الفكر، وتوجد أمثلة كثيرة لمناحي التجديد في فكره يعرفها الفضلاء الذين كانوا يحضرون دروسه ويعرفون شخصه.

والمرحوم الحاج الشيخ مجتبى القزويني ذلك العالم الذي بلغ الغاية في عمق فكره وعراقة انتسابه إلى اتجاه فكري معين، عندما شعر بأن الحوزات والعالم الإسلامي بحاجة إلى هذا النوع من الصراع والتطور، قام بذلك وتصدى له، ولا مجال الآن -ولعله ليس مناسباً- الدخول على خط التفاصيل والجزئيات في هذه المسألة، فالمعاصرون لتلك القضايا يعلمون، ومن لم يكن حاضراً وقتها من الشباب يستطيع فهم ذلك ومتابعته.

لم يكن [المرحوم مجتبى القزويني] متفقاً مع الإمام الخميني فكرياً وفلسفياً، وكان، مع ذلك، متشدداً في خطه الفكري، والاتجاهُ الذي كان يؤمن به (رحمه الله)، لم يكن يقتضي أن يؤمن مثله بالإمام الخميني، ولكنه كان عارفاً بالزمان. وهذا هو التجدد، هذا هو هدم أركان التحجّر، ذهب هذا الرجل إلى قم وأدى فروض الاحترام للإمام الخميني وبايعه، لم تكن بيعة بالمعنى الاصطلاحي، ولكنه أقام علاقة قلبية عميقة مع الإمام. وهذا هو المتوقع فالأشخاص الذين يفكرون بتجرّد، يخطون دائماً خطوة متقدمة عن الآخرين.

في المدارس الأصولية عندما كانت أسواق العلم رائجة في النجف، خطا المرحوم النائيني بعلم الأصول خطوة إلى الأمام، وفتح صفحة جديدة من تاريخه وهذا ناتج من تجديده وتطوّره الفكري، وهذا ضروري في كل الأمور والمجالات، فالتحجر مصيبة عظيمة سواء في الأفكار أم في المناهج؛ وحيث يكون التحجر لن يكون هناك حركة أو تطور.

٤- ما هو التجديد؟

بعد الحديث عن التحجر لابد من الحديث عن التجديد، فما هو التجديد؟ وأصل المسألة هنا، يعتقد البعض أن التجديد هو إغماض العين، وقول كل ما يجري على اللسان وقبوله تحت شعار التجديد. وهذا ليس تجديداً؛ فالتجديد المقبول هو التجديد ضمن الأطر الصحيحة؛ ولذا لابد من معرفة هذه الأطر في الحوزة العلمية، فليس مقبولاً أن يُشَكِّك بعض الناس بكل الأسس، والقيم، والسنن، والمسائل الأساسية، والأصلية بحجة التجديد، وتحت لوائه.

ومن بين الأمثلة مشروع التجديد المستمر في الفقه بشكل، الأمر الذي عليه فقهاؤنا عبر ألف ومائتي سنة من عمر الفقه الاستدلالي والاجتهاد. ومع ذلك كان يشار بالبنان إلى كل من ينحرف عن الخط الصحيح للتجديد؛ وذلك لخروجه عن تلك الأطر الصحيحة.

وقد دَوَّنتُ الأطر اللازمة للتجديد، وهي: إطار الفكر الديني، والقيم الحوزوية، والمناهج العلمية؛ فتجاوز المناهج العلمية لا يُعدُّ تجديداً، بل اختراعاً للدليل، ومن حسن الحظ أن المنهج المعتمد في الفقه في الحوزة العلمية عبارة عن منهج علمي، مضبوط، ومهذب من الشوائب. وهذا الأمر في غاية الأهمية ولابد من متابعة البحث فيه.

٥- الانفتاح العلمي في الحوزات:

الأمر الآخر هو حرية التفكير، وهو ما يترتب على نفي التحجر والدعوة إلى التجديد، فما هو المراد من التحرر الفكري؟ المراد هو تحمّل الرأي المخالف، وليس معناه ترك الأصول كلها والمباني الصحيحة، وطرح شيء جديد لا أصل له تحت عنوان التحرر

الفكري، بل معناه أنه لو طُرِحَ رأي جديد علينا أن نتحمله، وهذا ما أتوقعه.

وليس معنى التحرر أن نقبل الرأي المخالف بالضرورة أو أن لا نرد عليه -وقد بحثت هذه النقطة مفصّلاً في كلمتي في قم فلا أعيد-، بل كل ما أقصده هو أن نسمح بطرح الرأي المخالف، وبعد ثبوت بطلانه نرد عليه بالدليل العلمي.

ينبغي أن يكون جو البحث العلمي يسمح لصاحب الرأي الجديد بطرحه، خصوصاً البحث العلمي المبتني على الأسس والمناهج الصحيحة للاستنباط والاجتهاد. فلا بد في هذا النوع من البحث العلمي من تحمل طرح الرأي الآخر، وقد انتخبت من تاريخنا الإسلامي في هذا المجال مثالاً رائعاً أقرأه على مسامعكم.

يقول الشيخ النجاشي في كتابه الرجالي المعروف بـ «**رجال النجاشي**»، وقد كان النجاشي من علماء القرن الخامسَ الكبار، وكان معاصراً للشيخ الطوسي وأوسعَ منه معرفة في مجال الرجال، وهو إمام هذا العلم ولا نظير له بين علماء الشيعة في هذا الفن، وكان تلميذاً للشيخ المفيد. يقول النجاشي في كتابه:

سمعت أبا الحسين بن المهلوس العلوي الموسوي -رضي الله عنه- يقول في مجلس الرضي أبي الحسن محمد بن الحسين بن موسى، وهناك شيخنا أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان [إذاً، هذه الحادثة رويت في مجلس السيد الرضي، وبحضور الشيخ المفيد. ومن الواضح أنهما سمعا هذا الكلام وانتبها إليه، وربما كانا يقبلانه، أو على الأقل لم يستنكراه ثم يقول: [سمعت أبا الحسين السوسنجردي] ويعلم من هذه الرواية أن كلمة سوسنجرد ليست من الكلمات المستحدثة، رغم أن بعضهم يصر على حداثتها. وليس

كذلك، بل هي اسم للمنطقة التي تعرف الآن بهذا الاسم. [وكان من عيون أصحابنا وصالحيهم المتكلمين وله كتاب في الإمامة معروف به] أي أن الكتاب معروف بالرجل، أو الرجل نفسه معروف بكتابه. وعلى أيّة حال يظهر أن له كتاباً مهماً في الإمامة، [وكان قد حج على قدميه خمسين حجة] وهذا الوصف يكشف عن منزلة الراوي من الناحية العلمية والعبادي.

[أبو الحسن السوسنجردي بهذه الخصوصيات التي كان يملكها يقول:] مضيت إلى أبي القاسم البلخي بعد زيارتي الرضا عليه السلام بطوس، فسلمت عليه وكان عارفاً بي، ومعي كتاب أبي جعفر بن قبة [محمد بن عبد الرحمن بن قبة المعروف صاحب الرأي المشهور في مباحث الألفاظ والمتكلم الشيعي المعروف] المعروف بـ «**الإنصاف**» فوقف عليه، ونقضه بـ «**المسترشد في الإمامة**» [كل منهما من متكلمي الإمامية إلّا أن كلّاً منهما نقض كتاب الآخر لسبب ما] فعدت إلى الري، فدفعت الكتاب إلى ابن قبة فنقضه بـ «**المستثبت في الإمامة**»، فحملته إلى أبي القاسم فنقضه بـ «**نقض المستثبت**»، فعدت إلى الري فوجدت أبا جعفر قد مات رحمه الله»[1][2].

ولعله لو لم يتوف أحدهما لتكرر ذلك، وكتبت عشرة بل ربما عشرون كتاباً في هذا الموضوع. وهذه الحادثة لافتة وتستحق الوقوف عندها. فالمسألة التي دار البحث حولها هي الإمامة؛ ولا يمكن أن يقال فيها ما تيسر وما يخطر بالبال. عالم متكلم يكتب حول الإمامة، يرد كلامه عالم آخر، لم تقل الرواية «**علق عليه**»، بل «**نقضه**». وقد تكرر هذا الرد أكثر من مرة! ولم يكّفر أحدهما الآخر،

(١) ما بين المعقوفتين من كلام السيد القائد تعليقاً منه على الرواية (المترجم).

(٢) النجاشي، **رجال النجاشي**، ط٥، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٦هـ، ص ٣٧٥، ٣٧٦.

أو يتهمه بالتسنن، والخروج عن المذهب، وهذا على درجة من الأهمية، في باب الإمامة [المسألة مسألة] عقيدة.

طرفا هذه الحادثة هما أبو القاسم البلخي وابن قبة، ينقلها أبو الحسين السوسنجردي أمام الشيخ المفيد والسيد الرضي، ويُسَرَّان ويُقِرّان ذلك، ولم ينقل الراوي أنهما قالا كلمة تكشف عن عدم لزوم هذا التطويل أو التفصيل، هذه هي الحرية الفكرية، وهذا هو جو الحوزات العلمية في قم وخراسان. يكتب الشيخ الصدوق كتاباً حول أهم المسائل الاعتقادية عند الشيعة حول النبي الأكرم ﷺ، ومن المحتمل أن الشيخ الصدوق كان عند كتابة هذا الكتاب في خراسان، أو هرات، أو نيشابور. يتصدى الشيخ المفيد في بغداد للرد عليه، ولا مشكلة في ذلك. وكذلك تنشر كتب ابن الجنيد البغدادي، في الكلام والفقه في خراسان، ويرد عليها الشيخ المفيد في بغداد أيضاً.

ولا يكفّر هذا ذاك ولا ذاك هذا! ولا يفسق أحدهما الآخر أو يسنّنه. هذا هو التفكير الحر؛ أي أن يملك الإنسان طاقة سماع الرأي المخالف. ولكن على أن لا يصل الأمر إلى حد أن يطرح الرأي المخالف لفكركم ومعتقداتكم وأنتم تشاهدون ذلك من دون أن تحرِّكوا ساكناً.

في بعض الأحيان لابد من الوقوف ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾[1]. هذا التعبير القرآني متعلق بالمنافقين؛ حيث كانوا يجتمعون للخوض في آيات القرآن والسخرية من كلماته، وكان يشاركهم المؤمنون في بعض هذه الجلسات، فنزلت هذه الآية لتنهاهم عن الجلوس معهم.

---

(١) سورة النساء: الآية ١٤٠.

انتبهوا وميِّزوا حدود الأشياء، هذا منافق، يجلس ويتحدث بطريقة مدروسة منطلقاً من نفاقه وعناده، هذا لا يجوز الاستماع إليه: ﴿فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ﴾؛ حيث كان يسرهم أن يُسمع كلامهم وينتشر بين الناس.

ولكن أحياناً يختلف الأمر، فربما يأتي صاحب فكر ورأي، شخص عالم، وآخر أقل علماً- على أيّة حال -يأتي ليطرح رأيه في مسألة فقهية، فليفعل. ما المشكلة في ذلك؟ عندما تكون المباني الفقهية واضحة، والأمارات والأصول التي انطلق منها معلومة فهذا انطلق من هذه الأدلة وآخر انطلق من غيرها، فلا يضر أن يكون أحد الرأيين خلاف المشهور بين الفقهاء.

لا ينبغي أن [نقيم الدنيا ولا نقعدها] عندما يطرح أحدهم رأياً مخالفاً لنا. أمنيتي -وقد قلت ذلك في قم- أنه لو طرح بعض الناس رأياً مخالفاً للمباني والمرتكزات الإسلامية الصحيحة في زاوية ما، سواء كان صاحب الرأي مغرِضاً أم غير مؤهَّل، أو كان كلامه غير وارد أن يتصدى عشرون حوزوياً للرد عليه بشكل استدلالي منطقي في عشرين مكان مختلف، بمقالات تنشر في المجلات، فلتكتب عشرون مقالة شرط أن لا تُوَجَّه إهانة واحدة إلى صاحب هذا الرأي الفاسد.

والشكل الآخر السِّيء للردود أن لا تكتب من هذه العشرين، مقالةٌ استدلالية واحدة، بل ترتفع أصوات الإهانات والشتائم وغيرها في وجهه. هذا النوع من الردود لا يناسب الحوزة العلمية بخلاف الأول، وهذا هو ما نقصده بالحرية الفكرية.

٦- تربية الروح والجسم:

الأمر الآخر هو نشاط الشباب، ربما يستقل الكثيرون شأن هذه المسألة، ولكنني أرى أنها من المسائل المهمة؛ لأن الأكثرية السائدة

في الحوزات العلمية هم الشباب، فلا بد من وجود حماسة الشباب في الحوزات، لابد من النشاط الروحي والجسدي. فلماذا تكون الرياضة أمراً منبوذاً في الحوزات؟!

أيام دراستي كان هناك نادٍ رياضي قرب مدرسة «**نواب**» -باسم نادي الشباب الرياضي- وكان والدي يرفض ذهابي إليه، إلّا أن الطبيب لسبب ما، حكم بضرورة ممارستي للرياضة، فأجاز الوالد لي الذهاب، فصرت أتردد على النادي المشار إليه. وعندما كنت أريد الدخول إلى النادي كنت أتلفت يميناً ويساراً؛ كي لا يراني أحد من طلاب الحوزة، ولكن مع الأسف كان النادي بقرب مدرسة «**نواب**» وكان من الطبيعي كثرة الطلاب المارين، فأخيراً رآني أحدهم.

ولكن، لماذا هذه النظرة إلى ممارسة الرياضة؟! ينبغي للطلّاب أن يمارسوا الرياضة كتسلق الجبال مثلاً. ينقل المرحوم آية الله الشيخ **مرتضى الحائري** أو غيره من الثقاة، أن المرحوم آية الله السيد **أحمد الخوانساري**[١]، وآية الله السيد **محمد تقي الخوانساري**[٢]، والمرحوم آية الله السيد **علي يثربي**[٣] - والثلاثة طلاب من الدرجة الأولى عند المرحوم آغا ضيا (**ضياء الدين العراقي**)[٤] في النجف - كانوا يخرجون في بعض الأيام من النجف- خارج السور حيث

---

(١) السيد أحمد الخوانساري، من كبار فقهاء الإمامية المعاصرين، (ت: ١٤٠٤هـ).

(٢) السيد محمد الخوانساري، من كبار فقهاء الإمامية ومن أساتذة الإمام الخميني في الفقه.

(٣) السيد علي اليثربي الكاشاني، من فقهاء الإمامية ومن أساتذة الإمام الخميني في الفقه.

(٤) الشيخ ضياء الدين بن محمد العراقي، من كبار فقهاء الإمامية وصاحب مدرسة أصولية (ت: ١٣٦١هـ).

كانت النجف مسوَّرة- للعب والرياضة، وبعد ذلك صار الثلاثة من مراجع التقليد. ما المانع من ذلك؟!

هل أن ممارسة الرياضة في الحوزة العلمية مخالفة للقيم؟! في مثل هذا الجو يتحوَّل نشاط الشباب إلى خمول، طبعاً لا أدعو إلى صرف الوقت في الرياضة، فمن من الطلاب يصرف وقته كله في ذلك؟ هذا الجانب الجسدي الذي يلفت نظر الشباب بسرعة. الكلام عينه يجري في الجانب الروحي، فالجو الحوزوي لا بد من أن يكون جو نشاط على صعيد الحوار والمباحثة. وما يمنع من ذلك في مشهد، بحسب التقارير التي تلقيتها عن الوضع الحوزوي، هو تفرق الطلاب وتشتّتهم فقد بنيت مدرسة في زاوية من هذه المدينة [ومدرسة في الزاوية الأخرى]، حسناً في مدينة يقطنها ثلاثة ملايين نسمة بضعة آلاف طالب قليلون نسبياً. في أيامنا كانت المدارس متقاربة في هذه المنطقة تقريباً، هنا مدرسة الميرزا جعفر التي كانت مركزاً، هنا مدرسة خيرات خان، قريبٌ منها مدرسة عباسقلي خان، ومدرسة أبدال خان، هناك المدرسة الباقرية، ومدرسة حاج حسن، ومدرسة نوّاب، وبعيداً عنهما بقليل مدرسة سليمان خان أو السليمانية كما تسمى اليوم...

وأما اليوم، فالمدارس متباعدة، ولا بد من التخطيط على المدى البعيد أو المتوسط لتجميع المدارس والطلاب؛ ليروا بعضهم بعضاً ويتواصلوا حتى تكبر التجمعات، فإن ذلك يولد نشاطاً معنوياً، وفكرياً. وهذا لا يحصل وحده بل لابد من العمل على تحققه. وتوجد، أحياناً، بعض العوامل الأخرى الموجبة للخمود.

الفقر يمكن تحمله؛ لأن الجوع بالنسبة إلينا نحن الطلبة ليس أمراً غريباً، فأكثر الحوزويين -إن لم نقل كلهم- قضوا فترات من أعمارهم يعانون فيها من قلة ذات اليد، أو الجوع بتعبير آخر. أنا

عندما كنت طالباً في مشهد وكان أبي عالماً وإمام جماعة وكان يُظَن **«أن علي آباد مدينة!»**[1]. وباطن الحال لم يكن كذلك، فقد كنا نعاني من بعض المشاكل المادية، وأيضاً الطلبة الآخرون كان لديهم بعض المشاكل. والأمر كذلك الآن أيضاً، الفقر والجوع بالنسبة إلى الطلبة ليس أمراً عجيباً، فإذا كان مصحوباً بالنشاط والهمة، فسوف يكون موجباً للسعادة.

أذكر أنني في يوم من الأيام -وكنت حديث عهد الزواج- عند رجوعي إلى البيت من مدرسة نواب، لم أكن قد اشتريت شيئاً للبيت من حاجات الغداء، ولم يكن ظاهر حالنا يوحي بشيء من الفقر أو الحاجة، فمددت يدي إلى جيبي فإذا فيها أقل من تومان، أو لعله أقل من خمسة ريالات- لا أذكر الآن بدقة- ضحكت من دون اختيار، وخطر في بالي أن الجميع يعتقد أننا أغنياء وجيوبنا ملأى، والحال أنها فارغة وأننا لا نملك شيئاً [من حطام الدنيا]، عندها أحسست بالراحة، وهذا حال طالب العلم. حالة الفقر هذه إذا كانت مقرونة بالتقوى مقبولة ويمكن تحمّلها، بل هي موجبة للعزة ومناعة النفس؛ بحيث إن الإنسان غير مستعد لطلب أي شيء من أحد، ولا يلتفت إلى الدنيا بما فيها[2].

٧- المسؤولية تجاه النظام:

المسألة السابعة هي الدفاع عن وجود النظام (نظام الجمهورية الإسلامية) -وبما أن الحديث طال فلن أفصِّل الكلام في هذه

---

(١) ما بين المزدوجين هو مثل إيراني، يضرب لمن يعتقد بأن أمراً ما مهما وواقعه ليس كذلك. وعلي آباد قرية كبيرة يظن الناس أنها مدينة. (المترجم).

(٢) استخدم السيد القائد تعبير **«لا ينظر إلى الفلك»**، وقد رأيت أن ترجمته الحرفية لا تؤدي معنى مقبولاً في اللغة العربية.

النقطة-؛ الدفاع عن النظام واجب على كل من يهتم لأمر الإسلام، رضي بذلك أم أبى، أعجبه فلان على رأس هذه الدولة أم لم يعجبه. فإذا لم تعجبك قيادة النظام أُدعُ الله أن يبدّلها، ولكن لابد من الدفاع عن هذه الدولة التي هي راية الإسلام[1].

أشكر الله -سبحانه- أنه أعز الأمة الإيرانية، وعلماء الشيعة، والمسلمين برفع راية عزة الإسلام من بيت الإمام الخميني(ره)، وخفقت هذه الراية بيد طلاب إمام الزمان [ومريديه]، وصارت سبباً لعزة آل محمد، فكل شيء لهم والقضية قضيتهم، والعون والمساعدة منهم والعاقبة لهم ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[2]، [على أيّة حال] يجب الدفاع عن هذه الدولة.

تذكروا أن هذا البلد كان محكوماً من سلطان ظالم جاهل قليل القيمة والمعنوية مثل فتحعلي شاه، مثل هذا الرجل يمدحه عالم جليل القدر عظيم أوحدي في علمه وتقواه (الشيخ جعفر كاشف الغطاء) في أول كتابه «**كشف الغطاء**»؛ لأنه رأى أن هذا الفاسق الفاجر يحمل راية الحق في وجه الدول المعارضة في تلك الأيام.

وكذلك يأتي عالم آخر عظيم كـ «**المجلسي الثاني**»[3] الذي لم يكن مجرد محدّث، بل هو فقيه، ومفسر، ومتكلم، وشخصية جامعة؛ مثل هذا العالم العظيم يمدح في أول كتبه الحديثية والأخلاقية في فصل مطول، سلطاناً لا يملك من القيمة والمعنى شيئاً، سوى أنه

---

(١) تعبير مجازي يراد منه تشبيه الجمهورية بالراية؛ للإشارة إلى وجوب إبقائها خفاقة عالية. (المترجم).

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٢٨.

(٣) المولى محمد باقر المجلسي، صاحب موسوعة بحار الأنوار الروائية، (ت: ١١١٠هـ).

يقف في وجه الأعداء. وهكذا المير داماد[1] والشيخ البهائي[2]، وآخرون غيرهم.

هذه هي الحوزة العلمية، كانت تدافع، أحياناً، عن حكام فسقة فجار؛ فقط لأنهم كانوا يقفون في وجه أعداء المذهب الحق. وهؤلاء العلماء العظام لم يكونوا من أهل الدنيا وأصحاب الأطماع، ووعّاظ السلاطين. أفهل كان الشيخ جعفر كاشف الغطاء ليتملّق أحداً! أو يخاف أحداً، أو يحتاج إليه؟! ولكنه كان مضطراً إلى الدفاع عن هذا السلطان في كتابه «**كشف الغطاء**». وكذلك الشيخ أحمد النراقي في كتابه حول الأخلاق، ولاحظوا أيضاً كتاب جامع السعادة للملّا مهدي النراقي، أو كتابه ابنه، فواحد من هذين الكتابين احتوى فصلاً في مدح سلطان زمانه! والسبب في ذلك أن هذا العالم يرى أن من وظيفته الدفاع عن هذه الدولة.

واليوم ، واجب الحوزة أن تدافع عن هذا النظام الذي يريده علماء الإسلام وليس الأمر كما في السابق، حكومة فاجرة ظالمة، وليس من سلطان أو شاه، بل ما هو موجود هو الدولة الإسلامية، والشخص لم يعد له أهمية، فعلى الجميع أن يدافعوا [ويعضوا على ذلك بالنواجذ]؛ ولأجل الله وحده، فلا منّة لهم على أحد من الناس في ذلك، وإذا كان لديهم شبهة ما حول المصاديق والأشخاص، فليدعوا الله -سبحانه- لحل هذه الشبهة.

٨- إعادة النظر في الكتب الدراسية:

المسألة الأخيرة التي أود طرحها هي مسألة الكتب الدراسية،

---

(١) السيّد محمد باقر بن شمس الدين، صاحب مؤلفات كثيرة، وأستاذ صدر المتألهين الشيرازي (ت: ١٠٤٠هـ).

(٢) الشيخ محمد بن حسين الحارثي، شيخ الإسلام في عصر الصفوية ومن كبار العلماء في البلاط الصفوي (ت: ١٠٣٠هـ).

فهذه الكتب المتداولة جيدة ككتاب **«المكاسب»**، و«الرسائل»، و«الكفاية»، وقد درَّستها مراراً وأعرف قدر حسنها، ولكن هذا لا يعني أن لا تفكر الحوزات العلمية في استحداث كتب جديدة تحل محل هذه الكتب.

الشيخ الأنصاري -رضوان الله عليه- دوَّن أعلى تحقيقاته وأبحاثه في كتاب **«المكاسب»** الذي هو عبارة عن دروسه في مرحلة الخارج. ومن هنا، فلا فائدة من اختيار هذا الكتاب كنص دراسي للطالب المبتدئ في الفقه الذي لم يدرس سوى **«شرح اللمعة»**، الذي هو كتاب ليس فيه من الاستدلال إلّا القليل.

مثال آخر هو علوم اللغة العربية؛ فهذا الكم مناسب لمن يريد الاجتهاد في اللغة والآداب، مثل هذا الشخص عليه أن يدرس المغني، وشرح السيوطي على الألفية، والمطول، وشرح القطر، ومقامات الحريري، ولكن من لا يريد أن يعرف معرفة اجتهادية ما إذا كانت اللام للملكية، أم للتعليق، أم لغير ذلك، أو أنها استعملت في ذلك البيت الشعري بهذا المعنى أم لم تستعمل، فلماذا يدرس كل هذه التفاصيل.

إذا لم يكن غرضكم الاجتهاد في الأدبيات واللغة، فأعدوا كتاباً يعادل عشر المغني في حجمه وادرسوه ودرِّسوه، أو بقدر خمس شرح السيوطي، وشرح قطر الندى، وجامع المقدمات ودرِّسوه لمادة قواعد اللغة العربية؛ بحيث ينتهي الطالب من المقدمات في مدة سنتين أو ثلاث كحد أقصى، يبدأ بعدها بدراسة الفقه، والأصول والكلام التي هي تخصصه الأصلي.

الفقه والكلام هما الحقلان الأساسيان في الحوزة العلمية، وليكن لكل من هذين الاختصاصين دورة تمهيدية، فليدرس الطالب كتاباً في الفقه ككتاب **«الشرائع»** أو غيره، أو فليكن أكثر استدلالاً،

ثم بعد الفراغ من هذه الدورة يبدأ بدورة أخرى هي السطح يدرس فيها الفقه والأصول، ثم بعد الفراغ من هذه الدورة؛ بحيث ينهي الطالب المقدمات والسطوح في مدة خمس أو ست سنوات، يدخل بعد ذلك في عالم الفقه الاستدلالي ودرس الخارج.

ودرس الخارج لابد من أن يكون على مرحلتين أيضاً: أولاهما لا تكون استدلالية عميقة بل ابتدائية نصف استدلالية، ثم بعدها يخوض بحر الاستدلال المتلاطم بالاستدلالات الفقهية. إعملوا على برنامج يسمح للطالب بالاجتهاد في مدة اثنتي عشرة سنة، أو في مدة خمس عشرة سنة، وهكذا نستطيع أن نقول للطالب في فترة بين العشر إلى خمس عشرة سنة: لقد أنهيت فترة تحصيلك العلمي، واذهب للعمل في التحقيق، أو أي حقل آخر يختاره الطالب.

وما أطرحه مجرد فكرة تحتاج إلى دراسة. وقد قلت ذلك في قم للسادة العلماء، والمدرّسين، والمدراء، وهم يعملون على دراسة المشروع، وأنتم اعملوا على ذلك أيضاً، ولا أدعو إلى تعطيل درس «**المكاسب**»، فما لم يأت البرنامج الجديد ينبغي أن يبقى البرنامج الحالي بكل قوته. هذه أفكار تطرح ولا بد من التفكير بها والسير نحوها.

فالحوزة في هذه الأيام لا تتحمل صرف الوقت والطاقات، فقد كان المرحوم الأديب النيشابوري -رضوان الله عليه- يدرِّس المطول في مدرسة خيرات خان لمدة سبع أو ثماني سنوات، في اليوم ساعتين، وكانت دراسة الكتاب تستغرق مدة سنتين، هذا أمر جيد ولكن هل يستطيع الطالب في هذه الأيام أن يدرس بهذه الطريقة [أنا أقول لا يستطيع]، لا مجال عنده.

نحن نوافق ونؤيد الدرس الجيد والعميق، وأن يفهم الطالب كل ما يدرس، ولكننا ضد تضييع أوقات الطلاب، بهذه الحجة.

رباه، إجعل كل ما قلناه وسمعناه لوجهك وفي سبيلك، وانفعنا به في الدنيا والآخرة، إجعل قلب وليّ عصرنا راضياً عنا، واجعلنا من الخدام الحقيقيين للإسلام والقرآن، واجعلنا من عبادك الصالحين، واهدنا صراطك المستقيم وأعنّا على السير فيه. رباه نسألك بحق محمد وآل محمد، أن تأخذ منا ما أمّنتنا عليه كما هو في وقته. رباه نسألك بحق محمد وآل محمد، أن يشملنا رضاك ورحمتك، وأن ترحم وتغفر لعظمائنا وأساتذتنا، وأمواتنا، وعلمائنا، مؤسسي الحوزات العلمية، ومؤسسي هذه المدارس. رباه اجعلنا في هذا العصر عصر الإسلام والصحوة الإسلامية، من أفضل جنودك وأنشطهم. رباه اقطع يد الاستكبار العالمي عن البلاد الإسلامية والمسلمين، واجتث الغدة السرطانية الصهيونية من داخل أراضي المسلمين من جذورها، وابتلِ أعداء المسلمين في مقابل المسلمين بالخزي والهزيمة. رباه أنزل نصرك على الإسلام والمسلمين، أرضِ عنا روح إمامنا، واجعل طريقه ملأى بالسالكين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الفصل الثامن

الحوزة وضرورة نهضة علميّة جديدة

* أهمية الحوزة من أهمية الدين
* التخطيط لنهضة جديدة في الحوزة
* المباحث الأساسية في الحوزة
* غايتنا إعلاء كلمة اللّه

الحوزة وضرورة نهضة علميّة جديدة(1)

نبدأ أولاً، وكما جرت العادة، بذكر حديث شريف تبرّكاً بمعارف أهل البيت عليهم السلام إن شاء الله. جاء في وصية الرسول لأمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «**يا علي، إنّ من اليقين أن لا ترضي أحداً بسخط الله ولا تحمد أحداً بما آتاك الله، ولا تذم أحداً على ما لم يؤتكَ الله، فإنَّ الرزق لا يجرّه حرص حريص، ولا تصرفه كراهة كاره. إنّ الله بحكمه وفضله جعل الروح والفرح في اليقين والرضا، وجعل الهمّ والحزن في الشك والسخط**»(2). والسخط هنا بمعنى الغضب من جميع الحوادث، فإذا أعطاه الله غَضِبَ؛ لأن الله لم يعطِه أكثر من ذلك، وإذا أصابه أذى غضب وسخط للذي أصابه. فإذا أراد المرء بلوغ الروح والفرح، عليه أن يبحث عن الرضا واليقين. فإذا كان في هذه الدنيا خير ومنفعة فهو من نصيب الزاهد القانع.

بمناسبة بدء الموسم الدراسي الجديد لدينا في الحوزة العلميّة بقم وسائر الحوزات العلميّة، رأينا ضرورة الإشارة -قبل الشروع ببحثنا الفقهي- إلى بعض الشؤون المتعلّقة بالحوزة وبنا نحن طلبة العلوم الدينية.

---

(1) من خطاب لسماحته بمناسبة بدء العام الدراسي في الحوزات العلمية، طهران، ٨ جمادى الثانية، ١٤٢٠هـ. ق.

(2) المجلسي: بحار الأنوار، (م . س)، ج٧٤، ص٦١.

أهمية الحوزة من أهمية الدين:

يبدو لنا أنّه كلما ازدادت أهميّة الدين في الحياة، ازدادت إلى جانب ذلك أهميّة الحوزات العلميّة. فالدين يمثّل اليوم محور اهتمام عالمي، ويحظى الإسلام العزيز والأحكام الإسلامية المقدسة بأهميّة بالغة من قبل الساسة، والمفكرين، والمتخصصين بالقضايا والعلوم الاجتماعية، والكثير من الجماهير - وخصوصاً الشباب منهم - في الكثير من بقاع العالم، وفي البلدان الإسلامية على وجه الخصوص. ومن المؤكد أن القسم الأعظم من الحادثة التي بدأت منذ عقدين من الزمن خلافاً للتوقعات وللتيار السائد في العالم، ترتبط بانتصار الدين في هذا البلد وإقامة نظام إسلامي. ولهذا، فإن الدراسات الجارية على الدين اليوم في كل أنحاء العالم، ليست بمعزل عن جانبه السياسي، ولا تنظر إليه مجرداً من تأثيره السياسي؛ وتتخذ المواقف إزاءه وفقاً لهذا الأساس، كما أنّ القلوب التي تهفو إلى الدين - وأقصد شباب العالم الإسلامي والأجيال الصاعدة فيه وفي بعض المناطق الأخرى من العالم- لا تُقبل عليه مجرداً من حضوره السياسي والاجتماعي.

نحن نعيش اليوم في مركز هذا الاهتمام العالمي، أو بعبارة أخرى، إنّ الإسلام وخصوصاً الجمهورية الإسلامية تقع في بؤرة هذا الاهتمام. ولعلّكم تسمعون أو تعلمون بعقد ندوات تخصصية وعلميّة عالمية ذات توجهات مختلفة، في بقاع متعددة من العالم، ولا سيما في بعض الدول التي ليست لها مواقف وديّة من الإسلام ومن الجمهورية الإسلاميّة، من أجل دراسة هذه الظاهرة. وهذا ما يعكس مدى أهميّة هذه القضيّة.

التخطيط لنهضة جديدة في الحوزة العلمية:

ونحن، اليوم، بصفتنا أناساً ننتمي إلى الحوزات العلميّة، يجب علينا أن نخطط لفكر، وحركة ونهضة جديدة في منهجنا العلمي، وفي مباحثنا الإسلامية، في ضوء هذه الظاهرة العالمية؛ فحينما نشاهد العلم الذي انطلقت هذه الحركة السياسية على أساسه؛ أي العلوم الإسلامية، والمعارف، والكلام والفقه، يحظى اليوم بكل هذا الاهتمام من قبل الأوساط العلميّة والسياسية العالمية، يجب علينا بذل المزيد من الاهتمام والدّقة، وتقييم عملنا من جديد بصفتنا علماء دين، وأصحاب رأي في القضايا الدينية.

فاليوم ليس يوماً نستطيع فيه التحدث باسم الدين بكلام غير رصين، أو أن نرسم لأنفسنا هدفاً يتعذّر علينا استخراجه من المعارف الإسلامية، أو أن نقف مكتوفي الأيدي إزاء ما يدخل ضمن الأهداف الدينية والقضايا الفقهية أو الكلامية المهمّة. وليس هناك لزوم يدعونا إلى التشبّث بشيء آخر سوى المهمّة العلميّة من أجل اقتفاء هذا السبيل الجديد. فلو كانت لدينا دوافع بقدر ما يحمله أي عالم من اندفاع علمي ، تجاه المباحث الإسلامية- ناهيك عن الاعتقاد، والإيمان، والواجب والمسؤولية الدينية- واعتبرنا هذه المهمّة العلميّة والشعور بالتعلّق بما يؤدي له هذا العمل العلمي، ونعتقد به علمياً، فإن ذلك يكفي لما نفهمه من الإسلام، وننشره باسم الإسلام ولأجل الإسلام، ونفتح له حساباً جديداً.

لاشك في أنّ مركز هذه التوجّهات والدراسات العلميّة هو الحوزات العلميّة. وهذا لا يعني، طبعاً، أنّ الآخرين من غير المنتسبين إلى الحوزات العلميّة لا يحقّ لهم التفكير أو البحث في القضايا الإسلامية؛ فالكلام ليس في الحقّ وعدمه، بل لأنّ مستلزمات هذه الدراسات لا تتوفّر إلّا في الحوزات العلميّة.

إنّ من حقّ كل إنسان أن يصبح طبيباً، إلّا أنّ من يريد ذلك عليه أن يدخل كلية الطب؛ إذ لا ينبغي تحصيل العلم في موضع لا يتوفر فيه الأستاذ، والعلم، والمختبر، والمعلم والمتمرّس، والموضع المناسب لفهم الدين والتعمّق في المسائل الدينية إلى درجة التخصّص هو الحوزات العلميّة. من الممكن، طبعاً، أن يكون لدى كل شخص معلومات دينية أدنى من درجة التخصص، إلّا أن التخصّص في الدين يستلزم دخول الحوزات العلميّة، والدراسة على يد الأساتذة المتخصّصين في العلوم الدينية وأخذ تلك العلوم عنهم.

وفي المقابل، يجب أن تكون الحوزات العلميّة قادرة على تلبية هذه الحاجة. فأهميّتها، اليوم، لا تنحصر في القدرة على تبليغ الدين -فهذا، طبعاً، واحد من واجباتها الأساسية والمهمّة- إلّا أن الواجب الآخر الذي يفوق أهميّة التبليغ، أو يوازيه في الأهميّة على أقل تقدير، هو التعليم والتدريس الفني والعلمي للمباني والمعارف الدينية، بما في ذلك الفقه، أو الكلام، أو الفلسفة أو بقية العلوم التي يحتاجها بالدرجة الثانية. وهذا يعني تزايد أهميّة الحوزات العلميّة، وعلماء الدين، ومدرّسي العلوم الدينية والعمل الذي يمارسه طالب العلوم الدينية.

المباحث الأساسية في الحوزات العلميّة:

أمّا المباحث التي يجب أن تتخذ كأساس في الحوزات العلميّة في هذا المجال، فهي أمر تحدّثنا عنه مرّات عديدة، ونتحدث عنه هنا مرّة أخرى أيضاً؛ فالفروع الأساسية في الحوزات العلميّة هي على الترتيب الآتي: أولاً: الفقه، ثانياً: علم الكلام، ثالثاً: الفلسفة. والفقه هو العمود الفقري للحوزات العلميّة، وعلم الكلام من الأركان الأساسية لها، والفلسفة جزء من مستلزماتها المؤكدة، لذا يجب على المدرِّسين الصالحين الكفوئين والطلبة المجدّين المثابرين

دراسة هذه العلوم الثلاثة، ويجب على الحوزات العلميّة التحرّك في هذا المجال بجدّ ونشاط وحيوية.

وفي الوقت ذاته، ينبغي عدم الإكتفاء بهذه الحقول فحسب؛ فهذه هي العلوم الأساسيّة، ولكن توجد إلى جانبها علوم أخرى يجب الإحاطة بها، من قبيل التفسير، وعلم الأصول الذي تجب دراسته إلى جانب الفقه كمقدمة واجبة له، فضلاً عن علم الحديث والرجال، وكل ما يتعلق بمقدمات فهم الكتاب والسنّة.

هذا إضافة إلى فنون تبليغ الدين؛ فقضية تبليغ الدين في الوقت الحاضر أصبحت قضية علميّة، وعلوم الاتصالات التي تبذل لها إمكانيات هائلة في جامعات العالم، تُعنى في الحقيقة بأساليب الارتباط بالتبليغ. ونحن لدينا أساليب في الارتباط بمخاطبينا، وهي بطبيعتها أساليب جيّدة، إلّا أنّها على كل الأحوال غير كافية. ولا أريد هنا الإيعاز إلى الطلبة بدراسة علوم الاتصالات، ولكنني أريد التأكيد على المدراء وواضعي المناهج في الحوزات العلميّة بالتخطيط لعملهم في ضوء معطيات هذه العلوم، ووضع القدر اللازم من هذه العلوم تحت تصرّف من يحتاجون إليه، وبدرجات مختلفة حسب ما تتطلبه حاجة الحوزات العلميّة، وبخاصّةً لمن يعملون في حقل التخطيط والبرمجة لشؤون التبليغ.

ولا شك في أنّ الاطلاع على التيارات الفكرية السائدة في العالم ضروري للحوزات العلميّة، وإلّا فلن نكون واثقين من صحة القرارات والممارسات التي نتخذها في مجال التبليغ؛ فإذا لم نحدّد مخاطبينا ونكون على معرفة بهم وبالتيارات الفكرية المحيطة بهم، فقد نتحدّث إليهم بأمور لا وجود لها في أذهانهم، ولا هي موضع اهتمامهم، ولا تدور في عقولهم أية تساؤلات عنها؛ أي أنّ العمل الذي أنجزناه كان عبثاً. إذاً، تجب معرفة المخاطب وتحديد طبيعته.

ما أكثر الأشخاص القادرين على إقامة جسور الترابط مع مخاطبين غيرهم. فالمخاطب يجب تحديده بدقّة، ويجب على الأجهزة الإدارية في الحوزات العلميّة أن يكون لديها نشاط، وفعالية وتخطيط في هذا المجال.

ينبغي معرفة المخاطَبين، والأسئلة التي تختلج في أذهانهم، والتيارات الفكرية السائدة لديهم. فهناك في عالم اليوم شبهات، ومباحث وآراء جديدة مطروحة على بساط البحث، يستند بعضها إلى أسس علميّة أو شبه علميّة. من هنا على الشخص الذي يضطلع بمهمّة تبليغ الدين وتبيين رؤاه، أو بتعبير آخر الدفاع عنه، أن يكون على عِلم بالتيارات الفكرية وبالآراء الجديدة المطروحة في عالم اليوم. وهذه المعرفة واجبة بالنسبة لحوزاتنا العلميّة.

وعلى الطلبة أن يتعلموا، أيضاً، لغات العالم الحيّة، ومعرفة لغة واحدة على الأقل من اللغات الحيّة الموجودة في العالم تعتبر من المستلزمات والأدوات اللازمة لعمل طلبة العلوم الدينية. وهذا ما ينبغي إشاعته في الحوزات العلميّة. ومن حسن الحظ، فإنّ الطلبة غالباً ما يكونون من الشباب ويتمتّعون بمقدرة عالية على تعلّم اللغات.

غايتنا إعلاء كلمة الله:

ومن المباحث المهمّة الأخرى أيضاً، هو بحث المعنوية والقداسة. فالفارق الأساسي الذي يميّزنا عن بقية أصحاب الادعاءات في العالم يكمن في وجود هذا الهدف المقدّس؛ فنحن نريد السعي في سبيل الله، ولأجل دين الله، ولنيل رضا الله، ولإعلاء كلمة الله. ويجب أن يكون هذا هو هدفنا منذ أن نشرع بالدراسة إلى حين قيامنا بعملية التبليغ، أو التدريس، أو التصدّي

لمسؤولية ما في الحوزة أو خارجها، وعند ممارستنا لأيٍّ نشاط سياسي، أو اجتماعي أو علمي. وهذا هو ما يفضي بنا إلى النجاح ويجعل لكلامنا تاثيراً وجاذبية؛ ولهذا يجب اعتباره فرضاً محتماً علينا.

في الوقت الذي أتحدث معكم فيه حول هذه الموضوعات، لا شك في أنّ هناك أعمالاً كبيرة قد أنجزت في هذه المجالات في الحوزات العلميّة، وخصوصاً في حوزة قم المباركة. وقد أصبح البَوْن ملحوظاً اليوم عمّا كان عليه قبل عدّة سنوات؛ فقد أصبحت هناك اليوم، دروس في الأخلاق، ودروس جيّدة في التفسير وفي الفلسفة، وهناك التبليغ والكلام، وكذلك المجلات العلميّة المتخصِّصة. وهذا هو ما كنّا نوصي به ونتمنّاه أن يتحقق تدريجياً. وهذا يمثّل دليلاً على أنّ ما كنّا نطرحه كأمانٍ، لم يكن مجرد أمانٍ فجّة بعيدة المنال، وإن كل هذه الأمور قابلة للتحقيق بهمّة أصحاب الهمم وبقليل من الإمكانيات والطاقات، كما حصل في الحوزة العلميّة في قم بالدرجة الأولى، وفي بعض الحوزات العلميّة الأخرى. وكل الأعمال الكبرى التي نرى وجوبها للحوزات، قابلة للتطبيق العلمي، ولكن بشرط أن نعقد لها أنا وإياكم العزائم والهمم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الفصل التاسع

دور العلماء في بناء الحضارة الإسلامية

* المنهج العام للنظام الإسلامي
* موقع علماء الدين في النظام الإسلامي
* تحديات أمام النظام الإسلامي
* واجبات الحوزة العلمية

دور العلماء في بناء الحضارة الإسلامية(1)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا ونبيّنا سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب قلوبنا أبي القاسم المصطفى محمد، وعلى آله الأطيبين الأطهرين المنتجبين الهداة المهديّين المعصومين، لا سيما بقية الله في الأرضين.

إنها لفرصة طيبة ومثيرة أن أكون في خدمتكم في هذا الاجتماع العظيم أيها العلماء المحترمون، والسادة الأعزاء، والشباب الفضلاء، وطلبة حوزة قم العلمية المثابرون والخدومون، وخصوصاً في هذه المدرسة التي تعد محوراً ومركزاً لذكريات عظيمة وأحداث جسام تحتل صفحات متميزة من تاريخ النصف الأخير من هذا القرن في بلادنا. وإنني لأتقدم بالشكر والامتنان للسادة العلماء المحترمين والأساتذة العظام في الحوزة العلمية، ولكافة الأعزاء الحضور والمشاركين في هذا الاجتماع - المجتمعين في مدرسة دار الشفاء من أخوات وإخوة شباب فضلاء -وأدعو -الله تعالى- أن يشمل مجلسنا ولقاءنا هذا بلطفه وعنايته.

---

(1) خطاب السيد الخامنئي خلال لقائه بجمع غفير من أساتذة وطلاب الحوزة في المدرسة الفيضية بقم، بتاريخ ٧ رجب ١٤٢١ هـ.

أهمية العلماء ودورهم الاجتماعي:

إن أجواء المودة والصفاء هي الحاكمة على هذا الاجتماع لأنه اجتماع طلابي؛ حيث إن المتحدث والمستمع هم جميعاً من طلبة وأبناء هذه الحوزة وهذه المدرسة. وإن الموضوع الذي اخترته للحديث في هذا الاجتماع المبجّل يدور حول الحوزة، ولكن قضايا الحوزة تعد من شؤون المجتمع بأكمله، ومن شؤون البلاد، بل إنها لا تنفك عن قضايا التاريخ بصفة عامة. إن الحوزة والبيئة العلمائية ليست جزيرة منعزلة عمّا حولها من العالم. وطبقاً لطبيعة نسيجنا الاجتماعي وعلاقتنا الإنسانية، فإن الحوزة والعلماء بمثابة الدم الذي لا يتوقف عن الجريان في هيكل المجتمع؛ حيث يتحرك في كل مكان ويرتبط بجميع الأجزاء، مما يجعل لقضايا الحوزة والعلماء ارتباطاً وثيقاً بقضايا البلاد والنظام الإسلامي وقضايا عالم اليوم، وحتى بقضايا الماضي والتاريخ. وإليكم فيما يلي قائمة بهذه المندرجات:

الموضوع الأول يتعلق بالنظام الإسلامي، وما هو المنهج الذي يسترشد به في حركته، والمسير الذي خصّصه وافترضه لحركته. والموضوع الثاني هو: تُرى، من هم أصحاب الدور الرئيس في هذا المسير الذي يبدو أنه لا يخلو من الصعود والهبوط، والتحديات، والكبوات والنهوض؟ وأين تقع الحوزة العلمية من كل ذلك، وما هو دورها، وبالأحرى دورها الرئيس في توجيه هذا المسير؟. الموضوع الثالث هو أن النظام الإسلامي في الوقت الراهن، وطبقاً لطبيعته الخاصة، يعاني من بعض التحديات، فما هي؟ ثم ما هي الحواجز والمضايقات التي قد تعترض، أحياناً، سبيل هذا النظام؟ مما ينبغي أن يهتم بشأنه الحوزويون ويتعاملوا معه بعمق وموضوعية. الموضوع الرابع: ما هي واجبات علماء الدين اليوم انطلاقاً من هذه المقدمات؟

إن لدينا واجبات ومستحبات ـ ولا شأن لنا بالمحرمات ـ فما هي واجبات الحوزة العلمية والعلماء اليوم؟. لقد أنجز العديد من الأعمال المهمة خلال السنوات القليلة الماضية، كما قال مدير حوزة قم العلمية المحترم في تقريره، ولسوف تتضح نتائج هذه الجهود في المستقبل المنظور أو البعيد. ومع أن هذه كانت فراغات مُلئت، إلّا أنه مازال هناك فراغات أخرى لابد من اكتشافها وملئها. وأما الموضوع الخامس والأخير، فهو عبارة عن بعض التوصيات والنصائح لكم أيها الأعزاء من الأخوة والأبناء.

أولاً: المنهج العام للنظام الإسلامي

إن الموضوع الأول هو: ما هو المنهج العام للنظام الإسلامي؟ وإذا أردنا الإجابة عن هذا السؤال في جملة واحدة، فإننا نقول: إنه بلوغ الحضارة الإسلامية. وهو جواب مجمل يحتاج إلى توضيح وتفصيل. ولكن، هل يمكن أن تقوم حضارة أخرى مقابل الحضارة الإنسانية الراهنة ـ أي الحضارة المادية الغربية ـ أم لا؟ ثم ما هي العناصر التي تتطلبها هذه الحضارة من أجل البقاء والثبات، وما هي العوامل المساعدة؟ ففي هذا حديث يطول.

١ ـ ١ ـ زيف الحضارة الغربية

إنكم لو سألتم رموز الحضارة الغربية المعاصرة، فإنهم سيقولون لكم: إنّ الحضارة الغربية المادية هي حقيقة أبدية لا تقبل التراجع؛ ففي إبان ازدهار هذه الحضارة ـ أي منذ القرن التاسع عشر الميلادي ـ ثار الجدل حول أن كل ما تقدمه هذه الحضارة للبشرية هي أمور حديثة، وجديدة، وجذابة، ومطلوبة ولا مندوحة عنها، وكل ما هو خلاف ذلك فهو تقليدي، ومنسوخ، وقديم وزائل. وهذا الجدل بعينه هو ما تجدونه دائراً اليوم في بعض محافل مثقفينا أحياناً، إلّا أنه ليس بالأمر الجديد، ولكنها إثارات القرن التاسع عشر في العالم الغربي، والتي تجد الآن امتدادات لها كي تسحق الحضارة

الغربية كلَّ ما يعترض سبيلها من شتى الثقافات والحضارات، وكافة المبادئ والأسس المدنية، وجميع العلاقات الإنسانية والاجتماعية، وسواها مما ترفضه هذه الحضارة، فترسّخ حاكميتها المطلقة أبد الدهر معززةً بضمانة القوة المادية والرأسمالية من ناحية، والسلطة العسكرية والسياسية من ناحية أخرى، والسيطرة الإعلامية من ناحية ثالثة.

لقد شاهدتم لدى سقوط النظام الماركسي في الاتحاد السوفياتي السابق وأوروبا الشرقية- مع أنه لم يكن قادماً بحضارة جديدة، بل كان فكراً ذيلياً للحضارة الغربية بما لها من قواعد وأسس مادية، سوى ما كانت تلاقيه من معارضة من قبل الجهاز الرأسمالي الغربي والقائمين على أمر الحضارة الغربية ـ فإنهم تقدّموا مباشرة بمشروع النظام العالمي الجديد وسلطة القطب الواحد، أي أن الحضارة الغربية اليوم فقدت تآلفها، وانسجامها، ووحدتها وفاعليتها حتى بين ذويها ومدّعيها، وباتت فارغة من مصداقيتها اللازمة. وأما تلك المنطقة التي أحرزت تقدماً مادياً أكثر من غيرها، فإنها تطمح إلى السيطرة المتزايدة، والاستيلاء التام والشامل على ما سواها وتجاهل ما عداها، طبقاً لما تقتضيه طبيعة الحضارة المادية.

إن كل ما يدور من حديث في الغرب ـ كما تلاحظون في هذه الأيام ـ ينصبّ برمّته حول المشروع الغربي في الألفية الثانية! فهل كانت الحضارة الغربية سائدة طوال الألفية الأولى حتى تلحقوا بها الألفية الثانية؟! وهل يشعر العالم بالرضا إزاء هذين القرنين أو الثلاثة الماضية من سيطرة الحضارة المادية الغربية؟! وهل تمكنت الحضارة المادية الغربية من تضميد الجراح التي عانت منها البشرية في الماضي؟! وهل زال الفقر من العالم، وانتهت المجاعات في المعمورة، وتم التغلب على الظلم والتفرقة؟ وهل تشعر البشرية

براحة البال، ويسود الرفق والصفاء بين بني الإنسان؟ أم أنه العكس تماماً! فالحضارة المادية الغربية في عصر الاستعمار ومن بعده في مرحلة الاستثمار ـ عندما لم تكن سيطرة الحكومات الغربية سيطرة مباشرة كما في مرحلة الاستعمار، بل انهمكت في استغلال طاقات البلدان المتخلّفة والفقيرة وثرواتها، واستخدمت سيطرتها الخفية في الاستيلاء على كافة قواها ومواردها حتى تُشبع نزواتها الذاتية، وتتخم جيوب أصحاب رؤوس الأموال وأرباب الشركات-، ثم في مرحلة وسائل الإعلام وعصر الاتصالات - أي في هذا العصر - حيث نزلت إلى الساحة في هذه المراحل الثلاث بكل ما تتمتع به من تجبر، وغطرسة، واستكبار، في قمع وحشي ومتواصل للأطراف الأخرى، وذلك في الوقت الذي مازالت فيه التفرقة سائدة في أرفع مراكزها ومؤسساتها، فضلاً عن التمييز العنصري، بالإضافة إلى الفاشية! ومع كل هذا التاريخ الأسود، وكافة هذه المعضلات، وجميع هذه المشاكل، فإن الحضارة المادية الغربية تزعم لنفسها الخلود! وهو ادعاء واهٍ، ومزيف وفاشل.

١ـ ٢ـ تجلّي الحضارة الإسلامية في عصر الظهور:

نعم، إن الحضارة الإسلامية، وبلا شك، بإمكانها النزول إلى الميدان بتلك الوسائل نفسها التي استخدمتها الحضارات التاريخية الكبرى والسيطرة على منطقة ـ كبيرة كانت أم صغيرة ـ وإنزال بركاتها أو صدماتها على هؤلاء، وباستطاعتها أن تخوض هذه التجربة المعقدة، والطويلة والشاقة، وبلوغ تلك الذروة. ولا مراء في أن الحضارة الإسلامية سوف تتجلى بصورتها الكاملة في عصر ظهور بقية الله (أرواحنا فداه)، ذلك العصر الذيّ سوف تتحقق فيه الحضارة الإسلامية الأصيلة ويظهر فيه العالم الإسلامي الحقيقي. إن البعض يتصورون أن عصر ظهور بقية الله سيكون في آخر الزمان

ونهاية العالم! ولكنني أقول بأن عصر ظهور بقية الله هو بداية العالم والخطوة الأولى في حركة الإنسان على الصراط الإلهي المستقيم، سواء أكان ذلك مع القليل من العقبات أم بدونها، وبسرعة قصوى، وبتوفير كافة الإمكانيات من أجل هذه الحركة. ولو افترضنا أن الصراط الإلهي المستقيم يشبه طريقاً واسعاً، ومستقيماً وممهداً، حيث جاء كافة الأنبياء خلال القرون الطويلة الماضية لينقذوا البشرية من سبل الضلال ويرشدوها إلى هذا الطريق القويم، فلابد وأن حركة الإنسان ستبلغ ذروتها لدى بلوغ هذا الطريق، ولسوف تغدو حركة عامة وشاملة يحالفها التوفيق بلا أدنى خسائر، أو مع الضئيل منها. إن عصر الظهور هو ذلك العصر الذي تستطيع البشرية أن تتنفس فيه الصعداء، وتتنكب الطريق الإلهي، وتتمتع بكافة الطاقات الكامنة في عالم الطبيعة وفي وجود الإنسان على نطاق واسع. إن الإمكانات البشرية لا تُستخدم بالصورة الصحيحة الآن، فتضيع الطاقات وتذهب سدى، وكذلك هي الطاقات الطبيعية؛ إن كافة هذه الظواهر التي تشاهدونها في التلوث البيئي مردّها جميعاً إلى سوء استخدام الإمكانات الطبيعية. والبشرية تغذّي السير في هذا الطريق بينما هو خاطئ وغير فريد. إن الإنسانية غافلة عن طريق العلم وسواه من الطرق القويمة التي تستطيع السير عليها في ظل النظام الإلهي؛ ولا أود الآن الخوض في هذا الموضوع، حيث يتطلب ذلك المجال الأوسع. وعلى أية حال، فإن بلوغ الحضارة الإسلامية هو النهج الذي يتمسك به النظام الإسلامي.

١ـ ٣ـ حتمية زوال الحضارة الغربية:

إن الانحرافات هي السبب في اضمحلال الحضارات؛ فعندما تبلغ الحضارات ذروتها فإنها تؤول إلى الانحطاط جرّاء نقاط الضعف، والفراغات والانحرافات؛ وهو ما نشاهده اليوم في

الحضارة الغربية التي تقوم على علم بلا أخلاق، وماديات بلا معنويات ولا دين، وسلطة بلا عدالة. ففي فلسطين المحتلة، وحيث يحولون دون الفلسطينيين من العيش في بلادهم أو الحياة بيسر وكرامة في وطنهم، وعندما يضطر أحد المواطنين الفلسطينيين إلى القيام بحركة أو إلحاق ضرر بأحد الصهاينة الأجانب الغرباء الغاصبين، فإنهم يعبّئون كل وسائلهم الإعلامية في الغرب من أجل إبراز هذا الحدث..! ولو حدث أن قُتل أحد الصهاينة، فإنهم ينشرون صورة أبيه، وأمه، وابنه وأخته، ويعبرون عن بكائهم وحزنهم في المجلات الأميركية وسواها من الصحف العالمية! ولكن، عندما يُقتل في فلسطين شاب أو صبي وهو في أحضان والده وعلى مرأى منه، وعندما يطلقون الرصاص على النساء، والرجال، والأطفال، والمسلمين والمصلين في المسجد الأقصى، فإن الأمر لا يقابل إلّا بالصمت أو التعتيم! ففي اليوم الأول من هذه الحادثة اتصلت أجهزة الاتصالات في الجمهورية الإسلامية بأوروبا حتى تقف على ما هنالك من أخبار، وإذا بالجواب يأتي بأنه لا وجود لأي خبر هنا! أي أن حدثاً مفجعاً من هذا النوع يظل طيّ الكتمان في أوروبا وفي مناطق سيطرة الحضارة الغربية في اليومين الأول والثاني، من دون أن تتطرق إليه وسائل الإعلام هناك! ويظل الأمر كذلك حتى تتصاعد التظاهرات تدريجياً، وينهض الناس في كل مكان، وترتفع أصوات الاحتجاجات، وعندئذٍ - فقط- تضطر تلك الأجهزة التي تدّعي الدفاع عن حقوق الإنسان، وتتشدق بالمعلوماتية إلى تناقل الخبر، وبصورة مقتضبة مشوهة، وبأسلوب غير حيادي، وبالشكل الذي يصب في صالح الغاصبين المحتلّين وليس في صالح الشعب الفلسطيني المظلوم! هذه كلها من علامات تدهور وانحطاط الحضارة الغربية.

وبالتأكيد، فإن ظهور الحضارات أو أفولها لا يأتي طفرة، بل إنه

أمر تدريجي وتاريخي، ولكن هذه هي إمارات الاضمحلال. لقد توصل العديد من المفكرين الغربيين إلى هذه الحقيقة اليوم، وها هم يشيرون ويحذّرون من العواقب. ولهذا، فإنه لا داعي إلى الدهشة والتعجب فيما إذا وَمَضَ ضوء في مكان ما من العالم، كما ظهرت كافة الحضارات التاريخية، أو فيما إذا ظهر فكر جديد، أو مشروع جديد للبشرية يقوم على أساسه نظام سياسي في إحدى جهات المعمورة، فيجتمع عليه شعب من الشعوب، ويقوم بدعمه وترسيخه، ويعمل في إطار الشروط الضرورية التي سوف أوضحها، ويستعيد خواص وصفوة ونخبة المجتمع فرصهم وأدوارهم، ويعملون طبقاً لها؛ وحينئذٍ لا يكون من المستبعد أن تزدهر هذه الحضارة كبقية الحضارات، وتسطع كالشمس المتألقة في كبد السماء، وتمنح أشعتها ونورها لكافة أرجاء العالم؛ بل إنه لأمر حتمي.

١ـ ٤ـ المستقبل للنظام الإسلامي:

وعلى هذا الأساس، فإن النظام الإسلامي هو نظام قد رسم لنفسه نهجاً معقولاً ومنطقياً للتحرك. إنها مسيرة لا يمكن لها التوقف أو النكوص، وإنها حركة تكاملية بما تتمتع به من مراحل مختلفة تضمن لها الاستمرار والخلود. لقد تولدت هذه الحركة مع بداية الثورة الإسلامية، وسطع هذا الوميض في هذه النقطة من العالم، فأدهش الألباب، ثم نجح في تشكيل وتحقيق النظام الإسلامي الذي أخذ بزمام الحركة وسار بها قدماً إلى الأمام، رغم ما يعترض طريقه من تحديات وعقبات وقلة الإمكانيات. إن هذا النهج لو تواصل بجد، وعزم ،ومساندة ومعرفة بالثوابت الضرورية، وعمل بكل ما هو تكليف، فإن النتيجة الحتمية ستكون ازدهار الحضارة الإسلامية من جديد، واستعادة رقعتها الواسعة في العالم. ولا يعني هذا بالضرورة أن يتوسع النظام السياسي الإسلامي في بلدان العالم الأخرى قبل

عصر الظهور، كلا، بل إنه يعني ظهور حضارة تقوم على أساس فكر جديد، ومنطق جديد، وتنظر نظرة جديدة إلى قضايا البشر وحياة الإنسان، وتجد علاجاً لآلام البشرية، وتتحدث بلغة جديدة تفهمها الأجيال الحديثة وطبقات العالم المحرومة، وتحمل رسالة للقلوب والأفئدة، مما يمهّد لها الانتشار تدريجياً في أوساط المجتمع الإنساني، وهذا شيء يمكن حدوثه. وطبقاً لما أراه اليوم في بلدنا، وما ألمسه من عمق للفكر الإسلامي لدينا، وانطلاقاً من هذه الحركة الواسعة والعظيمة التي أخذت في تعميق هذا الفكر منذ بداية الثورة، والتي حققت الكثير من الإنجازات حتى اليوم، فإنه يبدو لي أن هذا المستقبل هو مستقبل حتمي وأكيد بالنسبة إلى النظام الإسلامي.

ثانياً: موقع علماء الدين في هذه الحركة

الموضوع الثاني هو: من هم أصحاب الدور الرئيس في هذه الساحة؟ إننا نود أن نعرف ما هو موقع علماء الدين في هذه الحركة، ونريد أن نعرف لماذا وفيمَ ادّخرتم شبابكم أنتم أيها الطلاب الشباب الذين تدرسون في هذه الحوزة، وأين تريدون استثماره؟ ومن هم أصحاب الدور الرئيس في هذا المضمار؟

٢ـ ١ـ مبدأ التدرّج في الحضارة الإسلامية:

أولاً، لابد لنا وأن نعلم بأن هذه الحركة العظيمة للنظام الإسلامي، والمنطلقة نحو هذا المستقبل المنشود - أي تحقيق الحضارة الإسلامية؛ تلك الحضارة التي يتواكب فيها العلم مع الأخلاق، وتتحقق فيها المنافع المادية جنباً إلى جنب مع المصالح المعنوية والدينية، وتسود فيها السلطة السياسية إلى جانب العدالة- هي حركة تدريجية.

إنه لأمر مثير طبعاً، ولكن على كل منا أن يعرف ما هو بصدده. إن كل خطوة يخطوها تمثّل له حدثاً مثيراً، بيد أنه لا ينبغي الخلط بين هذا العمل التاريخي العظيم الذي يتعلق بأجيال وقرون متواصلة، وبين الأعمال الجزئية والشعارية والتي تأتي طفرة. إن هذا عمل يحتاج إنجازه إلى أن يكون خطوة خطوة، على أن تكون كل خطوة

أشد رسوخاً من سابقتها، مع فهم دقيق لكل خطوة نخطوها، ونظرة ثاقبة تقدمية فيما يخص المسيرة التي نتحرك في إطارها.

٢ـ ٢ـ الفكر الإبداعي ودوره في الحضارة الإسلامية:

لابد من توفر عنصرين أساسيين لتحقيق حضارة إسلامية - كما هو الأمر بالنسبة إلى سائر الحضارات- وهما: إبداع الفكر، وتربية الإنسان. فالفكر الإسلامي هو بمثابة بحر عميق ومحيط زاخر، وكل من وقف على شاطئ المحيط لا يستطيع الإدعاء بأنه قد خبر هذا المحيط. كما أنه ليس بوسع كل من سبح لعدة أمتار بالقرب من الشاطئ، أن يزعم أنه قد بات عارفاً بهذا المحيط؛ فالغوص في هذا المحيط المتلاطم، وبلوغ أعماقه وسبر أغواره ـ كما يستفاد من الكتاب والسنة ـ هو عمل ينبغي على الجميع القيام به، وهو أمر لابد من الاتيان به على طول الزمان. إن الإنتاج الفكري في كل زمان بما يتناسب مع متطلبات ذلك الزمان، هو أمر ممكن بالاغتراف من هذا المحيط المعرفي الهائل. إن كلام المرحوم الشهيد المطهري كان يبدو غريباً بالنسبة إلى البعض في يوم ما؛ لقد كان كلامه كلام الدين، وكلام القرآن، وكان كلاماً إسلامياً؛ ومع ذلك، فإن الكثيرين من المعنيين بالدين والقرآن والإسلام، كانوا يعتبرونه كلاماً غريباً! إن هذا ممكن في كل زمان بالنسبة إلى المفكرين الواعين، والعارفين بالقرآن والحديث، وأساليب الاستنباط منهما، والواقفين على المعارف الإسلامية، وفكر القرآن، والحديث والسنة الإسلامية؛ بحيث إنهم لو كانوا مدركين لمتطلبات العصر لكان بوسعهم تلبية هذه المتطلبات، ومعرفة ما تريده البشرية، واستخراج لغة العصر من المعارف الإسلامية. إن هناك الجديد دائماً مما يقال، وإن الإبداع والإنتاج الفكري يعتبر نبراساً هادياً على طريق البشرية.

٢-٣- العنصر الإنساني في الحضارة الإسلامية:

والعنصر الثاني هو تربية الإنسان؛ فانظروا من هم أصحاب الدور الخلّاق، حيث يجب إبداع الفكر وصناعة الإنسان. إن أصحاب الدور الخلّاق هم أولئك الذين ينبغي لهم أن يعرفوا كيفية ترشيد الأفكار، وهذا هو أحد أبعاد القضية. ولأنه لا يمكن السير على هذا السبيل إلا بالإيمان وطاقة الإيمان والمحبة، فلابد من وجود أولئك الذين يستطيعون تربية الروح الإيمانية في الإنسان. ولاريب أن مدراء المجتمع هم من أصحاب الدور، وكذلك هم السياسيون والمفكرون والمثقفون، وأيضاً أبناء الشعب يستطيع كل منهم، على نحو ما، أن يجعل لنفسه دوراً، إلّا أن دور علماء الدين ودور أولئك الذين يستخدمون الأسلوب الديني في سبيل تنمية إيمان الجماهير، هو دور فريد وبلا نظير. إن مدراء المجتمع في حاجة، أيضاً، لعلماء الدين من أجل أن يكون دورهم دوراً سليماً، وكذلك هم السياسيون والعاملون بالحقل السياسي، علاوة على البيئات العلمية والثقافية المختلفة. فمن الممكن أن يومض ضوء كلمات عالم دين زاهد وعارف بزمانه، فيكون سبباً في انجلاء الظلمات عن الأفئدة، وكثيراً ما حدث ذلك. وإن دوراً من هذا النوع لهو دور فريد. إننا لا نحصر الدور بعلماء الدين، ولكننا نراه لديهم أبرز منه لدى الفئات الأخرى. ولهذا، فمن الواضح أن الفكر والإيمان الديني، والإبداع الفكري كلها من الأمور الضرورية واللازمة للإنسان لاجتياز هذا الطريق، وهو ما لا يتحقق إلا بوجود علماء الدين في الساحة. ومن الطبيعي، بل لابد من أن تتوفر في عالم الدين الشروط اللازمة للقيام بهذا الدور، وهي شروط سوف أوضحها في نهاية هذا الحديث. وبالتأكيد، فإن من بين أفراد الشعب من يقوم بدور ديني؛ وذلك عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والاستعداد لأن يكون في موقع يمكّنه من أداء دوره.

إن الأوساط الحوزوية وعلماء الدين بوسعهم أن يكونوا أصحاب دور فريد فيما لو شبّوا وترعرعوا في بيئة تربوية سليمة، وارتقوا المدارج اللازمة، وهو ما جعل من إمامنا العظيم الراحل نموذجاً لعلماء الدين؛ فلولا وجود الإمام بحماسته المتوقدة، ومنطقه السديد، وثباته وصموده على هذا الطريق، ولو لم يستطع أن يجمع حوله كل هذا الحشد الغفير من علماء الدين، لما قام الشعب الإيراني بهذا التحرك العظيم بالتأكيد. إنه لم يكن بمقدور أي حزب سياسي، أو أحد رجالات السياسة، أو الجامعات، أو أية شخصية اجتماعية مرموقة ومحبوبة بثّ الروح الحيوية في جماهير الشعب الإيراني العظيم ودفعها للخروج إلى الشوارع، إلّا علماء الدين بقيادة الإمام العظيم بكل ما له من خصوصيات متفردة، والتي لولاها لما كان هذا الإنجاز أمراً يسيراً. فهذا هو دور عالم الدين الذي يتمتع بالشروط اللازمة والذي يظهر في الوقت المناسب، فيغدو صاحب دور عظيم يحفظه له التاريخ.

إن على طالب الحوزة العلمية الذي يدرس العلوم الدينية ويطبق برامج الحوزة، أن يصبو للقيام بدور خلاق في هذه الحركة الشعبية العظيمة، ويجب بالضرورة أن لا يكون هذا الدور على غرار دور الإمام، بل إن هناك العديد من الأدوار التوعوية والإرشادية ممّا يقوم به الأنبياء، إذ إن صناعة الإنسان القويم والمؤمن تعتبر من الأهمية بمكان؛ بحيث لو أنفق عالم الدين كل عمره وسعيه في سبيل تحقيقها، لكان قد قام بإنجاز عظيم.

على طلاب وفضلاء الحوزات العلمية أن يقوموا بدور بنّاء في هذه الحركة الجماهيرية الواسعة، وذلك الخط المستقيم الذي ينتهجه النظام الإلهي والإسلامي بعظمة وتألق، وأن يضفوا على هذا التحرك ما ينبغي له من حتمية ويسر في انطلاقته الرائدة. إن ثمة تحديات

جساماً تواجه النظام الإسلامي، فلو لم نكتشف هذه التحديات - الموجود منها والمتوقع- فلن يمكن القيام بالدور على ما ينبغي، ولن يمكن فهم الواقع ومواجهته. إذاً، فالقضية التالية هي معرفة معضلات وتحديات النظام الراهنة.

إن الشرط الأول الذي يجب توّره فيمن يريد السير على هذا الطريق، هو معرفة الكمائن والموانع التي ينبغي مواجهتها والاستعداد لاجتيازها؛ حيث إن «**العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس**». والعالم بالزمان ليس هو الشخص الذي تربطه علاقات حميمة بعدد من الناس فحسب، ولا الذي تطرق سمعه أخبار من هنا وهناك، بل هو الذي يعرف أين يعيش من هذا العالم، وما هي صفوف المعارضة القائمة أمامه، وما هي أسباب هذه المعارضة وأهدافها، وما هي خطة المناوئين لبلوغ هذه الأهداف؛ فهذا هو العالم بالزمان. وبالتأكيد، فإن هذا العداء وهذه المناوأة ليست أمراً شخصياً، فليعرف أين هي، وما هي الحواجز التي تعترض نظامه، وتعوق طريقه، وتحول بينه وبين الوصول إلى أهدافه.

إنني أقول لكم بأن العقبات، والمشاكل والكمائن الماثلة على طريق أي مجتمع، أو نظام أو مجموعة، لا تمثل طريقاً مسدوداً رغم ما فيها من أذى ومضايقات. ويمكن القول ـ من زاوية -بأن المشاكل تعدّ من النعم لأنها سبيل التطور. إن الشعوب لا يمكنها بلوغ طموحاتها من دون معالجة ما يعنّ على طريقها من حواجز وعقبات؛ فلو لم يخض الشعب الإيراني غمار حرب امتدت طوال ثماني سنوات، برغم ما تكبّده من خسائر وأضرار فادحة، لما حقق لنفسه هذه الثقة بالنفس، وهذا الازدهار العلمي، والعسكري والصناعي، وهذه العزة الماثلة أمام أنظار العالم، ولما جفّت آمال التسلط على هذا الشعب في قلوب الأعداء الألدّاء وأصابهم اليأس، ولا سيما

العقلاء منهم؛ حيث إن غير العقلاء مازالوا يعيشون هذا الأمل! ولهذا، فإن المشاكل هي هكذا دائماً، وعلى كل شعب أو مجتمع إنساني أن يتخطى هذه الموانع إذا أراد الانطلاق على سبيل الصلاح والفلاح، وطريق بلوغ الأهداف المنشودة.

إن لكل مجموعة، أو بلد، أو مجتمع مشاكله الخاصة في كل زمان، وثمة علاقة بين أهداف كل شعب وما يعترض طريقه من عقبات ومعضلات لابد له من التغلّب عليها؛ فكلما كانت الأهداف رفيعة وسامية، كانت المشاكل بالقدر المتناسب مع هذه الأهداف، وكلما كانت هناك أصولية في الأهداف، اعترضتها الأزمات وواجهتها المعارضات بصورة طبيعية، ولهذا فثمة صلة مباشرة.

ثالثاً: التحديات التي يواجهها النظام الإسلامي

والآن، ما هي العقبات التي تعترض طريق النظام الإسلامي، وما هي هذه التحديات؟

لا يمكن لنا أن نقارن عصرنا هذا بعصر صدر الإسلام ونبي الإسلام الأكرمﷺ؛ فمع أن هناك بعض وجوه الشبه، إلا أن ثمة، أيضاً، بعض وجوه الاختلاف؛ ففي صدر الإسلام كانت المواجهة الأساس خلال عشر سنوات من حياة الرسولﷺ مع جبهات ثلاث هي: جبهة المنافقين في الداخل، وجبهة أهل الكتاب واليهود - الذين كان لهم وضع خاص في المدينة وفي ظل حكومة النبي -، وجبهة الكفار والمشركين. فهذه هي الجبهات الثلاث الرئيسية التي تعرفون ما مارسته من تحديات كما ورد في آيات القرآن الكريم، ولا سيما في سورة البقرة المباركة؛ فالمواجهة مع اليهود لم تكن كالمواجهة والعداء مع كفار قريش؛ حيث إن اليهود كان لهم ماضٍ، وتاريخ، ومفاخر، وكتاب، ممّا خوّل لهم سلطة على الأميين والجاهلين بالمعارف الإلهية من نوع تلك السلطة التي تفرضها مجموعة مثقفة على مجتمع أمّي. ولذا، فقد كان النبي الأكرمﷺ يضع أصابعه على المواضع الحساسة في مواجهته مع هؤلاء طبقاً لتعاليم الوحي الإلهي. وقد وردت أبعاد هذا التحدي الذي كان بين النبي الأكرم وبين اليهود ـ وكذلك المنافقين ـ بشكل تفصيلي في سورة البقرة.

لا يمكن لنا اليوم القول بأننا نواجه مجموعات من هذا القبيل فقط، ولكن أمامنا مجالات للمواجهة والمجابهة بما يتناسب مع وضعنا نحن ووضع نظامنا، وليس المقصود هنا هو المعارضة السياسية بالتأكيد، ولا نريد القول بأن الذين سوف نعدّدهم الآن هم معارضون سياسيون للنظام أو أنهم يكافحون النظام، كلا، بل إنها مجالات للمكافحة، وإنها تحديات يواجهها النظام الإسلامي بصورة طبيعية.

إن ثمة من يعارضون الدين في الأساس، ولهذا فإنهم يرفضون نظاماً قائماً على أساس السياسة الدينية، لأنهم يرفضون أصل الدين في قرارة أنفسهم. وثمة من يعارضون السياسة الدينية، وهم يعتبرون الدين مجرد طقوس خاصة يمارسها الإنسان في باطنه وفي خلواته، ولا يعتبرون الدين مناسباً للحكومة، وللسياسة، ولإدارة شؤون الناس؛ لأنهم يرفضون أصل الدين. فأيّ دين هذا؟! إنني لا أدري؟!

لقد أطلق النبي الأكرم ﷺ شعارات منذ بداية حركته وفي عصر البعثة، كانت تستعصي على الفهم والإدراك إلّا بهجرته إلى المدينة وإقامة النظام الإسلامي. إن ذلك التوحيد الذي يدعو إليه رسول الإسلام، والذي يشجب التفرقة الاجتماعية، ويثير الغلمان والعبيد المظلومين ضد ساداتهم، والذي يجعل الشباب الواعي والمستنير يثور ضد ممارسات الآباء السيئة والخاطئة والمنحرفة، ليس توحيداً فردياً، وقلبياً، وباطنياً وانعزالياً، بل إنه التوحيد الذي لابد من رفع لوائه، والذي يعيش المجتمع بفضل أسسه ومبادئه؛ أي عصر المدينة والهجرة. ولقد أقام الرسول ﷺ الحكومة الإسلامية منذ بداية الهجرة، ولا أدري أن ذلك الذي يؤمن بدين محمد بن عبد الله ﷺ ولكنه لا يؤمن بهجرته، وحكومته، وولايته وسلطته، كيف

يستطيع إقناع نفسه بذلك؟! وعلى أية حال، فإن ثمة مجموعة لا تستطيع أن تقبل بالسياسة الدينية، ولا بالدين السياسي.

وهناك مجموعة أخرى مصابة بالنفاق الديني؛ أي أنها تعتقد بضرورة الدين اسماً وعنواناً، ولكنها ترفض حقيقته وكنهه! وهؤلاء لا يستطيعون التنازل والقبول بسهولة عندما يبرز الدين في المجتمع بواقعيته، وحضوره واقتداره، ويقيم نظاماً ويُرسي أساساً للحكومة. ولقد رأينا أولئك الذين يتحدثون باسم الدين والقرآن ونهج البلاغة، ولكنهم يرفضون المفاهيم الحقيقية للقرآن ونهج البلاغة!

وهناك، أيضاً، مجموعة ممن يحملون لواء التبعية للثقافة الغربية والمبهورين بالغرب، والذين ينظرون إلى شعبهم، وحضارتهم، وتراثهم العلمي وماضيهم نظرة ضعة واحتقار؛ لقد سحقوا تاريخهم حتى يستطيعوا معرفة الثقافة الغربية المستوردة، والاصطلاحات، والمفاهيم والمناهج التي تطرحها تلك الثقافة وتلك الحضارة، والتقرب منها! ولقد كان هناك من قالوا بأنه لابد لنا وأن نكون غربيين من أعلى الرأس إلى أخمص القدمين! وهم أولئك الذين سبّبوا التخلف لهذا البلد مقدار مائة عام، والذين كلمّا أمعنّا النظر اليوم في ممارساتهم، وأخطائهم، وتقصيراتهم هم وحكامهم والموالين لهم في الحقبة الماضية، اتّضحت أمامنا أكثر من ذي قبل. إنهم أولئك الذين كانوا يعتقدون بأنه لا خير في إيران والإيرانيين إلّا أن يغيروا تماماً من ماهيتهم، وأخلاقياتهم، وسلوكهم، وتصرفاتهم، وملابسهم، ولغتهم، وكتابتهم وكل ما لديهم، ويصبحوا كالشعوب الغربية! وهذه مقارنة في غاية السذاجة والحماقة! فلأن ذلك الشعب يعدّ متقدماً من الناحية التقنية، إذاً فمن الممكن الأخذ بكل ما عنده، وإذا كنّا نطمح في بلوغ هذه المكانة العلمية، فلا بد لنا من أن نقلد ذلك الشعب ونعيش مثله في أخلاقه، وسلوكه، وعقائده، وعاداته

وتقاليده! وفي الحقيقة، فإن المرء ليعجب كيف يمكن لإنسان يدّعي الثقافة والتنوّر، أن يفكر هكذا بسذاجة وضيق أفق! فهذه مجموعة أخرى، أيضاً، كانت وما زالت.

وهناك مجموعة من عشاق السلطة والمتعطشين للقوة، ولا شأن لهم بالدين، أو الأخلاق، أو العقيدة، أو الله ومثل هذه الأمور؛ فالذي يهمهم بالدرجة الأولى هو الأخذ بزمام السلطة وهم المتعطشون لها، وهؤلاء أيضاً، يمثّلون تحدياً أمام النظام الإسلامي.

وهناك مجموعة ممّن لا يستطيعون استيعاب المفاهيم الإسلامية على النحو الصحيح.

هذه هي مجالات التحدي أمام النظام الإسلامي.

ومن الطبيعي، فليس كل من ذكرناهم يُعتبرون بالضرورة معارضين للنظام الإسلامي، كلا، فمن الممكن ألّا يكونوا من المعارضين، غير أن النظام الإسلامي ليس بوسعه أن يغضَّ الطرف عنهم، ولا يمكنه أن يتجاهل وجودهم، وفكرهم، ومحاولاتهم، وأهدافهم، ونواياهم، ومطامحهم، وكل ما يدور بينهم وما يبدر منهم. فمن الحكمة والتدبير للنظام الإسلامي أن يفتح عيونه على هؤلاء، وأن يعرفهم ويسعى لمعالجتهم؛ ولا نعني بالمعالجة استخدام القوة والقمع. فلا ينبغي التصور أن المقصود هو استخدام القوة كلّما قيل بوجوب معالجة هذا الفكر أو ذلك الشيء، لأن القوة هي سلاح من لا منطق له. وإن كل من يتمتع بالمنطق بإمكانه التوسّل بحرية الاستدلال والمنطق بالصورة التي تعجز عنها كل حرية أخرى، وكل قوة مادية؛ ولهذا فإنه لا حاجة إلى القوة.

فما هي المجالات الموجودة داخل النظام الإسلامي، وبين مسؤولي الحكومة، وشخصيات وقادة النظام، والمؤثرين في الوسط

الحكومي والشعب من أجل شقّ هذه الصفوف المختلفة، وكل من يريد أن يشق صفوف النظام؟

لقد دوّنت بعض النماذج: فمن ذلك التحجر؛ إن عدم النظر إلى الأمور نظرة جديدة، وتجاهل حركة التاريخ وتطور الفكر الإنساني، والتنكّر للسموّ والارتقاء الفكري والسبل الحياتية، يعتبر تحجراً. إن كل علم تشاهدونه بما فيه من رفعة وتقدم هو صيحة ضد التحجر؛ فلو كان من المقرر أن نتوقف مؤكدين على كل ما اعتدناه ومتصورين أن ذلك شيء جيد، لما تطورت أصولنا، ولما قطع فقهنا منذ ألف عام وحتى الآن كل هذا الشوط من التطور والتقدم، وهكذا هي الحياة بكافة أبعادها؛ فالتحجر آفة من أخطر الآفات.

وإلى جانب التحجر، هناك التساهل الفكري والعملي؛ فالتساهل والتسيّب، سواء في الفكر ـ أي أن ينجذب الإنسان نحو كل ما يطرح في الساحة من فكر وينبهر به من دون روية، وتقويم، ونقد وفهم دقيق مع ما في الأمر من حساسية ـ أم في العمل؛ أي الجانب المقابل للتقوى، والتقوى هي نقيض التساهل؛ والتقوى تعني الدقة والمراقبة والمواظبة خشية أن يبدر من الإنسان عمل يتجاهل الموازين، سواء كان ذلك في القول أم الفعل، وسواء كان ذلك العمل من الجوارح أم الجوانح؛ فهذه هي التقوى. وأما التساهل والتسيب فهو نقيض ذلك. فيا لها من مصيبة أن يكون ذلك التساهل في مجال الفكر، أو العلم، أو في أي مجال آخر ! فحيثما كان التساهل والتسيب ـ والذي يستتبعه التساهل في القبول والفعل والفهم ـ فإن العواقب سوف تكون وخيمة.

إن التقليد الأعمى، وخصوصاً للغرب، هو أيضاً إحدى الآفات. ولأن الحضارة الغربية على قدر من التقدم التقني المبهر، فإنهم يقلّدونها في كل ما تصدره من فلسفة، وأخلاق ونظريات مختلفة.

كما أن التعيّش هو الآخر إحدى الآفات الخطيرة؛ فالتطلع نحو المنصب، والمسؤولية والمنزلة الاجتماعية، وحتى نحو العلم بصفته وسيلة للتكسّب والتعيش، هو أيضاً إحدى الآفات. كما أن الانتهازية، وحب الراحة، والطباع السيئة والشريرة هي كلها من الآفات. فهذه المجالات من نفسية، وأخلاقية وسلوكية تمثّل مظاهر المعارضة ومجالات التحدي أمام النظام الإسلامي؛ وهي نابعة من داخلنا نحن.

وأما من ناحية ثالثة فهناك العدو الخارجي؛ وخطته هي استخدام كل هذه الإمكانات وتكريسها لمواجهة النظام في الداخل. إنني كلما حذرت في حديثي من مؤامرات الأعداء، فإن البعض يستاؤون ويقولون: لماذا تتحدث عن العدو الخارجي من دون الاشارة إلى قضايانا ومشاكلنا الداخلية؟! فلا بد، إذاً، من التوضيح. إن العدو الخارجي إذا لم يضع نصب عينيه مشاكلنا، ومعضلاتنا ونقاط ضعفنا في الداخل، لما كان بوسعه السيطرة والنفوذ، وهذا شيء واضح وبديهي قد أشرنا إليه مراراً. إن نجاح هذا العدو، يأتي في الأساس عند وجود نقاط ضعف وفراغ في الصفوف الداخلية للنظام؛ أي داخل البلد وفي أوساط المجتمع، وهو ما لاشك فيه، غير أنه لا يمكن تجاهل هذا العدو الخارجي؛ لأنه يستغل كافة نقاط الضعف هذه بقدر ما يستطيع. إن أحداً لن يطري مجتمعاً وإنساناً والأكبر منهما مسؤوليّة، فيما لو تجاهل العدو الخارجي وتعامى عن خططه ومساعيه، وتناسى استغلال هذا العدو لنقاط الضعف من أجل النفوذ والتغلغل في الداخل. نعم، إن العدو الخارجي هو حقيقة لا مراء فيها، غير أنه يستغل نقاط الضعف لدينا، ستخيب آماله إذا ما استطعنا واستطاع النظام الإسلامي التغلب على نقاط الضعف في الداخل، وعندما يشنّ هذا العدو هجوماً، فلا بد من المواجهة العاجلة والسريعة. ولنفرض أنه هاجم حدودنا ـ كما هو

شأن الحرب العسكرية ـ فإن واجبنا الأول هو أن نهبّ لمواجهته وصد هذا الهجوم. ولا مجال هنا لأن نجلس ونقول: تُرى، لماذا قام هذا العدو بمهاجمة حدودنا، ولربما قمنا بما أغضبه وأثاره علينا، أو لعلنا انتهكنا بعض المجالات مما أثار حنقه علينا؟! لأن الوقت ليس وقت مناقشة هذه الأمور. فكيفما كان السبب، وأيّاً كانت نقطة الضعف، فلا بد لنا، أولاً، من أن نصد الهجوم، ثم نأتي بعد ذلك لمناقشة الوضع وبحث هذه القضايا.

والواقع أن النظام الإسلامي يتعرض اليوم لحقد، وضغينة وعداء مراكز السيطرة العالمية في الساحة الدولية. ولاشك في أن هذا النظام هو نظام قوي وراسخ ممّا جعلهم عاجزين عن توجيه ضربة مؤثرة له، ولو لم يكن الأمر كذلك لما توانوا لحظة واحدة عن ضربه. إن هذا النظام يتميز بخصوصيات لو توفرت في أي نظام آخر لجعلته راسخاً وقوياً؛ فهو نظام شعبي، ونظام إيماني، ونظام نابع من إرادة وإيمان الجماهير. وإن مسؤوليه ليسوا من أولئك الطامعين في ملء جيوبهم وتحقيق الربح المادي؛ إنهم مسؤولون رفيعو المستوى، في هذا النظام نزلوا إلى هذه الساحة بنوايا طيبة وهم يبذلون الكثير من الجهد والمساعي، وهو ما ليس بالقليل؛ وما مردّ اللّطف والعناية الإلهية إلّا لهذه الصفات؛ فعندما يصمد أحد الشعوب، ويتحمل المصاعب في سبيل الله، ويخلص مسؤولوه النية لله تعالى، فإن الله ينزل نصره، وهذه أمور لا يمكن مواجهتها ومكافحتها، وإلّا فإن مطامع الأعداء كثيرة، وهو ما لا يمكن تجاهله.

والآن، فإن الحوزات العلمية، وفي مقدمتها حوزة قم، ومن ثم حوزات المحافظات- كبيرها وصغيرها- تقف وجهاً لوجه أمام مثل هذه التحديات.

إنكم أنتم -أي الحوزات الدينية والعلمية -الذين تريدون

النهوض بصرح الحضارة الإسلامية الشامخ، وإضاءة مشعل الهداية الإسلامية في منارة النظام الإسلامي السامقة، والقيام بما قام به كافة الأنبياء والمرسلين، وإرشاد البشرية إلى الصراط الإلهي المستقيم والسبيل الرباني الأصيل، والاقتراب بهم من هذا السبيل الأعظم والصراط الأقوم؛ فالحوزة تواجه هذه التحديات، وتتحرك بهذا الهدف. فانظروا كيف يجب أن تكون الحوزة العلمية، وماذا يجب عليها عمله، وما هي واجباتها.

وحتى إذا لم أقل شيئاً حول ما أتصوّره ضرورياً للحوزات العلمية، فإن هذا الوضع الحساس الذي أشرنا إليه، وهذا الهدف الرفيع المتوخّى، وهذه العقبات والتحديات التي أوضحناها والتي تعترض سبيل النظام الإسلامي، تقتضي جميعاً أموراً لابد من معرفتها بدقة، ولسوف أتحدث عن ذلك باختصار.

رابعاً: واجبات الحوزات العلمية

القسم الرابع من حديثنا يختص بواجبات الحوزات العلمية. إن حوزة قم العلمية تعتبر، اليوم، حوزة بارزة في الحقيقة، ولقد قلت هنا في صالة الاجتماعات بالمدرسة الفيضية قبل بضعة أعوام: إنه لا يوجد مجمع علمي عريق وعظيم كالحوزة العلمية في قم منذ بداية تاريخ الإسلام، وحتى يومنا هذا بالتأكيد؛ فلقد كانت هناك بالطبع حوزات علمية ضمت في أكنافها علماء كباراً في بغداد، والحلة، والنجف، وكربلاء وبلدان أخرى، إلّا أنها لم تكن بهذا الكم الوافر، وهذا التنوع، وكل هؤلاء الأساتذة والطلبة، وهذه الحلقات العلمية. كما أن الحوزة العلمية اليوم تختلف، أيضاً، عن الحوزة العلمية في زمان المرحوم آية الله العظمى البروجردي (رضوان الله تعالى عليه)؛ ففي ذلك الزمان كنّا طلبة في هذه الحوزة، وفي المدرسة الفيضية والمدرسة الحجتية، وكانت هناك نقاط بارزة ومشرقة متعددة، إلّا أنه لا يمكن المقارنة بين ما يوجد في الحوزة الآن من حركة، وجهد، ووعي وشعور بالمسؤولية، علاوة على هذا العدد الضخم من الأساتذة والطلبة، وبين ما كان يوجد في الحوزة العلمية حينذاك. ولاشك في أن أساتذة كباراً وبارزين كانوا موجودين في هذه الحوزة يومذاك، ولكن توجد أشياء فيها الآن لم تكن موجودة في ذلك العهد، ومنها درجة الوعي، والمعرفة، والتسلّح بوسائل

التبليغ المعاصرة. وطبقاً لذلك، فإننا نرى أن ثمة واجبات للحوزة. وبالطبع، فإنني لن أذكر كافة الواجبات، فلم أستطع استقصاءها، أي لم أرد استقصاءها، فلن أتحدث إلّا حول المهم منها كما قدّرت.

٤.١ـ علاقة النظام الإسلامي بالحوزة العلمية:

أول هذه الواجبات هو أن على الحوزة العلمية أن تعتبر هذا النظام ـ أي نظام الجمهورية الإسلامية ـ جزءاً منها، وأن تبذل أقصى جهودها للرقيّ به إلى مدارج الكمال وسد فراغاته. لقد نبع هذا النظام من تلك الحركة والنهضة العظيمة نفسها التي تأسست في هذه المدرسة الفيضية والمسجد الأعظم. وإن النظام الديني هو نظام وضعت لبناته على أساس المعارف والأحكام والقيم الدينية؛ فلا يمكن للحوزة أن تقف موقف اللامبالاة من نظام كهذا. ولا توجد أية منفعة، أو هدف شخصي، أو فئوي أو سياسي يستطيع أن يحول دون مساندة الحوزة للنظام، ولا يحق له ذلك. وإن الأنكى من عدم الدعم، والمساندة، والعمل على التكامل والسعي الحثيث لإصلاح نقاط الضعف لدى النظام، هو مدّ يد العون لأعداء النظام! فمّما يؤسف له أن أقذر وأرذل وأحقر أعداء النظام يستمدون الدعم والتأييد من قبل البعض أحياناً! فلماذا؟! وبأيّ سبب ولأيّ دليل؟! ألأنه يوجد نقص ما في النظام؟ وهل ينبغي تأييد أعداء النظام إذا كان يعاني نقصاً ما، أو أنه يجب التغلب على هذا النقص؟! إن ثمة نقاط ضعف بالتأكيد في مسؤولي النظام من أعلاهم إلى أدناهم، وأنا في مقدمتهم، ولاشك في أن هناك الكثير من العيوب ونقاط الضعف التي لا تُحصى. فلا بد، إذاً، من التغلب على نقاط الضعف هذه وإصلاحها، والتعاون على إزالة العيوب. لا يمكن القول بأنه لابد من حكومة إسلامية مائة في المائة وإلّا فلا؛ أي أن نكون مثل حكومة الرسول الأكرم وأمير المؤمنين، وإلّا فمن الأفضل أن تقوم

حكومة من الكفار، والفسقة، والفجار وما إلى ذلك! فهذا ما لا يمكن التفوّه به، وليس من المنطق في شيء. وهذه هي القضية الأولى. إن الحوزة العلمية لا يجدر بها، أن تتعاون مع أعداء النظام مهما كانت الأسباب والذرائع والأهداف، ولاشك في أن الحوزات العلمية تقف اليوم خلف النظام كطود عظيم. إن مراجع التقليد العظام، والفضلاء الكبار، والشخصيات الرفيعة، والطلبة والفضلاء الشباب قد ساندوا النظام في وقت الحاجة بكل ما لديهم من قوة وشجاعة في كافة المجالات العلمية والسياسية.

٤ـ ٢ـ إيجاد الصلاحيات اللّازمة لمواجهة الأزمات الفكرية:

وأما الأمر الثاني الذي اعتبره من واجبات الحوزة العلمية، فهو أنه لا بد من التعجيل قبل فوات الأوان بإيجاد الصلاحيات اللازمة في أوساط الحوزات من أجل مواجهة الأزمات الفكرية؛ ولعل البعض لا يدرون بما يدور في أذهان جمع من الشباب والمجتمع؛ لأنهم لا يهتمون بذلك. إن هناك اليوم من المراكز - في الداخل والخارج- من تصب كافة جهودها على محاولة تغييب الشباب عن مباني الإسلام والمفاهيم الإلهية؛ وذلك عن طريق خلق المشاكل وإثارة الشكوك والريب بكلام لا مضمون له، وإن كان براقاً في مظهره. لا يمكن للحوزة تجاهل هذه النشاطات التي بمقدورها إلقاء الشباب في خضمّ الأزمات الفكرية.

فيوماً ما -ومنذ حوالي أربعين عاماً- كان الفكر الإلحادي الماركسي يمثل إحدى الأزمات في هذا البلد، سواء في الجامعات أم المحافل والبيئات المختلفة، حتى في إحدى زوايا بعض الحوزات العلمية، كنّا نلمح آثار هذا الفكر! ولم يكن يدري بأصل القضية سوى عدد معدود من الناس؛ فكانوا يكافحون ذلك الفكر، ولم يتحرّك الكبار إلّا بعدما اتضحت ملامح الخطر! فهل يجب أن

نتصرف هكذا؟! وهل نقف مكتوفي الأيدي حتى تظهر الأزمة الفكرية فتفسد عدداً من القلوب، والعقول، والضمائر المؤمنة ثم نفكر في إيجاد الحلول؟!

إن على الحوزات العلمية أن تكون قادرة على استشراف المستقبل والتنبّؤ بالأزمات الفكرية. والأزمات الفكرية ليست كالأزمات السياسية، حيث إنها تتسلل بهدوء، وتترك بصماتها بالتدريج، ثم تبرز فجأة عندما لا يكون العلاج أمراً يسيراً.

إنني أعلن هنا أن الحوزة العلمية في قم قد حققت تطوراً ملحوظاً، والحمد لله، على نطاق الفقاهة- والتي قلنا مراراً بأنها تمثّل الفرع الأساس في حوزاتنا العلمية- فلا ينبغي التخلّي أبداً عن رفع لواء الفلسفة الإسلامية؛ لأنني أشعر بالخطر! إن الفلسفة الإسلامية فلسفة متعالية تماماً؛ وإنما هي التي يمكنها الكشف عن زيف الكثير من الأفكار الفلسفية وشبه الفلسفية. إن الفلسفة الإسلامية هي مفخرة الحوزات العلمية؛ ولقد كانت الحوزات العلمية هي الرافعة دائماً للواء الفلسفة الإسلامية، ولاسيما الحوزة العلمية في قم في الحقبة الأخيرة، فلا تتخلوا أبداً عن هذا اللواء. لقد طرق سمعي بعض التحذيرات من عدة قنوات ممّا جعلني أحس بالقلق شيئاً ما. فلابد من تدريس الفلسفة الإسلامية على كافة المستويات، وبأسلوب جيد، وعن طريق الكتب القيمة والاستعانة بالمتون الراقية.

٣.٤ـ المناعة الفكرية والسياسية:

ثالثاً: يجب على مدراء الحوزة المحترمين وعلى الكبار والأعلام، أن يمنحوا المناعة للطلبة من الناحيتين الفكرية والسياسية؛ فلا بد من منح هؤلاء الطلبة المناعة على نطاق الفكر الإسلامي والأساليب الدقيقة في التعامل مع التيارات الفكرية المختلفة. وينبغي

عمل شيء من أجل أن يشعر أي طالب بمقدرته على مواجهة أي فكر يبدر أمامه، حتى ولو لم يكن يعرفه مسبقاً. كما يجب أن يُمنح الطلبة القدرة على التحليل السياسي في المجالات السياسية. إن هذا الحشد الكبير من الشباب في هذه الحوزة هو جمع بمقدوره ـ ويجب أن يكون بمقدوره ـ تحليل الأحداث السياسية، وفهم كل تحرك تقوم به التجمعات والأجنحة المختلفة في الداخل والخارج، حتى يكون بوسع هذا الجمع أن يضع ذلك الخط المستقيم والصراط الإلهي نصب العين في خضمّ الأحداث، من دون أن يقع فريسة للخداع.

وبالطبع، فإن الفهم السياسي يختلف عن التسلية السياسية؛ وإنني لا أشعر بأمل كبير في هذه التسالي السياسية وبعض هذه التكتلات السياسية المصطنعة؛ فأنا لا أقصد هذا، بل ولا أنصح به، بل إنني أقصد الفهم السياسي والقدرة على التحليل السياسي الذي لا يخلو من الأساليب والطرق الممكنة. فباستطاعة كبار الحوزة، وعليهم أن يقوموا بتنفيذ ذلك وهو ما ليس بالأمر العسير، ولا حل لهم سواه. إنكم إذا لم تعلّموا هذا الشاب الحوزوي التحليل السياسي، فإن أولئك الذين يدفعون التيارات السياسية ويثيرونها بهدف الاستغلال والتكسب - كما أشرنا - لن يقولوا بأنه لا داعي لملاحقة شباب الحوزات؛ لأنه غير مستعد لذلك، بل إنهم سيأتون ويستغلون هذا العجز في الفهم والتحليل السياسي إلى أقصى درجة ممكنة، وهذه خسارة، فلا حل لكم سوى تدارك هذا الأمر. إذاً، فلا بد من منح الطلبة التوعية السياسية والقدرة على الفهم والتحليل السياسي. وينبغي للطلبة أن يعرفوا حقيقة هذه التحركات التي يقوم بها العدو إزاء هذه الشوكة التي اكتسبها الإسلام في الحقبة الراهنة، كما يجدر بهم أن يقفوا على كُنْه وكيفية تحركات العدو في مقابل الحوزات العلمية.

٤. ٤. أهمية اختصار المنهج الدراسي في الحوزة:

وأمّا النصيحة التالية التي أراها ضرورية في هذا المجال، فهي أنه لا بد من اختصار المنهج الدراسي في الحوزة على أن يكون مفيداً، ومثمراً وذا آثار عملية واضحة. لقد تحدثت سابقاً حول موضوع مناهج الحوزة، وقلت: إنني لست مع تهميش، ولا تسطيح، ولا تفريغ المناهج الحوزوية الذي يجرّ الجهل على الدارسين إطلاقاً، فلا تتبادر الأفكار الخاطئة إلى الأذهان. وإنني أقول بأنه يمكن دمج هذه المرحلة الدراسية التي نقطعها عن طريق استخدام الأساليب الدراسية الحديثة؛ ففيما يخص الأدب مثلاً، ولا أعرف ما هي المدة التي تستغرقها دراسة الأدب في الوقت الحاضر، فإن الأدب الذي ندرسه الآن في كتاب المغني أو مختصر المغني، أو المطول أو مختصر المطول، هو أدب استدلالي؛ أي أنه طريق للاجتهاد في الأدب، وهذا ما لا يحتاج إليه طلبتنا؛ فالفقيه لا يحتاج لأن يكون مجتهداً في الآداب، وإن ما يقال بأن الاجتهاد ضروري في كافة مقدمات الاجتهاد ليس بالكلام المتقن. إن الاجتهاد ضروري في بعضها بالتأكيد، ولكنه لا يلزم الاجتهاد في مثل هذه الأشياء، بل ينبغي معرفة ما هي المعاني التي تستخدم فيها هذه الكلمة أو تلك، وهذا هو القدر المتفق عليه في الأدب. وأمّا «**لماذا تستخدم هذه الجملة أو هذه الكلمة بهذا المعنى، وإن هذا النحويّ قال كذا وهذا هو استدلاله، بينما قال الآخر كذا وهذا هو استدلاله**»، فما وجه الحاجة إلى هذا الكلام؟! فلابد من أن تكون الدراسة قوية، وبلغة حديثة ومدتها قصيرة؛ بحيث تكفي سنة أو سنتان لاجتياز مرحلة الأدب منذ البداية وحتى النهاية. إن الطلبة الذين يلتحقون بالحوزات في أيامنا هذه بوجه خاص، لديهم غالباً بعض المعلومات وعندهم مطالعات وقراءات بشكل ما، ولا حاجة لهم بهذه الكتب الفارسية والعربية والمختلطة. وثمة، أيضاً، وجهات نظر حول الفقه والأصول، وإن كانت القضية هنا تعتبر أكثر تعقيداً وصعوبة؛

حيث إن مرحلة السطوح هي مرحلة في غاية الأهمية، وهي الأساس لكل ما بعدها. وعلى أية حال، فلا بد من الاهتمام دائماً بالمناهج والنظُم الدراسية. إن النظم والكتب الدراسية هي من الأمور التي تتغير وتتطور باستمرار في برامج المراكز التعليمية الكبرى، فهم دائماً يتلافون ما فيها من نقائص وعيوب، وذلك بما يتناسب من خصائص للتربية والتعليم.

٤. ٥. أهمية معرفة الكفاءات الموجودة في الحوزة:

والنقطة الأخرى هي ضرورة معرفة الكفاءات الموجودة في الحوزة، وهو ما أشرت به منذ بضعة أشهر على مدراء الحوزة المحترمين. إن الحوزة تعتبر تجمعاً للكفاءات المختلفة، فلابد من اكتشافها؛ لأن اكتشافها سيكون عاملاً مساعداً في استخدامها في المجالات المختلفة من معارف، وعلوم، ونشاطات علمية وتحقيقية من أجل ترشيد هذه الكفاءات.

وأما الأمر الآخر الذي يعد من واجبات الحوزة فهو موضوع الهجرة؛ أي الهجرة بهدف التعليم، والتزكية والحضور بين الجماهير. ولقد قلنا هذا أيضاً في السابق؛ حيث قدم الأصدقاء وبعض فضلاء الحوزة مشروعاً تمهيدياً حول الهجرة؛ فكل من يصل إلى حد من المعرفة والوعي والعلم في الحوزة، عليه الذهاب إلى المناطق التي تحتاج إلى ذلك، وما أشد الحاجة إلى الفضلاء الشباب والنشطين في شتى أرجاء هذا البلد؛ ليس فقط في القرى، بل وفي المدن، وحتى في بعض المدن الكبرى! ففي الماضي كان يوجد في كل منطقة من المحافظات، غالباً، أحد المجتهدين المسلّم باجتهادهم؛ فلو طبّقنا ذلك الآن أيضاً، بما أصبح لدى الفضلاء والمجتهدين من معارف حديثة، فلسوف تعمَّ النعمة كافة هذه المناطق. إن الهجرة إلى المحافظات والمراكز تجعل ارتباط وصلة العلماء بالجماهير أمراً

ممكناً، وإن الاختلاط بالناس لمن الأمور الفائقة الأهمية.

وأما الموضوع الآخر في قائمة واجبات الحوزات العلمية، فهو إكمال المناهج الدراسية الحوزوية، ومن أبلغها ضرورة، في نظري، علم التاريخ. إنه لا ضرورة إطلاقاً في تدريس التاريخ، ولكن من الممكن أن يكون التاريخ مادة إضافية في المنهج الدراسي، إلّا أن الطلبة يؤدون فيها امتحاناً وأن تكون ذات علاقة بتقدمهم الدراسي. إن على طلاب الحوزة العلمية أن يكونوا على معرفة بالتاريخ، ولاسيما تاريخ صدر الإسلام، فهذا أمر لمن أهم المواضيع التي تستنير بها عقول الدارسين. وكذلك هو تاريخ المشروطة، منذ عهد المشروطة وحتى الآن، فهذا أيضاً من الأهمية بمكان. كما توجد مراحل تاريخية أخرى على درجة من الأهمية وإن كنت لا أود الخوض في الجزئيات.

والشيء نفسه بالنسبة إلى علم الحديث؛ حيث لابد من وجوده في البرنامج العملي للطلبة. إن على الطلاب أن يكونوا على علم بالحديث، وأن يعرفوا «**الكافي**»، وأن يعرفوا بعض كتب الحديث الخاصة. إن قراءة كلمات الأئمة أمر ضروري بالنسبة إلينا، لأن مطالعة كلام أئمة الهدى عليهم السلام تثير في الأذهان الكثير من الأفكار السامية، وكذلك الحال بالنسبة إلى نهج البلاغة.

٤. ٦. ترشيد البحث والتحقيق:

وثمة موضوع آخر أجده ضرورياً بالنسبة إلى الحوزة؛ إن الكثير من فروع الأبحاث والتحقيقات توجد اليوم، ولحسن الحظ، في حوزة قم العلمية؛ يتعلق بعضها بالحوزة، وبعضها الآخر بخارج الحوزة، وبعض يتعلق بالأقسام الخاصة. إن الطلبة والفضلاء الشباب يقومون بنشاطات تحقيقية، فيجب أن يكون ذلك مع التدبير، وأن تعمل إدارة الحوزة على أن يكون أحدها مكملاً للآخر؛ بحيث تنبثق عن مجموع

هذه التحقيقات منظومة كاملة لرصد الغزو والهجوم الفكري والإعلامي الذي يشنّه العدو، وإمكانية مواجهة هذا الهجوم. وبذلك تتخذ غالبية هذه الأبحاث في الأقسام والتخصصات المختلفة بعداً عملياً. ولابد من اختيار أسلوب مناسب؛ بحيث يقوم كل من يريد أن ينشئ مجموعة للتحقيق بالتشاور مع إدارة الحوزة حتى تكون على علم بالأمر، وأن يعمل بإرشاداتها بصورة ملزمة، وأن تلقي نظرة شاملة على برامج التحقيق في الحوزة، بحيث تتخلص التحقيقات والأبحاث من الأعمال التكرارية والعديمة الجدوى والفائدة، حتى لا يذهب وقت الحوزة سدى؛ وهذا أمر ضروري جداً.

٤ـ ٧ـ أهمية إدارة الحوزة العلمية

لقد كانت هذه بعض المحاور التي وددت الحديث عنها فيما يخص واجبات الحوزة، والتي يتعلق أغلبها بالإدارة. وإنني أريد الاستفادة من هذه الفرصة فأقول: أيّها الأعزاء.. انظروا بجدّ واهتمام إلى قضية إدارة الحوزة، حيث إن البعض لا يعيرون أهمية لهذا الموضوع الجاد؛ فلو كان باستطاعة أحد المراجع العظام أن يأخذ على عاتقه مسؤولية إدارة الحوزة بصورة تنفيذية، فله الأولوية؛ لأن موضوع إدارة الحوزة على قدر كبير من الأهمية؛ فإذا تمكن أحد مراجع التقليد من التخلي عن كافة النشاطات المتعلقة بالمرجعية - من إفتاء، وإنجاز لمطالب المقلدين، وتدريس وغير ذلك - وصبّ كل اهتمامه على إدارة الحوزة فحسب، لكان قد نهض بالعبء الجسيم، فإدارة الحوزة أمر بالغ الأهمية. وعلى كل حال، فإن بعض الأعزاء يتحملون هذه المسؤولية الآن والحمد لله، فيجب على الجميع التعاون معهم حتى تنجز الإدارة أعمالها على ما ينبغي في طريقها نحو الأمام. وعلينا جميعاً أن نعرف قدر من تحملوا المسؤولية التنفيذية للحوزة العلمية وأن نجلّهم.

خامساً: نصائح وإرشادات

وأمّا القسم الخامس والأخير من حديثي فيختص ببعض النصائح والإرشادات لكم أيّها الأعزاء:

٥ـ ١ـ الجد في الدراسة:

أولاً: عليكم أن تكونوا جادّين في الدراسة، فلا تتركوا منهجاً من المناهج جانباً لما فيه من بعض العيوب، بل عليكم بمواصلة هذا المنهج بجد ومثابرة ما لم يتغير. ونصيحتي لكم قبل الفراغ من مرحلة السطوح، هي ألّا يُشغل الطلبة أنفسهم بأمر آخر قبل الانتهاء من السطح؛ فالدراسة قضية مهمة جداً، والعلم والمعرفة هما القاعدة الأساسية التي لا يمكن القيام بأيّ دور بدونها، أو بالأحرى عدم القيام بأيّ دور على الوجه الصحيح. إن القيام بدور بصورة خاطئة أشد ضرراً بكثير من عدم القيام بأيّ دور على الإطلاق.

٥ـ ٢ـ الحفاظ على الزي الديني:

ثانياً: الحفاظ على الزي الديني. فما هو هذا الزي؟ إن باستطاعتي تعريفه في جملتين: الزهد مع الكرامة، والنظم في الدراسة والحياة؛ فطالب العلم عليه أن يحيا حياة الزهد. ولاشك في أنني مندهش ومتألم جداً من الأوضاع المادية في الحوزة العلمية؛

فبعض ما يصلني، أحياناً، من أخبار حول المشاكل التي يعاني منها الكثير من الطلبة والفضلاء - أي المشكلات المادية - هو أمر مؤلم ومحزن للغاية، وهذا موضوع آخر لا بد من العثور على حل له في الحقيقة. إن طلاب العلوم الدينية اليوم يعانون من شظف العيش أكثر من كل طبقات المجتمع -بضمنها الموظفون والعمال وسواهم - وهذه حقيقة لا شك فيها، في حين أنهم يقومون بواحد من أعظم الأعمال وأشرفها. إنه لا يمكن الحكم على الظواهر كثيراً؛ فما كان يتمتع به طلاب العلوم الدينية من مناعة وعزة نفس وترفّع منذ الماضي، لا يدع مجالاً لمعرفة بواطن الأمور أمام السطحيين والذين يحكمون على الأشياء بظواهرها. إنني لا أريد الخلط بين هاتين المقولتين، إلّا أن ما أقوله الآن هو أن الطلبة - سواء منهم المستغني أم المحتاج- عليهم أن يحافظوا على زيّهم الديني؛ أي حالة الزهد والقناعة التي لا تنفك عن عزة النفس، فهذا هو الأمر الأول. وأما الثاني فهو النظم في الدراسة وبالتالي في الحياة، حيث إن النظم من مميزات طلبة العلوم الدينية.

٥ ـ ٣ـ التحلّي بالأخلاق الإسلامية:

ثالثاً: أما نصيحتي التالية لكم أيّها الأعزاء، فهي ضرورة معرفة الأخلاق الإسلامية - كبيراً وصغيراً وخصوصاً الشباب - وكذلك التحلي بالأخلاق. إن دروس الأخلاق تُلقى الآن في الحوزة ولحسن الحظ، ولكن اعلموا يا أعزائي أن دروس الأخلاق لا تفي بكل مسؤولياتنا في التخلق بالأخلاق الحسنة؛ فعلى كل منّا أن ينازع ما بداخله من رذائل ومثالب بقلبه وعمله، وأن يهتم بتهذيب نفسه بشكل متواصل. فاقرأوا دعاء (مكارم الأخلاق) الشريف -وهو الدعاء العشرون من أدعية الصحيفة السجادية- باستمرار، حتى تعرفوا ما هي الأمور التي سألها الإمام السجاد عليه السلام من الله -

تعالى- في هذا الدعاء. إننا نجهل الكثير من هذه الأدعية كفصل مهم من باب الأخلاق الحميدة. إن المفاهيم والمضامين الواردة في الدعاء الخامس من الصحيفة السجادية «**يا من لا تنقضي عجائب عظمته**»، والذي تقول بدايته: «**اللهم أغننا عن هبة الوهابين بهبتك، واكفنا وحشة القاطعين بصلتك**»، تعتبر كلها دروساً لنا. فلنتعرف كلمات الأئمة وأدعية الصحيفة السجادية، وهذه الأدوية الناجعة التي تشفي أدواءنا الأخلاقية، وتضمّد جراحنا وآلامنا. اعرفوا قدر الدعاء، والتوسل، والتضرع والتوجه إلى الله، وما يضفي به من نور على نفوسنا، وهذا كل شيء.

لقد كان إمامنا العظيم ـ كما سمعت من كبارنا ـ يتعبّد منذ شبابه في حرم السيدة المعصومة. وقد نقل إلينا المرحوم الميرزا جواد الطهراني في مشهد قبل الثورة بعدة سنوات، فقال: ذهبت إلى قم للدراسة في الحوزة، وكنت في كل يوم أذهب فيه إلى الحرم أرى وجهاً نورانياً، ورجلاً وقوراً، وشاباً نورانياً، وسيداً نورانياً، وقد غرق في العبادة، فانجذبت إلى نورانيته وتعبّده، وسألت عنه، فقالوا إنه الحاج السيد روح الله الخميني.

وكان هذا في ذلك الزمان عندما لم يكن إمامنا العظيم - هذه الشخصية البارزة - قد بلغ الثلاثين من عمره. نعم، فهذه هي نتائج تلك العبادات، والتوجهات، والارتباط والاتصال بمعدن نور الغيب الإلهي والأولياء الإلهيين. فاغتنموا هذه الاشراقات في قلوبكم الشابة وقدّروها حق قدرها.

٥ ـ ٤ ـ الثقة بالنفس علمياً وسياسياً:

رابعاً: أما نصيحتي الأخرى لكم أيّها الأعزاء، فهي أنه يجب عليكم أن تتمتعوا بالثقة الكاملة في النفس من الناحيتين العلمية

والسياسية. إن علمكم شيء ثمين جداً؛ لأنه علم كفيل بحل الكثير من معضلات البشرية. إن وعيكم السياسي وموقفكم السياسي، وكذلك وعيكم الفكري وموقفكم الفكري والعقائدي، لا بد وأن يكون بالشكل المؤثر في مختلف البيئات، بحيث لا يشعر الطالب الشاب بالتزعزع في مواجهة العواصف الفكرية المضادة، ولا يحس بالضعف أو الخشية. وإن عليكم باكتساب العزة والثقة بالنفس، والاعتماد على النفس، ولذلك مراحل لابد من المرور بها.

٥ ـ ٥ ـ الغيرة الدينية إلى جانب ضبط النفس:

خامساً: كما وأنصحكم بأمرين ـ يُشتبه بينهما أحياناً ـ فيما يخص القضايا السياسية، وهما:

أولاً: وكما نصح وينصح الكبار دائماً، ضرورة الغيرة الدينية؛ فلا تدعوا الغيرة الدينية تتلاشى من محيط الحوزة العلمية وأبنائها. وثانياً، ضبط النفس في القضايا السياسية. فلا ينبغي الخلط بين هذين الشيئين. إن البعض يشتاقون لأن يروا الحوزة العلمية بمن فيها في حالة من العصبية والاضطراب والتصرفات السياسية الهوجاء، فلا تدعوهم يحققون هذه الرغبة. وإن الحضور السياسي، والخُطابة السياسية، والمواقف السياسية، أمور جيدة وضرورية وتقتضيها الغيرة الدينية أحياناً، ولكن المرفوض هو التحرك الأهوج والمنفعل، الذي لا يمكن الدفاع عن مردوداته في موضع النقاش، فلا. ففرّقوا بين هذين الأمرين، واجعلوا دائماً حداً فاصلاً بينهما.

٥ ـ ٦ـ إفشال مؤامرة فصل الحوزة عن الجامعة:

سادساً: والنقطة التالية هي أنني أنصح الإخوة الأعزاء في الحوزة العلمية بإفشال مؤامرة التفرقة والنزاع بين الحوزة والجامعة؛ فاعتبروا الجامعة نظيراً علمياً لكم؛ لأن الجامعة نظير الحوزة، إلّا

أنكم تدرسون في فرع، ويدرس الآخرون في فرع آخر؛ فهاهنا مجمع علمي، وهناك مجمع علمي آخر هو الجامعة. لقد كانت مساعي العدو منصبّة دائماً على خلق الكراهية والعداوة والبغضاء بين الحوزة والجامعة، فلا تدعوا ذلك يتحقق. فإذا ما قام أربعة أفراد بحركة مرفوضة في أحد أركان الجامعة، فإن هذا يشبه ما يمكن أن يقوم به اثنان في ركن من أركان الحوزة من تصرف مرفوض أو خاطئ؛ فلا يمكن تعميم هذا ولا ذاك. وإنني أعني بالصلة بين الحوزة والجامعة تلك الصلة العاطفية الصرفة؛ وطبعاً، فإن الصلة العلمية والعملية يمكن تحقيقها بينهما بفضل المدراء، ولكنني أقتصر هنا على الصلة العاطفية.

٥ ـ ٧ ـ المرونة والتواضع في الصلة بالجماهير:

سابعاً: وأمّا نصيحتي الأخيرة، فتتعلق بالصلة بين طلابنا الأعزاء والشباب والفضلاء المحترمين، وبين الجماهير؛ فلا ينبغي تناسي المرونة والتواضع والمداراة، وفي الوقت نفسه التأثير والتبليغ والهداية مطلقاً، كأصل مهم في هذه الصلة. إن ميزة طلاب وفضلاء الحوزة العلمية هي قدرتهم على استمالة الناس، وجعلهم يتأثرون بكلامهم قاصدين الهداية والإرشاد؛ فإذا ما انعكس الأمر، جاءت النتيجة معكوسة. إن الكلام إذا لم يكن صحيحاً ولم تكن الفكرة صائبة، وكان التصرف متعالياً ومترفعاً وخشناً، فإن القلوب لن تميل إليكم ولن تُسلم العقول لكم قيادها. اليوم هو ذلك اليوم الذي تحتاج فيه الحوزة العلمية إلى استمالة الأفكار الأخرى إلى فكرها السامي والفكر الإسلامي الرفيع، كما تحتاج إلى استحصال رفقة الآخرين، وتعاونهم، ولفت أنظارهم إليها واستمالة قلوبهم.

اللهم إنّا نسألك بمحمد وآل محمد، أن يكون كل ما قلناه وما سمعناه خالصاً لوجهك، وفي سبيلك، وأن تتقبّله منّا. اللهم واجعل

نظامنا الإسلامي قوياً ومتماسكاً، وامنحه قدرة مواصلة طريقه الطبيعي والمنطقي والرشيد على خطى الأنبياء العظام. اللهم وبلّغ نظامنا الإسلامي هدفه العظيم في رفع قواعد الحضارة الإسلامية. اللهم انصر الإسلام والمسلمين في كل مكان، وادحر أعداءهم أجمعين. اللهم وتفضّل على حوزاتنا العلمية بما ينبغي لها من تطور علمي، وعملي، وسياسي واجتماعي. اللهم واحشر روح إمامنا العظيم الذي كان فاتح هذه السلسلة الكريمة والمباركة مع الأرواح الطاهرة للأنبياء والأولياء والشهداء، واحشر شهداءنا الأعزاء مع الرسول ﷺ. اللهم ووفّق طلابنا الشباب وفضلاءنا الشباب للقيام بالدور الرفيع والخلّاق في كافة الساحات والمجالات.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الفصل العاشر

التبليغ الإسلامي والدّعوة

في فكر الإمام الخامنئي

* مواصفات المبلِّغ (الدّاعية).
* محتوى التبليغ (الدّعوة).
* أسلوب التبليغ وأنماطه
* المجتمع المخاطب
* مؤسَّسة التبليغ
* التبليغ التقليدي

تمهيد

يعدّ التبليغ الديني من الشؤون الأساسية للحوزات، حيث نجد علماءً كباراً كانوا في صفوف مبلّغي الدين، ونهضوا بمسؤوليتهم في مجال التبليغ وإرشاد المجتمع.

وتتمتع الحوزات الشيعية بتاريخ مشرق على صعيد نشر المعارف الدينية في مختلف المجتمعات، لذا فهي تتميّز عن حوزات المذاهب الإسلامية الأخرى.

«إن ارتقاء المنبر والتحدث في أمر الدين من أشرف الأعمال، ويجب على أشرف الناس وأعلمهم، وأوعاهم بالقضايا الإسلامية، وأكثرهم عملاً بالأحكام الشرعية أن يسيروا في هذا الطريق ويعتبروه فخراً لهم، كما كان الأمر في السابق، فمثلاً كان الشيخ جعفر الشوشتري العالم الأخلاقي الكبير، صاحب منبر، وكان المرحوم الحاج السيد رضا الهمداني الواعظ، صاحب كتاب هدية النملة[1]، واعظاً وخطيباً دينياً. وهكذا كان ابنه السيد ميرزا محمد الهمداني الذي كان من العلماء، وكذا أمثالهم. ففي الماضي كانت الشخصيات

---

(١) كتاب «**هدية الملّة إلى مرجع الملّة**» كتبه السيد رضا الهمداني الواعظ في سامراء رداً على الشيخية وأهداه إلى المرجع الإمامي المعروف: السيد محمد حسن الشيرازي.

العلمية والوجوه المعروفة بالتقوى والتدين متصفة بهذه الصفة ومفتخرة بهذا الفن »[1].

قيمة التبليغ:

بدأ الدين الإسلامي المقدّس بالتبليغ، واعتمد في بسط نفوذه عامل الدعوة الذي مكّنه من الامتداد إلى أقصى مناطق العالم، فحصلت الكلمة الإلهية الطيّبة والشريعة المحمّدية الخالدة على مؤمنين ومسلمين من شرق العالم إلى غربه، ومن جميع الأعراق والألوان والأقوام، حتى أورقت شجرة الدين المبين.

«إن الدين الإسلامي هو دين التبليغ. صحيح أننا في الدين الإسلامي المقدّس لدينا جهاد من أجل تحقيق الأهداف الإلهية والإسلا مية، إلّا أن الأصل هو التبليغ والتبيين، فللجهاد فلسفة أخرى، الجهاد لمواجهة الطغاة والظلمة، ورفع موانع التبليغ، وانتشار نور الإسلام، ومتى ما غاب المانع، أو وجد ولم يمكن الجهاد، فإن السبيل الأساس للإسلام هو التبليغ... فلم يُقصَ التبليغ عن حياة المسلمين منذ ألف وأربعمئة عام.

لاحظوا، أن التبليغ للإسلام عمّ آفاق العالم، وحالياً كلما اتجهتم نحو المناطق الواقعة شرق إيران تجدون أغلب المسلمين قد أسلموا بالموعظة، والتبليغ والدعوة قبل السيف. ما الذي قاد الى إسلام كل هؤلاء المسلمين في الصين؟ من الذي دعا سكان ماليزيا، وأندونيسيا، والفليبين والمناطق التي يقطنها المسلمون إلى الإسلام؟ أكان التهديد بالسيف؟ لو كان لسيف السلطان محمد الغزنوي من تأثير، فإن تأثيره تجلّى في تحريض الناس ضد الإسلام.

---

(١) من خطاب له خلال لقائه علماء الدين والمبلّغين عشية شهر محرم في ٢٠/ ٤/ ١٣٧٠ هـ.ش.

إن سيوف المغول في الهند، وأكبر شاه، وجهانكير شاه، وأورنك زيب وأمثالهم، وهم معروفون والآن يتفاخر بعض بهم، كانت منشأ لظهور أعداء ألدّاء للمسلمين، ولقد أدّت سيوف المغوليين إلى ظهور السيخ في الهند. والسيف لا يجعل المرء مسلماً من أعماق قلبه. فمسلمو الهند لم يسلموا بالفتح الجهادي بل بالدعوة. انظروا ما يفعله الهنود عند قبور العرفاء الإيرانيين الذين كانوا في الهند؛ لأنهم من ثمار تبليغهم. لقد نهض فرد عارف، وعالم وواعظ روحاني، فرد مثلي ومثلكم، وتوجه إلى هناك، وكان فعله الوحيد أنه أعرض عن الأصدقاء والديار، ولم يخلد إلى الأرض، فجاهد نفسه، وذهب إلى منطقة في الهند وأقام فيها نحو أربعين أو خمسين عاماً، فأسلم عدد من الناس على يديه. هكذا انتشر الإسلام «يجلب بعضه بعضاً»، فإذا أسلم فرد قاد إلى إسلام مئة آخرين»[1].

إن الجهاد التبليغي هو المسؤولية الدائمة للحوزات الدينية، ويجب على العلماء بصفتهم رافعي راية التدين، أن يحملوا على عاتقهم راية الدعوة إلى الدين في الداخل والخارج، وأن يبذلوا قصارى جهدهم في التبليغ للدين عبر تبيين المبادئ والقيم الإسلامية وتثبيتها والدفاع عنها. وهذا تكليف مستمر يتأكد في الظروف الراهنة، فقد اتسعت دائرة الاحتياجات والتساؤلات والإشكالات، واشتد الظمأ الى منهل الإسلام العذب، وازدادت الآذان شوقاً لسماع تعاليمه. فاتساع مساحة المخاطَبين رسّخت مسؤولية الدعاة المبلّغين في الوقت الحاضر، وجعلتهم مسؤولين حيال الناس المتعطشين للمعارف الدينية.

«ألا يجب في الظروف الراهنة على الحوزة العلمية في قمّ أولاً،

(١) من خطاب له خلال لقائه بالمسؤولين في منظمة الإعلام الإسلامي في ٦/ ٢/ ١٣٧٢ هـ.ش.

وبعدها بقية الحوزات العلمية، حيث الأرضية مهيّأة لتبليغ الإسلام وصوتنا يصل إلى أقصى نقاط العالم، أن يتّسع عملنا التبليغي أكثر من السابق؟ فثمة فرق بين اليوم الذي كانت فيه دائرتنا التبليغية عبارة عن جلسة تضمّ خمسين أو مئة أو خمسمئة شخص في أبعد الحدود، وتنعقد في مسجد ويتحدث فيها عالم بصفته إمام جماعة أو خطيباً، وبين يومنا الحاضر حيث ينتظر الناس نشاطنا التبليغي في كل نواحي البلد والمجتمع.

كم يوجد من الشباب المتلهفين لمعرفة شيءٍ عن الدين! كم من الأفراد المتعلّمين وذوي الفهم الذين كانوا حتى الأمس منفصلين عملياً عن الدين والمعرفة الدينية، لكن الحكومة حضّتهم اليوم على فهم الدين والاتجاه إليه، هؤلاء يرغبون في أن يفهموا شيئاً عن الدين»[1].

من جهة أخرى، فإن عصرنا يشهد هجوماً إعلامياً قوياً على الإسلام والأفكار الشيعية النقيّة، ولعلّنا لا نجد حقبة في تاريخ المسلمين تماثل هذه الحقبة؛ حيث ضغوط وقدرات الثقافات المنافسة والمعادية متوجّهة إلى الفكر الإسلامي من كل جانب وبأساليب مختلفة، وهذا يعكس أهمية الدعوة ويعمّق الحاجة إلى نشاط المبلِّغين.

«ليست قيمة بعض الأشياء مطلقة ومتساوية في كل مكان، فمثلاً إن الماء الزلال الذي هو أساس الحياة الإنسانية، له قيمة وسط الصحراء، وقيمة أخرى قرب النهر؛ وكذلك التبليغ، فعندما تقل الحاجة إليه أو حينما يزداد عدد المبلّغين، فإن قيمته لا تكون كبيرة، إلّا أنها تزداد إذا ازدادت الحاجة إلى التبليغ وانخفض عدد المبلّغين.

(١) من خطاب له في بدء البحث الفقهي (مرحلة الخارج) بتاريخ ٢٩/٦/١٣٧١ هـ.ش.

ربّما يمكن القول: إننا نعيش في زمن تزداد فيه الحاجة الى التبليغ، لأن الإعلام المضاد للدين والإسلام، والذي تتحكّم فيه القدرات العالمية وتوظف فيه أحدث الأساليب والطرق، قد بلغ أقصاه»[1].

الغزو الثقافي:

إن الكيان الثقافي الإسلامي معرّض لمخاطر معقّدة وجادّة، وفي المواجهة الراهنة سيتحدد إمّا البقاء بعزّ، أو العيش على هامش الثقافات العالمية المنسوخة، وفي هذا السجال ستقرّر رفعة الإسلام والمسلمين، أو ديمومة الذلّ والانحطاط؛ فاليوم، تتجلى الحرب الصليبية الجديدة في الميدان الثقافي، فيما تظهر الأحقاد الصليبية الدفينة وكأنها تقيّحات الجروح.

الإمام الخامنئي من الروّاد الذين التفتوا الى هذه المخاطر، وحذّر من أبعادها مشدّداً على ضرورة مقاومتها. وقد تحدّث سماحته عام ١٩٨٤م لدى لقائه علماء أهل السنة في «**بندر تركمن**» عن هذه المعضلة، قائلاً:

«إحدى وظائفكم الأساسية أيها السادة -باعتباركم علماء دين- إعداد علماء دين مطّلعين وواعين.

قوموا بدعم المدارس الدينية، وزوّدوا طلابكم بالمعلومات الإسلامية القادرة على إقناع عقول الشباب، فجميع أعدائنا يستخدمون الثروات الطائلة، والتجارب الكثيرة، والعقول القوية لكتابة آلاف الكتب والمقالات -علاوة على ما كتبوه حتى الآن- من أجل إلقاء الشبهة حول الفكر الإسلامي لزعزعة إيمان الناس، وسيبثون

(١) من خطاب له خلال لقائه مبلّغي منظمة الإعلام الإسلامي، بتاريخ ٤/١١/ ١٣٧٢ هـ.ش.

آلاف الشبهات بينهم لتشويش أذهانهم. ترى، من الذي يجب عليه أن يحفظ إيمان الناس ويُسلح أذهانهم في خضم مواجهة هذا الغزو الثقافي؟ إنها وظيفة العلماء»[1].

ليس هذا الخطاب أول خطاب لسماحته بهذا الصدد، ولا الأخير، فهو ما انفك طوال العقدين الأخيرين يتحدّث عن حرب وصراع بين الإسلام والغرب في الميدان الثقافي، ويسلّط الضوء على أخطار الغزو الثقافي للقوى الاستكبارية، لافتاً نظر أهل الثقافة إلى هذا الخطر العظيم.

وفي خطاب آخر في السنة نفسها، قال سماحته:

«إن لم نقاوم الغزو الثقافي والعقائدي للاستكبار العالمي، فسنهزم قطعاً»[2].

وللأسف، لم تدرك أبعاد المأساة كما يجب، بالرغم من التحذيرات والإشارات المتكرّرة، ولم يتم التعامل معها بشكل جادّ، بل واجه هذا التعامل، أحياناً، التشكيكات والعراقيل، وجرى الحديث عن التبادل الثقافي وتأكيد ضرورة التحاور والتعامل. وفي هذه الأجواء الصاخبة غفلنا عن المهاجم المتربص بنا الدوائر، فظلّت مواقع المهاجم الثقافي مستورة، ويبدو أن الإقرار بوجود هجوم ثقافي سيتم بعد أن نجد أضراره قد لحقت بجميع أركان كياننا.

وقد حذّر سماحته مراراً. أصحاب الفهم المعوج، كما في النص الآتي:

---

(١) من خطاب له خلال لقائه علماء أهل السنة في بندر تركمن، بتاريخ ١٨/ ٢/ ١٣٦٣ هـ.ش.

(٢) من خطاب له خلال لقائه المسؤولين عن التثقيف العقائدي - السياسي في حرس الثورةالإسلامية، بتاريخ ٣/ ٣/ ١٣٦٣ هـ.ش.

«علينا وجميع المتصدين للشأن الثقافي في البلد، أن نعتقد بأننا مستهدفون ثقافياً من قبل أعدائنا»[١].

إن الغزو الثقافي المعادي يشدّد على قضية أن الشباب لا يؤمنون بالدين والنظام، فهو يحشِّد كل قواه في سبيل إضعاف الأصول والعقائد الدينية لهذا الجيل، واستلاب هويته الدينية والتاريخية:

«وإن الغزو الثقافي يهدف إلى استلاب الجيل الجديد عقائدياً، إنّه يرمي إلى إقصاء العقيدة الدينية وتغييب الأصول الثورية والفكر الفعال الذي يخشاه الاستكبار حالياً، والذي بات يعرّض نفوذ القوى الاستكبارية للخطر»[٢].

وأضاف سماحته:

«يسعى العدو في غزوه الثقافي الى بث شيء من ثقافته لهذا الشعب، ليثقفه على ما يريده، ومعلومٌ ما يريده العدو»[٣].

تسعى الثقافة الغازية في دفع المجتمع الى الرذيلة، وإلهائه بالأمور التافهة، وتصنع عوالم وهمية لتغرق أفراد المجتمع في مظاهرها الخادعة، وتغذّي نزعة الإخلاد إلى الراحة والافتتان بالجسد، وتفتح أبواب الفساد أمام الجيل الجديد متسترة بآلاف الأقنعة والحيل لتُوقع الأفواج في شباكها:

---

(١) من خطاب له خلال لقائه بأعضاء المجلس الأعلى للثورة الثقافية، بتاريخ ٢١/ ٩/ ١٣٦٨ هـ.ش. راجع: حديث الولاية (مجموعة إرشادات سماحة القائد) ج٣. ص ٤٤.

(٢) من خطاب له خلال لقائه العاملين في الحقل الإعلامي ورؤساء المناطق في وزارة التعليم والتربية، بتاريخ ٢٥/ ١٠/ ١٣٧٠ هـ.ش.

(٣) من خطاب له خلال لقائه العاملين في الحقل الإعلامي ورؤساء المناطق في وزارة التعليم والتربية، بتاريخ ٢٥/ ١٠/ ١٣٧٠ هـ.ش.

«يسعى العدو من خلال نشر الثقافة الخاطئة ثقافة الفساد والفحشاء، إلى أن يسلب شبابنا منا، وليس ما يفعله مع شبابنا على الصعيد الثقافي هجوماً ثقافياً، إنما هو غارة ،ونهب وقتل جماعي ثقافي، هذا ما يفعله العدو معنا اليوم»[1].

الغارة الثقافية تحدث بلا ضجيج، ولا تبدأ بقرع الطبول، ولا تكشف القوى المهاجمة عن وجهها الإجرامي، إنّما تتقدّم بظاهر وديع، وسلوك مؤدّب وخطوات متأنية؛ لتفتح جبهة الطرف الآخر بالكلمة والابتسامة، وليس بالصخب والعنف:

«في الوقت الحاضر تتحرك لحربنا جبهة ثقافية عظيمة كالسيل، وهي مدعومة بالسياسة، والصناعة، والمال وغير ذلك. والحرب ليست حرباً عسكرية، فلا يمكن الاستفادة من التعبئة العامة هنا، ومن خصائص آثارها أننا لا نعيها إلّا بعد أن نقع في أسرها، فهي كالقنبلة الكيمياوية لا صوت لها فلا نحسّ بها، فإذا سقطت قنبلة كيمياوية في منطقة معينة قد لا يحس بها أحد، ولكن بعد سبع أو ثمان ساعات ستحترق الوجوه والأيدي. وستشاهدون فجأة مؤشرات هذا الهجوم الإعلامي والثقافي في المدارس، والشوارع، والجبهات، والحوزات العلمية والجامعات، والآن تلاحظون شيئاً منه وسيزداد فيما بعد، ويتم إعداد أرضية لمثل هذا الهجوم عبر طبع الكتب وإنتاج أفلام الفيديو وتوزيعها داخل البلاد.. إن الهجوم بهذه الأبعاد يستهدف الإسلام والثورة ويستهدفنا»[2].

تتحرك الغارة الثقافية بهدوء كالريح المعتدلة لكنّها مسمومة،

---

(١) من خطاب له خلال لقائه بقادة السرايا في قوات التعبئة (البسيج). بتاريخ ٢٢/ ٤/ ١٣٧١ هـ.ش.

(٢) من خطاب له خلال لقائه ممثلي الفضلاء والطلبة في الحوزة العلمية في قم، بتاريخ ٧/ ٩/ ١٣٦٨ هـ.ش.

وهي لا تعترف بالحدود الجغرافية، وتجتازها لتصطدم مباشرة مع الأفراد فتسلخ هويتهم، وتضخ في أوصالهم أفكار الثقافة الأجنبية وأهواءها.

« الهجوم الثقافي مثل العمل الثقافي نفسه هادئ وبلا ضجيج»[1].

ولا ينفع الصخب والضجيج في مواجهة الهجوم الثقافي، فإشهار السلاح والصراخ يدلّان على السفاهة والبلاهة، والغضب وانتفاخ أوداج العنف يكشفان عن الضعف والذلّة.

في مواجهة الغارة الثقافية، لا بد من اعتماد سلاح مماثل، فالثقافة الأصيلة تفضح مساوئ الثقافة المزيفة، كما أن الأموال المزوّرة يكتشف زيفها لدى مقارنتها بالأموال الخالصة، وتظهر السجون الذهبية الدنيوية على حقيقتها، وتنكشف ضعتها ودناءتها في النظرة السماوية الجميلة:

«يمكن مواجهة الحرب الثقافية بالمعاملة بالمثل، والردّ على النشاط والهجوم الثقافي لا يتحقق بالبندقية، فالقلم هو البندقية. هنا»[2].

فرصة التبليغ:

لم تُلقَ على عاتق العلماء الشيعة مسؤولية التبليغ في أي زمان آخر كما هي حالياً. فالأخطار التي ذكرت سابقاً تقع أمام أنظارهم،

---

(١) من خطاب له خلال لقائه العاملين في الحقل الإعلامي ورؤساء المناطق في وزارة التعليم والتربية. بتاريخ ٢١/٥/١٣٧١ هـ.ش.

(٢) من خطاب له خلال لقائه ممثلي الأفاضل والطلبة في الحوزة العلمية في قم، بتاريخ ٧/٩/١٣٦٨ هـ.ش. راجع: حديث الولاية (مجموعة إرشادات سماحة القائد) ج٣. ص ٤٠ إلى ٤٤.

الأمر الذي يستدعي سعياً أكبر وتخطيطاً أدقّ وأشدّ فاعلية؛ فالعلماء باعتبارهم قادة الثقافة الدينية، مطلوب منهم اتخاذ موقف صلب، وبذل مساع حثيثة حيال الهجوم، وتقديم نتاج فكري والقيام بتوعية مناسبة وشاملة:

«ثمة هجوم ثقافي عظيم على الإسلام وليس له اتصال وثيق بالثورة، فهذا الهجوم أوسع من الثورة وضد الإسلام، إنه أمر عجيب واستثنائي أن يكون ضد الإسلام بجميع الأبعاد الثقافية، والاجتماعية والسياسية.. وحتى الإسلام بمعنى اعتقاد عوام الناس فإنه معرّض للهجوم، ناهيك عن الإسلام الثوري النزيه..

منذ القدم كان لديهم الاحساس حيال الإسلام، وهذا ناشئ عما شاهدوه من الإسلام.

بعد أن مضت مدةّ على قضية تحريم التبغ وقضايا مختلفة في الهند، وأفغانستان، وإيران، ومصر وبقية البلدان، غفل الاستكبار والاستعمار العالمي عن قدرة الإسلام وتراجع توجّسه منه، والسبب يكمن في أن التحرّك الإسلامي لم يكن بارزاً وأنهم غفلوا بعض الشيء.

وبعد عدّة عقود انتصرت ثورتنا، فأعيد طرح المعلومات والمعارف الاستعمارية، والملفات المؤرشفة، وانطلقت جهود تحقيقية جديدة، وانعقدت الندوات والجلسات في الغرب الرأسمالي والاستكباري، وظهرت نظريات متعددّة حول إعادة النظر في فهم الإسلام.

يوظِّف الاستكبار كل طاقاته لإدارة وضعه بمنهجية علمية، ويضبط تحركاته بالفكر ويستبق الأحداث العالمية، ليظل حاضراً في موقعه، لأنه يعلم أن أضراراً ستلحق به إذا أقصى الفكر ولم يخطّط للمستقبل وفَقَدَ المعلومات والأرقام.

فالاستكبار يمتلك أرقى وأفضل المؤسسات الفكرية، وهذه تفكّر وتخطط مسبقاً للقضايا الرأسمالية بعيدة المدى لتحقق أهدافها بعد خمسة عشر أو عشرين عاماً.

لقد أحاطت الثورة الإسلامية وبصورة مفاجئة، الوجود الغربي والعالم الرأسمالي ومنظومتهما القيمية بمجموعة من التشكيكات، بمعنى أنها هدّدت مستقبلهما وأحاطته بالغموض، لأن الثورة قامت على أساس الإسلام، ومن ثم يمكن أن تتحقق هذه الثورة في كل مكان للمسلمين علاوة على أنهم شاهدوا نماذج ذلك»[1].

إن هذه الرؤية تكشف بوضوح، الخلفيات المنطقية والتاريخية للهجمة الغربية على الثقافة الإسلامية، فقد انطلقت القوى الغربية من المبادئ المذكورة في هجومها الشامل ومن كل اتجاه، وبإزاء هذا الهجوم، ينبغي لمبلّغي الدين أن يهيّئوا طرق الدفاع، ويحرسوا المجتمع ويحفظوا ثقافتنا:

«لا شك في أن الوقوف بوجه هذا الهجوم يقتضي ميزانية وإمكانيات ودعم سياسي من الحكومة، لكن لماذا تهيّئ الحكومة الأموال وتقدّم الدعم؟ من الطبيعي لكي نتوفر على الفكر. ومن أين يتولّد الفكر؟من الحكومة أم من الحوزة؟»[2].

تتطلب الظروف الخاصة للغارة الثقافية للأعداء، نفيراً عاماً وجادّاً من جانب المؤسسة التبليغية للحوزة؛ لتكون كالجبل الراسخ أمام السيل العارم في دفاعها عن كيان ديانة الشعب وإيمانه.

---

(١) من خطاب له خلال لقائه فضلاء وطلاب من الحوزة العلمية - قم، بتاريخ ٧/٩/١٣٦٨هـ. ش.

(٢) من خطاب له خلال لقائه ممثلي الطلبة في الحوزة العلمية في قم في ٧/٩/١٣٦٨ هـ.ش. راجع: حديث الولاية (مجموعة إرشادات سماحة القائد) ج٣. ص ٤٠ إلى ٤٤.

هذا الأمر يمثّل جانباً من مسؤولية مبلِّغي الدين، وهناك موضوع آخر يضاف إلى الحقيقة السابقة، وهو الفرصة التبليغية المتوافرة لعلماء الدين.

فممّا لا ريب فيه أنّ علماء الدين لم تتوافر لهم على مدى تاريخهم، ظروف مناسبة للتبليغ الديني كما هي الآن، كما لم تتهيّأ لهم أبداً الإمكانيات، والدعم، والوسائل، والآذان الصاغية والقلوب المشتاقة كما هو الوضع حالياً:

«طوال التاريخ الإسلامي ذي الأربعة عشر قرناً، لم توجد حقبة توافرت خلالها لعلماء الدين فرصة لتبليغ الأحكام الإسلامية، لا في عصر الأئمة عليهم السلام ولا بعده، ولا في عهد الحكومات المؤيدة للفقه الحنفي والشافعي في إيران، ولا في أيام الملوك المؤيدين للفقه الجعفري في بلدنا، لم يجد العلماء في جميع العصور مثل الفرصة الموجودة اليوم»[١].

وفي نص آخر لسماحته أكد على هذه النعمة الإلهية بقوله:

«إخوتي الأعزاء! ثمة فرصة عظيمة أمام العلماء، فلم تتوافر طوال التاريخ بعد عصر الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله حتى اليوم مثل هذه الفرصة المتوافرة لدعاة الدين. فمتى وجد دعاة الدين مثل هذه الفرصة»[٢].

إن الفرصة والنعمة المتوافرتين ترسخان تكليف مبلِّغي الدين، وتقتضيان الاستفادة من كل آن ولحظة، والحضور الواسع في الميادين المختلفة، والتخطيط الدقيق للتبليغ:

---

(١) من خطاب له خلال لقائه علماء الدين في دامغان في ١٥/ ٤/ ١٣٦٧ هـ.ش.

(٢) من خطاب له خلال لقائه بعلماء الدين والوعّاظ عشية شهر رمضان بتاريخ ٢٢/ ١٢/ ١٣٦٩هـ.ش.

«إنها فرصة عظيمة وعزيزة، ويجب علينا اليوم باعتبارنا مبلِّغين للدين، أن نؤدي دوراً فاعلاً وخالداً، وسيحاسبنا الله -تعالى- على ذلك. إنها وظيفتنا، وعلينا أن نعد أنفسنا»(١).

الفرصة المتوافرة للتبليغ، تمثّل امتحاناً إلهياً للعلماء؛ لذا فإن جدارتهم وكفاءتهم باتت على المحك في هذه المرحلة من التاريخ، وسينظر الجيل القادم الى هذه الصفحة من التاريخ. وسيصدر حكمه بشأن هذه الفرصة الذهبية المتاحة للحوزة والعلماء، والله تعالى يرى اليوم عملهم. فإذا استفادوا من الفرصة الموجودة فسيعينهم بفرص مضاعفة، وإذ فرّطوا - لا سمح الله - بها فإنه تعالى سيحرمهم الفرصة الموجودة والفرص المقبلة:

«تقف الأوساط العلمية الشيعية، والحوزة العلمية وعلماء الدين الشيعة أمام امتحان تاريخي عظيم لا مثيل له، ولا يمكن تكراره، وليس له شبيه في الماضي، وهذه هي النعمة التي تجسّد مصداقاً للآية القرآنية الشريفة(٢): ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾(٣).

إن العلماء الذين يبلِّغون الدين يؤدون المهمة السامية للأنبياء ومن بينهم النبي الأكرمﷺ، وأداء حق هذه المهمة لا يأتي عبثاً ولا يتحقق بسهولة، إنما يتطلب استعداداً، وحتى الأمس القريب كانت تُلقى بعض المعاذير بسبب العراقيل والعقبات التي يولّدها قمع الجائرين وقهرهم، لكن اليوم، ارتفعت تلك المعاذير ولم يعد لها

---

(١) من خطاب له خلال لقائه بعلماء الدين والوعّاظ عشية شهر رمضان، بتاريخ ٢٢/١٢/١٣٦٩هـ.ش.

(٢) من خطاب له خلال لقائه علماء الدين في دامغان، بتاريخ ١٥/٤/١٣٦٧ هـ.ش.

(٣) سورة ابراهيم: الآية ٧.

مسوّغ، فقد فَتحت أبواب المراكزِ التربوية، والعسكرية، والنظامية، والإدارية، والمعتقلات و.. أمام المبلّغين:

«أيها السادة العلماء شيعة وسنة! يجب علينا، نحن العلماء، اليوم، أن نبرهن على قدرتنا على نشر الدين، فالتبليغ ليس قضية صغيرة ولا هي بالهزل، ليدّعي أيٌّ كان أنه داع للدين، ومبلّغ، وحامل ومفسّر له، فهذا الأمر يسير في الكلام لكنه صعب عسير في العمل.

من ألف عام ولعلماء الشيعة فقه مدوّن منظّم واستدلالي، والآن هو وقت النهوض بهذه الوظيفة إذا كنّا حقاً من رجالها، وأهلاً لها، وصادقين في حملها، لماذا؟ لأننا لم نمتلك في الماضي الميدان والمجال الكافيين للتحرك.

لقد سافرت في عهد الطاغوت إلى أغلب بلاد خراسان وكثير من بلاد إيران، وقد اتصلت بالعلماء في كل مكان زرته؛ أي أنني التقيت علماء كل مدينة ذهبت إليها وتعرّفت بهم، سواء كانت زيارتي لارتقاء المنبر أو لأمر غيره، وأنا أعرف أغلب العلماء المعروفين في عصرنا في أنحاء بلاد إيران كافة. كان هناك علماء وأفاضل لكن لم يكن لديهم تحرّك»[١].

الحافز والدافع التبليغي:

يجب على المبلّغ الديني أن يعتبر إرشاد المجتمع تكليفاً إلهياً له، وأن يتحملَ المشاق ولا يخشى ضآلة الإمكانيات، وأن يؤدي مسؤوليته بكامل قدراته.

ولا ينبغي للطلبة اعتبار الظروف المؤاتية شرطاً للانطلاق في التبليغ، فإن هذا الأمر لا ينسجم مع التكليف والشوق والرغبة، ولا

(١) من خطاب له خلال لقائه علماء الدين في بيرجند، بتاريخ ٣/ ١/ ١٣٦٦هـ.ش.

يتناسب مع السنّة التاريخية للتبليغ الحوزوي. فالحوزة أدّت تكليفها في إرشاد الناس والإصلاح الديني في ظروف صعبة دائماً، لكن ذلك لم يثنها عن المضيّ في مهمّتها:

«كنا في السابق نرتقي المنبر بصعوبة ومشقّة... في مشهد، حوّل أحد الكسبة بفضل الله متجراً الى مسجد، فاتخذناه مسجداً لنا. هذا المتجر الصغير صار محوراً ومركزاً للتبليغ الديني ولكل الأفكار الجديدة في مشهد، فيمكن القيام بمثل هذه الأعمال، لنتوجه ونستند قليلاً إلى المعنويات، إلى أنفسنا، إلى استعداداتنا الذاتية وإلى الأمور التي في داخلنا، لنفجّر طاقاتنا الكامنة»[1].

يجب أن لا يأخذ تبليغ العلماء مواصفات وأطر الوظيفة الإدارية، فلا يتم إلّا بقرار يتسلسل نزولاً عبر عدد من المواقع الإدارية، فلا بد للتبليغ الديني من أن ينطلق من الشعور بالمسؤولية، فالمبلِّغ المخلص يتنازل عن كثير من حقوقه وحاجاته،ويقدّم وجوده على طبق الإخلاص لله -تعالى- في تجارة مربحة، وهو ينفق عمره في خدمة التبليغ:

«إن دافعنا الدائم، نحن الطلبة هو السعي لأداء التكليف، فعالم الطلبة يختلف عن شكل الأجهزة الإدارية ومحتواها وآلياتها.

فتارة قد يستخدم المرء لطهي طعام في وليمة، ومن الطبيعي أن يطالب بكمية كبيرة من الزيت واللحم، ونوعية مفضّلة من الرز، وقائمة طويلة بمواد أخرى، ومعلوم أن عدم تلبية طلباتهم سيعرقل عملهم ومن ثم لن يقوموا بالمطلوب.

وتارة قد تكونون بين جماعة مثل أفراد الأسرة أو أصدقائكم،

---

(١) من خطاب له خلال لقائه المسؤولين في منظمة الإعلام الإسلامي، بتاريخ ٦/ ٢/ ١٣٧٢ هـ.ش.

والمثال البارز العام هو جبهة الحرب؛ فافترضوا مثلاً، أن زملاءكم شعروا بالجوع وكنتم في منطقة نائية، وأنتم تجيدون الطهي، في هذا الحال تتلاشى القيود والشروط، وتندفعون بمحض إرادتكم ورغبتكم وبكل قوتكم وقدرتكم لإعداد الطعام، وأحياناً يكون هذا الطعام ألذّ من غيره؛ لأنه ثمرة الرغبة الصادقة، والمحبة وحس المسؤولية. نحن الطلبة كان عملنا هكذا منذ البداية،فعندما كنا نذهب للخطابة في مكان ما، كان ذهابنا، أحياناً، بناءً على دعوة وجّهت إلينا، وأحياناً من دون أية دعوة، وهذا هو الغالب، فكانت غايتنا توصيل الموضوع الذي طالعناه وأعددناه الى الناس»[١].

حقيقة التبليغ الديني:

ثمة فاصل كبير بين التبليغ الديني وبين التبليغ المتداول في العالم؛ فالتبليغ في الثقافة، والسياسة والاقتصاد على المستوى العالمي، يعني تحجيم الحقيقة، وأحياناً تغييب بعضها وإظهار بعضها الآخر، وفي بعض الموارد تشويه الحقائق وتزييفها؛ لذلك، فإن التبليغ الديني يختلف كثيراً عن هذه الأمور، فالدعوة المطلوبة لا تضع مساحيق التجميل على صورة الدين، وإنّما تعرضها بجمالها الطبيعي!

«التبليغ الديني لا يجزّىء الحقيقة وإنّما يكشفها كاملة، ولو لم يستسِغها المخاطَب. التبليغ الديني يبين الحقيقة كما هي من دون زيادة أو نقصان، وبعيداً عن الأهواء والرغبات. وبكلمة أخرى: إن المبلّغ الديني يؤدي الشهادة مثل الشاهد الصادق، فيكشف عن الحقيقة ويضعها أمام الأنظار.

---

(١) من خطاب له خلال لقائه مسؤولي في منظمة الإعلام الإسلامي، بتاريخ ٥/ ١٢/ ١٣٧٠ هـ.ش.

التبليغ في الاصطلاح المعاصر يعني استقطاب اهتمام الناس نحو شيء معيّن من دون الأخذ بالاعتبار ما يحمله هذا الشيء من الحقيقة.

والتبليغ في اصطلاحنا هو التبليغ القرآني، يعني توصيل الحقيقة إلى أذهان الناس وإخراجهم من الجهل ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾[1]. فمن الظلم أن المرء لا يؤدي الشهادة التي يمتلكها»[2].

وقال سماحته في خطاب آخر:

«إن التبليغ والإعلام في العرف العامّ عبارة عن جذب الأنظار نحو شيء ما، هذا هو مفهوم الإعلام في عالم اليوم؛ أي تصوير شيء غير موجود على أنه موجود، أو تضخيم الموجود مئات وآلاف أضعاف حقيقته وعرضه بشكل مزيف. لكن ماهية عملنا غير ذلك، فنحن لدينا حقيقة وضّاءة اسمها التوحيد والإسلام، وقد حجبتها سُحب الجهل والعداء، والتبليغ يعني توصيل تلك الحقيقة إلى أذهان الناس وعقولهم»[3].

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٤٠.

(٢) من خطاب له خلال لقائه مبلّغي الحزب الجمهوري الإسلامي، بتاريخ ١/ ٤/ ١٣٦١ هـ.ش.

(٣) من خطاب له خلال لقائه أعضاء المكتب الإعلامي الإسلامي في الحوزة العلمية في قم. بتاريخ ١١/ ١/ ١٣٦١هـ.ش.

مواصفات المبلّغ

على المبلّغ الديني أن يتحلّى بالفضائل ليكون بمقدوره القيام بوظيفة الأنبياء، فيجتذب القلوب ببيانه، ويحرِّك النفوس، ويقود المجتمع نحو الصلاح، ومن الشرائط المطلوبة في المبلّغ:

١ـ التزكية والتهذيب:

على المبلِّغ أن يتّصف بالفضائل ومكارم الأخلاق، وأن تصدق أفعالُه أقوالَه.

فالمخاطَب يأخذ بالاعتبار شخصية المبلّغ، ويراقب بدقة أفعاله وسلوكياته، ويتمعّن بعمق في أبعاده النفسية، فيهتم بأقواله بالمقدار الذي يثق فيه بشخصيته، ويكنّ احتراماً له بالشكل الذي يتناسب مع حجم نفوذه في روحه:

«إذا لم يهذّب المبلّغ نفسه ويصلحها، لم يقدر على إصلاح غيره. وإن لم يؤمن المرء بما يقول ويعمل به، صادقاً، فإن أقواله لاتؤثر في الآخرين. تتذكرون في أيام الثورة كيف كانت التصريحات والخطابات، المتصلة بالثورة، تصل إلى أعماق النفوس، ترى ما هو السبب؟ السبب يكمن في أن الذين أطلقوا تلك التصريحات، أطلقوها من أعماق قلوبهم وبإيمان كامل بها وكانوا عاملين بها. كانوا إذا طلبوا من الناس أن يقولوا شيئاً، سبقوهم إلى قوله. وإذا

دعوا الناس الى الالتحاق بالجبهات سبقوهم باللحاق بها... كانوا لا يوصون الناس ولا يأمرونهم بأمر إلّا وكانوا قد فعلوه سلفاً. لهذاكانت أقوالهم نابعة من القلب ولا جرم أنها تستقر في القلب وتؤثر فيه.

كانت الأقوال والتصريحات كثيرة، لكن الذي أثر منها في القلب وترسخ فيه هو ماكان مطلقه معتقداً وعاملاً به»[1].

٢ـ الإخلاص:

يفتح المبلِّغ بخلوص نيته آفاقاً رحبة لنشاطه، ويوجد لسعيه أبعاداً لم تكن في الحسبان. إذ يتمايز التبليغ الديني عن غيره من أنواع التبليغ المعروفة، في أن التبليغ الدنيوي والمادي يرتبط بالعلم والتقنية وحسب، فتلعب المهارات التبليغية والفنون المختلفة دوراً أساسياً، وتضمن معطيات العلوم، كعلم النفس وعلم الاجتماع و... للخطاب التبليغي امتداداته.

في هذا النوع من التبليغ لا تظهر نية الفاعل بوضوح، بينما تقوم النيّة الخالصة بدور جليّ في التبليغ الديني؛ لأنه في سبيل دين الله؛ إذ ينزل العون والعناية الإلهية على المبلّغ الديني الذي يتحرك في أوساط المجتمع لدعوته وهدايته.

فالإخلاص في النيّة يفضي إلى أن تقوم جميع القوى المسخّرة للإرادة الإلهية في خدمة المبلّغ، فتُهيّأ مساحات جديدة لتحركه، وتلين القلوب وتنقاد النفوس لمبادئه وخطاباته، وتنسجم أفواج كثيرة من الناس مع أهدافه ودعوته.

ويُعتبر الإمام الخميني -رضوان الله عليه- أروع مصداق

---

(١) من خطاب له خلال لقائه مبلّغي الحزب الجمهوري الإسلامي، بتاريخ ١/ ٤/ ١٣٦١ هـ.ش.

معاصر لهذه المقولة. فقد استطاع هذا العظيم، وفي ظلّ النية الصافية والإخلاص الشديد، أن يستقطب القلوب بشكل لا نجد له مثيلاً في التاريخ المعاصر.

وقد أشار سماحة الإمام الخامنئي إلى هذه الحقيقة الكبيرة بقوله:

«ومن دون الإخلاص لا يستقر أي عمل. في اليوم الثالث أو السابع من وفاة الإمام الخميني قدس سره، وربّما في أربعينيته أيضاً، ذهبت بالطائرة المروحية الى مرقده -رضوان الله عليه- حيث كان في منطقة جرداء نائية، فرأيت، من الجو، فجأة وسط تلك المنطقة قبة وبناءً والناس يطوفون حوله كالجراد، وقد أثّر هذا المشهد كثيراً في نفسي، وقلت: إلهي، ما أسرع ما كافأت هذا الإخلاص، فالله يؤجل ما لليوم الى غد، فلم يستقطب الناس كالمغناطيس، شيء إلّا إخلاص الإمام -قدس سره-، فحقاً لا يمكن إنجاز أي عمل دون الإخلاص»[1].

٣ ـ المعلومات اللازمة:

من النقاط الأخرى التي يجدر بالمبلّغ أن يتصف بها قبل حضوره التبليغي في أوساط المجتمع، العلم المتناسب مع المستوى التبليغي.

فالمجتمع يتوقّع من المبلّغ أن يتمتّع بمعلومات ووعي ينسجم مع مستواه التبليغي، ليجيب عن أسئلة مخاطَبيه ويتمكّن من إقناعهم وإثرائهم.

ولا يحرز المبلّغ الأمّي أو صاحب المستوى المتدنّي مركزاً

---

(١) من خطاب له خلال لقائه الهيئة الإدارية في مكتب الإعلام الإسلامي في الحوزة العلمية في قم. بتاريخ ١٠/ ٧/ ١٣٧٤هـ.ش.

مرموقاً على المدى الطويل في المجتمع الذي يخاطبه، ولو كان ماهراً في فنون التبليغ. فالناس وبخاصة في وقتنا الحاضر، الذي يمتاز بارتفاع مستوى الوعي، يكتشفون خواءه العلمي، من ثم لا يعيرون اهتماماً لكلامه ولا لشخصيته.

وعليه، يجدر بالمبلّغ الديني أن يكون عالماً وأن يحمل معلومات تتناسب مع مستواه التبليغي (ابتدائية، ثانوية، جامعة، مراكز شعبية، مقرّات عسكرية و...)، ثم ينطلق للتبليغ:

«على المبلّغ أن يتوفر على وعي وأفق ديني رحب ومتنوّع، وأن يأنس بالقرآن، ويتمعّن بعمق بالأحاديث، ويطلع على الأفكار الجديدة المتصلة بالمذهب والدين، ويكون من أهل البحث في القضايا والأفكار الدينية، وأن لا يقتصر على معرفة الدين فقط، بل يطّلع إلى جوار ذلك على بعض الأفكار الفلسفية والرؤى الاجتماعية»[1].

٤ ـ الزهد ومعايشة الناس:

على المبلّغ الديني أن يعيش في أوساط الناس -كما فعل الأنبياء عليهم السلام-. ومثلهم، ويتجنّب حياة الترف والبذخ بل يعيش حياة بسيطة لا تختلف عن مستوى حياة مخاطَبيه. فإن المبلّغ المترف تواجهه مردودات سلبية تصل إلى نتائج معكوسة، تجعل المجتمع يبتعد عن التدين والمتدينين، وتجرّه إلى الاستهزاء بالدين. وتجربة الغرب شاهد على ذلك، إذ كانت حياة زعماء الكنيسة حياة بذخ وترف، فحدثت فجوة بينهم وبين الناس العاديين، ثم اتسعت تدريجياً لتنهار جسور الثقة بين المجتمع الغربي وبين الكنيسة

---

(١) من خطاب له خلال لقائه علماء الدين عشية شهر محرّم، بتاريخ ٢٠/ ٤/ ١٣٧٠ هـ.ش.

ومبلّغي الديانة المسيحية، ثم تحوّل المجتمع الغربي المتدين في القرون الوسطى الى مجتمع علماني بعيد عن الدين.

يذكر أن المبلّغين المسيحيين في الغرب كانوا يعيشون في المنطقة التي يسكنها الوجهاء، بل إن القسيس كان يعتبر من طبقة أشراف القرية، والأسقف من طبقة نبلاء المنطقة، والكاردينال من أعيان البلد.

ولقد تحقّق للمبلّغين الشيعة نفوذهم في ظلّ قربهم من الناس وزهدهم؛ إذ عاشوا في القرى والمدن حياة لا تختلف عن حياة الناس وشاركوهم آلامهم وآمالهم، بل اقتربوا من الناس حتى كأنهم صاروا أعضاء في أسرهم.

يجب الإبقاء على هذه الخصيصة، فلا يمكن لمبلّغي الدين أن يؤثروا في الناس إلّا إذا تحدّثوا بلسانهم وإلى جانبهم، أمّا مخاطَبة الناس من البروج العاجية فإنه لا يؤثر في القلوب، بل تكون له نتائج معكوسة، وينشأ، تدريجاً جدار حديديٌ حول القلوب ليحرمها من الاستماع إلى الخطاب الديني:

«يجب على المبلّغين الذين نرسلهم الى هذه المنطقة أو تلك، أن يعيشوا مثل الناس وفي مستواهم، يعني إذا أرسلنا مبلّغاً فدخل المدينة الصغيرة بالطائرة المروحية فجأة لكي يلقي خطاباً فهذا لن تكون له فائدة... فهذا العالم الذي يدخل المدينة بالمروحية من هم مخاطَبوه؟ وكيف يريد أن يتحدث؟ وأي إيمان واطمئنان سيوجده في الناس؟ تارة يفعل ذلك أحد المسؤولين لوجود خطر يتهدده، وتارة يكون ذلك لضيق الوقت المناسب، وتارة لأسباب أخرى. وهذا يختلف باختلاف الظروف. ولكن نجد أحياناً، عالماً يستقل سيارة فاخرة تنقله الى المدينة التي يريد أن يلقي خطابه فيها، وعندما يهمّ بالنزول يفتح له السائق باب السيارة!. وللأسف تعوّد الحرس أيضاً

على هذه الممارسة. ما هي الضرورة لكل هذا؟ هذه ممارسات خاطئة، ولا أتصور أن فائدة إرسال هذا المبلّغ أكثر من فائدةعدم إرساله»[1].

٥ ـ الأدب والرحمة مع الخلق:

على المبلِّغ أن يمتلك أدباً ورحمة، فيلتزم بالآداب الاجتماعية في تعامله مع الناس، ويراعي حسن الخلق في سلوكه في أوساطهم، ويرشدهم الى الأخلاق الحميدة، فلا يخلق في نفوسهم أرضية لسوء الظن بالدين والمتدينين:

«خذوا في اعتباركم دائماً لدى قيامكم بالتعليم، الأخلاق، والأدب، والرحمة والمودّة. تعاملوا بطريقة تجعل تلميذكم يستشعر الرحمة فيكم، وفي هذه الصورة سيجد قول الحق مكانه المناسب له، فإن الله -تعالى- خاطب نبيّه، وهو المعلّم الأكبر وصاحب أقوى بيان من أول التاريخ إلى آخره، بقوله: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾[2]. هذا وكلام النبيﷺ كان صحيحاً ومحكماً، لكن صاحب هذا الكلام، الذي لا يوجد ما هو أكثر اتقاناً منه ، لو كان سيئ الخلق، لما قبل الناس كلامه»[3].

٦ ـ العقل والتدبير:

يجب أن يتصف المبلِّغ الديني بالتعقل، فيكتسب عقلاً اجتماعياً مناسباً، لتكون مواقفه حكيمة، وخطاباته رزينة لا تؤدي إلى

---

(١) من خطاب له خلال لقائه أعضاء مجلس الأعلى للإعلام، بتاريخ ١٥/١٢/١٣٦١ هـ.ش.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

(٣) من خطاب له خلال لقائه المسؤولين عن التثقيف العقائدي -السياسي في حرس الثورةالإسلامية، بتاريخ ٣/٣/١٣٦٣ هـ.ش.

استفزازات، وحزازات وانعدام للثقة، فيحفظ حرمة مركزه ويقوم بما يتناسب معه.

فانعدام التدبير، واللامبالاة عند المبلِّغ الديني تسفر عن خسارته لمنزلته ومركزه، فيهبط رصيده وتتراجع قدرة تأثيره، علاوة على أنه يضيف، أحياناً، معضلة على المعضلات التي يعاني منها المخاطَبون:

«إنّ الطالب الذي ترسلونه الى التبليغ هو مظهر «قم» فيجب أولاً: أن يكون حديثه متقناً، ولا بد من متابعة هذا الأمر والتشديد عليه. وثانياً: أن يتحلى بالأخلاق الفاضلة. وثالثاً: علاوة على الأخلاق الفاضلة، أن يكون صاحب عقل وتدبير. فإذا ذهب شخص، إلى منطقة ما، وكان عالماً ومتديناً، ولكن ليس متعقلاً، وقام هناك بممارسات غير منطقية، فإن مشاكل كثيرة ستترتب على ذلك.

ونلاحظ الآن الدور المهم للعقل في الفئات والطبقات الاجتماعية كافة، وقد لاحظتم في مستوى قضية اختيار الموظفين اللائقين؛ حيث أشار الإمام -قدس سره- إلى أن القائمين على الاختيار يجب أن يمتلكوا خصائص معينة منها العقل. ومع أنّ العقل من الشرائط العامة التي لا يمكن أداء أي تكليف من دونه، لكنه وضع هذا القيد ليكون القائمون به من المعروفين بالتعقّل والتدبير والنضوج، وعلى هذا الأساس يجب إرسال الطالب العاقل»(1).

إن العقل والتدبير الاجتماعي مركّب من عناية إلهية وسعي اكتسابي، والأخير يتحقق بالدراسة، وإدراك الواقع، وتأثيرات الظروف الخاصة للمجتمع والبيئة و... فيمكن للطالب في ضوء ذلك أن يتوفر على الشرائط المطلوبة، ليتعامل مع المخاطَبين بأفق مفتوح ويتجاوز الأخطاء:

---

(١) من خطاب له خلال لقائه الهيئة الإدارية في مكتب الإعلام الإسلامي في الحوزة العلمية في قم. بتاريخ ٥/ ١٢/ ١٣٦١هـ.ش.

«أحياناً يتمتع الطلبة بذهنية وعقلية ممتازة، لكن عدم معرفتهم بالمجتمع، وطموحاته وتطلعاته توقعهم في أخطاء وممارسات غير سليمة؛ لذلك، فإن من المستحسن إقامة دورات لتعريف الطلبة بتطلّعات المجتمع. وعلى الطلبة أن يعرفوا قدر أنفسهم كما هو، لا أكثر من ذلك ولا أقل»[1].

٧ ـ الجد والاجتهاد:

يستدعي التبليغ الديني استقامة وجداً،فالمبلّغ الديني لا يخشى المشاكل والعقبات ولا يستسلم للصعاب، فيطوي مسيره الإلهي بكلّ قوّة وقدرة، لا يريد في ذلك إلّا وجهه تعالى.

ولا يبغي المبلّغ الديني الشهرة والجاه وإنما أداء التكليف، فيتوجه إلى أي مكان يحسب أن وجوده فيه مفيد، من دون أن يستهدف في حركته رضى جهة أو شخصية، ولا يهتم بمنصب، أو مقام، أو منطقة كبيرة أو صغيرة، أو لقب أو عنوان، وهو مسرور بالقيام بواجبه وفي انطلاقه فيه من هذه النية المباركة:

«عندما نؤدي وظيفتنا في مؤسسة معينة، يجب أن نكون جادّين دائماً في أدائنا، وأن نهتم كثيراً بعملنا، ولا ينبغي لنا أن تراودنا أفكار من قبيل أننا نعمل في المدينة المعينة منذ سنوات، فماذا تحقق في الجبهة -مثلاً- يطلب من أحدهم القيام بنقل المصابين، ومن الآخر الرمي بقاذفة الـ (آر. بي. جي)، ومن الثالث رصد تحركات العدو، وعليه، فإن لكل امرئ عمله، وإذا لم يؤدّ كل فرد دوره لانهارت الجبهة، فلا يصح رفض العمل المطلوب منّا القيام به، فحمل المصابين لا يقلّ أهمية عن الرمي بالقاذفة. أينما كنتم في الجمهورية

---

(١) المصدر نفسه.

الإسلامية اعتبروا موقعكم مركز العالم، واعلموا أن جميع الأعمال متعلّقة بكم»[1].

المبلّغ الديني لا يستصغر عمله سواء كان في منطقة صغيرة أم كبيرة، فلا يقنع بالأهداف الجزئية والضئيلة، بل عليه أن ينظّم نشاطاته وفق مبادئه العليا وفي الآفاق المفتوحة، ويجتهد في أن يكون لخطابه أبلغ الأثر في نفوس مخاطَبيه.

ويهتم المبلّغ الديني بالتبليغ ويصرف عمره في سبيل هدفه السامي وهو رضاه تعالى، فيما لا يجتمع التبليغ والعبثية، ولا يتحقق التبليغ في الإطارات الإدارية:

«الأول: اطلبوا المعالي، ولا تقنعوا بالقليل والمتوسط، إن كنتم من أهل الفكر والإبداع الفكري والتنظيري فيها، وإن لم تكونوا كذلك فاعكفوا على قراءة الكتب وحفظها.

الثاني: اختيار الوسائل المناسبة والاستفادة منها بذوق جيد وإبداع للواقع وانطباق عليه.

الثالث: الاستناد الى الهمّة والإيمان والإرادة، يعني عدم التعب»[2].

(١) من خطاب له خلال لقائه المسؤولين في منظمة الإعلام الإسلامي، بتاريخ ١/ ١٢/ ١٣٧٠ هـ.ش.

(٢) المصدر نفسه.

محتوى التبليغ

إن تبليغ الدين عمل جاد وحسّاس كالصراط؛ حيث يقود أدنى انحراف إلى نتائج معكوسة، فيرسل المخاطَب إلى النار بدلاً من الجنة، ويجعله ينفر من الدين بدلاً من أن يحبّب الله والدين إليه، ويزرع فيه الأحقاد واللامبالاة تجاه الدين.

لذلك ينبغي للمبلِّغ أن لا يسطّح عمله، فينظر إليه كما ينظر الى النشاطات العادية ليبقى غريباً عنه. وفي هذا الإطار نشير إلى بعض النقاط الضرورية:

١ـ الكلام المتقن:

يجب أن لا يكون المضمون التبليغي ضعيفاً وركيكاً؛ بحيث ينهار بأدنى انتقاد، ويمكن أن يكون محتوى الكلام سهلاً لكن يجب أن يكون متقناً:

«ليكن عملكم محكماً منذ البداية، يعني سواء كنتم معلّمين أو متعلّمين، لا تنطقوا بكلام واهن، ولا تعربوا عن رأي ضعيف، ولا تعتمدوا استدلالاً خاوياً. وحتى في المستويات المنخفضة، علينا أن نعلّم الشخص المنطِق الصحيح الذي يظلّ في ذهنه مقبولاً حتى لو قوي عقله، ونضج بالتجارب، واتسع بالمعلومات، فلا نقوم بتعليم المرء في الصف الأول كلاماً لا يقبله في الصف الخامس، فاثنان زائد

اثنان يساوي أربعة، هذا الأمر تعلّمونه في الصف الأول والثاني أيضاً، هذا ما تعلّمونه للطفل، وبعد عشرين سنة تظل النتيجة واحدة لهذا الشخص. كل ما في الأمر أننا في الصف الثاني نثبت له النتيجة باستدلال معين، وعندما يرتقي فيه المراحل الرياضية العليا نبرهن له نفس الحقيقة ونفس النتيجة ببرهان آخر.

وهكذا يجب تعليم معنى التوحيد، والنبي، والإسلام، والقرآن، والدين، والقيم الإنسانية والأهداف الدينية، وبالطبع قد لا نستطيع تقديم دليل بسيط وواضح عن كثير من المفاهيم والمعارف الإسلامية للعقول الابتدائية»[1].

وفي جميع أشكال التبليغ الديني، هناك ضرورة ملحّة، لإتقان الكلام وإحكامه. فالبلاغ الديني سواء كان على شكل خطابة، أو كتاب، أو صحيفة، أو فيلم أو... يجب أن لا يكون ضعيفاً وخاوياً:

«لنلتفت إلى أن ما نقوله يجب أن يكون صحيحاً وقابلاً للدفاع عنه وإثباته، وينسحب ذلك على القضايا السياسية والقضايا الإسلامية، وكذا على الفيلم، والمسرحية، والشعر، والخطابة، والدرس العقائدي وبقية الأمور»[2].

الموضوعات الخاوية لا تفيد المجتمع ولو كانت جذّابة على المدى القصير، فالذهن الخلّاق للمجتمع لن يبقى راكداً وساكناً، وفي نهاية المطاف سيلتفت أفراد المجتمع الى المضمون غير المنطقي لهذه الموضوعات، ثم يبيّنون ذلك للآخرين، وفي هذا الحال تفقد الجاذبية الأولى قدرتها ولن تتحقق الفائدة المرجوة:

---

(١) من خطاب له خلال لقائه طالبات المدرسة العلمية في «**مسجد سليمان**»، بتاريخ ٤/٦/١٣٦١هـ.ش.

(٢) من خطاب له خلال لقائه أعضاء المجلس الأعلى للإعلام، بتاريخ ٢٤/١٢/١٣٦١ هـ.ش.

«الاستدلال الضعيف القابل للنقد، بمعنى أنّ عدم تصوير الواقع كما هو، من الأمور التي تلحق ضرراً بالمرء على المدى البعيد. بالطبع له جاذبيته للوهلة الأولى، ولكننا لسنا في مرحلة نعمل فيها على المستوى القريب، فنحن في مرحلة تقتضي تخطيطاً وعملاً على المدى البعيد»[1].

ينبغي للمبلِّغ عندما يتحدّث مع عامة الناس أن لا يكون حديثه عامياً، فيلقي من الكلام ما يريد من دون ضابطة، بذريعة أن المخاطَب أمّي أو شبه أمّي، وعليه في مثل هذه الأوساط أن يعتمد خطاباً بسيطاً، ففن التبليغ يتطلب منه أن لا يخطّط بين الكلام البسيط وبين التفكير السطحي:

«لا إشكال في توجيه خطاب بسيط إذا كان المستمع من العامة ومستواه منخفضاً، لكن بساطة الحديث لا تعني الخطأ في الحديث»[2].

ينبغي للمبلِّغ الديني أن لا يجعل الدين غطاءً لمنطقه أو خطابه الخاوي، وإن كانت العوام تستحسن ذلك المنطق أو الخطاب، كما ينبغي للمبلِّغ الديني أن لا يخضع خطابه لمذاق مخاطَبه ومزاجه:

«اجتنبوا الكلام الضعيف والمعلومات المظنونة في القضايا الدينية، فلو كانت الفضاءات الذهنية لعوام الناس تتقبّل أمراً ما، لكنه غير صحيح، فإياكم والخضوع لتلك الفضاءات، فتطلقون تصريحات خاوية تحت غطاء الرأي الديني»[3].

---

(١) من خطاب له خلال لقائه أعضاء مجلس الأعلى للإعلام، بتاريخ ٢٤/١٢/ ١٣٦١ هـ.ش.

(٢) من خطاب له خلال لقائه مسؤولي التثقيف العقائدي - السياسي لحرس الثورة الإسلامية، بتاريخ ٣/٣/١٣٦٣ هـ.ش.

(٣) المصدر نفسه.

لقد ضاعف إتقان المضمون التبليغي وإحكامه، التكليف. ففي الظروف الراهنة التي يراقب فيها الأجانب أوساط العلماء الشيعة ويتربصون بهم الدوائر، فإذا صدر منهم أي كلام خاوٍ استخدموه دليلاً ضدّهم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يتعرّض مخاطَبونا لهجوم ثقافي من قبل الأعداء، فأيّ ضعف وتراجع في مضمون الخطاب التبليغي الديني تترتّب عليه نتائج إيجابية للأعداء ونجاح هجومهم الثقافي:

«إن من يمارس الخطاب الديني اليوم عليه مراعاة بعض الأمور منها:

أولاً، إحكام الخطاب وإتقانه، فالتصريحات والخطابات توضع اليوم تحت مجهر الأعداء، وتتعرّض أذهان وأفكار مخاطَبينا لهجوم الأعداء، فعلينا أن نحذّر كثيراً، حتى لو خاطبنا الأطفال فليكن خطابنا صحيحاً وقوياً ومبرهناً»[1].

ويتحقق الإتقان في التبليغ في ظل التفرّغ والمطالعة، ففي أيّ مستوىً من العلم والفضل كان عليه المبلِّغ، يجدر به أن يخصّص وقتاً مناسباً لتأهيل نفسه في مجال إحكام الخطاب وإتقانه:

«ارتقاء المنبر يستدعي المطالعة، والمنبر من دون مطالعة معناه أننا نطرح على الناس همّنا وغمّنا، الأمر الذي يستبطن أننا لا نهتم بالناس»[2].

على المبلِّغ الديني أن يهتم بكيفية تبليغه، فالإكثار يمنعه من إتقان الكلام... ليجعل التفرّغ للمطالعة والبحث أصلاً في نشاطه،

---

(١) من خطاب له في جمع من علماء الدين في محافظة **«جهار محال وبختياري»**، بتاريخ ١٥/ ٧/ ١٣٧١هـ.ش.

(٢) من خطاب له خلال لقائه المسؤولين في منظمة الإعلام الإسلامي، بتاريخ ١٥/ ١٢/ ١٣٧٠ هـ.ش.

ولو انعكس ذلك سلباً على عدد الخطب أو المؤلفات:

«لتكن الأقوال والتصريحات علمية، اجتنبوا الهزيل من القول، ولا ترتقوا المنبر من دون مطالعة، اطّلعوا على آخر وأفضل الأقوال المتعلقة بالقضايا الإسلامية. وقد يسفر ذلك عن تقليل خطاباتنا، لكن لا إشكال في ذلك، فهذه الوظيفة تحتم على المرء لكي يتحدّث جيّداً، أن يقلّل كلامه»[1].

٢ـ الإقناع على المدى الطويل:

يجب أن لا تتلاشى تأثيرات التبليغ الديني بسرعة، كمن يحدث فقاعات على سطح الماء لا تلبث أن تختفي.

فعلى المبلِّغ الديني أن يسعى لإطالة مدى تأثيرات عمله أو يجعلها باقية، فيستوعب عقل المخاطَب وقلبه، ويصوغ - استدلالياً - قناعاته، لا أن يصوغها بشكل حماسي وفوضوي ويجعل ذلك برهاناً على صحة عمله:

«على مبلّغنا، ذلك المرء الذي يخاطب الناس، أن يتحدث مع الناس بأمور تثري أذهانهم لمدة يعتد بها، لا أن يتلاشى جهده التبليغي بكلمة أو بشعار أو بكتيب. فالمشكلة تكمن في أننا نوصل، أحياناً، المفهومات إلى أذهان الناس بطريقة طوباوية، فيأتي الآخرون - ومن دون ضجيج- ليغسلوا كل ما أوصلناه! إنها مشكلتنا الكبيرة حتى الآن.

إن ما نريد إقراره في الأذهان يجب أن يقر بطريقة تمكّنه من البقاء في الذهن مدة من الزمن. خمس أو عشر سنوات. ولا أقول

---

(١) من خطاب له خلال لقائه بأئمة الجماعة وعلماء الدين والمبلغين عشية شهر رمضان، بتاريخ ٢٥/ ١١/ ١٣٧١ هـ.ش.

يجب أن يظل إلى آخر العمر، باعتبار أن ذهن الإنسان ينمو، وتنبثق منه تساؤلات جديدة»[1].

٣ ـ مواكبة مقتضيات الزمان:

يجب أن لا يدور المضمون التبليغي في فراغ وخارج زمانه، وكأنه مجرّدات عقلية لا صلة لها بحاجات المجتمع، فليتخذ المبلِّغ الديني مقتضيات الزمان معياراً لمطالعاته وخياراته، ويطابق خطاه معها:

«ارجعوا وانظروا، ما هي متطلبات العصر وما هي احتياجات الناس، واستنبطوا ذلك من الشرع الإسلامي المقدّس.. نضّجوه وهيّئوه، ثم قدّموه طازجاً للناس»[2].

المبلّغ الواعي يدرك المتطلبات الآنية، ويشخّصها، ويلبّيها وفق التكليف الديني، فيبذل كل جهوده لكي لا يتخلّف عن أداء تكليفه في الإجابة عن تساؤلات العصر:

«الحكمة في أن المرء يؤدي عمله في الظرف المناسب وأن يعرف زمانه... حكمة هذا الرجل - سماحة الإمام الخميني (قده)- تجلت في إدراكه الدائم لمتطلبات كل لحظة، بالطبع، فإن هذا الأمر مهم جداً، لأنه يستدعي:

أولا: إدراكاً واستعداداً ونظراً ثاقباً.

ثانياً: شجاعة وشهامة.

---

(١) من خطاب له خلال لقائه أعضاء مجلس الأعلى للإعلام، بتاريخ ١٢/٢٤/ ١٣٦١ هـ.ش.

(٢) من خطاب له خلال لقائه علماء الدين في «رفسنجان»، بتاريخ ١٣٧١/٢/٧ هـ.ش.

يعني أنه يقوم بالعمل في الوقت الذي لا يقدم فيه الآخرون على العمل»[١].

إن المجتمع يهتمّ بالمبلِّغين في ظلّ إدراكهم لوضع المجتمع وحركية العصر، والمبلِّغ الناجح هو الذي يتواكب خطابه مع مشاكل المخاطَبين والإشكالات الدينية المعاصرة، فيوضح الإجابات على الإشكاليات ويحل المشاكل. فهو لا يخاطب موجودات فضائية مجهولة، وإنّما يوجّه خطابه لإنسان يعيش على الأرض، فعليه أن يعرف آلامه، ويواسيه في أحزانه، ويقدّم الإجابات الشافية عن كل تساؤلاته:

«كان في إيران نوعان من الخطباء: أحدهما: الخطيب الذي لا يهتم أحد بحديثه، لأنه لا يتناول في حديثه أموراً مرتبطة بعصره. والآخر: الخطيب الذي يزدحم الناس - وبخاصة الشباب - حوله للاستماع إليه (فليس كل من باع الحلوى كثرت زبائنه).

ما الفرق بينهما؟ أفي قوة البيان وضعفه؟ أم في رخامة الصوت؟ أم في الرشاقة والشكل؟

إن جميع الناس إمّا في هذا الطراز أو في ذلك، لكن الفرق يكمن في أن ضآلة عدد المستمعين تعود إلى أن الخطيب لا يفهم مقتضيات العصر ويتطرق إلى أمور أخرى، فالناس كانوا متعطشين لمجموعة من المفاهيم الإسلامية التي لا يتناولها هؤلاء أو لا يجرؤون على التحدّث بها، أو أن عقولهم لا تصل إليها، لكنهم بسبب أو بآخر لا يعتبرونها ضرورية»[٢].

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر السابق.

٤ ـ تعميق المضمون:

طوى مخاطَبونا في مختلف المراحل العمرية والتعليمية خطوات واضحة في التثقيف الديني، وهذا الأمر يستدعي من المبلِّغ تعميق محتوى كلامه وأن لا يكرّر أقوال المبلّغين من الأجيال السابقة. فللأسف أن المخاطَبين مستاؤون من عدم طرح الموضوعات الجديدة والمفيدة في الخطاب التبليغي؛ لذلك نشاهدهم يحجمون عن حضور المجالس والمحافل التبليغية، أو أنهم يحضرون في أيام خاصة فقط، إسقاطاً للتكليف وفقاً للسنة، متجاهلين أقوال المبلِّغ. يجب على المبلّغ الديني أن يسعى لتصعيد المستوى العلمي للمخاطَب، وأن يزيد من عمق الموضوعات التي يخاطب بها جميع المراحل العمرية والتعليمية.

فلا يصح النظر إلى الطفل اليوم كطفل الأمس، ولا يماثل الفتى الآن الفتى قبل عدّة عقود، وهكذا في المراحل العمرية والتعليمية الأخرى، وحتى عوام الناس يختلفون - بوضوح - عن أمثالهم السابقين، فهم في الأقل على تماسّ مع المذياع والتلفزيون وما يبثانه من معلومات، ولديهم أولاد متعلمون يمكنهم أن يحصلوا على بعض المعلومات منهم، علاوة على ما تزوّدهم به البيئة والعِشرة الاجتماعية من تعاليم.

وعليه، ينبغي للمبلّغ في أي مستوى تبليغي كان، أن لا يقتصر على المعلومات والموضوعات السابقة، ولا يقف عند حدود مطالعته لبعض الكتب التقليدية:

«المجتمع يتحوّل ويتطوّر، الثورة تتحرك وتسير، فلا بد من امتلاك تحليل وفكر وبناء منطقي وعقائدي يتناسب وجميع مراحل ودرجات التطور والحركة... إنه أمر واجب ويقع على عاتق العلماء، ويجب أن نسجّل حضورنا على المنابر وفي الخطب.

ألاحظ، أحياناً، أن بعض هذه الخطب التي تنشر بين الحين والآخر في الصحافة. خاوية، ولا تتصل بالعصر الحاضر، يعني أنها تتناول أموراً واضحة وجميع الناس يعرفونها»(١).

٥ ـ مراعاة الاعتدال:

لا بد للمبلِّغ الديني من معرفة الدين جيداً ليبلِّغه للناس، متحاشياً الإفراط والتفريط، فلا يستند إلى جانب من الدين وينسى أبعاداً أخرى منه. فالدين في شكله الجامع، أساس للسعادة الإنسانية. لكن الإفراط في التركيز على أحد أبعاد الدين يعكس صورة كاريكاتورية ومزيّفة عنه، وتترتب مخاطر على الوضع الديني للمجتمع. وقد أشار سماحته إلى الإفراط والتفريط في أحد أبعاد الدين بقوله:

«عليكم بمراعاة الاعتدال، والاعتدال يعني تفادي الإفراط في أي اتجاه كان، فبعض الخطباء يفرّطون إمّا في الجهات الأخلاقية أو الجهات السياسية، لا فرق أيّاً كانت الجهة، فالإفراط مذموم في كل الأحوال. بالطبع أكثر ما يحتاج الناس إلى الأخلاقيات، فنحن بحاجة الى ثورة أخلاقية، لكن لا يكون الأمر بحيث إذا تناولنا القضايا الأخلاقية، أو قرأنا على الناس حديثاً، أغفلنا تماماً القضايا الراهنة والقضايا الثورية، وقضايا العالم، وقضايا الحياة.

وكما ذكرت، فبعض يرتقي المنبر، لكن السامع يظن أنه لم تحدث ثورة في البلد! هذا إفراط في جانب، والإفراط في الجانب السياسي خاطئ أيضاً،فبعض يخصص جميع خطبته من بدايتها الى

---

(١) من خطاب له خلال لقائه علماء الدين في الحزب الجمهوري الإسلامي، بتاريخ ٦٤/٦/٢١ ١٣ هـ.ش.

نهايتها، للأمور السياسية، ولا نجد عبارة في الأخلاق، والنصيحة، والتهذيب والأحكام»[1].

٦ ـ مراعاة الأولوية:

لا بد من مراعاة الأهم ثم المهم في مضمون الكلام، فلا نكتفي بصحة الموضوع وحسنه، فالتبليغ يجب أن يتطابق مع الحاجات الفورية والأولية للمخاطَبين.

على المبلِّغ الديني أن يعتبر نفسه كالطبيب العالم والحكيم العاقل، فيتمعّن بعمق في مريضه ليشخّص داءه، ثم يصنّف أمراضه فيبدأ بعلاج الأمراض الخطيرة والمميتة، ولا ينشغل بالآلام الخفيفة والأمراض البسيطة:

«علينا أن نتحدث بالأهم، فقد يكون الموضوع جيداً جداً لكنه غير مهم. إذا كان شخص بحاجة إلى من ينقذ حياته، فهل من الصحيح أن تحدثّوه -مثلاً- عن العناية بنظافة الفم والأسنان؟

إن نظافة الفم والأسنان أمر ضروري، لكن هذا الشخص يعاني من مرض قاتل. اهتموا بالقضايا ذات الأهمية، والأهم هو الذي يجب أن يقال»[2].

لمعرفة القضايا الأهم لا بد من التأمّل والتمعّن، وإدراك القضايا، والذكاء، والنظرة الثاقبة، وتخصيص وقت مناسب، لأن قضايا المجتمع الفكرية في تغيّر دائم، والتساؤلات التي تفرزها حركية الحياة تظل تلحّ مطالبة بالإجابات:

---

(١) من خطاب له خلال لقائه أساتذة وطلاب الحوزة العلمية في«**مشهد**»، بتاريخ ١٤/١/١٣٦٩ هـ.ش.

(٢) من خطاب له خلال لقائه علماء الدين عشية شهر رمضان، بتاريخ ١٥/١١/١٣٧٣هـ.ش.

«الأهم هو الذي يجب أن يقال... عليكم أن تبحثوا عما يدور في ذهن الشباب من تساؤل؛ بحيث إن لم تتضح الإجابة عليه قد يؤدي ذلك إلى الانحراف، ما هو هذا السؤال؟ عليكم أن تبحثوا عنه وتجدوه. الجزء الصعب في القضية يتمثّل في ديمومة السعي للعثور على تلك الأسئلة التي تدور في الأذهان، فالأسئلة ليست دائماً من نمط واحد، ففي الأيام التي كنّا فيها في مقدّمة النشاط التبليغي ونبذل جهوداً ضخمة في هذا الطريق. لم تكن القضايا المطروحة آنذاك تشبه ما هو موجود الآن، آنذاك كان علينا أن نفهم الاشتراكية العلمية والمادية التاريخية لنرد عليهما. في ذلك الوقت كانت هذه المسائل تشغل أذهان غالبية شبابنا الجامعيين وغيرهم حتى بعض التجار والكسبة، لكن اليوم توجد قضايا أخرى.

هل تريدون أن تبقى هذه القضايا؟ هل تريدون أن يبقى فراغ في أذهان بناتنا، ونسائنا، وأبنائنا ورجالنا ليملأه العدو كيف يشاء؟

إن لم ترغبوا في ذلك عليكم أن تحددّوا الفراغ. ثمّة حاجة إلى أجهزة متخصصة للتفكير في هذا الأمر»[١].

٧ ـ تحاشي التكفير:

لا بد للمبلِّغ الديني من أن يعتمد الأسلوب المنطقي والتحاور الليّن، ويتحاشى التكفير والاتهام.

إن تكفير الآخرين لا يحل المشاكل بل يكرّسها ويضاعفها، ويضفي طابع المظلومية والبراءة على الأفكار المسمومة، فيضعها وسط هالة زائفة من القدسية فيتجمع حولها الأنصار والمؤمنون بها.

وللأسف، كان لظهور وتنامي الفرق الضالة في تاريخ بلدنا

---

(١) المصدر السابق.

ارتباط بهذا النمط من التعامل، فكلّما حلّ التكفير محلّ المنطق وقعت مخاطر عظيمة. والتجربة التاريخية عبرة لمبلّغينا:

«ارتكبنا -نحن المعمّمين وعلماء الدين طوال التاريخ- أخطاءً كبيرة في نقد بعضنا بعضاً، فقد تصورنا أن النزاع والإبعاد، وأحياناً التكفير، بمقدوره أن يجتثّ جذور الأفكار الخاطئة من المجتمع، بينما هذا الأمر خاطئ.

لماذا استقرّت الأفكار الخاطئة للفرق الضالة في عقول كثير من الناس وما زالت حتى الآن؟؟ السبب يكمن في أن التعامل معها لم يكن منطقياً واستدلالياً، وإنما كان تعاملاً قاسياً، وحسب.

التفكير الالتقاطي موجود في مجتمعنا، إلّا أن الرد عليه ليس في العصا، والشجار، والإبعاد، والتكفير والتفسيق، بل في العمل الصحيح»[1].

وتزداد أهمية هذا الأمر في عصر الحكومة الدينية، ففي عصر الانزواء لم تكن أنظار العدو متوجهة للحوزة مثلما هي الآن؛ لأنها كانت بعيدة عن الحكم، أمّا الآن فيوجد ارتباط وثيق بين الدين والحكومة؛ لذلك، فإن تداعيات التكفير والتفسيق السيئة ستبدو مضاعفة. في عصرنا هذا يمكن بسهولة اعتبار التكفير والتفسيق دليلاً على عدم منطقية الحكومة والدين، فيتم تصوير الدين القائم على الحكمة والمنطق على أنه دين قمعي وإرهابي، الأمر الذي يساعد على الانفصال عن الدين أو التشكيك في أركانه.

الالتفات الى هذه النقاط يقتضي من المبلّغين أن يرّدوا على الأفكار المنحرفة بالمنطق والنتاجات الفكرية الغزيرة:

---

(١) من خطاب له خلال لقائه علماء الدين في زنجان، بتاريخ ٢٩/٨/١٣٦٤هـ.ش.

«المجابهة يجب أن تتناسب مع المصلحة والحكمة، فاليوم ليس كالأمس. ففي السابق إذا تكلّم شخص ولم يكن بإمكاننا أن نقوم بأي عمل، كنّا نصرخ أو نعلن البراءة منه، أو نكفّره أو نفسّقه إذا كان كلامه في حدود الكفر أو الفسق، أما اليوم فلا حاجة لهذه الأمور ويجب تجنّب هذه الممارسات، فإنّها تضرّ بالمجتمع الإسلامي»[1].

الطرح الصحيح لمظاهر الحق يفسد عمل أهل الباطل، كالورد الذي يبطل سحر الباطل ويفضحه من دون الحاجة إلى ضجيج، وتكفير وتفسيق.

جميعنا يجب أن نكون **«لاريب فيه»**، عقائدنا يجب أن تكون **«لا ريب فيه»**، وهذا نبيّنه بقوة، واقتدار وثبات، وبلغة مناسبة، وقتها سنرى مصداق **«لا تقارن السحر بالمعجزة، إنما كن صاحب قلب»**.

لا تأسفوا، هاتوا المعجزة، سيقهر السحر تلقائياً، وستلقف حبالهم وعصيّهم.

المطلوب إذن، أن نلقي عصا موسى ونخرج يدنا البيضاء من جيبنا.

(١) من خطاب له خلال لقائه أعضاء مجلس الخبراء، بتاريخ ٢٩/٨/١٣٦٤هـ.ش.

أسلوب التبليغ وأنماطه

من الأجدى للتبليغ ـ علاوة على المضمون الجيد والصحيح ـ أن يُعرض في أنماط أو نماذج مناسبة وجذابة.

فينبغي للمبلِّغ الديني الالتفات إلى أن لمخاطَبيه مستويات متفاوتة في المعلومات، والأذواق، والذكاء والإيمان و... وهذا الأمر يقتضي اعتماد أنماط ونماذج تبليغية تتناسب مع مختلف الفئات التي يوجّه إليها خطابه؛ فلا يكتفي بنمط أو نموذج تبليغيّ واحد لمخاطَبة المجتمع بمستوياته كافة:

«يتفاوت التبليغ (أي التوصيل وأدواته) تبعاً للظروف. فتارة نريد نقل شيء إلى الغرفة المجاورة، وأخرى إلى مكان يبعد مسافة فرسخ، وتارة ثالثة الى أقصى نقطة في العالم. أحياناً تعترضنا الحجب والجدران، وأحياناً يجب علينا اجتياز العقبات والجبال. وقد يستجيب المقابل طواعية لنا، وقد نحتاج إلى الأدلة والبراهين لإقناعه، بل قد يظلّ يقف على مسافة منا ممتنعاً عن القبول بأفكارنا.

إذن، فالتبليغ يتقوم بأقسام وأنواع متعددة تبعاً للظروف المختلفة. ترى، ما الذي يشخِّص أداة التوصيل وأسلوبه؟ إنه إبداعكم، وذوقكم، وفهمكم وسرعتكم في النقل. إذا كان المطلوب نقل مقدار من الماء مسافة فرسخ وحملتموه في كأس كل هذه المسافة بحيث تساقط أغلبه أثناء النقل، فإن العقلاء يدهشون

لعملكم، فما هكذا ينقل الماء؛ بل يحتاج إلى جرّة أو كوز»[1].

من غير الصحيح، إذن، التعصب للأنماط التبليغية السابقة والاقتصار عليها. ففاعلية طريقة ما في العصور الماضية يجب أن لا تتحول إلى حجاب يمنع المبلّغين من التفكير في طريقة أخرى:

« لا ينبغي لنا الاكتفاء بالقول: هكذا كنا نبلغ في السابق، وكانت طريقتنا في التبليغ مؤثّرة. أجل، ارتقى الشيخ جعفر الشوشتري -رضوان الله تعالى عليه- المنبر يوماً في إحدى مدارس طهران، وخاطب الناس قائلاً: أيها الناس! يكفي أن تعلموا أن الله موجود فأحدث تحولاً في قلوب الناس بهذا المقدار من التذكرة. لقد أثّر كلامه في النفوس سواء كان السبب في ذلك يعود لنفسه أو المدد الإلهي أو أجواء تلك الأيام، أو استعداد المستمعين. وإذا أردنا اليوم أن نرتقي المنبر ونقول: أيها الناس! اعلموا أن الله موجود، فإنّ الناس سيتعجبون من عملنا»[2].

وعليه، يجدر بالمبلّغ أن يعيد النظر دائماً في أنماطه ونماذجه التبليغية فيجعلها تواكب تطورات العصر وحركية الحياة الاجتماعية:

«من غير المنطقي أن نطرح كلامنا الحق اليوم، بذات الطرق والمناهج التي اعتمدت قبل مئة عام. بل هناك تفاوت بين اليوم وما قبل الثورة. فالمنبر الذي كان مفيداً ومؤثراً قبل الثورة. - في الأعوام (١٩٧٦ . ١٩٧٨)- قد لا يكون مؤثراً ومفيداً في كل مكان هذه الأيام»[3].

فالتبليغ تواصلٌ وتحاور بين المبلِّغ والمخاطَب، ومعلوم أن

---

(١) من خطاب ألقي، بتاريخ ٢٥/ ١٢/ ١٣٧٠هـ.ش.

(٢) المصدر السابق.

(٣) من خطاب ألقي، بتاريخ ٢٠/ ٤/ ١٣٧٠هـ.ش.

الشرط الأول لأي تواصل وتفاهم هو الاستئناس باللغة وبأداة التواصل.

لكن المؤسف أن التبليغ الحوزويّ يتمّ، أحياناً، باللغة المهجورة؛ حيث يجد المخاطَب نفسه بإزاء كمّ كبير من الكلمات والمصطلحات الغريبة والألفاظ المعقدة التي تضبِّب له الحقائق فيضيع عليه الطريق:

«عرض المرحوم المجلسي - رضوان الله تعالى عليه- في كتابي «حق اليقين» و«حياة القلوب» وأمثالهما، الأخلاق والعقائد الدينية بلغة عصره فيما قرّب الآخرين من الفكر الشيعي واجتذبهم إليه. ولا تظنّوا أن كتب المجلسي جاءت جزافاً، إنما رسّخت دعائم التشيع، في ذلك العصر الذي كان فيه التشيع جديداً في بلادنا. وعمّقت العقائد الشيعية في قلوب الناس. لقد كانت هذه الكتب مفيدة وقتذاك. ومع ذلك، لا نستطيع اليوم اعتماد «حق اليقين» و«حياة القلوب»، فضعوهما على الرف باعتبارهما جزءاً من التراث، وليتركز جهدنا على تقديم مضمونهما بلغة العصر»[1].

على الحوزة أن تهتم بالفن المعاصر. فالفن بكل أشكاله المسموعة والمرئية والمكتوبة، يمتلك خزيناً ثميناً من التجارب تراكَمَ عبر التاريخ، لكن الحوزة غافلة عن هذه الثورة؛ بحيث نشهد قطيعة بين الحوزة والفن.

فللحصول على أنماط تبليغية مناسبة، لا بدّ للحوزة من تعميق الصلة بينها وبين الفن المعاصر، والكف عن اعتباره لهواً ولعباً منافياً للمروءة. وعلاوة على بعض الاتجاهات الجديدة المتمثلة في كتابة المقالات التحقيقية وعقد دروس خاصة وغيرهما، إلّا أن العارفين

---

(١) من خطاب ألقي، بتاريخ ٥/ ٢/ ١٣٧٠هـ.ش.

بالأنماط الفنية للتبليغ يعلمون جيداً أنه ما زالت هناك أنماط وأساليب فنية جديدة في المناهج التي خبرتها الحوزة، إضافة إلى عشرات المناهج التي لم تخبرها بعد، مع أن مكانتها لا تقلّ عن غيرها.

لذا يجب على المؤسسة التبليغية للحوزة أن تدرك مكانة الفن، وأن تذعن إلى أن جمال العرض يضاعف من فاعلية التبليغ ويوسّع مداه:

«ينبغي الاستفادة القصوى من الفن، وأعني الاستفادة من الفنانين الموجودين. فثمة استعدادات وتوجّهات فنية عند الطلبة وغيرهم؛ إذ لا بديل للفن في المجال التبليغي، أي لا يملأ مكان الفن في التبليغ أي شيء سواه. وهذا أمر ثابت في العالم ويجري العمل به، فيقال: إن عرض عبارة واحدة ناهية أو آمرة من خلال أسلوب فنّي معين، يجعل من شأنها الاستقرار في أعماق نفس المستمع فيستجيب لها. فاليوم يترافق التبليغ والفن... فيجب علينا إذن أن نجمع التبليغ الى الفن»[1].

وقد مارس جهاز التبشير المسيحي هذه التجربة وما يزال، مستخدماً مختلف الفنون (الرواية، المسرحية، السينما، الرسم، الموسيقى) من أجل إيصال مفاهيمه ومبادئه بنحو غير مباشر. ففي ظل الإدراك الصحيح لأهمية الفن والتوظيف المطلوب له، حقّقت المسيحية حضوراً ملموساً على الساحة العالمية، حتى استطاعت أن تجد في البلدان الإسلامية أفراداً يستجيبون لها من دون قصد:

«لست من الذين يقارنون كل ما يطرح عندنا مع الأجانب، وأوجّه الانتقادات إلى جانبنا. فأنا أعتزّ بالحقائق الموجودة في

---

(١) من خطاب ألقي، بتاريخ ٥/١٢/١٣٦١هـ.ش.

مجتمعنا...، لكن ثمة أمور تجري أمام أعيننا في هذا العالم..

ليس للكنيسة علم ديني بتلك الصورة المعمقة والاستدلالية، لكنها في الوقت نفسه متقدمة في الجانب التبليغي. لقد أنتجوا أفلاماً كثيرة في إطار الدعاية للمسيحية من دون أن يظهروا ذلك. حتى أن أصدقاءنا في التلفزيون وفي أيام كانون الثاني وأعياد الميلاد، يعرضون عدداً من الأفلام المسيحية والكنيسية مجاملة للمسيحيين. وقد لاحظت أن أغلبها يروّج للكنيسة... فمن يشاهد الفيلم يتأثر به؛ إذ يعرض قسيساً بوجه نوراني وهو يقوم بعمل إيجابي»[١].

ومن الطبيعي أن توثيق الارتباط بين «**الحوزة**» و«**الفن**» لا يتم بين ليلة وضحاها، فهو يحتاج إلى وقت وإلى تخطيط دقيق.

بوسع المؤسسة التبليغية للحوزة وعبر التخطيط المناسب، أن تصوغ سبل الارتباط، وتعزّز حضور «**الفن**» في الحوزة، فتكتشف الذوق الفني لدى الحوزويين، وتهيّئ لهم الأرضية الخصبة للإبداع والارتقاء الفني، وتدعم الطلبة الفنانين مادياً ومعنوياً، وتذعن إلى أن الفنون من وسائل التبليغ الديني، فتعمل على صياغة طرق الاستفادة منها في منظوماتها التبليغية:

«لا تنجز هذه الأعمال بين ليلة وضحاها. فإذا بدأتم اليوم بالعمل في هذه المجالات وقمتم بإنتاج البرامج الصوتية والتصويرية -وبخاصة التصويرية- فربما تتوافر للحوزة هذه المقدرة بعد عشر سنوات، لكننا نفتقدها حالياً، ولا نستفيد من الفن»[٢].

---

(١) من خطاب ألقي، بتاريخ ١٤/ ٩/ ١٣٧٤هـ.ش.

(٢) المصدر نفسه.

المجتمع المخاطَب

يجب على المبلّغ أن يحصل على معرفة صحيحة بمخاطَبه، ثم يوّجه خطابه إليه، فيقيم ارتباطاً بين المخاطَب والمضمون ونمط التبليغ.

ومن المؤسف أن نقائص ومعايب كثيرة تحيط بهذا المضمار أيضاً؛ حيث لا تُعتبر مراعاة مستوى المخاطَب شرطاً جادّاً للتبليغ، فالمبلّغ يعرض ما يعلمه في قالب معيّن اعتاد عليه ولا صلة له بطبيعة المخاطَب وهو يتحدث مع جماعة مجهولة لديه، وبموضوعات جاهزة سلفاً.

لذا يجب أن يكون لدى النظام التبليغي للحوزة معلومات واضحة عن خصائص المناطق؛ والبيئات والمجتمعات المفترض مخاطَبتها لتعين المبلّغ في وظيفته:

«لا توجد مواد تبليغية، مثل تصنيف البحوث وتشخيصها لكل فئة من المستمعين. فعلى سبيل المثال، إذا أردتم التوجه الى بلد معيّن ستستفيدون من مطالب معيّنة لا تنفعكم في بلد آخر. وهكذا، فإن ما تحتاجون إليه في القرية يختلف عمّا تحتاجون إليه في المدينة الكبيرة. وفي طهران والجامعة والبيئة الطلابية تتباين المقتضيات عن

مجلس تعزية نسائي. إن هذا التصنيف غير موجود في الحوزة»[1].

إن عدم معرفة المجتمع المخاطَب، يبعد المبلّغ عن هدفه، بل يعرّضه أيضاً ـ في بعض الأحيان ـ لمطبات خطيرة تقضي إلى عكس ما يتوخّاه من التبليغ. وبناء على هذا، يجدر به أن يعرف المجتمع الذي يتحرك وسطه، ثم يضبط حركيته وينظّمها وفق هذه المعرفة:

«أحياناً يتمتع الطلبة بخلفيات ذهنية وعقلية جيدة جداً، لكن عدم معرفتهم بالمجتمع وتطلعاته وما يحمله (المجتمع) من تصور عن المبلّغ، يوقعهم في ممارسات تخالف المطلوب. فمن الضروري إعطاء دروس حول تصورات الناس عن المبلّغ وتوقعاتهم منه. فيتعين على الطالب «الحوزوي» أن يعرف قدر نفسه وقدر المبلّغ كما هو. لا أكثر ولا أقل»[2].

ويفترض بالمبلّغين أن يعلموا أن المجتمع في حالة تغيّر مستمر، فلا يعيدوا لجامعيي اليوم حديثهم الذي حدثوا به الجامعيين قبل عشرة أعوام، ولا يتصوروا شاب اليوم كشاب أوائل الثورة، فبيئة المدينة والقرية في تغيّر دائم:

«يتعين على إمام الجمعة -في مدينة ما- أن يطوّر مستوى خطبه على الدوام. فالمطلوب أن نعرض للناس خطباً جديدة وحيوية. فإن ما أوصل الناس إلى مستوى تحمّل «أمانة» الثورة الإسلامية هو الخطاب الديني المتجدد والفهم الصحيح والجديد للإسلام الذي بيّن للناس الجوانب المجهولة من الإسلام. وهي الأمور التي لم توضّح للناس على مدى عصور متمادية. واليوم تجلّى ذلك الخطاب بحقائقه

---

(١) من خطاب ألقي، بتاريخ ١٤/ ٩/ ١٣٧٤هـ.ش.

(٢) من خطاب ألقي، بتاريخ ٥/ ٢/ ١٣٦١هـ.ش.

العينية والخارجية. ولديمومة هذه الحركة ومواكبة التطور يجب الاستمرار في ترشيد الناس وتطويرهم فكرياً»[1].

وعلى المبلّغ أن لا يخلط بين معرفة المخاطَب والانسياق مع الأجواء السائدة، فلا بدّ من أن يتحاشى الاستجابة لأهواء المخاطَبين ورغباتهم. كما عليه أن لا يغفل عن مبادئه، وقيمه ومنطلقاته ويوقعها في أسر الأهواء. وبعبارة أخرى: يتعيّن على المبلّغ أن يدرك أذواق واتجاهات المخاطَبين ويأخذها بنظر الاعتبار، من دون أن يعني ذلك وضع الدين في سجن النوازع الآنية:

«الشباب يتّسمون بالإخلاص والإيمان واللطافة، فعلينا أن نحافظ على صفائهم وإيمانهم، وهذا لا يعني أن نقبل منهم ما ليس داخلاً ضمن تخصّصهم. وللأسف، نشهد هذه الأمور في بعض الحالات، وهذا مؤشر على تأثر بعض المبلّغين بالجوّ السائد، فهم يردّدون ما يمليه الجو عليهم، حتى إنهم يحسّون، أحياناً، بذلك. وهذا بلاء عظيم. فمن غير الصحيح أن يؤثّر الجو المتأثر بفكر ما أو عقيدة ما أو انطباع ما، على أذهانكم وانطباعاتكم.

إن الإعراض والرفض والجفاء أمور غير صحيحة، ولا نوافق عليها، ولكننا لا نوافق، أيضاً، على أن يبدي أحد العلماء رأياً لا ينسجم مع تشخيصه ومبناه الفقهي وفتاواه أو فتوى مقلدّه، أو يتعارض مع مسلماته، وهذا ذنب لا يرضى به الله ولن يعفو عنه بالتأكيد»[2].

وينبغي للمبلّغ أن يرى في التحرك بشهامة وشجاعة تكليفاً شرعياً ـ إنسانياً، فلا ينكفئ وينعزل، بل يتحرك في وسط المجتمع، ويعرض أفكاره بوضوح وجرأة، ولا يجعل خطابه أسيراً لأحاسيس

(١) من خطاب ألقي، بتاريخ ٩/ ١/ ١٣٦٢هـ.ش.

(٢) من خطاب ألقي، بتاريخ ١٧/ ١٢/ ١٣٦٣هـ.ش.

المخاطَب الآنية، بل يجعل مشروعية خطابه وفائدته للمخاطَب أصلاً في عمله، ولا يتخذ الضجيج الذي قد يثار حوله والمشاكل التي قد تعترضه معياراً لحركته، فمثله مثل الطبيب الحاذق الذي يصف الدواء المرّ وإن لم يستمرئه المريض:

«يجدر بالكاتب أن يطرح الموضوع من خلال نظرة عميقة وبعيدة المدى، وبشجاعة تامة؛ أي بعيداً عن أيّة مهادنة للجامعيين وغيرهم. وبعبارة ثانية، يجب أن لا أتأثر في كتابتي للموضوع بالأحكام التي أتوقع أن يصدرها القارئ ضدّي، بل يجب أن أكتب الحقائق بشجاعة.

فالموقف الشجاع يعود بالفائدة على صاحبه. وقد شاهدنا إبان السنوات العشر الفائتة أفراداً لم يتخذوا مواقف شجاعة، خشية أن يستاء طرف معيّن منهم، أو لأن طرفاً ما ينتظر ذلك، فهؤلاء ينطلقون من خلفيات خاصة، وهذا الأمر يعود عليهم بالضرر... على أنه لا ينبغي إغفال بعد النظر، فعلى المرء أن يتمتع بسعة الصدر وببعد النظر، وعليه أن يجمع إلى سعة الصدر، الشجاعة والصراحة والثبات»[١].

ولقد جسّد الإمام الراحل -رضوان الله تعالى عليه- النموذج الأروع في الجمع بين معرفة المخاطَب وعدم التأثر بالجوّ السائد. وهو ما تجلى فيه قبل انتصار الثورة الإسلامية وبعده. فبالرغم من اهتمامه بمخاطَبه وصياغة محتوى خطابه ومستواه بما يتناسب مع المخاطَب، لكنه لم يتأثر يوماً بالأجواء السائدة، فلم تمنعه أفكار وأهواء هذا الطرف أو ذاك عن القيام بتكليفه، فثبت واستقام على منهجه المستقيم طارحاً بصراحة تامة رؤاه وأفكاره الأصيلة، قبل الثورة وبعدها، من دون أيّة مهادنة.

---

(١) من خطاب ألقي، بتاريخ ٢٨/ ١١/ ١٣٧٠هـ.ش.

وقد أشار سماحة قائد الثورة مراراً إلى هذه الخصلة الممتازة التي تميز بها سماحة الإمام -رضوان الله تعالى عليه-.. ومن ذلك قوله:

«عاد الإمام إلى إيران في وقت كانت أجواء الصراع -في بعض المستويات في الأقل- مشحونة بالتصورات المستوردة، وكان بعض العلماء قد شارك في تصعيدها. وجاء الإمام فأقصاها جميعها. وقد تجسد موقفه في أول خطاب له في المطار؛ حيث انتابتني الحيرة عندما كان يلقي خطابه وقلت لنفسي: عجباً! لا يتأثر الإمام بالملاحظات التي نتأثر بها... وفي الأشهر الأولى طرح بشكل قاطع مسألة السفور والحجاب»[1].

---

(١) المصدر نفسه.

مؤسسة التبليغ

تجد الحوزة نفسها، اليوم، إزاء كمّ كبير من الاحتياجات المتزايدة في المجال التبليغي، وهو ما يستدعي منها موقفاً جاداً ومنظماً:

«إن انحسار النشر والتبليغ أحد المشاكل التي تعاني منها الحوزة؛ إذ لا تصدّر الحوزة ذلك المقدار الكافي من الكتب والصحف والمجلات، ولا ترسل العدد الكافي من المبلّغين، فثمة طلب دائم إلينا من أنحاء العالم كافّة (إفريقيا وأوروبا وآسيا) أن نرسل إليهم العلماء»[1].

وعلاوة على هذه الحاجة الكبيرة، أمست الممارسة التبليغية مدعاة لعمليات معقدة ودقيقة زادت من صعوبة الأمر، وأكدت ضرورة اتخاذ موقف رزين ومدروس بهذا الخصوص. وهنا نلفت إلى أهمية المسائل الآتية:

١ ـ ضرورة التنظيم:

يفتقد التبليغ الحوزوي إلى العمل التنظيمي، حيث يتم، في الأغلب، بنحو تلقائي، وفردي ومزاجي، وعليه، فإن الخطوة الأولى

---

(١) من خطاب ألقي، بتاريخ ١٤/ ٩/ ١٣٧٤هـ.ش.

اللازمة لحل المعضلات تتمثل في إيجاد مؤسة تبليغية في الحوزة، قادرة على تنظيم القوى والاحتفاظ بها:

«يتعين علينا القيام بعملين؛ أحدهما: تنظيم التبليغ بأفضل نحو. فبالتنظيم نستفيد من القوى -مهما صغُرت- في موردها المناسب. فكما أنكم تارة تنقلون المياه من مكان إلى آخر بوعاء، وتارة أخرى عبر الأنابيب، وتلاحظون أنكم في الحالة الثانية لا تهدرون قطرة واحدة من الماء. وهكذا العمل المنظم لا يهدر الطاقات. إن تنظيم التبليغ يمنع من هدر أيّة طاقة، كالماء الذي لا يُبخّر ولا يترسّب في الطين، ولا يتبدّد في غير موضع الحاجة إليه، فأحياناً تذهب كميات كبيرة من المياه سدى أثناء سقي إحدى الحدائق، وهذا يعني أن الماء الضروري للحياة قد دمر الحديقة وحوّلها إلى أرض موحلة. وفي بعض الحالات يكون تبليغنا مشابهاً لهذا المثال؛ أي إن كانت هناك حاجة لمبلّغ في منطقة ما، فإننا نرسل ثلاثة أضعاف العدد المطلوب من المبلّغين، فتكون النتيجة مناقضة للهدف التبليغي! إن التنظيم يحول دون هذه السلبيات»[1].

٢ ـ التنظيم المناسب:

لا بدّ للمؤسسة التبليغية في الحوزة من أن تواكب الاحتياجات وتستجيب لها. فشدة التطلع والحاجة إلى العمل التبليغي، وتعدد مستويات المخاطَبين، يستدعيان وسائل تبليغية متعددة، إضافة إلى عشرات المسائل الأخرى التي يُفترض بالمؤسسة التبليغية أن توفّرها وتعتمدها في ما يحقق لها أهدافها.

وهذا الأمر يستلزم تشكيل مؤسسة تبليغية تتمتع بإدارة مقتدرة، وكوادر متمرّسة وآليات عمل فاعلة، وفي غير هذه الصورة، فإن هذه

---

(١) من خطاب ألقي، بتاريخ ٦/ ٢/ ١٣٧٢هـ.ش.

المؤسسة تغدو عبئاً يثقل كاهل الحوزة ومشكلة أخرى تضاف إلى مشاكلها:

«لولا التنظيم، لولا تحرك الأشخاص الذين يريدون أن يتحدثوا في إطار عمل منظم، لما وجدنا لهذا الجهد العظيم أثراً. لقد كان هذا العمل المنظّم يتم قبل انتصار الثورة بشكل بسيط فيما لم يكن مجال عملنا وسيعاً. ترى، كم نستطيع أن نعمل؟ ما الذي يمكّن شخصاً واحداً من مدّ نفوذه الى مساحة واسعة من المجتمع؟... اليوم أصبحنا محطّ تطلّع نظام، ومجتمع، وبلد وحكومة... إذا كان الأمر كذلك، فيجب أن يكون لدينا عمل منظّم قوي وواسع»(١).

٣ ـ الحركة ذات المضمون:

لا ينبغي للمؤسسة التبليغية أن تحبس نفسها في الأعمال الصورية، ولا أن تكتفي بأطر تنظيمية شكلية، بل عليها أن تثري خطابها الحوزوي وتعزز تماسكه وتبعده عن التكرار، وتجسّر الصلة بينه وبين البيئة الاجتماعية التي يمتد فيها. فإن البناءات التنظيمية الشكلية لا تعدّ دليلاً على أن للحوزة خطاباً تبليغياً متماسكاً وفاعلاً:

«في تصوّري، إن للنظم التبليغي خصائص معيّنة تمنحه الفاعلية، فإذا افتقر النظم للمضمون ولم يتعدّ كونه حركة صورية، فإنه يفتقد للفاعلية. فالنظم لا تترتب عليه فوائد حقيقية وأساسية إلّا إذا اعتنت الحركة بمضمونها.

في الحركة الشكلية تشخِّصون هوية المرسَل، والمنطقة التي سيرسل إليها وتاريخ الإرسال، وهكذا تحدِّدون الناشر والكاتب. إنه عمل شكلي يتمثل في استخدام القوى المتوافرة بطريقة منظمة، وهذا هو النظم؛ وهو جيد جداً ومفيد. لكن لن يحصل لكم الاطمئنان

---

(١) من خطاب ألقي، بتاريخ ١/ ٤/ ١٣٦١هـ.ش.

والأمل بفاعلية حركتكم إلّا إذا أغنيتم النظم بالمضمون»[1].

٤ ـ تأهيل المبلّغ:

يجب على المؤسسة التبليغية في الحوزة أن تهتم بإعداد المبلّغ بصفته ضرورة من ضرورات برامجها الأساسية، فالتبليغ بات عملية معقدة تستدعي تأهيلاً خاصاً:

«ثمة عيب أساس في التبليغ الحوزوي، يتجلى في انفصال التبليغ عن الحوزة. بالطبع، تضطر بعض الدوافع والحاجات عدداً من الحوزويين إلى التبليغ في فصل الصيف أو في أيام شهري محرّم ورمضان، لكن الحوزة تفتقر إلى درس في التبليغ. فالتبليغ عمل وفن وعلم، فلا بد من تدريسه. فقديعتزم أحدهم التصريح بأمر معين، فإذا به يطلق تصريحات تتناقض وما عزم عليه. وكثيراً ما حدث أن امرءاً تحدث بأمور استنتج منها السامع نقيض ما كان يريده المتحدث من حديثه. أو على سبيل المثال، يتوجه المرء إلى التبليغ من دون أدنى معرفة له بعلم النفس الإعلامي، فيخاطب الناس بغير لسانهم؛ حيث يتكلم في القرية بما كان يجب التكلم به في الجامعة، ويتناول في القرية مسائل جديرة بالتطرق إليها في العمل. وبناء على هذا اعتبرنا، الحوزة تفتقد لمنهجية علمية في التبليغ مثل علم النفس الاجتماعي»[2].

إن تحقيق ذلك، يمكن أن يتم بصورتين:

أ ـ إقامة دورات قصيرة:

«يتعين على المؤسسة التبليغية في الحوزة إيجاد الاستعدادات

---

(١) من خطاب ألقي، بتاريخ ١٥/ ١٢/ ١٣٦١هـ.ش.

(٢) من خطاب ألقي، بتاريخ ٣٠/ ١١/ ١٣٧٠هـ.ش.

الأولية والعامة للمبلّغين عبر دورات قصيرة يطّلعون خلالها على المسائل الضرورية في التبليغ:

إحدى المعاونيات، معاونية التبليغ والطاقات البشرية، ويقتصر عمل هذه المعاونية على تأهيل المبلّغ للعمل في داخل البلد وخارجه، وأيضاً تأمين مبلّغين دائمين وموسميّين لمختلف مناطق البلد. وهذا يقتضي دورات قصيرة وصفوفاً خاصة»[1].

ب ـ تأسيس قسم خاص بالتبليغ:

«يجب على الحوزة أن تسلك طريقاً آخر إلى جوار الطريق الأول (الأكثر عمومية)؛ وذلك من خلال تأسيس قسم للتبليغ وتخصيص جزء من إمكاناتها له.

ومن شأن ذلك أن يفضي إلى تخريج متخصصين في المجال التبليغي قادرين على تحقيق الأهداف التبليغية المرجوّة، خلافاً للوضع الحالي الذي يدفع بالعناصر الحوزوية الفاشلة إلى امتهان التبليغ.

ج ـ تقسيم الطلاب:

«التقسيم التدريجي للطلاب وفق الأهداف... ويتم اختيار خمسة آلاف شخص كمبلّغين، وخطباء، وكتّاب وعلماء، وثلاثة آلاف آخرين للتبليغ في خارج البلد»[2].

٥ ـ الجدول الزمني:

بعد تحديد الأهداف والاتجاهات، يتعين على المؤسسة

---

(١) من خطاب ألقي، بتاريخ ٣٠/ ١١/ ١٣٧٠هـ.ش.

(٢) من خطاب ألقي، بتاريخ ١٨/ ٩/ ١٣٧٤هـ.ش.

التبليغية للحوزة أن تضع جدولاً زمنياً ترصد فيه الفترة المخصصة لتحقيق كل هدف.

وتترتب منافع مختلفة على الجدول الزمني المذكور، فهو من جهة يسرّع الحركة ويمنع التلكؤ والمماطلة، ومن جهة ثانية يشخّص الفضاءات الزمنية لتفاصيل العمل، ويتيح رؤية واضحة لمستقبله، علاوة على إيجاد الأرضية الملائمة لتقويم العمل ونقده:

«ليكون عملنا محكماً، لا بد من تقسيم الهدف وفق مراحل زمنية، بمعنى التخطيط للوصول إلى هدف معين خلال خمسة عشر عاماً، مثلاً، وعليه ننجز كل عام من الأعوام الخمسة عشر، جزءاً من العمل بما يتناسب مع ذلك الهدف. في مثل هذه الحال نغدو قادرين على مراجعة أعمالنا في كل عام، لنرى أي الأعمال أنجزت وأيها لم ينجز... هل بلغنا المطلوب منّا وجاوزناه أم لم نصله بعد؟»[(١)].

٦ـ تحديد الموضوعات التبليغية المهمة:

يجب على المؤسسة التبليغية في الحوزة أن تشخّص الموضوعات الزمانية المهمة، من خلال الدراسة والاستقراء، وتضعها بين يدي المبلّغين.

فمما لا ريب فيه أن مساعي المبلّغ الفردية تظلّ عاجزة ـ مهما كانت واسعة وشاملة ـ عن إدراك الموضوعات الضرورية والفورية بكل أبعادها. وهنا يأتي دور المؤسسة التبليغية لتعالج هذا العجز:

«عندما كنّا نبذل مساعي حثيثة في صلب العمل التبليغي، واجهتنا مسائل وقتذاك، لا وجود لها راهناً. كان علينا أن نعي الاشتراكية العلمية والمادية التاريخية ثم نرد على تساؤلاتها. وهذا معلوم لانشغال أغلب شبابنا وجامعيينا وبعض التجار وغيرهم بتلك

---

(١) من خطاب ألقي، بتاريخ ١/ ٧/ ١٣٧٢هـ.ش.

الأمور. لكن لا وجود حالياً لتلك المسائل، ففي الوقت الحاضر تطرح مسائل أخرى.

هل تريدون تجاهل هذه المسائل؟ هل ترغبون في حدوث فراغ في أذهان فتياتنا، ونسائنا، وأبنائنا ورجالنا، ثم يأتي العدو ليملأه بالشكل الذي يرتئيه؟ إن لم تكونوا راغبين في ذلك، فالجدير بكم أن تعرفوا ما هية هذا الفراغ، وهنا تتجلّى ضرورة إيجاد أجهزة تفكر بهذا الأمر..

على العلماء أن يشكّلوا فريقاً يأخذ على عاتقه مسؤولية البحث عن الموضوعات المهمة ليقدمها للمبلّغين، وهو ما تقوم به المسيحية هذه الأيام. فإذا أرادوا إرسال مبشّر إلى منطقة معيّنة من العالم، ينعقد مجلس كنسي رفيع المستوى لدراسة الخطط والسبل اللازمة للنفوذ في أهالي تلك المنطقة، ثم يقدمون نتائج دراستهم للمبلّغ»[١].

٧ ـ تقويم التبليغ:

«يتعين على المؤسسة التبليغية للحوزة أن تقوِّم برامجها التبليغية وفق منهجية علمية وإحصائية، تطالع بدقة نقاط القوة والضعف التي تكتنفها. وعلى المؤسسة التبليغية أن تقارن من خلال الإحصاءات والأرقام بين نتاجاتها في السنوات المختلفة وتدرس العلاقة بين ذلك والموازنة المخصصة لكل عام...

إن هذه الأرقام التي أشاروا إليها، أرقام جيدة، مع أنه لا يمكن معرفة مدلولاتها إذا ذكرت مجردة، فينبغي ذكر الإمكانات والاحتياجات وأرقام السنوات الفائتة، ليصبح بالإمكان التوفر على معرفة دقيقة بمدلولاتها»[٢].

---

(١) من خطاب ألقي، بتاريخ ٥/ ١١/ ١٣٧٣هـ.ش.
(٢) من خطاب ألقي، بتاريخ ٦/ ٢/ ١٣٧٣هـ.ش.

وإلى جانب النظرة الكمية هذه، هناك ضرورة لدراسة علمية-إحصائية:

«والأرقام الأخرى التي يجب أخذها في الاعتبار، هي الأرقام المتعلقة بمستوى التبليغ. فأعداد المبلّغين والكتب والصفوف تعكس أرقاماً كمية. وفوق هذه الأرقام نسأل عن مدى تقدمنا في التبليغ، وعن هدف التبليغ والمقدار الذي تحقق منه، وهذه الأسئلة هي المهمة »[(١)].

أما المسألة الأخرى فهي ضبط الأرقام وتقويمها. فيجدر بمسؤولي التبليغ اعتماد طرق موضوعية وسليمة لتقويم برامجهم:

«أرغب في إثارة مسألة معيّنة مع الشيخ التسخيري والسادة الآخرين. وهي أني لاحظت عبر تجربتي أنه في بعض الأحيان يؤكد نحو مئة وخمسين أومئتي شخص أنهم نشروا هذا المقدار من الكتب. هنا لا ينبغي لكم أن تكتفوا بهذه الأرقام فقط بل عليكم أن تلاحظوا أولاً: هل تم انتقاؤها بشكل جيد، وثانياً: هل تتميز بجودة الطباعة، وثالثاً: هل ترجمت بدقة، ورابعاً: هل أرسلت في الوقت المناسب، وخامساً: هل وصلت إلى العنوان المطلوب، وسادساً: هل عمد الشخص إلى مطالعتها؟

فمن الضروري توضيح الإجابات على هذه الأسئلة. وإلّا يمكننا إرسال الكتب الى المكتبة ليتم تخزينها فيها، أو إلى إحدى السفارات أو الملحقيات الثقافية لتبقى هناك»[(٢)].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) من خطاب ألقي، بتاريخ ١/ ٧/ ١٣٧٢هـ.ش.

التبليغ التقليدي

يجب على الحوزة أن لا تتجاهل التبليغ التقليدي ـ أي الخطابة والمنبر ـ بصفته موقعاً متميزاً وممتازاً في العملية التبليغية. فالحديث عن أدوات التبليغ الفاعل وطرقه لا يعني التنكر لدور المنبر والخطابة أو تجاهله، لأن المنبر والخطابة يمثلان منهجاً مفيداً وفاعلاً يتطابق مع السنة والنمط التاريخي للتبليغ الحوزوي، من هنا يجب المحافظة عليه وتقويته وتطويره:

«يجب أن يظل «المنبر» محافظاً على صورته التقليدية والصحيحة. ولا نعني بالتقليدية أن تبقى جميع خصائصه مشابهة لخصائص المنبر في الماضي، فلا بد من تغيير الموضوعات. لكن ليبقى المنبر كما خبرناه جيداً خلال ألف عام أو على الأقل خلال القرون الثلاثة أو الأربعة الأخيرة»[1].

ولا بدّ من القيام بدراسة تفصيلية للمؤسسة الخطابية والمنبرية في الحوزات الشيعية، فلهذه المؤسسة دور مهم في الأصعدة الثقافية، والسياسية، والاقتصادية وغيرها. والمبلّغون والوعّاظ يسجّلون في مواسم التبليغ وغيرها حضوراً فاعلاً في جميع مناطق البلد، فيقيمون ـ من خلال الوعظ والخطابة ـ ارتباطاً وثيقاً مع الناس.

---

(١) من خطاب ألقي، بتاريخ ٥/ ١١/ ١٣٧٢هـ.ش.

ولقد كان الوعظ والخطابة ـ وما زالا ـ أهم وسيلة اتصال دينية في بلدنا. وحصل هذا التأثير الشامل والعميق ببركة الدم الطاهر لسيد الشهداء -سلام الله عليه-. فعظم المصاب أتاح للعالم الشيعي موقفاً متميزاً للتماس مع الجماهير؛ كونه يستطيع متى وأينما شاء أن يرتقي المنبر ويذكّر الناس بمصيبة سيد الشهداء عليه السلام.

من هنا صار لعلماء الشيعة امتداد شعبي واسع وممتاز. فرجال الدين المسيحي لا تسنح لهم الفرصة لمقابلة الناس ووعظهم إلّا في أيام الأحد وبعض الأيام الأخرى خلال السنة. وعلماء الدين السنّة لا يخطبون في الناس ولا يعظونهم إلّا في صلاة الجمعة وفي بعض الأماكن الدينية الخاصة؛ في حين يظل باب الوعظ والخطابة مفتوحاً أمام العالم الشيعي في كل محلة وزقاق، وفي كل بيت ومسجد، وفي كل مدينة وقرية، وفي الليل والنهار. ولهذه الحقيقة تأثيرات اجتماعية وثقافية لا يتسع مجالنا لتفصيلها، لكننا ألمحنا فقط إلى هذه الميزة التي أتيحت لعلماء الشيعة بفضل دماء سيد الشهداء:

«لم تجر حتى الآن دراسة تأثيرات المنبر في مجتمعنا. لاحظوا مجتمعنا ، وأمعنوا فيه النظر، هل تجدون مكاناً، سواءً في المدن الكبيرة والمناطق المكتظة بالسكان أو في القرى النائية والصغيرة، ليس فيه منبر باسم أبي عبد الله عليه السلام؟ فكل مجتمعنا (بانتمائه الشيعي) يعيش في كنف الإمام الحسين عليه السلام»[1].

وليس بإمكان أيّة وسيلة إعلامية أن تحلّ محلّ المنبر والخطابة بثراء محتواه، وجمالية الصوت، والرقة في أداء الرواية عن المصيبة، والشعر المتجدد أبد الدهور، والمتدفق بزخم جرح الحسين عليه السلام. كل هذه العوامل ـ وغيرها ـ تمنح المنبر خصوصية تزيد من دوره الثقافي والاجتماعي والسياسي على مرّ الأيام، من دون أن يكون ثمة

---

(١) من خطاب ألقي، بتاريخ ٢٠/ ٤/ ١٣٧٠هـ.ش.

مسوّغ للخوف عليه من تطور وسائل الإعلام المعاصرة، وتعقد تقنياتها.

فالمنبر يشكل أداة توصيلية عظيمة التأثير في ممارسة التبليغ وسائر المهام الاجتماعية. وواحدة من أبرز مزاياه أن الخطيب ينهض بدوره من خلال الصوت الإنساني ويباشر الجمهور وجهاً لوجه. ولا يقتصر حضوره على إلقاء الخطب، بل يمتد الى مشاركته في المحافل الدينية وتقديمه الإيضاحات على الاستفهامات الدينية والإشكاليات الأخلاقية، بل المسائل الاجتماعية والسياسية والأسرية أيضاً. ولا تقل، أحياناً، هذه الوظيفة الجانبية للخطيب عن دوره الأساس فيما تترتب عليها من تأثيرات في الحياة الثقافية والاجتماعية للناس. وما زالت الخطابة قناة رئيسة للتواصل بين العلماء والناس؛ حيث يعيشون عبرها آمال الناس وآلامهم ويساعدونهم على حلّ مشاكلهم.

نخلص إلى التنبيه إلى عدم تجاهل وإغفال الوعظ والخطابة بصفتهما من الوسائل التبليغية المهمة، كما أن الأنماط التبليغية المستجدة -كما أشرنا في الموضوع المندرج تحت عنوان أسلوب التبليغ وأنماطه. لا تعني أن الطريقة التقليدية في التبليغ باتت بلا معنى وانعدم دورها. جاء في نص لسماحة الإمام الخامنئي عن أهمية الخطابة والمنبر ودورهما:

«صحيح -ولله الحمد- أن الإذاعة والتلفزيون يبثان خطابات عديدة للعلماء، سواء في العاصمة أو في المدن الأخرى، تحت عناوين مختلفة كصلاة الجمعة أو بعض المناسبات الأخرى، علاوة على الدروس والبحوث، إلّا أنّ أيّاً منها لا يشكّل بديلاً لحركية العالم التي يباشر من خلالها الناس وجهاً لوجه.

إن الناس على فئات متعددة موزّعة في مختلف مناطق المدن

والقرى. فينبغي أن يكون لكل فئة عدد كاف من العلماء يعيشون في أوساطها ويسعون إلى حلّ مشكلاتها الدينية. إذن، وبالرغم من ضرورة أمور أخرى، إلّا أنه لا شيء يكون بديلاً عن هذا الأمر؛ حتى الكتاب لا يمكنه ذلك. هذا هو الشيء الذي يمتلكه مجتمعنا الإيراني والديني. ونادراً ما نجد مثله في البلدان الأخرى، حتى في العراق مثلاً، (إذا قلنا بأنه يحمل سمات المجتمع الشيعي)، لم يكن الأمر بهذه الصورة. فهذا يتعلّق بمجتمعنا حيث العلماء في مختلف المستويات وفي المدن والمحلات والقرى المختلفة وفي أوساط العشائر، يباشرون الناس وجهاً لوجه، ويحادثونهم مباشرة، ويتعاملون معهم، ويستمعون لشكاواهم، ويوضحون لهم الشبهات التي ترتسم في أذهانهم ويحلّون مشكلاتهم النفسية.

فيجب علينا تدعيم وترسيخ هذه الممارسات التي صدرت عن علمائنا في الماضي، ولا نسمح بزوالها. وأحسب أننا نعاني من نقص في هذا الصعيد»[1].

---

(١) من خطاب ألقي، بتاريخ ٢٩/ ١١/ ١٣٧١هـ.ش.

مواسم التبليغ

تتوافر ظروف مناسبة للتواصل بين المبلّغين والمجتمع، ونشر الثقافة الدينية في البلاد، في أشهر رمضان ومحرّم وصفر.

فلا بدّ للمبلّغين والمؤسسة العُلَمائية من السعي إلى تفعيل التبليغ والحيلولة دون تهميش الممارسة التبليغية في هذه الأشهر المباركة. وقد شدّد سماحة الإمام الخامنئي منذ البداية على ضرورة المحافظة على هذه السّنّة، مشيراً إلى نعمها على الدين والعلماء والثورة، وهو ما نقرأه في النص الآتي:

«في إحدى زياراتي لمشهد بعد انتصار الثورة، دعوت الإخوة الأعضاء في لجنة «الثورة الإسلامية» إلى اجتماع حذّرتهم فيه بصفتهم مسؤولين منشغلين بإدارة أمور الناس، من إغفال عمل كانوا يواظبون عليه دائماً. ففي شهور رمضان المبارك ومحرّم وصفر كان طلاب العلوم الدينية يتوجهون إلى أنحاء البلاد كافّة ليبلّغوا الناس نداء الثورة ومنطق الحق والثقافة الإسلامية»(١).

لم تؤثر مواسم التبليغ في تفعيل الإرشاد الديني في المجتمع فحسب، بل قامت، أيضاً، بدور مهم وواضح في الحركات الاجتماعية ـ السياسية في القرون الأخيرة في بلادنا. فنلاحظ أن أيام

---

(١) من خطاب ألقي، بتاريخ ١٠/٦/١٣٦٧هـ.ش.

التبليغ الخاصة مثّلت ذروة الوقائع التي انطوت عليها النهضات منذ المشروطة وحتى الخامس عشر من خرداد. فقد عمد المبلّغون في تلك الأيام التي تشهد تجمعات دينية، إلى عرض نداء الحق وفضح الحكومات الجائرة، والإشادة بحكومة العدل.

ولا شك في أن الدراسة المعّمقة نهضات التي انطلقت في القرن الأخير تنطوي على مسائل قيّمة ودروس بليغة، ودلائل على أن لأشهر التبليغ النصيب الأوفر في تكوين النهضات وبسطها. وقد تجلّى هذا الدور التاريخي في نهضة الإمام -رضوان الله تعالى عليه- منذ بدايتها حتى الانتصار في الثاني والعشرين من شهر بهمن، أكثر من غيرها. ويتابع سماحة الإمام الخامنئي كلامه في النص السابق بقوله:

«عندما أطلق الإمام تصريحاته في عامي (٧٧ و١٩٧٨)ودعا الناس الى الثورة الشاملة، لم تبق مدينة ولا قرية في كل البلاد إلّا ولبّت نداءه، وهنا يطرح السؤال: كيف استجابت لنداء الإمام القرى والمدن النائية التي ربما لم يسمع بعضها آنذاك باسم الإمام، أو لم تكن لديها معلومات واضحة عنه، ومن ثم لا يمكنها إدراك نداءاته.؟ اعلموا أن السر يكمن في وجودكم... فكل فرد منكم توجّه، وبكل تواضع، إلى نقطة من نقاط البلاد أو قرية منها. لا يزيد، أحياناً، عدد أسرها عن الخمسين أو الستين. وعايش الناس على الطبيعة لمدّة عشرة أيام أو عشرين يوماً أو شهراً، وتحدث إليهم مباشرة... فتهيأت أذهان الناس في البلاد كافة ببركة هذه العمامة التي يلبسها الشباب المتواضعون القنوعون الذين يبلّغون العلوم الإسلامية»[1].

بلغت الثورة أوجها في شهري رمضانٍ ومحرّم لعامي ٧٧ و١٩٧٨، فبسبب المواقف التحريضية للمبلّغين في المساجد

---

(١) من خطاب ألقي، بتاريخ ٥/ ١١/ ١٣٧٣هـ.ش.

والحسينيات في المدن والقرى، وعملياتهم في فضح جرائم النظام، وتوضيحهم ماهية الثورة الإلهية التي أطلقها الإمام -رضوان الله تعالى عليه- اشتد عود الثورة واخضرّ زرعها حتى آتت أُكُلَها.

لقد كانت الأجواء والأحوال تتغير في أيام التبليغ في شهر محرم وبخاصة يوم عاشوراء. فدماء الشهداء الطاهرة تضخّ طاقة تعبوية هائلة في النفوس؛ حيث إن المنبر يمارس دوره في الفضح، والتوعية والتثوير السياسي باستناده الى الحسين إماماً عادلاً، ورمزاً لمواجهة الظلم، وعلامة وضّاءة على ممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لإصلاح الأمة. من هنا فإن لعاشوراء دوراًعظيماً في عطف مسار الثورة نحو الانتصار، وإحياء الثقافة الشيعية في البلاد:

«على مدى قرون متمادية -وفي القرون الأخيرة بالتحديد- تبلورت حركة الإحياء الديني وتنامت ببركة الحسين بن علي - عليهما السلام- وقدرة مجالس العزاء.. وقد توافر للثورة هذا الزخم العظيم الكامن في قضية الحسين عليه السلام المقدسة. فامتد الفكر الثوري إلى كل مكان لينهض الجميع ويسجّل حضوره في الساحة»[1].

فيجدر بالمبلّغين أن يعرفوا قدر هذه النعمة الإلهية، ويبتعثوا ما تضمّه من مضامين لإرشاد المجتمع، إذ لا نجد في أيّة ديانة وشريعة أخرى ما يكتنزه المذهب الشيعي من محتوى للتبليغ الديني. فثمة ضرورة لبعث هذه النعمة الإلهية التي تنزّلت علينا ببركة النهضة المقدسة لسيد الشهداء وأهل بيته وأصحابه عليهم السلام:

«إن نعمة مجالس العزاء ومحرّم وعاشوراء لمجتمعنا الشيعي... هذه النعمة العظيمة وطّدت الصلة بين القلوب منبع الإيمان الإسلامي

(١) من خطاب ألقي، بتاريخ ٢٠/ ٤/ ١٣٧٠هـ.ش.

المتدفق، وقادت إلى مواقف طوال التاريخ جعلت الحكام الطغاة يخشون عاشوراء وقبر الإمام الحسين عليه السلام وقد بدأ الخوف ينتاب الحكم منذ عصر الخلافة الأموية وما زال حتى يومنا هذا، وقد رأيتم نموذجاً له إبان ثورتنا، فكان النظام البهلوي الرجعي، والكافر والفاسق فاقداً القدرة على الحركة... وهذا ما أكدته التقارير التي سجّلت في عهد ذلك النظام البغيض، وفيها إشارات وتصريحات تبرهن على أن أجهزة النظام كانت تتخبط في مواجهتها للثورة أيام محرّم.

وقد عرف جيداً إمامنا العظيم -رضوان الله تعالى عليه- هذا الرجل الحكيم، والواعي والعارف بالدين، والدنيا والإنسان، كيف يحيي ويبتعث واقعة «عاشوراء» لتحقيق أهداف الإمام الحسين عليه السلام، **فقد اعتبر شهر محرم الشهر الذي انتصر فيه الدم على السيف، انطلق في نهضته من هذه الحقيقة شهر محرم. هذا نموذج واحد عاينتموه بأنفسكم. فيجب إحياء هذه الذكرى من قبل الناس والعلماء»**[1].

لا يجوز تضييع هذه النعمة والاكتفاء بإحيائها كسنّة فقط. فاستذكار أيام المصيبة تتيح فرصة نادرة وثمينة جداً لرفد المجتمع بالوعي الفكري، والديني والإجتماعي.. فرصة لا نجد في أي مذهب أو دين آخر أنها أتيحت لمبلّغيه. من هنا ينبغي أن نعرف قدرها ونخطط ببصيرة لإحيائها وتفعيلها.

لذا، على المؤسسة التبليغية للحوزة أن تستعد جيداً لهذه الأيام الخاصة، فتجهّز المبلّغين بالمعلومات اللازمة ، وتمدّهم بالإمكانات التي من شأنها تنشيط دورهم عندما توفدهم إلى عمق المجتمع وقلبه، فينهضوا إلى مستوى احتياجاته واستفهاماته الدينية، ثم يحفظوا إيمانه ويحرسوه.

---

(١) من خطاب ألقي، بتاريخ ١٧/ ٣/ ١٣٧٢هـ.ش.

لكن مما يؤسف له، أننا لم نشاهد حتى الآن مبادرة مناسبة في هذا الصعيد. فما برح التبليغ الديني ـ كما في الأيام السالفة ـ في مواسم التبليغ، خاضعاً للمزاج الشخصي والمواقف الفردية. ومن جهته لا يحصل المبلّغ على دعم معنوي من جانب الجهات التبليغية، فهو في تماسه مع الجماهير وعندما يتحدث عن الدين والأخلاق والمعارف، ويسعى الى إرشادهم، لا يعتمد إلّا على تصوراته الشخصية التي تمكّنه من مطابقة خطابه مع الاحتياجات القائمة، من دون أي دعم في هذا المضمار:

«لتشكل اجتماعات مدروسة في أحد هذين الشهرين (محرم وصفر) في الأقل، من المناسب عقد جلسات قبل دخول شهر محرم للتخطيط للموضوعات الضرورية المفترض طرحها في شهري محرّم وصفر بلحاظ الظروف الزمانية والأحداث والمشكلات القائمة، بعد ذلك ترفع إلى الأمانة العامة أو الجهة العليا، لتبلّغ بدورها الجميع بأن الأولوية في العشرة الأولى، مثلاً، من محرّم لهذا العام للموضوع الفلاني»[1].

من الخطوات التي يمكن اتخاذها في هذا الاتجاه، إقامة ندوات جادة قبل أيام التبليغ على، أن يشارك فيها ذوو الخبرة والتجربة في المسائل الاجتماعية والتبليغية لتحديد ، الموضوعات المهمة ومصادرها أيضاً. وبهذا تتوافر للمبلّغ روافد موضوعات مواكبة للظروف الزمانية والمكانية، فتغدو حركته في الآفاق المفتوحة وفي مستوى المجتمع المخاطَب:

«لنفرض أن شهر محرّم على الأبواب... تتطوع مجموعة من الإخوة الأفاضل لعقد ندوة ... شكّلوا بعد تأمل، عدة لجان... ولتكن نتيجة الندوة ما تراه هذه المجموعة، فعلى سبيل المثال، تقرر ضرورة

(١) من خطاب ألقي، بتاريخ ٢١/٦/١٣٦٤هـ.ش.

طرح الموضوعات الخمسة عشر أو العشرين المعيّنة التي تنطوي على إجابات على استفهامات الناس. بعدها تتناقش مجموعة أخرى بشأن تلك الموضوعات وتدرسها بدقّة، وإذا تم هذا العمل، فأحسب أنه سيؤسس لحركة منسجمة»[1].

مجانبة الخرافات:

ينبغي عدم تحشيد الخرافات في التبليغ الديني وتشويه الحق بالأباطيل. وحذار من أن ينقل إلى الناس الأساطير والأقوال المشكوك فيها والروايات غير المسندة، بدلاً من الدين الحق. فالمبلّغ لا يحط من قدر خطابه ومكانته بتضمينه الأساطير فحسب، بل يسيء إلى الدين أيضًا، حيث يقدّم صورة مزيفة ومشوّهة لدين الحكمة والمنطق، ويهيّئ أرضية خصبة للتشكيك في الحقائقه الأساسية وإساءة الظن بها.

على المبلّغ أن لا يعتبر متانة كلامه تكمن في عرض العجائب والغرائب، فحتى لو فرضنا أن هذا النحو من الكلام يجتذب أنظار وأسماع العقلاء اليوم، لكن من المؤكد أنه لن يجتذب قلوبهم أبداً:

«ليس من الصحيح أن يرتقي أحدهم أعواد المنبر ليتفوّه بكلمات خاوية ويتطرق إلى موضوعات تافهة، لا تقوّي الإيمان بل تضعفه. وأقول لكم، بكل أسف، إن هذه الحالات تقع أحياناً. وهذا يحول دون بلوغنا الأهداف والمنافع المتوخاة من عقد هذه الجلسات. فيلاحظ في بعض الأحيان أن الخطيب ينقل في أحد المجالس موضوعاً ليس له أساس، عقلي أو نقلي، ويفضي في الوقت ذاته إلى تشويه وعي المستمع المستبصر وصاحب المنطق والاستدلال... استمع أحدهم إلى حديث ما،... صدق المستمع وكتبه

---

(١) من خطاب ألقي، بتاريخ ٤/ ٢/ ١٣٦٤هـ.ش.

في كتاب وقد وضع على الرف. ترى، ما الذي يدفعني وإياكم لطرح هذا الموضوع الذي لا يمكن التدليل عليه في حشد كبير يضم أفراداً واعين ومتبصرين؟فهل على المرء أن يتحدث بأي شيء من أي كتاب نقله؟

يجب أن يزيل كلامكم الشبهة لا أن يكرِّسها. فبعضهم يعتلي المنبر من دون الالتفات إلى هذه المسؤولية الخطيرة، ليضاعف الإبهامات والتساؤلات المستقرة في الأذهان، لا ليمحوها»[1].

وتترسخ أهمية ذلك في مآتم أهل البيت عليهم السلام. فلا ينبغي للخطيب والواعظ أن يظنّا أن استدرار دموع الحاضرين واستصراخهم هو الهدف الأساس الذي يجب بلوغه بأي ثمن. فليعلما أن الحقيقة أغلى من كل شيء، وليتفاديا الدفاع عنها عبر الأكاذيب ونسج الأساطير بذريعة أنهم يستهدفون ذكر سيد الشهداء عليه السلام ومصائبه:

«فلتعرض واقعة عاشوراء التي تعدّ أمّ المعارف في باب الجهاد والقتال في سبيل الله والركيزة الأساس لثورتنا بصورتها المشرقة الوضاءة، وبحقائقها الناصعة، مع تحاشي أيّة إضافة لا أساس لها من الواقع قد تصدر، أحياناً، بشكل خطابة أو كتابة. فذكرى عاشوراء ليست هزلاً، ولا ينبغي ضمّ الخرافات إلى هذه القضية العظيمة، وبعد ذلك ننتظر أن نترك أثراً إيجابياً»[2].

ومما يحزّ في النفس أن عاشوراء لم تختلط في محافلنا وكتاباتنا بالخرافات والأكاذيب فحسب، بل أضيفت إليها أيضاً افتراءات لا تنسجم مع روحها. فقد نظمت القصائد الشعرية، وكتبت القطع النثرية، ونسجت القصص التي لا تتناسب مع قيم نهضة الإمام

(١) من خطاب ألقي، بتاريخ ١٧/ ٣/ ١٣٧٣هـ.ش.

(٢) من خطاب ألقي، بتاريخ ٢٠/ ٤/ ١٣٧٠هـ.ش.

الحسين -عليه السلام- وهو ما يشوّه وعي المخاطَبين للفضائل والمكارم الإنسانية العظيمة مثل الشجاعة، وشدة البأس، والإيثار، ورفض الظلم، وأداء التكليف و...

«المسألة الأولى هي تنقية الواقعة من الافتراءات المضرّة... حتى ما جاء في بعض الكتب ويتناقض مع مفهوم النهضة الحسينية ومعناها. فيجب تشخيص كل هذا وعزله. وعليه، فالمسألة الأولى تتمثل في تصفية الواقعة التي نعرضها ممزوجة بالشعر، أو النثر، أو بطريقة التعزية. وهذا عمل سليم إذا كان بياننا لعاشوراء بما يتناقض ومفهوم «ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة»، فإن هذا الفعل لن يخدم القضية الحسينية وواقعة عاشوراء»[١].

على المبلّغ تهذيب أقواله وخطاباته من الخرافة والتحريف، وعليه، أيضاً، أن يعاين ممارسات المآتم بدقة، فلا يبادر إلى أفعال تتنافى وشؤون المروءة والديانة أو المصلحة الاجتماعية، ولا يحثّ الآخرين عليها، وفوق ذلك عليه أن يمنع القيام بأيّة ممارسة سلبية.

ويجب أن تكون مجالس العزاء الحسيني مركّبة من العاطفة والحماسة والمعرفة. ولا بدّ من أن يكون عرض الأبعاد العاطفية والحماسية لهذه المصيبة قادراً على كسب تعاطف الأجنبي الذي لم يسمع بالواقعة من قبل فيرقّ قلبه وتحزن نفسه.

لقد أضرّت بعض الممارسات غير العقلانية بصورة التشيّع، وبدلاً من أن تجتذب القلوب نحو الشعائر الحسينية، نفّرتها منها. من هنا يتعين على الواعظ والخطيب وكل المشاركين في مراسم العزاء أن يلتفتوا إلى أن أنظار الملايين من الأجانب والمواطنين متوجهة إليهم. فالتشيّع لا يتمثل بأقلية دينية مغمورة لا يهتم بها أحد، فقد

---

(١) من خطاب ألقي، بتاريخ ١١/ ٥/ ١٣٦٨هـ.ش.

أضحت القيم والشعائر الشيعية في إيران الإسلامية أمام الرأي العام كافّة، وأيّة ممارسة خاطئة من شأنها أن تشوِّه صورة التشيّع وعاشوراء في أذهان الرأي العام العالمي.

إن على العالم والخطيب والواعظ الانتباه إلى أن المسألة لا تتمثل، اليوم، في ماهية الاستدلالات الفقهية المتصلة بالتطبير -مثلاً - لتدخل المسألة في مدارات النقاش، ثم تحشيد الأدلة التي تجيز هذه الممارسة أو تحرمها، أو التي تعدها إضراراً بالنفس أو تنفي ضررها، وهكذا...

إن هذه البحوث الفقهية التقليدية يجب أن تجري في المدرسة، لكن الكلام في الظروف الراهنة يتركز على مصلحة التشيّع والمجتمع الشيعي الثوري. ترى، ما هي الصورة التي تنطبع للتطبير وإن حدث في مآتم سيد الشهداء عليه السلام في أذهان الأجانب؟ هل سيتعاطفون مع التشيّع المظلوم وعاشوراء المظلومة أم سيبتعدون عنهما؟. وقد أشار سماحة الإمام الخامنئي في خطاب تحذيريّ، إلى الانطباعات وردود الفعل السلبية التي تولّدها الممارسات المنافية لشؤون مجالس العزاء بقوله:

«إن دعوة الإمام -رضوان الله عليه- إلى إقامة مجالس العزاء تعني الجلوس فيها، وقراءة التعزية، والبكاء، ولطم الرأس والصدر والمشاركة في المسيرات، وهي الأمور التي تعزّز التعاطف مع أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله، وهي أمور ممتازة. وثمة أفعال مؤداها إبعاد الناس عن الدين. وأحس بالأسف لرواج بعض الأفعال في مجتمعنا خلال السنوات الأربع الأخيرة. يقومون بأعمال تثير استفهامات وتشكيكات عند كل من يراها. ففي الماضي البعيد، كانت فئة من عوام الناس تضع في أبدانها «قفلاً» في أيام العزاء، وفي حينها استنكر العلماء والأفاضل ذلك العمل حتى اضمحل، لكنه عاد هذه الأيام... والتطبير

كذلك... إنه عمل خاطئ! تعمد مجموعة من الأشخاص إلى ضرب رؤوسها بالسيوف فتجري دماؤهم، ترى ما هو الهدف؟ وأين هو العزاء في هذا العمل؟

وفي الآونة الأخيرة ظهرت بدعة عجيبة وغريبة في الزيارات... فهل سمعتم أن أحد علمائنا أو أحد أئمتنا عليهم السلام كان يزحف على الأرض من بداية الصحن حتى القبر؟... هناك عدد من الأفراد عندما يصلون الصحن الطاهر لعلي بن موسى الرضا -عليه الصلاة والسلام- يزحفون زهاء مئتي متر باتجاه القبر. فهل هذا عمل صحيح؟ كلا، إنه عمل خاطئ وفيه إهانة للدين والزيارة. من الذي روّج هذه الممارسات بين الناس؟ لعله من عمل الأعداء.

نوّروا أذهان الناس بهذه الأفكار. فالإسلام دين المنطق، والتفسير الشيعي للإسلام هو الأكثر منطقاً من غيره. فعلماء الكلام الشيعة، كان كل واحد منهم كالشمس في زمانه... فهل هذا هو التشيع، أم تلك الأمور التي ليس فقط تفتقد للاستدلال بل هي أشبه شيء بالخرافة؟ لماذا أدخلوا هذه الأمور في الدين؟ إنه خطر عظيم يتهدد عالم الدين والمعارف الدينية، فعلى حرّاس العقيدة أن يأخذوا حذرهم»[1].

الهجرة التبليغية:

تشتد الاحتياجات التبليغية في داخل البلد وخارجه. ويزدحم المشتاقون للخطاب الديني على أبواب الحوزة مطالبين بالمبلّغين. وللأسف، لا تجد هذه الطلبات استجابة في أغلب الأحيان. وليس خافياً حجم الأضرار التي يتركها فراغ الساحة ـ أينما كانت ـ من المبلّغين، فيما تظل من دون جواب الاستفهامات حول أبسط

(١) من خطاب ألقي، بتاريخ ١٧/ ٣/ ١٣٧٣هـ.ش.

الأحكام الدينية وتلك المعقدة المرتبطة بالمعضلات الفكرية، الأمر الذي يسوق المجتمع الديني ـ في داخل البلد أو خارجه ـ إلى الحيرة والفوضى:

«يأتون من مختلف البلدان، يطلبون مبلّغين، لكننا نفتقر إلى المبلّغين، ويأتون من المدن الإيرانية يطالبون بمبلّغين، لكن ليس لدينا مبلّغ. يريدون إماماً للجمعة، فلا نستطيع تأمين ذلك... رغم وجود الحوزة العظيمة. هناك مناطق تبقى، أحياناً، ستة أشهر أو سنة من دون إمام جمعة! ترى، هل طالبناهم بالذهاب إلى غابات الأمازون للتبليغ؟ السادة يمتنعون عن الذهاب، وإذا سألناهم عن السبب، أجابوا بأنهم يريدون مواصلة دراستهم! إخوتي؛ لست راضياً عن هذا الموقف، قولوا ما شئتم، أقسم بالله، إني لا أعتبر هذا الموقف دينياً»[1].

على طلبة الحوزة أن يدركوا مكانة التبليغ وإرشاد الخلق فلا يقلّلوا من شأنهما، وأن يعتبروا حضورهم في الحوزة وارتداء الزي العلمائي هو من أجل التبليغ، فليبادروا إلى الحضور في الأماكن التي تعاني من نقص في المبلّغين:

«لا يصح القول: إن الشخص الفلاني درس «المكاسب» و«الكفاية» وصار فاضلاً، فمن غير المناسب أن يذهب للتبليغ في أوساط العشاير؟ ترى، لماذا أتعب نفسه ودرس «الكفاية» و«المكاسب»؟ إن جميع هذه الدروس مقدمة لاجتذاب الناس للإسلام وحثّهم على الالتزام بالدين فـ (لأن يهدي الله بك رجلاً خير مما طلعت عليه الشمس)[2]»[3].

---

(١) من خطاب ألقي، بتاريخ ٢٠/ ١١/ ١٣٧٠هـ.ش.

(٢) ميزان الحكمة، ج٤، ط١، دارالحديث، ص ٣٤٤٣.

(٣) من خطاب ألقي، بتاريخ ١٥/ ٧/ ١٣٧١هـ.ش.

ولا ينبغي لأساتذة الحوزة اتخاذ التدريس ذريعة لترك التبليغ:

«لعل مصداق الهجرة لطلاب العلوم الدينية والأفاضل المستقرين في الحوزات، يتمثل في الهجرة إلى مناطق العالم الإسلامي للتبليغ فيها. وبوسع بعض الطلاب الإقامة في مدينة وإرشاد أهلها. إذ لا تترتب فائدة على البقاء في قم بالنسبة للمئات من الطلاب سوى أنهم يلقون بعض الدروس على عشرين أو ثلاثين طالباً، وهو ما يقوم به غيرهم»(١).

ويكشف تاريخ الحوزات عن كون الهجرة من أجل التبليغ أو الدرس التي قام بها كثير من عظماء الحوزة الماضين، أفضت إلى تحوّلات اجتماعية عظيمة وواسعة. فهجرتهم أنشأت قواعد مهمة للفكر الشيعي، وعززت مكانة المجتمعات الشيعية القائمة. وربما نستطيع القول: إن تكوّن المجتمعات الشيعية في إيران، والعراق، ولبنان وبقية المناطق الأخرى، مدينٌ لهجرات علماء الدين:

«على مسؤولي الحوزة العلمية وعظمائها وأعيانها أن يكونوا البادئين في سلوك هذا الطريق. وأحياناً تترتب على وجود بعض العلماء الكبار في مدن أخرى، منفعة أكبر بكثير من تلك الحاصلة من بقائهم في مدينة قم. وثمة شواهد من الواقع على ذلك. فمثلاً هاجر المرحوم آية الله الميلاني -رضوان الله تعالى عليه- من كربلاء وهي قريبة من النجف، -وكان أمثاله يقيمون في كربلاء والنجف- إلى مشهد ليؤسّس فيها حوزة علمية كبيرة... وحقاً ، كان وجود المرحوم آية الله الميلاني بركة إلهية لحوزة مشهد. وكان بمقدوره أن يظل في كربلاء إلى نهاية عمره... لكنه جاء إلى مشهد وكان منشئاً للبركة فيها»(٢).

---

(١) من خطاب ألقي، بتاريخ ١٣٧٣/٦/٢١هـ.ش.

(٢) من خطاب ألقي، بتاريخ ١٣٧٣/٦/٢١هـ.ش.

وتنسحب هذه الحقيقة على مستوى الباحثين في الحوزة؛ إذ تساعد هجرتهم إلى المناطق (التي تحتاج إليهم) وإقامتهم المؤقتة فيها، على تلبية قسط من الحاجة الى التبليغ. والإقامة في منطقة ما عدة شهور، أو حتى عدة سنوات، لا تضرّ بالدراسة، كما يمكن تكثيف الجهد الدراسي للتعويض عمّا فات. فالدراسة ليست مسوّغاً، إذن، لترك التبليغ:

«ليس هناك ما يمنع الطالب الشاب من ترك الحوزة والدرس لمدّة سنة للتبليغ في منطقة معينة، ثم يعود إلى الحوزة ليحل محلّه فرد آخر. وهذا لا يسفر عن خسارة دراسية للطالب. فسنة واحدة لا تضر بالطالب الذي أنهى المقدمات وتقدّم نسبياً في الفقه والأصول والمسائل الاستدلالية»[1].

فلا ينبغي تعطيل الهجرة التبليغية بذريعة شحّ الإمكانات في المنطقة، وبفرض شروط صعبة مسبقة كتوفير السيارة الفارهة والوسائل الترفيهية. فالهجرة التبليغية كالجهاد، تستدعي تحمل المشاقّ، ومصاعب الغربة، والإعراض عن الوطن، وشرح الصدر لحلّ عشرات المشكلات العائلية وغيرها:

«هناك قرى في بلادنا تفتقر لعالم الدين، فعلى علماء الدين أن يتوجهوا إليها من دون أيّة شروط مسبقة. بعضهم يقول لنا: يجب توفير كذا إمكانات وكذا امتيازات كيما نذهب. أنا لا أنفي الحاجة للأمور المادية والظروف الحياتية المناسبة، لكن لا يجب فرض ذلك كشروط مسبقة. فلينطلقوا ويعقدوا العزم»[2].

على الحوزات الشيعية معاينة تجربة التبشير المسيحي نحو مناطق العالم كافّة، سواء كانت صحارى إفريقيا القاحلة والمحرقة،

---

(١) من خطاب ألقي، بتاريخ ٥/ ١١/ ١٣٧٣هـ.ش.

(٢) من خطاب ألقي في ٢٠/ ٤/ ١٣٧٠هـ.ش.

أو غاباتها التي تقطنها قبائل متوحشة، أو المناطق القطبية المتجمدة. فتاريخ التبشير المسيحي مليء بالعبر والدروس. ولما كانت الحوزات الشيعية أقرب إلى شمس الحقيقة - من غيرها - فهي مدعوة لبذل مجهودات أضخم من الآخرين في سبيل إخراج الناس من الظلمات إلى النور:

«أكرر للسادة العلماء الإشارة إلى أننا نعرف قساوسة أعرضوا عن مدنهم الراقية وحياتهم المرفهة في أوروبا، وقطعوا آلاف الكيلومترات ليبلّغوا المسيحية في أميركا اللاتينية، أو أفريقيا، أو غابات الأمازون أو غينيا، وقد أمضوا سنوات من عمرهم هناك. وقد وصلوا في عهد الاستعمار الى مناطق لم تطأها أقدام المستعمرين»[1].

---

(١) من خطاب ألقي في ١٥/٧/١٣٧١هـ.ش.

التبليغ خارج البلد

قادت الأزمات الأخلاقية والمعنوية التي شهدها العالم وظهور الثورة الإسلامية، إلى توجه جديد نحو الدين الإسلامي. فالأذهان المضطربة التي أرهقتها مادية الحضارة الغربية، استفاقت اليوم بالنظر إلى الإسلام بوصفه منهجاً لديه ما يعالج به أزمات البشر. ومن هنا اشتدت الحاجة إلى مبلّغين عارفين بالدين يتوجهون إلى مختلف مجتمعات العالم. وإذا لم تتم المبادرة الجازمة إلى إرواء النفوس المتعطشة للإسلام الأصيل، فإن أولياء الشياطين سيبادرون حتماً إلى تضليل تلك النفوس ثم إروائها بشكل كاذب:

«الإسلام مطروح اليوم بصفته منهجاً للحياة يقدم إجابات على إشكالات الحياة، وطريقاً للتحرر من مشكلات عالم القرنين الجاري والمقبل. وهكذا ينظرون إلى الإسلام، ولذلك يعتنقونه. فالإسلام اليوم ينتشر بسرعة في الدول الغربية وبخاصة الولايات المتحدة والدول الأوروبية الكبرى. وليس هذا زعم خطيب سمع شيئاً وصعد ليتحدث به، لدي أرقام دقيقة. فكثير من الأفراد في البلدان المسيحية الغربية ممن اعتنقوا الإسلام، لديهم أسئلة، ويريدون معرفة الإسلام، ويريدون أن يسمعوا شيئاً عن الإسلام... يريدون أن يتعرفوا على حقيقة الإسلام الذي استطاع تشكيل حكومة ووقف بوجه القوى الكبرى، ولم يخش أحداً وباستطاعته أن يدير العالم، وهو يسجّل حضوراً في

صميم الحياة الإنسانية وقلبها، ولا يعاني مما تعاني الدول الأخرى من ضعف. يريدون معرفة هذا الدين، فعلى عاتق من تقع مسؤولية توضيح هذه الحقائق؟ هل نجلس ليفعل الأميون ذلك؟ هل نقعد، كيما يتوجه إليهم من لا يعرف شيئاً عن الإسلام؟ هل نقعد، ليذهب إليهم من كوّن معرفته عن الإسلام بما سمعه من هذا وذاك؟»[1].

فيما يتعلق بالتبليغ في خارج البلد، من الضروري مراعاة المسائل العامة التي ذكرناها، علاوة على المسائل الخاصة التي نشير فيما يأتي إلى بعضها:

١ـ معرفة لغة البلد الأجنبي وثقافته:

يتعين على المبلّغ في بلد أجنبي أن تكون لديه إحاطة كاملة بلغة سكانه، ومعرفة عميقة بثقافتهم، ليصار إلى سهولة التواصل مع أفراد بيئته، وإلى مواكبة الرؤى والأفكار والأنماط الثقافية للمجتمع، ثم يصوغ خطابه عبر الحوار أو النشر أو... وكثيراً ما كان للتبليغ المجرد من المعرفة بثقافة المجتمع المخاطَب، مردودات سلبية طاولت الممارسة التبليغية ذاتها. فمثلاً، يفضي تجاهل مكانة مصطلح ما في ثقافة المخاطَب إلى انصرافه عن سماع مجمل الخطاب، وربما إلى اتخاذ رد فعل سلبي حيال أي تبليغ مماثل. كما أن التشديد على موضوع معين أو تجاهل قيمة ثقافية، يسوق، أحياناً، المستمعين أو القراء إلى التشكيك في أصالة الخطاب وحقانيته، أو إلى الإعراض عنه جملة وتفصيلاً.

في أيّة حال، كانت هذه نماذج لأخطاء عديدة وقعت فيها المؤسسة التبليغية في خارج البلد. ولتفادي ذلك، ينبغي أن يكون المبلّغ متحلياً بالخصائص العامة للمبلّغ الفاعل، إضافة إلى الإحاطة

---

(١) من خطاب ألقي في ١٤/ ٦/ ١٣٧٤هـ.ش.

الكاملة بلغة المجتمع المخاطَب وثقافته. وليتحاشَ التدرب على ممارسة التبليغ في وسط المجتمع، فالصحيح أن يحترف التبليغ قبل أن يتماسَّ مع المجتمع. وإلّا فهو كمن لا يجيد السباحة ومع ذلك يحاول أن يسبح في محيط موّاج، وهذا غارق لا محالة هو ومن تشبّث به. وللأسف، نلاحظ مصاديق عديدة لهذه الأخطاء، الأمر الذي يشكّل خطراً جدياً على المؤسسة التبليغية في خارج البلد، كون الاتصال الأول مسؤولاً بالدرجة الأولى عن صياغة وعي المجتمع المخاطَب. وليكن معلوماً أن تجسير العلاقة مع شعوب العالم يجب أن لا يخضع لمنهجية التجربة والخطأ، فغالباً ما تؤدي هذه المنهجية إلى رسم صورة مزيفة وسيئة للمبلّغ الشيعي في الأذهان، تصعب إزالتها بسرعة، حيث تبقى أمداً طويلاً في الذهن ؛ لتحول دون التفاعل حتى مع المبلّغين الممتازين:

«يجب توافر أفراد مستعدين لهذا العمل؛ أي من الذين أنهوا دراساتهم، وشاركوا في دورة تأهيلية، واطّلعوا على طباع الأجانب وسلوكياتهم وأتقنوا لغتهم؛ كيما يتواصلوا معهم وينهضوا إلى مستوى البيئة التي يخاطبونها»[1].

٢ ـ المثابرة وتحمل المشاق:

ليس التبليغ في خارج البلد ترفيهاً أو سياحة لتمضية أوقات الفراغ، بل هو ممارسة شاقّة لا تنهض بها سوى النفوس الصابرة والهمم العالية، ولا مجال فيه لحب الدعة والراحة والترف.

ولا يتيّسر للمبلّغ نشر الفكر الديني إلّا ببعد الهمة والحركة الجادة. فبالمثابرة وقوة العزم وصل المبشرون المسيحيون إلى غاياتهم. وقبلهم نشر المبلّغون المسلمون الإسلام في الهند،

---

(١) من خطاب ألقي في ١٣٧١/٦/٢٩هـ.ش.

وجنوب شرقي آسيا، وأفريقيا وغيرها بالمثابرة والعمل الدؤوب.

ولكي يكون للفكر الديني - الشيعي حضور ملموس حالي، لا بدّ من نفوس كبيرة لا تخشى الصعاب، ولا تؤثّر فيها النكبات، وتحلو في عينها مرارة الغربة، ولا تتوانى أبداً في الدعوة إلى الإسلام ونشره ولو كلفها ذلك دموعاً ودماءً:

«ترتسم في أذهان بعضهم صورة متلألئة للتبليغ في الخارج، فيتوهمون أن من يُرسَل للتبليغ في الخارج، يقيم في لندن أو باريس وفي عمارة راقية مع أناس مترفين.

اقرأوا سيرة بعض المبلّغين المسيحيين الذين بذلوا مجهودات ضخمة، وذهبوا إلى أعماق غابات إفريقيا وأميركا. بالطبع كان هدفهم استعمارياً، وليس إلهياً واقعياً... وقبلهم نشر المبلّغون المسلمون الإسلام في أقاصي آسيا: الهند وشبه القارة الهندية التي تضم بنغلادش، والهند، وباكستان، وأندونيسيا، وماليزيا، والصين وتركستان الشرقية.هكذا انتشر الإسلام في أغلب هذه المناطق؛ إذ هاجر إليها بعض أولياء الله والعرفاء، وأقاموا سنوات متمادية تحملوا خلالها مختلف ألوان الصعاب، حتى استشهد بعضهم ومات بعض آخر جوعاً...»[1].

٣ ـ المراقبة المشدّدة:

على المبلّغ أن يحاسب نفسه أينما كان، فيقارن بين أقواله وأفعاله بدقّة عالية، وبكلمة أخرى يكون منسجماً مع كونه مبلّغاً للدين.

وهذا أصل عام، تشتد أهميّته في حال كان المبلّغ في الخارج. فهو من جهة يمثل سفير الدين في البلد الأجنبي، وهذا يعزز

(١) من خطاب ألقي في ١٠/٦/١٣٧٦هـ.ش.

التزاماته. فإذا ارتكب المبلّغ في داخل بلده خطأ أو ذنباً. وإن كان كبيراً. فإنه يتوارى خلف أخلاقيات وسلوكيات العلماء الصالحين. وهؤلاء ليسوا قلّة. الأمر الذي يمنع سوء الظن بالدين. لكن الحال يختلف في البلد الأجنبي حيث تتوجه أنظار المخاطَبين إلى المبلّغ فقط، فتكون جميع أعماله برسم الديانة والعلماء كافّة، ومن ثم فإن خطأه أو ذنبه يعد دليلاً كافياً على سلب الدين حقّانيته.

وبناء على هذا، فإن ذنب المبلّغ في البلد الأجنبي أوسع إضراراً، وهو يغلق الباب بوجه المبلّغين الصالحين والكفوئين.

ومن جهة ثانية، يشكّل بعد المسافة بين البلد الأجنبي ومركز الإسلام والولاية، خطراً على الضعفاء الذين تزداد معدلات ارتكابهم للذنوب والمعاصي كلما ابتعدوا عن المركز. فلا بدّ للمبلّغ من أن يتّصف بالحلم وسعة الصدر، وعليه أن يكثّف مراقبته لنفسه وسلوكه الأخلاقي، ليصون نفسه من المزالق:

«إن بُعد المسافة الذي يفصلكم عن البلد ومركز الثورة، مدعاة لتشديد التزكية الذاتية. ومع أنكم من أهل العلم، والأخلاق، والفضل والدين، لكن المرء عندما يبتعد عن مركز الإسلام والدين والشعائر الإسلامية، يحتاج إلى تكثيف مراقبته لنفسه والاهتمام بها. فمثلاً، إذا كنتم هنا تكتفون بمقدار معين من الذكر، والدعاء، والنوافل، وصلاة الليل و.... فعليكم مضاعفته هناك ليكون بوسعكم المحافظة على أنفسكم»[1].

(١) من خطاب ألقي في ١٧/ ٢/ ١٣٧١هـ.ش.

الفهارس العامة للكتاب

فهرس المصادر والمراجع

١ـ القرآن الكريم...

٢ ـ أبو قحف، عبد السلام، أساسيات الإدارة، بيروت، الدار الجامعية، ١٩٩٨.

٣ـ الشرقاوي، علي، السياسات الإدارية، بيروت، الدار الجامعية.

٤ـ المعتزلي، إبراهيم محمد أبو الفضل ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ط١، قم، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي.

٥ـ الفارابي، أبو نصر: إحصاء العلوم، القاهرة، ١٩٣١م.

٦ـ أبو القاسم «ابن عساكر»، تاريخ مدينة دمشق.

٧ـ أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٣م.

٨ ـ النجاشي، أحمد بن علي: رجال النجاشي، ط٥، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٦هـ.

٩ـ الأمين، محسن، أعيان الشيعة، بيروت، ١٩٨٣.

١٠ـ الأهواني، أحمد فؤاد: الكندي فيلسوف العرب، سلسلة

أعلام العرب (٢٦) القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، ١٩٦٤م.

١١ـ إخوان الصفا، رسائل اخوان الصفا وخلّان الوفاء، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٥هـ.

١٢ـ فهمي، أسماء: مبادئ التربية الإسلامية، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٧م.

١٣ـ الحلّي، الحسن بن يوسف ابن المطهّر: مختلف الشيعة، قم، مؤسسة النشر الإسلامي.

١٤ـ الحكيم، محمد تقي:الأصول العامة للفقه المقارن، ط٢، قم، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، ١٣٩٠هـ.

١٥ـ الكليني، محمد بن يعقوب: ط٣، قم، دار الكتب الإسلامية.

١٦ـ التعليم ذلك الكنز المكنون، مركز مطبوعات اليونسكو بالقاهرة، القاهرة ١٩٩٩م.

١٧ـ بربر، كامل: الإدارة عملية ونظام، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات.

١٨ـ بحر العلوم، محمد صادق: مقدمة رجال الطوسي، النجف، ١٩٦١.

١٩ـ رضائي، محمد علي، شيوه هاى تحصيل وتدريس در حوزهاى علمية، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤١٩هـ.

٢٠ـ الباقري، جعفر: ثوابت ومتغيرات الحوزة العلمية، بيروت، دار الصفوة، ١٤١٥هـ.

٢١ـ الخليلي، جعفر: موسوعة العتبات المقدسة، ط٢، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ١٩٨٧م.

٢٢ـ السيوطي، جلال الدين: الإتقان في علوم القرآن، ط١، بيروت، المكتبة الثقافية، ١٩٧٣م.

٢٣ـ حسان، محمد حسان: الأهداف التربوية في كتاب الفكر التربوي العربي الإسلامي: الأصول والمبادئ، تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٨٧م.

٢٤ـ طوطح، خليل: التربية الإسلامية، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٧م.

٢٥ـ طوطح، خليل: التربية عند العرب، القدس، المطبعة التجارية، ١٩٣٥.

٢٦ـ الخميني، روح الله الموسوي: آداب الصلاة، ط١، بيروت، مركز بقية الله الأعظم، ١٩٩٩م.

٢٧ـ الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين: كنز العمال، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م.

٢٨ـ الخامنئي، علي الحسيني: مجموعة محاضرات.

٢٩ـ الواسطي، علي بن محمد: عيون الحكم والمواعظ، دار الحدي، ١٣٧٦هـ. ش.

٣٠ـ النشار، علي سامي: مناهج البحث عند مفكري الإسلام، بيروت، دار النهضة العربية، ١٤٠٤هـ.

٣١ـ ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، ط١، بيروت، دار صادر.

٣٢ـ محسن، محسن محمد: من التنظيم الدراسي في النجف الأشرف، ط١، بيروت، دار المحجة البيضاء، ١٩٩٨م.

٣٣ـ سلطان، محمود السيد: مفاهيم تربوية في الإسلام، الكويت، مؤسسة الوحدة للنشر والتوزيع، ١٩٧٧م.

٣٤ـ الشبيني، محمد: أصول التربية، دار الفكر العربي، القاهرة.

٣٥ـ المظفر، محمود: مقدمة الطبعة٣، لكتاب المنطق، بيروت، دار التعارف، ١٩٩٥م.

٣٦ـ المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار، ط٢، بيروت، مؤسسة الوفاء.

٣٧ـ الصدر، محمد باقر:

ـ المعالم الجديدة، ط٣، بيروت، دار التعارف، ١٩٨١م.

ـ المدرسة القرآنية، طهران، دار الكتاب الإيراني، ١٩٨٤م.

ـ الحرية في القرآن، بحث منشور ضمن «بحوث إسلامية» ط٣، بيروت دار الزهراء، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

ـ دروس في علم الأصول، ط٥، قم، مؤسسة النشر الإسلامي ١٤١٨هـ.

٣٨ـ الخوارزمي، محمد بن أحمد: مفاتيح العلوم، القاهرة، للتأليف والترجمة، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٨١م.

٣٩ـ الطوسي، محمد بن الحسن: المبسوط، ط١ طهران، المكتبة المرتضوية لإحياء الأثار الجعفرية.

٤٠ـ الطبري، محمد بن جرير: ـ جامع البيان في تفسير القرآن، ط٤، بيروت دار المعرفة، ١٩٨٠م.

ـ تاريخ الأمم والملوك، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية ١٩٩٧م.

٤١ـ حمدان، محمد زياد: أساسيات المنهج الدراسي، دار التربية الحديثة.

٤٢ـ الخراساني، محمد كاظم: كفاية الأصول، قم، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.

٤٣ـ الطهراني، محمد محسن بن علي: (آغا بزرگـ)، طبقات أعلام الشيعة.

٤٤ـ ري شهري، محمد محمدي: ميزان الحكمة، ط١، بيروت، الدار الإسلامية.

٤٥ـ الآصفي، محمد مهدي: مدرسة النجف وحركتها الإصلاحية.

٤٦ـ الدواليبي، محمد معروف: موقف الإسلام من العلم وأثر الرسالة الإسلامية في الحضارة الإنسانية، القاهرة، دار الكتاب المصري، ١٩٨٠م.

٤٧ـ علي، نبيل: الثقافة العربية وعصر المعلومات، عالم المعرفة، عدد ٢٧٦، ديسمبر ٢٠٠١م.

دوريات

٤٨ـ خرم آبادي، حسن طاهري: مجلة رسالة الحوزة «فارسية»، قم.

٤٩ـ مطهري، مرتضى : مجلة «الحوزة» عدد٢، ربيع الأول، ١٤٠٢هـ. ش. قم.

٥٠ـ الشيرازي، ناصر مكارم : مجلة «حوزة» عدد ١٢، ١٣٧٥ هـ. ش. «بالفارسية».

فهرس الأعلام

فهرس الأماكن

فهرس المصطلحات

المحتويات

الفصل الثاني: الفكر الإصلاحي في الحوزات العلمية

الفهارس العامة للكتاب